

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم أصول الدين

دكتوراه التفسير وعلوم القرآن

الوحي

في كتاب (تاريخ القرآن) للمستشرق الألماني (نولدكه)

عرض ونقد

The Revealer in the German Orientalist

Noldekes Book "History of Quran"

Presentation and Criticism

إعداد الطالب : عبدالرزاق أحمد أسعد رجب

الرقم الجامعي: ٢٠٠٤٢٥٠٠٠٢

إشراف

الأستاذ الدكتور عبدالله مرحول السوالمه: مشرفاً رئيساً

الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي: مشرفاً مشاركاً

(الوحي في كتاب تاريخ القرآن للمستشرق الألماني نولدكه: عرض ونقد)
إعداد الطالب
عبد الرزاق احمد اسعد رجب

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن في جامعة اليرموك ، اربد - الأردن .

وافق عليها

مشرفاً رئيساً

عبد الله مرحول السوالمه
أستاذ الحديث في كلية الشريعة - جامعة اليرموك

مشرفاً مشاركاً

محمد خازر المجالي
أستاذ التفسير في كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

عضواً

شحاده حميدي العمري
أستاذ التفسير في كلية الشريعة - جامعة اليرموك

عضواً

محمد ابراهيم الشافعي
أستاذ التفسير في كلية الشريعة - جامعة اليرموك

عضواً

عبد الرحيم احمد الزقة
الأستاذ المشارك في التفسير كلية الشريعة - جامعة آل البيت

عضواً

محمد احمد الجمل
الأستاذ المساعد في التفسير كلية الشريعة - جامعة اليرموك

نوقشت بتاريخ
٢٠١٠/٣/٢٨ م

الإهداء

إلى مروح والدي الحبيب الذي أدعو الله تعالى أن يجعله في عليين، وأن

يجزله عني خيرا الجزاء

إلى الوالدة الكريمة بآمر الله في عمرها وتقع بها

إلى الزوجة المخلصة الوفية التي تعبت معي من بداية الطريق

إلى مهجة الفؤاد وقرّة العين بُنيّتي لجين وولدي الحبيب أحمد

إلى الإخوة الأعزاء والأصدقاء المخلصين

إلى طلبة العلم المجتهدين

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع

بسم الله الرحمن الرحيم الشكر والتقدير

لما كان من الأمانة ردُّ الفضل إلى أهله قلَّ أو كثر، فأني أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذين الدكتورين عبدالله مرحول السوالمه، و محمد خازر المجالي على جهودهما في الإشراف على رسالتي هذه، فقد وجدت منهما حنان الأب، وشفقة المربي، فأدعو الله عز وجل أن ينسأ لهما في الأثر، وأن يبارك لهما في العلم، وأن يجزيهما عني خير الجزاء.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير إلى الأساتذة الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور شحادة احميدي العُمري والأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الشافعي والدكتور محمد الجمل والدكتور عبدالرحيم الزرقه، الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة ومراجعتها وتدقيقها والتعليق عليها، راجياً من الله تبارك وتعالى قبول جهودهم، وداعياً لهم بالبركة في العمر والعلم.

وأتقدم بالشكر الجزيل والتقدير والعرفان للأستاذ الدكتور شحادة احميدي العُمري نائب العميد ورئيس قسم أصول الدين الذي أشار بفكرة الرسالة ودعمها، فله مني الدعاء بالخير كله.

والشكر موصول لأصحاب الفضيلة رؤساء قسم أصول الدين السابقين الدكتور يوسف الزيوت، والدكتور محمد الجمل، والدكتور عبدالرزاق أبوالبصل، وللأساتذة الأكارم حفظهم الله تعالى، ولإداري القسم السيد محمد منكاوي (أبوواسم) وفقه الله تعالى إلى كل خير.

والشكر والعرفان للزميلين العزيزين المشرفين التربويين في مكتب تعليم اربد التابع لووكالة الغوث الدولية الأستاذين عبدالباسط حسين وأسامة البيطار على جهودهما في الترجمة للنصوص الأجنبية، وكذلك للأستاذ إبراهيم صدقة على ترجمة المفردات والتراكيب العبرية.

وأتقدم كذلك بجزيل الشكر إلى كافة العاملين في المكتبة الحسينية في جامعة اليرموك على جهودهم وتعاونهم.

دليل المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	قرار لجنة المناقشة
ب	الإهداء
ج	الشكر والتقدير
هـ	دليل المحتويات
ز	الملخص باللغة العربية
١	المقدمة
٣	أهمية الدراسة
٥	مشكلة الدراسة
٦	حدود الدراسة
٦	أهداف الدراسة
٦	الدراسات السابقة
٨	منهجية البحث
٨	خطة البحث
١١	تمهيد
١١	تعريف عام بالاستشراق وأهدافه ومدارسه
١٨	الفصل الأول: المستشرقون والوحي
١٩	المبحث الأول: الدراسات الاستشراقية في الوحي
١٩	المطلب الأول: مصادر الاستشراق في دراسة الوحي
٢٥	المطلب الثاني: بواعث اهتمام المستشرقين بالوحي
٣٤	المطلب الثالث: مسالك المستشرقين في الطعن بالوحي القرآني
٤٠	المبحث الثاني: عناية الاستشراق الأكماني بالدراسات القرآنية
٤٠	المطلب الأول: نشأة الاستشراق الأكماني وأشهر مستشرقيه
٤٦	المطلب الثاني: دراسات المستشرقين الأكماني في الوحي

٥٤	المبحث الثالث: التعريف بـ (نولدكه) وكتابه (تاريخ القرآن)
٥٤	المطلب الأول: التعريف بـ (نولدكه)
٦٠	المطلب الثاني: مكانة نولدكه في الاستشراق
٦٣	المطلب الثالث: التعريف بكتاب (تاريخ القرآن)
٦٦	المبحث الرابع: منهج نولدكه في دراسته
٧٣	تمهيد: أولاً: مفهوم الوحي عند المسلمين
٧٦	ثانياً: مفهوم الوحي عند اليهود والنصارى
٨٠	الفصل الثاني: موقف نولدكه من الوحي
٨١	المبحث الأول: واقع الوحي عند نولدكه ومصادره
٨١	المطلب الأول: شبهات نولدكه على النبي ﷺ وأتباعه
٨٨	المطلب الثاني: نقد آراء نولدكه في الوحي النفسي
٩٧	المطلب الثالث: مصادر وحي القرآن عند نولدكه
١١٢	المطلب الرابع: نقد آراء نولدكه في كفايات الوحي
١٢٦	المبحث الثاني: منهج نولدكه في ترتيب سور القرآن الكريم
١٢٦	المطلب الأول: نقد آراء نولدكه في ترتيب سور القرآن الكريم
١٣٥	المطلب الثاني: رأي نولدكه في ترتيب المستشرقين لسور القرآن
١٤٠	المطلب الثالث: رأي نولدكه في ترتيب السور عند العلماء المسلمين ونقده
١٤٦	المطلب الرابع: منهج نولدكه في الترتيب الزمني للسور القرآنية على فترات الوحي
١٦١	المطلب الخامس: شبهات نولدكه على أسلوب الوحي في نزول السور القرآنية
١٩١	المبحث الثالث: نقد دراسة نولدكه التطبيقية لسور القرآن
١٩١	المطلب الأول: نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المكية الأولى
٢٢٤	المطلب الثاني: نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المكية الثانية
٢٤٠	المطلب الثالث: نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المكية الثالثة
٢٥٩	المطلب الرابع: نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المدنية
٣٠٣	الفصل الثالث: الأحاديث النبوية التي يزعم نولدكه قرآنيها
٣٠٤	المبحث الأول: الأحاديث المنسوخة التي يزعم نولدكه قرآنيها
٣٠٤	المطلب الأول: مفهوم النسخ وأصله عند نولدكه
٣١٠	المطلب الثاني: الأحاديث التي ادعى نولدكه قرآنيها من النصوص المنسوخة

٣٣٦	المبحث الثاني: الأحاديث التي زعم نولدكه ضياعها من وحي القرآن
٣٥٠	المبحث الثالث: الأحاديث النبوية والقدسية وصلتها بالوحي عند نولدكه
٣٥٦	الفصل الرابع: أثر نولدكه فيمن جاء بعده في مسألة الوحي
٣٥٨	المبحث الأول: تأثير نولدكه في الدراسات الاستشراقية والحداثية المتعلقة بالوحي
٣٥٨	المطلب الأول: تأثير نولدكه في الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالوحي
٣٦٩	المطلب الثاني: تأثير نولدكه في دراسات الحداثيين العرب المتعلقة بالوحي
٣٧٧	المبحث الثاني: تأثير نولدكه في الدراسات القرآنية
٣٧٨	المطلب الأول: في قصص القرآن
٣٨١	المطلب الثاني: فواتح السور
٣٨٤	المطلب الثالث: طريقته في ترتيب السور حسب نزول الوحي
٣٩٣	الخاتمة
٣٩٦	ملخص الجزء الأول من كتاب تاريخ القرآن لـ (ثيودور نولدكه)
٤١٤	كشاف المصطلحات الواردة في الجزء الأول من كتاب تاريخ القرآن لنولدكه
٤١٦	الترجمة العربية للمفردات والتراكيب العبرية في الجزء الأول من كتاب تاريخ القرآن
٤١٨	فهرس الآيات القرآنية الكريمة
٤٢٥	فهرس الأحاديث
٤٢٨	المصادر والمراجع
٤٤٠	الملخص باللغة الإنجليزية

الملخص باللغة العربية

عبدالرزاق أحمد أسعد رجب

الوحي في كتاب (تاريخ القرآن) للمستشرق الألماني (نولدكه) عرض ونقد

أطروحة دكتوراه - جامعة اليرموك، ٢٠١٠م

إشراف

الأستاذ الدكتور عبدالله مرحول السوالمه

الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي

جاءت هذه الرسالة لتبين رأي المستشرق الألماني ثيودور نولدكه حول الوحي في كتابه تاريخ القرآن، ونقد الشبهات التي أثارها عليه.

كشفت هذه الرسالة أن نولدكه قد حصل على مكانة لا يستحقها بسبب كتابه تاريخ القرآن، فقد اعترف المؤلف نفسه بذلك بعدم نضوج مؤلفه، واعتذر عن طباعته مرة ثانية، وأوكل الأمر لأحد تلاميذه.

استخدم الباحث المنهج الاستقرائي في جمع الشبهات التي زعمها نولدكه حول الوحي، ثم استخدم المنهج النقدي في الشبهات التي أثارها.

نقدت الرسالة رأي نولدكه في تصويره لأصل الوحي، وآرائه في كفياته، ومصادر الوحي عنده، ثم في منهجه الذي سار عليه في ترتيب السور تاريخياً على فترات الوحي، ثم في شبهاته على أسلوب الوحي في السور المكية والمدنية، ونقده كذلك فيما أثاره من شبهات على جميع السور القرآنية، وما زعمه من وجود نصوص قرآنية لم تلتحق بالقرآن الذي بين أيدينا الآن.

وكشفت الرسالة عن المنهجية الخطيرة التي اتبعتها نولدكه في الترتيب الزمني للسور القرآنية على فترات الوحي، والتي أثرت كثيراً في دراسات المستشرقين الآخرين، والتي لم يخرج في الأعم الأغلب منها عن المناهج الاستشراقية العامة من حيث التأويل الفاسد للآيات القرآنية، وردّ الروايات الصحيحة، وإغفال الحقائق، والتعصب الأعمى، وعدم الموضوعية في الطرح.

وقد ظهر للباحث وجود تأثير كبير للمستشرق الألماني نولدكه - في كتابه تاريخ القرآن - في مسألة الوحي في ثلاثة مسارات: المستشرقين وهو الأكثر، وفي الحدائين العرب، ثم في بعض الدراسات العربية القرآنية ذات العلاقة بموضوع الوحي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلاله، وعظيم نعمائه، وله المنة أن حبانا الدين القويم، وله الفضل أن هدانا للصراط المستقيم، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد بن عبدالله النبي الهاشمي الأمين، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار أجمعين، والتابعين الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فالقرآن الكريم هو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو البحر الزخار، والنبع المدرار، جعله الله ﷻ هدى للمتقين، وأنزله رحمة للعالمين، فيه تهنأ الحياة، وبطيب العيش، من اعتصم به نجا، ومن استمسك به هُدي إلى صراط مستقيم.

والقرآن المنزل لإصلاح النفوس، وتحقيق عافية الأفتدة والأبدان قد قوبل بالعداوة منذ أن بزغ فجر الإسلام في مكة- من أولئك الذين لم يرتضوا به بدلاً عن آلهة آبائهم وأجدادهم التي يخرون لها سجداً، ولم تطو صفحة العداوة والظعن فيه حتى يومنا هذا، ولئن كان غرض المشركين يومئذ الظعن واللمز فيه لصد الناس عن الإيمان برسالته، فإن ما جاء بعده من محاولات لم تخرج عن هذا الغرض، ولكنها أخذت أشكالاً وصوراً شتى تطورت من مرحلة زمنية إلى أخرى، فأصحاب الحملات الصليبية أيقنوا بعد جهد جهيد أن السيف والسنان لا ينفعان في النيل من عظمة القرآن على قلوب المؤمنين به، فلا بد من تدخل القلم واللسان؛ لجرح كل ما هو حق مما اشتمل عليه هذا الكتاب المبين.

ودليل ذلك هو توافق الكنيسة والسياسة لتحقيق هذا الهدف على صعيدي التصير والاستشراق، فهما جناحا الاستعمار الذي بسط بهما سيطرته العسكرية والفكرية والاقتصادية والسياسية على الأمم التي استعبدتها.

ومن الدراسات الاستشراقية التي أحدثت صدى واسعاً، وكانت تأصيلاً لكثير من الأبحاث والدراسات التي جاءت بعدها العمل الموسوعي الذي قام به المستشرق "ثيودور نولنكه" في كتابه (تاريخ القرآن) في ثلاثة أجزاء، والذي نشره في القرن التاسع عشر ميلادي باللغة الألمانية، وبقي بها إلى أن ترجم إلى العربية بعد وقت طويل من صدوره بالألمانية.

تضمن الجزء الأول الحديث عن "أصل القرآن، والذي كان مدار الحديث فيه عن الوحي وترتيب السور على الفترات التي تنزل فيها الوحي القرآني"، ووضع المؤلف لنفسه منهجية في التعامل مع النص القرآني، وفي كل ما يتعلق به من الروايات التفسيرية والشارحة له، حيث يقرر بداية أنه يدرس القرآن على أنه جهد إنساني وليس وحياً منزلاً من السماء، وينتهي به المقام إلى الطعن بالقرآن، وبكل ما يمت له بصلة بدءاً من الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وانتهاءً بالعلماء وجهودهم.

ويزعم الكاتب أن المصحف الذي بين أيدينا الآن لا بد من إعادة النظر في ترتيب سورته وآياته، وإعادة وضع الآيات التي لم توضع في المصحف، والتي ثبتت قرآنيته حيث يسوق المؤلف العديد من الروايات، والتي يزعم بعد ذلك أنه لا بد من إعادة النظر بشأنها في المصحف، على اعتبار أن المسلمين - لا سيما الصحابة - قد تدخلوا مراراً في آيات المصحف، فلماذا يُغض الطرف عن هذه الآيات، وهذا كله وارد في الجزء الأول من كتابه .

وحاول رئيس اللجنة التي أصدرت الكتاب بالعربية "جورج تامر" الاعتذار عن نولده عما كتبه في القسم الأول حيث يقول: "الجزء الأول الذي يبدو أن فيه تجنياً على الإسلام قائم على الدراسة الفيلولوجية، والمنهجية التاريخية النقدية حيث إن هدف الكاتب في النهاية هو المعرفة وإشباع الرغبة في العلم"⁽¹⁾.

وقد ناقشت الرسالة الكاتب في الجزء الأول من كتابه (تاريخ القرآن)، وما جاء منشوراً في الجزأين الآخرين من كتابه، كدراسة استقرائية نقدية لما درسه في موضوع الوحي من حيث منشأ تصورهم لمفهوم الوحي، ومن حيث منهجيته في ترتيب السور القرآنية ترتيباً زمنياً، وزعمه أن القرآن الذي بين أيدينا لا يتضمن نصوصاً أخرى مما أوحى إلى محمد (ﷺ).

¹ - نولده، تيودور، تاريخ القرآن، ط 1، دار نشر جورج ألمز، هيلسهام- زيوريخ- نيويورك- مؤسسة كونراد- أدنور- بيروت، 2004م، ج 1، ص XVIII، بتصرف.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في الأسباب الآتية:

١- عدم وجود دراسة متخصصة - حسب علم الباحث - في الرد على نولدكه فيما كتبه في الجزء الأول من كتابه وهو "في أصل القرآن"، والذي يدور حول الوحي، وترتيب السور ترتيباً زمنياً، مع حشد النصوص المزعوم قرآنيّتها.

٢- كون الكتاب خطيراً فقد أحدث صدى واسعاً فيمن جاء بعده من المستشرقين مثل بلاشير في موضوع ترتيب السور على فترات الوحي حيث نوّه على قيمة الدراسة التي قام بها نولدكه، والمنهجية التي سار عليها، وتميزه بها عن سبقة ممن حاول الاهتداء إلى التعاقب التاريخي للمنزلات في المصحف^(١).

وتجاوز تأثيره في الدوائر الاستشراقية إلى التأثير في بعض الباحثين العرب، ممن كتب في الدراسات القرآنية التي تتعلق بالوحي بشكل مباشر خاصة من الحدائين العرب مثل محمد أركون ونصر حامد أبو زيد ورضوان السيد.

وآخرون كالوا نولدكه وكتابه ثناء ومديحاً منقطع النظير، خاصة طريقتيه في معالجة ترتيب السور زمانياً، بل وجد من اعتمد رأياً لنولدكه مما يتعلق بموضوع الوحي، على الرغم من أن نولدكه تراجع عن هذا الرأي.

وذهب بعض الباحثين إلى أن تأثير نولدكه قد تجاوز الدراسات الغربية في منهجيته حول ترتيب السور تاريخياً، فتأثر به صاحب "التفسير الحديث" الشيخ محمد عزة دروزة^(٢) في ترتيبه السور القرآنية حسب تواريخ نزول الوحي التي سار عليها نولدكه في تاريخه.

٣- ظلّ القرآن ميداناً واسعاً للدراسات الاستشراقية منذ أن أطلقت الحملات الصليبية برأسها على بلاد الإسلام من أبواب الغزو الفكري حيث درس القرآن في لغته، وشريعته وأحكامه، وكان في هذا

١ - بلاشير، ريجيس، القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ترجمة رضا سعادة، ط١، دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٩٧٤، ص٢٦-٢٧

٢ - انظر، فريد مصطفى السلطان في كتابه، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٣، ص١٢٩، ومحمود عزب في كتابه ملامح التنوير في مناهج المفسرين، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٦م،

كله بين مستشرقين طاعنين، وهم الأكثر، ومستشرقين منصفين، وهم الأقل، غير أن ما يميز "ثيودور نولدكه" هو أنه حاول أن يظهر في مقدمة كتابه ابتعاده عن الأساليب الاستشراقية التي تتبنى موقف الهجوم والظعن منذ البداية للقرآن ولرسائله وللنبي المنزل عليه، وللمؤمنين به كذلك إلا أن استقراء الكتاب يظهر عكس ما ادعاه الكاتب؛ إذ لم يخرج في الغالب عن هذا الإطار، وزاد على المتقدمين من بني جلدته معاول هدم أخرى أثرت ليس في الباحثين الاستشراقيين الذين جاؤوا من بعده فحسب، بل أثرت حتى في بعض الباحثين المسلمين.

٤- طبيعة الموضوعات التي اشتملت عليها دراسة نولدكه لموضوع الوحي؛ من حيث:

أ- تقسيمه مصادر الوحي إلى مصادر معتمدة، وأخرى مستبعدة لكن بعض من تأثر به من المستشرقين ممن جاء بعده اعتمد هذه المصادر المستبعدة عنده مثل بلاشير.

ب- الطريقة التي درس بها السور القرآنية كلها "المكية والمدنية" من حيث تقسيمها على فترات أربع، ثم بيان خصائص كل فترة، ليعقب ذلك بدراسة تطبيقية على السور كلها ليثبت من خلالها صحة ما توصل إليه حاشداً الكثير من المصادر المطبوعة والمخطوطة، العربية منها وغير ذلك، مع تعرضه لمناقشات عديدة حول ما ادعى من أنه مكي في سورة مدنية، أو أنه مدني في سورة مكية.

يقول جورج تامر في مقدمة الترجمة العربية: "وما زال الترتيب الذي وضعه نولدكه للسور معتمداً في معظم الأوساط العلمية المتخصصة في الغرب، رغم قيام باحثين آخرين مثل الإنكليزي بل، والفرنسي بلاشير بمحاولات مماثلة لا تحوز القدر نفسه من الرصانة والتحسين"^(١).

٥- الكتاب أصله أطروحة دكتوراه بعنوان (حول نشوء وتركيب سور القرآن)، ونولدكه نفسه حكم على هذا العمل بأنه عمل غير ناضج فأبدل العنوان، وأدخل فيه تعديلات جوهرية ثم أطلق عليه اسم تاريخ القرآن، وقد نال كتابه شهرة واسعة فحصل على جائزة الأكاديمية الباريسية مشاركاً بذلك عالمين آخرين هما الألماني شيرنغر، والإيطالي أمالي.

٦- هذا الكتاب ربما يعتبر الأهم في بابيه عند المستشرقين منذ تاريخ صدوره باللغة الألمانية في القرن التاسع عشر الميلادي، وقد تأخرت ترجمته إلى العربية، وظهرت ترجمة مؤسسة كونراد أدناور في عام ٢٠٠٤م من خلال لجنة ضمت الدكتور جورج تامر مع فريق عمل من أربعة أشخاص.

^١ - تاريخ القرآن، ص xviii

لكن الشيء اللافت للنظر وجود بعض الأسماء التي ساعدت على ترجمة الكتاب ونشره باللغة العربية ممن عرفوا بالتأويلات الفاسدة لنصوص القرآن، والتأويل المنحرف له مثل نصر حامد أبو زيد.

٧- إن آراء نولدكه كانت تتقل بالوساطة ممن كان يتقن اللغة الألمانية، أما الآن بعد ظهور الترجمة العربية الكاملة لكتابه فقد ساعدت على الاطلاع على أفكاره بصورة كلية ودراستها دراسة موسعة، والسعي وراء الكشف عن منهجيتها ومسوغاتها، والأهداف التي كانت تطمح لتحقيقها، مع نقد هذا كله بموضوعية ومنطقية، علماً بأن الكتاب بالعربية فيه خطورة على الفكر، ويجب ألا ينشر في المكتبات العامة.

٨- هذه الدراسة جزء من مشروع يتضمن ثلاثة رسائل دكتوراه للرد على ثيودور نولدكه في كتابه تاريخ القرآن، فهذه الرسالة تختص بالرد عليه في موضوع الوحي، ويقوم الباحث محمد محمود السوادة بالرد عليه في موضوع جمع القرآن، والباحث مالك حسين شعبان في موضوع القراءات القرآنية.

مشكلة الدراسة

واجه الباحث عدة مشكلات في دراسة موضوع الوحي عند المستشرق الألماني ثيودور نولدكه في كتابه تاريخ القرآن، حيث تكمن مشكلة الدراسة الرئيسية في نقد التصور الذي اعتمده نولدكه للوحي، والرد على الشبهات التي أثارها نولدكه عليه، ونقد المنهج الذي سار عليه في ترتيب السور على فترات الوحي، والكشف عن التأثير الذي أحدثه نولدكه بدراسته حول موضوع الوحي في كتابه تاريخ القرآن في الدراسات العربية القرآنية والاستشراقية.

هذا وستحاول هذه الدراسة الإجابة على السؤال الرئيسي الآتي:

ما رأي المستشرق الألماني ثيودور نولدكه في الوحي في كتابه تاريخ القرآن؟
ويتضمن هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:

س١: ما منشأ التصور الذي اعتمده نولدكه للوحي، وما الشبهات التي أثارها عليه؟

س٢: ما المنهج الذي سار عليه نولدكه في ترتيب السور القرآنية؟ وما أبرز ما يمكن أن يوجه لهذا التقسيم من نقد؟

س٣: ما التأثير الذي أحدثه نولدكه بدراسته حول موضوع الوحي في كتابه تاريخ القرآن في الدراسات القرآنية العربية والاستشراقية؟

حدود الدراسة

تحدد هذه الدراسة في الآتي:

- ١- الكتابات الخاصة بالوحي عند نولدكه في الجزء الأول من كتابه تاريخ القرآن، والمنثور في الجزأين الآخرين .
- ٢- الدراسات الاستشرافية المتعلقة بالوحي، بما له علاقة بكتاب نولدكه.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يأتي:

- ١- تنفيذ كل ما افتراه نولدكه في موضوع الوحي، وما ادعاه حول إنسانية القرآن، وتعرضه للتغيير والحذف والإضافة، وما ذكره في موضوع الدراستين النظرية والتطبيقية على كل سور القرآن فيما يتعلق بالدعوة إلى إعادة ترتيب السور والآيات، وفق المنهج والطريقة التي ارتضاها بعد إدخال الآيات التي أغفل جامعو القرآن إدخالها في المصحف الذي بين أيدينا على الرغم من ثبوت قرآنيته.
- ٢- استقراء جميع الشبهات التي طرحها نولدكه حول الوحي، وما تعلق به، ومناقشتها بأسلوب علمي، وبنقد موضوعي.
- ٣- بيان المنهج الاستشرافي الألماني في دراسة موضوع الوحي.

الدراسات السابقة

إن تأخر صدور كتاب (تاريخ القرآن) باللغة العربية أدى إلى عدم وجود دراسات متخصصة سواء أكانت أبحاثاً أم رسائل في الرد عليه أو مناقشته فيما كتب، فلا توجد دراسة قرآنية قامت بالرد على نولدكه في شبهاته على موضوع الوحي، غير أنه كُتب في كتاب تاريخ القرآن لنولدكه: أولاً: رسالة دكتوراه عنونها (شبهات حول العقيدة الإسلامية- دراسات تحليلية-)، القسم الأول من كتاب تاريخ القرآن لثيودور نولدكه) في جامعة الأزهر، قسم العقيدة، للباحث رضا محمد الدقيقي، إشراف الدكتور محمود حمدي زقزوق، وشارك في الإشراف والمناقشة المستشرق الألماني الدكتور تيلمان ناجل.

يقول الباحث عن رسالته: "ولأكون أميناً مع نفسي كما علمني الإسلام فإنني أبين أنني أفعل ذلك في المقام الأول بهدف النقاش الهادئ والموضوعي للقضايا التي أثارها نولدكه في كتابه تاريخ القرآن بشأن العقيدة الإسلامية"^(١)

وفي دراسته العقيدة ناقش الباحث نولدكه في الوحي إلى محمد ﷺ بين الإنكار والتفسير النفسي، وهل هو صوت داخلي؟، والنبى ﷺ والمرجعية هل ثمة تحول؟^(٢)

وهذه الرسالة هي دراسة قرآنية ترد على نولدكه في كل الشبهات هل أثارها على الوحي القرآني، بدءاً من شبهاته على النبي ﷺ وأتباعه في الصفحات الأولى من كتابه (تاريخ القرآن)، ثم نقده في مصادر الوحي وكيفية عنده، ثم بيان الفرق بين ترتيبه وترتيب مستشرقين آخرين ثم بيان منهجه الزمني الذي رتب السور القرآنية عليه ونقده، ثم الرد على مطاعنه وشبهاته حول أسلوب الوحي في الفترات الأربع التي وزع السور القرآنية عليها، ثم نقده في شبهاته على السور القرآنية المائة والأربع عشرة سورة.

وخصصت الرسالة فصلاً كاملاً للرد على نولدكه في النصوص التي زعم نولدكه أنها من الوحي الذي سقط من المصحف الذي بين أيدينا الآن.

وبينت الرسالة تأثير نولدكه في الدراسات الاستشراقية والعربية المتعلقة بمسألة الوحي، وناقشت وردت على دعوى وجود مفسرين تأثروا بترتيبه الزمني في ترتيب السور القرآنية على فترات الوحي.

ثانياً: كتاب جولة جديدة في كتاب تاريخ القرآن (الكتاب الأول)، للدكتور أحمد عمران الزاوي. لم يكن هذا الكتاب مخصصاً من الكاتب للرد على نولدكه في موضوع الوحي بالذات، حيث تطرق لدراسة موضوعات لم يبحثها نولدكه في كتابه مثل الإعجاز العددي والعلمي، والإعجاز في شخصية محمد ﷺ، والإجابة عن السؤال الآتي: متى تم تثبيت الكتب الثلاثة (التوراة والإنجيل والقرآن)؟ ومتى تم استقرائها على الوضع الذي عليه الآن؟.

واعتمد الكاتب على مناقشة نولدكه في جزئيات مختارة من الوحي في كتابه تاريخ القرآن في الجزء الأول، حيث لم يستوعب مناقشته في كل ما كتب، فمثلاً ناقش نولدكه في شبهته حول اتهام النبي ﷺ بالصرع والجنون، غير أنه لم يناقشه في شبهة (الوحي النفسي)، ولم يناقش نولدكه في كليات الوحي التي طعن فيها إلا في الكيفية الخامسة والمتعلقة بنزول جبريل بصورته الحقيقية،

^١ - جريدة الشرق القطرية، تاريخ الإصدار ٢٧/٢/٢٠١٠م، من الموقع الرسمي للجريدة www.Alsharq.com

^٢ - المرجع السابق، www.Alsharq.com

وكذلك فعل في شبهات نولدكه حول أسلوب الوحي حيث ناقشه في أمثلة فقط من كتابه تاريخ القرآن.

وفي دراسة نولدكه التحليلية لجميع السور القرآنية التي رتبها على فترات الوحي أخذ الكاتب مواضع محدودة فقط من هذه الدراسة وناقش نولدكه فيها، دون أن يرد على جميع الشبهات، وأخطأ الكاتب عندما ذكر أن سور الفترة المكية الثالثة عند نولدكه هي (٢٠ سورة)^(١)، والصحيح أنها (٢١ سورة)، وأخطأ كذلك الكاتب عندما اعتقد أن ترتيب نولدكه الزماني الذي رتب سور القرآن الكريم عليه هو ترتيب محمد بن عمر بن عبدالكافي^(٢).

وفي موضوع الأحاديث التي زعم نولدكه قرآنيها ناقش المؤلف هذه النقطة بإيجاز شديد حيث لم تأخذ من كتابه إلا ثلاث صفحات فقط، وبمجرد عرض لثلاثة من الأحاديث التي زعم نولدكه قرآنيها.

منهجية البحث

تقوم هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي النقدي وذلك باستقراء جميع الشبهات التي ذكرها ثيودور نولدكه في كتابه (تاريخ القرآن) ثم نقدها، والرد عليها وفق ميزان النقد العلمي، ودراسة المسائل التي يطرحها بتجرد وموضوعية تامة مع منهجية علمية منضبطة.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن يُقسم إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. فالمقدمة ذكرت فيها مشكلة الدراسة، وأهميتها وأهدافها، وحدودها، والدراسات السابقة، والمنهجية التي اتبعتها في هذه الدراسة.

تمهيد

- تعريف عام بالاستشراق وأهدافه ومدارسه

وأما الفصل الأول ف جاء بعنوان (المستشرقون والوحي) وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الدراسات الاستشراقية في الوحي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مصادر الاستشراق في دراسة الوحي

المطلب الثاني: بواعث اهتمام المستشرقين بالوحي

المطلب الثالث: مسالك المستشرقين في الطعن بالوحي القرآني

١ - الزاوي، أحمد، جولة جديدة في كتاب القرآن (الكتاب الأول)، ط١، دار طلاس، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ٢٣٤

٢ - المرجع السابق، ص ١٩٥ - ١٩٦

المبحث الثاني: عناية الاستشراق الألماني بالدراسات القرآنية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نشأة الاستشراق الألماني وأشهر مستشرقيه

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين الألمان في الوحي

المبحث الثالث: التعريف بـ (نولدكه) وكتابه (تاريخ القرآن)، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بـ (نولدكه)

المطلب الثاني: مكانة نولدكه في الاستشراق

المطلب الثالث: التعريف بكتاب (تاريخ القرآن)

المبحث الرابع: منهج نولدكه في دراسته

تمهيد:

أولاً: مفهوم الوحي عند المسلمين

ثانياً: مفهوم الوحي عن اليهود والنصارى

وأما الفصل الثاني ف جاء بعنوان (موقف نولدكه من الوحي)، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: واقع الوحي عند نولدكه ومصادره، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: شبهات نولدكه على النبي ﷺ وأتباعه

المطلب الثاني: نقد آراء نولدكه في الوحي النفسي

المطلب الثالث: نقد آراء نولدكه في كفيات الوحي

المطلب الرابع: مصادر الوحي المعتمدة والمستبعدة عند نولدكه

المبحث الثاني: منهج نولدكه في ترتيب سور القرآن الكريم، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نقد نولدكه في ترتيب سور القرآن الكريم

المطلب الثاني: رأي نولدكه في ترتيب المستشرقين لسور القرآن

المطلب الثالث: رأي نولدكه في ترتيب السور عند العلماء المسلمين

المطلب الرابع: منهج نولدكه في الترتيب الزمني للسور القرآنية على فترات الوحي

المطلب الخامس: شبهات نولدكه على أسلوب الوحي في نزول السور القرآنية

المبحث الثالث: نقد دراسة نولدكه التطبيقية لسور القرآن، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المكية الأولى

المطلب الثاني: نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المكية الثانية

المطلب الثالث: نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المكية الثالثة

المطلب الرابع: نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المدنية

وأما الفصل الثالث ف جاء بعنوان (الأحاديث النبوية التي يزعم نولدكه قرآنيتها)، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأحاديث المنسوخة التي يزعم نولدكه قرآنيتها، وفيه مطلبان

المطلب الأول: مفهوم النسخ وأصله عند نولدكه

المطلب الثاني: الأحاديث التي ادعى نولدكه قرآنيتها من النصوص المنسوخة

المبحث الثاني: الأحاديث التي زعم نولدكه ضياعها من وحي القرآن

المبحث الثالث: الأحاديث النبوية والقدسية وصلتها بالوحي عند نولدكه

وأما الفصل الرابع ف جاء بعنوان (أثر نولدكه فيمن جاء بعده في مسألة الوحي)، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تأثير نولدكه في الدراسات الاستشراقية والحداثية المتعلقة بالوحي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تأثير نولدكه في الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالوحي

المطلب الثاني: تأثير نولدكه في دراسات الحداثيين العرب المتعلقة بالوحي

المبحث الثاني: تأثير نولدكه في الدراسات القرآنية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في قصص القرآن

المطلب الثاني: فواتح السور

المطلب الثالث: طريقته في ترتيب السور حسب نزول الوحي

الخاتمة: وقد عرضت فيها لأهم النتائج التي توصل اليها، والموضوعات التي أوصي

الباحثين والدارسين لدراستها وبحثها.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد: تعريف عام بالاستشراق وأهدافه ومدارسه:

١. الاستشراق:

اختلفت تعريفات العلماء للاستشراق، ومنها:

يُعرف مالك بن نبي المستشرقين بأنهم الكُتَّابُ الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي، وعن الحضارة الإسلامية^(١)

وهذا التعريف يشير إلى المقصد الأساسي للكتاب الغربيين في دراساتهم الاستشراقية للشرق الإسلامي تحديداً، وهو دراسة الفكر الإسلامي، وإن كان لهم دراسات أخرى بطبيعة الحال كدراسة اللغات السامية، والنقوش الأثرية، ولم يخل الأمر من جمع بين هذا وذاك عند أكثر من واحد من المستشرقين.

ويقول ادوارد سعيد في تعريف الاستشراق: بأنه أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي (انفولوجي)، ومعرفي (ابستمولوجي) بين الشرق (وفي معظم الأحيان) الغرب^(٢).

ولعل التعريف يشير إلى طبيعة الحقبة التاريخية التي ميزت العلاقات بين الجهتين من حيث الاحتكاك الدائم بينهما على أكثر من صعيد خاصة في الفترة التي شهدت نهضة عربية في السياسة والاقتصاد، وانعكاس ذلك على المستوى الثقافي والفكري والديني، ومن ثمَّ طبيعة النظرة للأخر لا سيما المسلم الشرقي، وبالأخص العربي.

ومن المهم أن نطالع تعريف المستشرقين أنفسهم لهذا المفهوم، ومن هؤلاء المستشرق الألماني المعاصر ميكلوش موارني حيث سئل عن التعريف الصحيح للاستشراق والمستشرق

١ - بن نبي، مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مكتبة عمار، القاهرة، د. ط، ١٩٧٠، ص ٧
٢ - سعيد، ادوار، الاستشراق (المعرفة، السلطة، النشأة)، ترجمة كمال أبو ديب، ط ٢، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، بيروت، ص ٣٨. والابستمولوجيا هي أحد فروع الفلسفة التي تعنى بدراسة جوهر وغرض وسبل انعكاس الواقع على الوعي الإنساني، وتعرف باسم (نظرية المعرفة). انظر الفيشاوي، سعد، المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، راجعه عبدالرحمن الشيخ ط ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م، ص ٢٠٥، وأما الأنفولوجيا فهي مفهوم ظهر في الفلسفة ويعني العلم الذي يدرس الكينونة أو الوجود، وهو على وثيقة بمصطلحات دراسة الواقع، وأصبح منذ التسعينات من أهم مجالات البحث العلمي. WIKIPEDIA

فأجاب: "المستشرق هو الباحث الذي يحاول دراسة الحضارات الشرقية وتفهمها على المستوى الجامعي الأكاديمي، وما نحن بصددده في هذا المجال هو الاستشراق بمعناه الأصيل والأكاديمي دراسة الحضارة الإسلامية بصورة عامة، ودراسة العلوم الإسلامية باعتبارها أساساً لهذه الحضارة على جميع مستويات الحياة العامة"^(١)

وعند المقارنة بين تعريف ادوارد سعيد وتعريف موراني نجد الاتفاق في ذكر كلمة الشرق وهي ضمناً تعني (المكان)، ولكن طلب هذا المكان لا يكون لذات الشرق ابتداءً، وإنما لما فيه من نهضة في العلوم، وثروة في الفكر والاقتصاد وغير ذلك.

وجمعاً بين التعريفات السابقة يظهر لي أن الاستشراق هو "ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة حول الشرق بعامة، والشرق الإسلامي بخاصة حول حضارته ودينه وآدابه ولغاته وثقافته".

٢- أهداف الاستشراق:

تنوعت أهداف الاستشراق تبعاً للبواعث التي تدرج تحتها، وفيما يلي أهم أهداف الاستشراق:

أ- الطعن بالقرآن: ومحاولة تقويض أسس الإسلام وأصوله، وإفساد الفكر الإسلامي بنقض ما تضمنه القرآن من وحي حول العقيدة والتشريع.

ويُعلل محمد أسد رحمه الله تحامل المستشرقين على الإسلام بأنه غريزة موروثية، وخاصة طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية بكل ما لها من ذيول في عقول الأوروبيين الغربيين^(٢)

"وقد عالجت أوروبا الغربية الفكر الإسلامي بالبحث والدراسة في مرحلتين مختلفتين زمنياً لتحقيق هدفين متنوعين:

^١ - لقاء شبكة التفسير والدراسات القرآنية مع المستشرق موراني على شبكة الانترنت، تاريخ الدخول

٢٠٠٨/٣/١٨

^٢ - أسد، محمد، الإسلام على مفترق طرق، ترجمة عمر فروخ، د.ط، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١، ص ٦١

أولاهما: علمي، وهو لتحقيق النهضة بعد مرحلة الركود والتي ميزت العصور الوسطى، فاهتم الاستشراق بنقل الدراسات الإسلامية وترجمتها؛ لإغناء وإثراء العلوم الأوروبية.

وثانيهما: سياسي، وهذا تحقق في المرحلة الإستعمارية حيث لم يقتصر هدف الدراسات الاستشراقية فحسب على تعديل الثقافات، وتغيير الفكر الإسلامي عند المسلمين، بل كان همه الأكبر وضع الخطط السياسية مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية، ولتسيير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه هذه السياسات في البلاد الإسلامية؛ لتسيطر على الشعوب الخاضعة لسلطانها^(١).

وقد يكون أحد الطرفين قد تميز عن الآخر بسبب المرحلة التي كانت تعيشها أوروبا، غير أنه لا انفصال بين الهدفين عن بعضهما بعضاً خاصة في الفترة التي تميزت بإقبال أوروبا على استعمار البلاد الضعيفة في الشرق، حيث لم ينفصل الهدف السياسي عن العلمي، بل كان العلمي أحد الأسباب التي أراد المستعمر من ورائها تثبيت قدميه في البلاد التي استعمرها.

ب- إسهام الاستشراق مع التبشير في تحقيق الاستعمار أهدافه الفكرية والدينية "فهما الجناحان اللذان بسط بهما المستعمر سيطرته على بلاد العرب والمسلمين"^(٢).

ثم الإسهام مع الاستعمار في تحقيق أهدافه الاقتصادية من استعباد الشعوب، فقد كان المستشرقون عيوناً لبدانهم على منابع الخيرات في الشرق الإسلامي، "فقد قدموا معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها، والاستيلاء على ثرواتها وخيراتها، وقد كان كثير من موظفي الاحتلال على دراية بالشرق لغة وتاريخاً وسياسة واقتصاداً"^(٣).

ج- طمس معالم التراث الإسلامي وسرقة إنجازاته.

يقول الشيخ السباعي: "وفي فترة الاستعمار بدأ العمل المنظم من المستشرقين، ثم الموجه لخدمة أغراضهم، فبدؤوا بإصدار المجلات في جميع الممالك الغربية، وصاروا يغيرون على المخطوطات العربية، أو يشترونها من جهلة العرب، أو يسرقونها من المكتبات العامة"^(٤).

١ - بن نبي، مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص ١١ - ص ١٢

٢ - قطب، محمد، المستشرقون والإسلام، ط ١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١١

٣ - مطبقاني، مازن، الاستشراق، ندوة مجمع الملك فهد، القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية على الانترنت، البحث ٤، ص ١٧

٤ - السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص ١٤

د- محاربة الهوية الشخصية للمسلم على صعيدي اللغة العربية والقيم الإسلامية بمحاولة جر لسانه إلى لغة المستعمر حتى ازدادت مشكلة العجمة، وما رافق ذلك من عادات دخيلة لغوية وغيرها أثرت على مستوى المعيشة الحياتية بين المسلمين أنفسهم.

٣- مدارس الاستشراق:

لا يوجد تاريخ دقيق لبداية الاستشراق، أو بعبارة أخرى لا يوجد تاريخ بداية له اتفق عليه كل الباحثين، فالكثير يرجعه في بداياته لمحاولات فردية من أولئك الرهبان* الذين ارتحلوا إلى البلاد الإسلامية لدراسة علوم المسلمين، ثم تبع ذلك الإرساليات العلمية والبعثات قبل أن يصبح للاستشراق موقعه في الجامعات الغربية بتأسيس أشهرها كراسي للدراسات الشرقية.

ولا شك أن استواء عود العلم في الأندلس، وقربها من أوروبا قد ساعد كثيراً على فكرة الاطلاع على علوم المسلمين، إماً بدافع تحقيق النهضة، أو بغاية معرفة طرق محاجة المسلمين؛ ولذلك فإن بعضهم يرجع البداية الرسمية للاستشراق إلى القرن الثالث عشر الميلادي عندما أدرك روجر بيكون ضرورة الاتصال ثقافياً بالحضارة الإسلامية، وضرورة تعلم اللغة العربية، بل التسلح بأفكار المسلمين وطرائقهم في المحاجة للرد عليهم، وقد ظل هذا الاتجاه يتنامى إلى أن عقد مجمع فينا عام ١٣١٢م الذي أوصى أن تدرس اللغة العربية في كبرى المراكز العلمية الأوروبية^(١).

"وفي القرن الثامن عشر إبان الاستعمار نبغ عدد كبير من علماء الغرب في دراسة الشرق، ومن ذلك الحين بدأ العمل المنظم، ثم وجّه لخدمة أغراضهم فبدأوا بإصدار مجلات في جميع الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية، أو يشترونها من جهة الغرب، أو يسرقونها من المكتبات العامة"^(٢).

"وقد قامت المدارس الاستشراقية في خطين عربيين، واكبا مسيرة الظاهرة الاستشراقية عبر تاريخها الطويل، فالأول خط يدعو إلى الحرب العسكرية وأكثر ما يمثله الاستشراق الإسباني والاطالي، وآخر يدعو إلى المقاومة الثقافية، وكان الجامع بينهما الاتجاه نحو الانتصار للروح

* يحدد بعض الباحثين بداية الاستشراق بالراهب الفرنسي جريدي أوراليك (٩٣٨-١٠٠٣م) والذي قصد الأندلس، ودرس على أساتذتها، ولما رجع إلى روما تركى حتى صار أول بابا فرنسي، المستشرقون، نجيب العقيقي،

ج ١، ص ١١٠

١ - عمارة، إسماعيل، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، ط ٢، دار حنين، عمان، ١٩٩٢م، ص ٢٦

٢ - السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مرجع سابق، ص ١٤

النصرانية، ويتمثل ذلك بصورة بارزة في الاستشراق الألماني الذي سعى منذ عصور طويلة إلى التركيز على الجوانب العقديّة والأصول النصية ودراسة ونقداً أكثر من سواها^(١)

وعلى الرغم من النقاء المدارس الاستشراقية في أغلب أهدافها إلا أن طبيعة العمل تعطي مجموعات من الفروقات أبرزتها أنواع الاهتمامات، وطبيعة الممارسات التي تمارسها الدولة الراحية لاستشراق علمائها في الدول الإسلامية المستعمرة خاصة، فالاستشراقان الإنجليزي والفرنسي مثلاً يعملون أكثر من غيرها في المواجهة الثقافية والعسكرية تبعاً، وعلى الرغم أيضاً مما كان بين الدول المستعمرة من تنافس وصل إلى حد كبير للحرب إلا أنهم كانوا لا يخفون إنجازات العدو الصديق، مما يدل على وجود الروابط بين كافة المدارس الاستشراقية، والتكامل في أهدافها، ووجود تنسيق يجعل من هذا الاستشراق شيئاً عالمياً^(٢)

وصنّف المستشرقون في الأعم الأغلب حسب الدول التي ينتمون إليها، أي حسب النشأة والمكان، ولذا كان أشهر مدارس الاستشراق حسب هذا التطبيق أكثر الدول تماساً مع الشرق، إما لقربها من الأندلس، أو لقيامها بالحروب الصليبية، أو التي كانت عندها نزعة استعمارية ومن أشهر هذه المدارس الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية، والإيطالية.

"ويُعرض على تقسيم المدارس الاستشراقية حسب الجغرافيا على أساس أن استقراء طرق البحث فيها تنفي صحته؛ إذ لم يكن الاختلاف بينها راجع إلى الجغرافيا والمكان بقدر ما كان عائداً إلى التناوب في تسيير عجلة الاستشراق، وأما الموضوعات فتوشك أن تكون متطابقة؛ لما كان بينها-أي المدارس- من اتصال عبر المؤتمرات الاستشراقية وغيرها، مما يؤكد توحيدها في الغاية والوسيلة تجاه الدراسات القرآنية"^(٣).

غير أن بعضهم يصنفها تصنيفاً آخر، وهو حسب العقيدة والدين^(٤) على النحو الآتي:

١. المدرسة النصرانية، وهي قسمان الكاثوليكية والبروتستانتية.

١- عمارة، اسماعيل، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، مرجع سابق، ص ٥٠ .

٢- المرجع السابق، ص ٥١ باختصار

٣- العالم، عمر، المستشرقون والقرآن، ص ٢٦-٢٧، باختصار.

٤- الجبوسي، عبدالله، دراسة في منهج المستشرقين والقرآن، (ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية)،

البحث ٦، ص ١٤ وما بعدها بتصرف قليل، عن أجنحة المكر الثلاثة للميداني، ص ١٢٤

٢. المدرسة اليهودية.

٣. المدرسة الإلحادية العامة .

٤. المدرسة الشيوعية .

واللافت للنظر أن الاستشراق لم تتوقف حركته عند الدول التي رعت بداياته، أو اشتهر باسم مكانها كالإنجليزية والفرنسية والألمانية، إذ نطالغ مدارس استشراقية أخرى كالهولندية، والبرتغالية، والنمساوية، والروسية، والأمريكية، والإسرائيلية.

ولعل ذلك يرجع إلى عاملين أحدهما أو كلاهما:

١. أن بعض هذه الدول كان لها احتكاك دائم بالدولة العثمانية التي كانت حينها تقف نذاً قوياً في وجه أوروبا، بل إنها وضعت قدمها في كثير من أصقاعها، ونشرت الإسلام فيه، وحملت لواء الدفاع عنه وعن القرآن الكريم في وجه الأوروبيين.

٢. وجود نزعة استعمارية جديدة، فالدوافع السياسية أو العلمية أو الدينية لم تختلف عن سابقتها من المدارس، فإن وجد فهو في الشكل فقط دون الجوهر.

وتعد المدرسة الإنجليزية أول من عرف الاستشراق، وهي أوسع المدارس، وأخطرها، ولعل ما ساعدها على ذلك هو اتصالها بالشرقيين الأوساط والأقصى اتصالاً ثقافياً وعسكرياً واقتصادياً واستعماريًا^(١)، وبلغ من خطورتها أن جامعاتها لم تكن توافق على رسالة استشراقية لنيل الدكتوراه إذا كان موضوعها فيه إنصاف للإسلام، وكشف لدسائس المستشرقين^(٢)

وأما المدرسة الفرنسية فقد طلبت الثقافة العربية في مدارس الأندلس وصقلية، واستفادت من الجالية الإسلامية المغربية، واستفادت من دعم الملك فرانسوا الأول الذي أنشأ كرسيًا للعربية في باريس، ثم تبع ذلك إرسال بعثات لإتقان اللغات السامية، وفي السوربون عني معهد الآداب بتاريخ الفن الإسلامي المغربي، وتاريخ الشعوب الشرقية، والحضارة العربية^(٣)

١ - العقيلي، نجيب، المستشرقون، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠، ج٢، ص٧

٢ - السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص٧٤-٧٥ بتصرف قليل.

٣ - العقيلي، نجيب، المستشرقون، مرجع سابق، ج١، ص١٣٨ وما بعدها باختصار.

وأما المدرسة الإسبانية فقدت تأثرت الحياة الثقافية كثيراً بفتح العرب المسلمين للأندلس، ونشر العلوم والثقافات العربية الإسلامية، وفي القرن التاسع وهو القرن الذي نشطت فيه حركة الجامعات الإسبانية في الاستفادة من اللغة العربية وعلومها، فأفاد طلاب الجامعات من المخطوطات العربية في المكتبات العامة والخاصة لدراسة كل ما يتعلق بالأندلس^(١)

فهذه ثلاثة من أبرز المدارس الاستشراقية التي اهتمت بدراسة الشرق وحضارته، وعلى الرغم من تعدد هذه المدارس، وتتنوع دراساتها ومناهجها إلا أنها تلتقي في النتائج التي خلصت إليها، وإن ظهرت اختلافات بينها فهي اختلافات في الشكل فقط، وليس في جوهر الموضوع.

كما يظهر مدى اعتماد هذه المدارس على بعضها البعض، فالمدرسة الألمانية استفادت من تجارب المدرسة الاستشراقية خاصة في ميدان اللغات، مع بروز أمر يكاد يجمع الكثير من مستترقي هذه المدارس وهو الموسوعية، ويقصد بذلك توجه المستشرق لكثير من العلوم خاصة ما يتعلق بدراسة الأديان وفي مقدمتها الإسلام والقرآن الكريم، ثم دراسة اللغات، والعناية بشكل بارز بالنقوش الأثرية وغير ذلك من الدراسات.

^١ - العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص ١٧٣- ص ١٧٤ باختصار

الفصل الأول

المستشرقون والوحي

المبحث الأول: الدراسات الاستشراقية في الوحي

المطلب الأول: مصادر الاستشراق في دراسة الوحي

المطلب الثاني: بواعث اهتمام المستشرقين بالوحي

المطلب الثالث: مسالك المستشرقين في الطعن بالوحي القرآني

المبحث الثاني: عناية الاستشراق الألماني بالدراسات القرآنية

المطلب الأول: نشأة الاستشراق الألماني وأشهر مستشرقيه

المطلب الثاني: دراسات المستشرقين الألمان في الوحي

المبحث الثالث: التعريف بـ (نولدكه) وكتابه (تاريخ القرآن)

المطلب الأول: التعريف بـ (نولدكه)

المطلب الثاني: مكانة نولدكه في الاستشراق

المطلب الثالث: التعريف بكتاب (تاريخ القرآن)

المبحث الرابع: منهج نولدكه في دراسته

المبحث الأول

الدراسات الاستشراقية في الوحي

المطلب الأول

مصادر الاستشراق في دراسة الوحي

المصدر والمنهج أمران متلازمان في أية دراسة تريد أن تكون النتائج متعلقة بالموضوع المراد بحثه، فانتماء المصدر للموضوع، وقيام المنهج على الحيادية والموضوعية وانسجامه مع قواعد البحث العلمي يجعل الدراسة أقرب إلى تحقيق مقصودها ومبتغاها، فقد سئل المستشرق الألماني المعاصر (ميكولوش موارني) عن المصادر المعتمدة لدى المستشرقين في الدراسات القرآنية فأجاب: "الدراسات القرآنية ما زالت تمثل محلاً بارزاً رئيساً في الدراسات الاستشراقية حتى اليوم، ومصادرها لا تختلف عن المصادر المتداولة بين أيدي المسلمين فكتب التفسير والقراءات تمثل المرتبة العليا، إلى جانب كتب السيرة، وكتب أسباب النزول وغيرها من المصادر المعروفة"^(١)

والناظر في واقع الحال يثبت أن مصادر الاستشراق في دراسة القرآن عموماً ومنه موضوع الوحي يتجاوز المصادر الإسلامية، بمعنى أن المستشرقين كانوا يستخدمون كل مصدر يروونه دليلاً على رأيهم، ويمكننا تمييز نوعين من هذه المصادر:

الأول: المصادر المنتمية، ويقصد بها ما يتصل بالموضوع اتصالاً مباشراً.

الثاني: المصادر غير المنتمية، وهي التي يمكن وصفها بأنها مساندات في البحث، ودعائم في الآراء المعتمدة من وجهة نظر المستشرقين.

ويأتي في مقدمة النوع الأول القرآن الكريم ثم كتب الحديث الشريف والسيرة النبوية، يقول مونتجمري واط: "المصادر الرئيسية عن حياة محمد (ﷺ) هي أولاً القرآن أو الكتاب الذي يضم الوحي الذي تلقاه من الله، وثانياً: الأعمال التاريخية لكتاب القرنين الهجريين الثالث والرابع: مثل

^١ - شبكة التفسير والدراسات القرآنية، www.tafsir.net، تاريخ الدخول ٢٠٠٨/٣/١٨.

السيرة النبوية لابن هشام وطبقات ابن سعد، وكما يجدر بنا أن نذكر^(١) مجموعات الأحاديث أو الروايات المختلفة لأقوال وأفعال محمد (ﷺ) مثل صحيح البخاري ومسلم ومسنند أحمد بن حنبل^(٢)

والمستشرق الفرنسي إميل درمنغم صاحب كتاب (حياة محمد) والذي تحدث فيه عن الوحي في الفصل الخامس من الكتاب بعنوان (البعثة)^(٣)، وكذلك في الفصل الثامن عشر بعنوان (محمد رسول الله)^(٤) - المصادر الرئيسة للحديث عن حياة محمد(ﷺ) بكل جزئياتها القرآن وكتب الحديث والسيرة كما فعل واط تماماً .

وأما بالنسبة للقرآن الكريم فالحال عند من تناول موضوع الوحي أن يستدل بالآيات على نقيض تقريراتها، فنولدكه يريد أن يقرر مثلاً معرفة الرسول للقراءة والكتابة، ونفي الأمية عنه، فيستدل بقوله تعالى: " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا " (الفرقان: ٤) في زعمه بأن القرآن نفسه يثبت وجود عون للنبي ﷺ في تأليف القرآن الكريم^(٥).

وإذا كان حال المستشرقين مع القرآن قائماً على انتزاع الآيات من سياقها، فإن الأحاديث النبوية لم تكن بأحسن حالاً من ذلك.

ويحسن إلقاء الضوء على المنهجية العامة التي تقوم عليها طريقة المستشرقين في فهم القرآن الكريم، فطريقتهم قائمة على بتر أول النص عن آخره، كما حصل في آية الفرقان إذ يبنون شبهتهم على أن النبي ﷺ قد تلقى عوناً من آخرين على (وأعاناه قوم آخرون) دون النظر إلى (وقال الذين كفروا) ودون النظر كذلك إلى خاتمة الآية (فقد جاؤوا ظُلماً وزوراً)، ثم النظرة الجزئية للآيات القرآنية

١ - كان الأولى به أن يقدم ما ورد بأسانيد صحيحة في كتب الحديث عن الأعمال التاريخية التي جعلها في المقام الثاني بعد القرآن.

٢ - واط، مونتجمري، حياة محمد في مكة، ترجمة عبدالرحمن الشيخ وحسين عيسى، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص ٤١-٤٢ .

٣ - درمنغم، إميل، حياة محمد، ترجمة عادل زعيتير، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٨، ص ٧٠ وما بعدها.

٤ - المصدر السابق، ص ٢٦٠ وما بعدها

٥ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ١٦، وقد كرر هذا الزعم المستشرق ويلش في المدخل الذي كتبه للقرآن في دائرة المعارف الإسلامية الصادرة باللغة الإنجليزية، انظر، أبو ليلة، محمد، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ط١، دار النشر للجامعات، مصر، م ٢٠٠٢، ص ١٠٣.

كما نلاحظ ذلك في الإصرار العجيب على اعتماد قصة الغرائق مع أن آيات التوحيد مبثوثة في القرآن الكريم.

ثم تحكيم الهوى في فهم الآيات وإغفال دلالة السياق القرآني، وتعمد إساءة فهمها، وتوجيهها إلى غير دلالتها، ووضعها في غير مواضعها، وتحميلها ما لا تطيقه ألفاظها^(١)

ثم إن نولدكه كان أكثر دهاء من غيره عندما استشهد بالأحاديث المتعلقة بالوحي من أمهات كتب الحديث المعتمدة عندنا نحن المسلمين وفي مقدمتها الكتب الستة، ولكن المنهجية التي تعامل بها كانت متأثرة بقناعاته الدينية والفكرية.

ويلاحظ على بعض المستشرقين قضية (الانتقاء) من المصادر المنتمية لموضوع الوحي القرآني، فنولدكه مثلاً على الرغم من تعددها - أي المصادر - إلا أنه لا يكاد يخرج عما ذكره السيوطي في الإتيان، وكذلك واط في كتابه (حياة محمد في مكة) فقد ذكر رواية ابن اسحق الواردة في موضوع الوحي، ولم يكلف نفسه الرجوع إلى الروايات الصحيحة الثابتة حول الوحي في الصحاح من كتب الحديث^(٢)

وأما أميل درمنغم فعلى الرغم من مقدمته الطويلة حول المصادر التي اعتمدها في الحديث عن حياة النبي محمد (ﷺ) ومنه موضوع الوحي، فإنه تعمد انتقاء بعض ما رواه ابن هشام في سيرته حول الوحي مما تكلم العلماء فيه، فإذا أراد مثلاً أن يقرر أن الوحي ما هو إلا منام رآه النبي ﷺ، وليس حقيقة واقعة كان أسهل عليه أن يورد رواية ابن هشام "جاءه جبريل بنمط من ديباج مكتوب عليه اقر"^(٣)

وهذه الرواية هي من طريق عبيدالله بن عمير، وهو من كبار التابعين^(٤)، فالرواية هي مرسل تابعي^(٥).

١ - عتر، حسن، وحي الله، حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، ط١، دار المكتبي، دمشق، ١٩٩٩م، ص٣٧-٣٨

٢ - انظر، حياة محمد في مكة، ص١٠٢ وما بعدها.

٣ - ابن هشام، السيرة النبوية، ص٩٤-٩٥

٤ - ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ص٣٧٧، قال فيه: من كبار التابعين مجمع على ثقته.

٥ - قال ابن الصلاح: وما ذكرناه من منقوط الاحتجاج بالمرسل، والحكم بضعفه هو الذي استقر عليه آراء جماعة حفاظ الحديث، ونقاد الأثر، وتداولوه في تصانيفهم، ينظر، شاكر، أحمد محمد، الباعث الحديث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير، ط١، دار المؤيد، الرياض، ١٩٩٧م، ص٤٦

وذكر الرواية أيضاً الإمام الطبري في (تاريخه) بسنده إلى عبيد الله بن عمير، فقال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال: سمعت عبدالله بن الزبير وهو يقول لعبيدالله بن عمير بن قتادة^(١) (الحديث). وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي، كذبه جماعة من العلماء كأبي زرعة، وأما سلمة بن فضل الأبرش فهو صدوق كثير الخطأ^(٢)

وفيما يعتمد هذه الرواية الضعيفة، فإنه يتغافل عن الرواية في الصحيح المروية عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء...، ثم قالت: حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاء الملك..."^(٣)

وأما المصادر غير المنتمية، والتي استخدمها المستشرقون في دراسة الوحي، فيأتي في مقدمتها (الكتاب المقدس)، فيزعم نولدكه أن المصدر الرئيس للوحي الذي أنزل على محمد حرفياً "بحسب إيمان المسلمين البسيط، وبحسب اعتقاد القرون الوسطى، وبعض المعاصرين هو بدون شك ما تحمله الكتابات اليهودية، وتعاليم محمد في جلها تتطوي في أقدم السور على ما يشير بلا لبس إلى مصدرها. لهذا لا لزوم للتحليل لنكتشف أن أكثر قصص الأنبياء في القرآن، لا بل الكثير من التعاليم والفروض هي ذات أصل يهودي، أما تأثير الإنجيل على القرآن فهو دون ذلك بكثير"^(٤).

وبحسب هذا الاعتقاد وجدت كثير من الدراسات الاستشراقية التي أخذت على عاتقها المقارنة بين مضمون الوحي القرآني والكتاب المقدس، فإذا ما وجدت كلمة مشابهة، أو فكرة متماثلة أعلنت وجود اقتباس الوحي المحمدي من (الكتاب المقدس)، وقد ذكر بروكلمان^(٥) بعض الكتب الاستشراقية التي تظهر عناوينها هذه الناحية.

- ١ - الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج ١، ص ٥٣٢
- ٢ - انظر تقريب التهذيب في الحكم على ابن حميد ص ٤٧٥، وعلى سلمة بن فضل ص ٢٤٨.
- ٣ - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم ٢٥٢
- ٤ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٧.
- ٥ - بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم النجار، ط٢، جامعة الدول العربية، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩، ج ١، ص ١٤٣-١٤٤، مثل طابع الإنجيل في القرآن لـ (والكر) وعناصر نصرانية في القرآن لـ (أهيرنس).

وتلاحظ الانتقائية في التعامل مع المصادر المتعلقة بالوحي سواء أكانت منتمة أم غير منتمة إلى (الكتاب المقدس) نفسه، فنولده مثلاً يجعل مسألة نزول الوحي بالقرآن الكريم مفروقاً مأخوذة عن الكتاب المقدس، بينما يرفض البشارات الواردة فيه بشأن نبوة محمد ﷺ^(١) يقول عن آية "ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد" (الصف:٦)،: "سورة الصف التي يعد فيها عيسى بأن الله سيرسل من بعده رسولاً اسمه أحمد، فلا أثر لها في العهد الجديد"^(٢) وتبعاً لذلك يرفض نولده ترجمة البارقليط بـ (أحمد) أو ما جاء في إنجيل يوحنا باسم (المعزي) ونص الكلام: "ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله إليكم من الأب روح القدس الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً؛ لأنكم معي من الابتداء"^(٣) ويرفض ما استدل به ابن هشام من أن إطلاق (المنحمنّا) على سيدنا محمد ﷺ في العهد الجديد في أنها تعني بالسريانية: محمد، وبالرومية: البرقليطس^(٤) معللاً الرفض بأن ترجمة (المنحمنّا) بمحمد ناتج من كون هذه الكلمة هي الترجمة المعهودة في اللهجة الآرامية الفلسطينية- المسيحية المحكية لكلمة منحمانا، على الرغم من أن تلميذه شفالي ربط منحمانا بمحمد^(٥)

أما مسألة نزول الكتب السماوية مقارنة بنزول الوحي بالقرآن الكريم منجماً مفروقاً فقد ذكر السيوطي أن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي نزل مفروقاً، بينما أنزلت سائر الكتب السماوية الأخرى جملة واحدة، وقال: هذا مشهور في كلام العلماء وأسنتمهم، حتى كاد يكون إجماعاً، ثم، ساق

- ١ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩، وهامش رقم (١٤)، وكذلك ص ٧٣
- ٢ - نولده، المصدر السابق، ج ١، ص ٩، وعدم ورود اسم (أحمد) في العهد الجديد ليس دليلاً لنولده في الاستدلال على أنه لا دليل من العهد الجديد على النبوة المحمدية، فقد جاءت البشارات التي لم يتطرق نولده لها نهائياً لا من قريب ولا من بعيد، ولو من جهة الرد على العلماء المسلمين الذين استدلوا بها من الكتاب المقدس على أن كتاب اليهود والنصارى قد بشر بنبوة محمد ﷺ. (انظر في ذلك مختصر إظهار الحق للشيخ رحمت الله الكيرواني الهندي، تحقيق محمد ملكاوي، ص ٣٢١ وما بعدها.
- ٣ - الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٥، الفقرة ٢٦
- ٤ - ابن هشام، السيرة النبوية، مصدر سابق، ص ٩٣
- ٥ - انظر، نولده، تاريخ القرآن، ج ١، هامش ص ١٠-١١، هامش رقم (١٤)

بعض الآثار حول نزول التوراة، وعقب بعدها قائلاً: "هذه آثار صحيحة صريحة في إنزال التوراة جملة" (١)

وتكهنات وتوهامات المستشرقين الذاتية أضحيت للعديد منهم مصدراً من مصادر دراسة الوحي، فدرمنغم مثلاً يدعي أن النبي ﷺ كان واقعاً تحت اضطراب نفسي شديد؛ ولذلك يصوره على أنه "دفع لأن يكثر من تأمل النجوم في الليل بانتظار اللحظة الحاسمة التي يعلن فيه أنه نبي يُوحى إليه، فالنجوم في الليل من الكثرة وشدة النور ما تجعل محمداً (ﷺ) يخيل له أنه يسمع صوتها للمعانها، كما يسمع صوت نار موقد كبير" (٢)

وحتى يقرر نولدكه أن النفس تكون أكثر قابلية لاستقبال التخيلات والانطباعات النفسية من الليل عما عليه في وضوح النهار "يدعي أن معظم الوحي حصل ليلاً" (٣)، ولعله فوجئ بأن السيوطي -والذي يكثر من النقل عنه- يذكر خلاف ذلك (٤) فيقول في الهامش عنه: "يدعي أن الجزء الأكبر من القرآن نزل نهاراً" (٥)

وأما مصادر التراث الإسلامي غير المنتمية لموضوع الوحي التي يكثر المستشرقون من توظيفها، فأشهرها: كتاب (الأغاني) للأصفهاني، و(الفهرست) لابن النديم، و(الحيوان) للدميري، و(تاريخ اليعقوبي)، و(مروج الذهب) للمسعودي.

والحق أن المستشرقين لو وظفوا المصادر المنتمية المتعلقة بالوحي على أسس سليمة، وراعت دراساتهم مناهج البحث المتجردة عن كل هوى لكانت حقيقة الوحي القرآني أمامهم علماء، ولكن الغشاوة التي غطت مقلهم حالت بينهم وبين ذلك عبر جُدر من الهوى والتعصب والحق.

لقد كان من الأولى أن توظف هذه المصادر مجتمعة، ويؤخذ النص كما جاء من غير لعب فيه، مع استبعاد للضعيف، وعدم تفضيل واحد على الآخر فالسنة مكمل للقرآن، وروايات كتب السيرة النبوية، أخضعت للنقد والتدقيق فهل تطلب عين الحقيقة من غير مراعاة لذلك؟

١ - السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (٩١١هـ)، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق محمود القيسية، ومحمد

الأتاسي، ط١، مؤسسة النداء، أبوظبي، ٢٠٠٣، ج١، ص١٩٣، وص١٩٦

٢ - درمنغم، حياة محمد، ص ٧٢ .

٣ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج١، ص ٢٥ .

٤ - انظر، السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مصدر سابق، ٢٠٠٣، ج١، ص٩٠

٥ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج١، هامش، ص ٢٥ .

المطلب الثاني

بواعث اهتمام المستشرقين بالوحي

قبل التعرف على البواعث الحقيقية لاهتمامات المستشرقين بالوحي، لا بد من إلقاء نظرة عامة حول بواعث دراساتهم التي أجروها على مدى قرون متواصلة للقرآن الكريم بشكل عام؛ وذلك لوجود تداخل واضح بين الاهتمامين العام والخاص.

وهذه البواعث هي:

١. الدافع الديني: بدأ الاستشراق بمحاولات فردية قام بها الرهبان؛ لأن العلم في العصور الوسطى ظل حكراً عليهم بعناية من الكنيسة البابوية، وكل ذلك لتدعيم سلطانها على الشعوب الغربية النصرانية المستسلمة لها آنذاك.

ولما بدأت اليقظة الفكرية في النهوض في أوروبا، كان لا بد للكنيسة أن تحافظ على وجودها من خلال استمرار حملة الاستشراق ودراسة القرآن الكريم؛ لغاية تزويد الأوروبيين بالإسلام من خلال الطعون فيه، وفي نبيه عليه الصلاة والسلام^(١).

ومن هنا صاغت الكنيسة السياسيين، وبدأت مهمة البعثات العلمية الاستشراقية والتبشيرية في آن واحد، فأخذ العمل شكلاً منهجياً منظماً من رجال الدين والدولة لتحقيق مآرب كل فئة منهم.

وإنما كان الدافع الديني أول دوافع الدراسات الاستشراقية؛ "لأن الاستشراق بدأ متأثراً بالمنهج السائد آنذاك، وهو ما زال بكرة في بداياته، وهو منهج قائم على الجدل والتعصب والحقْد"^(٢).

وهذا المنهج أدى إلى أن يكون لهذا الدافع غرضان:

أ. لتحقيق تنفير الغربيين من الإسلام كان لا بد من تشويه صورة المسلمين، وتصويرهم بكل وصف يتعارض مع المبادئ الخلقية المتعلقة بالروح والجسد.

١ - عتر، حسن، وحي الله، حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، مرجع سابق، ص ٢٠.

٢ - مطبقاني، مازن، الاستشراق، ندوة مجمع الملك فهد (القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية)، البحث ٤، ص ٣٣، وانظر ما كتبه أحمد سمايلوفتش حول الدافع الديني في كتابه (فلسفة الاستشراق)، ص ٤٨ وما بعدها.

ب. الهدف التبشيري عبر تشويه صورة الإسلام في الثقافة الغربية؛ لإدخال الوهن في العقيدة الإسلامية، وللتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية، وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث^(١).

٢. الدافع العلمي: ويأتي في المرتبة الثانية بعد الديني، وعماده ما تميز العالم العربي به من كنز حضاري لم يعرف له مثل في حضارات العالم، فأثار علماء الغرب لدراسته واكتشاف أسرارته بعد أن أدركوا أنه لا نهوض لهم ولحضارتهم إلا إذا درسوا أديان الشرق ولغاته وثقافته وحضارته خصوصاً حضارة الإسلام، وما حققه من إنجازات في كافة مجالات الحياة.

٣. الدافع الاقتصادي: كانت النواحي الاقتصادية من أشد الدوافع اتجاهاً من اندفاع الغرب لتعلم لغات الشرق ودراسة حضارته، حيث شكل المجال الاقتصادي أهمية قصوى بالنسبة لعدد كبير من التجار الأوروبيين، ويتبع ذلك بالضرورة عناية الغربيين بدراسة علوم وثقافته وفلسفته بعد أن أيقن الغرب أنه لا سبيل للتفوق على الشرق إلا إذا تعلم لغته، للسيطرة على خيرات الشرق الطبيعية في باطن الأرض وظاهرها، مع إيجاد أسواق ليروج تجارهم بضائعهم فيها، ووجد المتقنون كذلك وأصحاب المكتبات فرصتهم في هذه الناحية من حيث تأسيس المكتبات ودور النشر التي أشرفت على طبع ونشر الكتب الاستشراقية^(٢).

ولمعرفة البواعث الحقيقية لدراسة الوحي، لا بد من استقراء الأوضاع الدينية السائدة في البلاد الإسلامية والغربية، والأوضاع التاريخية التي طبعت الفترة التي ازدادت فيها وتيرة حركة الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم.

"فمنذ القرن الثاني عشر، حتى القرن الثامن عشر الميلادي كان دارسو القرآن من غير المسلمين يدافعون من جهة عن عقائد مسيحية يرفضها - أي القرآن -، ويهاجمون من جهة أخرى - كردّ على هذا الرفض - النبي محمد (ﷺ) والكتاب الذي أتى به... وكان هذا في زمن هدئت فيه الجيوش العثمانية وسط أوروبا ووصلت إلى مشارق فينا، فكانت صورة الإسلام في أوروبا مطبوعة بالطابع التركي حتى أن القرآن الكريم نفسه دُعي بالكتاب المقدس التركي"^(٣)

١ - السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون، ص ٢٠-٢١، بتصرف

٢ - ينظر، سمايلوفتش، أحمد، فلسفة الاستشراق، (رسالة دكتوراه منشورة)، د.ط، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠، ص ٤٥ وما بعدها في الدافعين العلمي والاقتصادي.

٣ - نولدكه، تاريخ القرآن، ص xii.

ويمكن تحديد دافعين رئيسين وراء الاهتمام بظاهرة الوحي:
الأول: الباعث الديني سواء أكان المستشرقون من اليهود أم من النصارى، أم ممن يتعصب للديانتين معاً.

يقول جورج تامر^(١): مجموعة من الظروف الدينية مثل النظر إلى القرآن من منظور الكتاب المقدس ومقارنته به، والتهجم على الإسلام، والدفاع عن المسيحيين ضد المسلمين، وتنظيم حملات التبشير في الشرق، والسياسية، منها الحروب الصليبية، والتهديد العثماني لأوروبا جعلت دراسة القرآن ليست غرضاً بحد ذاته، بل وسيلة تستخدم في سبيل تحقيق أغراض سياسية ودينية مختلفة^(٢).

ويمكن تصنيف آراء هؤلاء المستشرقين المدفوعين دينياً اتجاه الوحي ضمن أربعة أصناف تختلف في الشكل والمضمون، وتتحد في الهدف والغاية.

١. "إبطال الوحي ونفي الرسالة عن الرسول الخاتم بدعوى تكذيب الرسول ﷺ، والادعاء بأنه جاء بالقرآن من نفسه، ثم نسبه إلى الله تعالى.

٢. كان ساحراً لبقاً فجاء به، فما هو إلا سحر من كلامه.

٣. جمعه من البيئة المكية التي كانت تعج بالرهبان والقسيسين.

٤. قسم يرى أنه كلام نظمه محمد (ﷺ) شعراً، وفي هؤلاء من يرى أن إبداع محمد (ﷺ) في تأليف القرآن يرجع إلى استخدامه ما في البلاغة والشعر من ثروات فنية^(٣).

فخلاصة الأمر، أنهم يريدون إنكار الوحي، وإلباس القرآن صفة نتاج الجهد الإنساني، وليكون محمد ﷺ بعد ذلك ما يشاء إلا أن يكون نبياً، أو أن يكون القرآن موحى به من السماء.

وشكك بروكلمان في أن يكون مصدر الوحي القرآني هو الله تعالى، فيقرر حكاية أسلافه من المستشرقين، فيقول عن رسول الله ﷺ: "وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه قد يكون مدعواً إلى أداء هذه الرسالة - رسالة النبوة حتى أعلن ما ظن أنه سمعه كوحي من عند الله"^(١)

١ - رئيس اللجنة التي أشرفت على ترجمة كتاب تاريخ القرآن لثيودور نولدكه، عام ٢٠٠٤ م .

٢ - نولدكه، تاريخ القرآن، ص xiii

٣ - محمد، إدريس، آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ندوة مجمع الملك فهد (القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية)، البحث ٣٠، ص ٢١، وقد ذكر الكاتب حوالي عشرين رأياً للمستشرقين في تفسير ظاهرة الوحي المحمدي.

ويعترف رئيس اللجنة التي أشرفت على ترجمة كتاب نولدكه (تاريخ القرآن) إلى العربية بأن الجزء الأول الذي يبدو أن فيه تجنياً على الإسلام ونبيه (ﷺ) - إنما هو قائم على دراسة فيلولوجية^(٢) دقيقة لنص الكتاب العزيز لا محرك لها إلا حب المعرفة، وإشباع الرغبة في العلم^(٣).

لعل هذا الدفاع المتقدم عن نولدكه عما كتبه عن الوحي بحجة البحث العلمي يمكن أن يقوله الغربيون عن كل دراسة استشراقية مدفوعة دينياً كعمل نولدكه، ولكن مضمون المكتوب، ونصوص المعروض هي التي تكشف المستور، وبواطن الأمر، وإنما الحكم للظاهر.

فعلاوة على أن الرجل يرد الوحي إلى الوحي النفسي، فإنه اتخذ مواقف شخصية مستعجلة من الموحى إليه وهو الرسول ﷺ في الصفحات الأولى من كتابه قبل أن يتناول منشأ الوحي، وما يتعلق به مما يدل على تأثره بترسبات ماضية خلفتها الاتجاهات العقديّة، ومما قاله: "استخدم محمد وسائل مرذولة (الخداع باسم الدين) في المجالين الديني والسياسي وسواهما"^(٤)

والوقائع والحقائق تدفع وترد هذا الافتراء الذي لم يكن وراءه إلا الدافع الديني، فقد خاطب الله تعالى مشركي مكة بـ "صاحبكم" في أكثر من موضع في القرآن الكريم؛ لأنهم كانوا أعرف الناس بسيرته قبل النبوة، التي عرفوه فيها صادقاً أميناً، وليس في مكة كلها من يمانه خلقاً وأدباً وسمتاً ﷺ.

فإن زعم نولدكه أن هذا كان إنما كان قبل النبوة، فليقرأ ما قاله أبو سفيان لما التقى هرقل وسأله: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا^(٥)

فهذه الشهادة من أبي سفيان ﷺ قبل أن يسلم في رسول الله ﷺ ترد ما افتراه نولدكه على شخصه عليه الصلاة والسلام.

١ - بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس ومير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٧٧م ص٣٦

٢ - يقصد به علم النصوص القديمة، والذي يعني: دراسة النصوص اللغوية دراسة تاريخية مقارنة، لفهمها والاستعانة بها في دراسة الفروع الأخرى التي يبحث فيها علم اللغة، وتعني أيضاً دراسة لغة معينة بالتحليل النقدي لنصوصها. WIKIPEDIA، وصلة شبكة الفصح العربي على الانترنت.

٣ - نولدكه، تاريخ القرآن، كلمة المترجم، ص xix

٤ - المصدر السابق، ج١، ص ٦.

٥ - أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب رقم ٦، حديث رقم ٧

وبعد أقل من صفحة يدعي: "ولو تسنى لنا أن نتعرف على حياة أنبياء آخرين بالقدر نفسه الذي تعرفنا فيه على حياة محمد لفقد كثير منهم المرتبة الجليلة التي يتمتع بها الآخرون بسبب ما تحمله المصادر التي لم تصلنا منها إلا شذرات، وتمت تصفيتها من الشوائب مراراً كثيرة على مر القرون الطويلة"^(١).

ثم يدعي: "لم يكن محمد (ﷺ) قديساً ولم يرد أن يكون"، ثم يزعم الاستدلال على هذا من الآيتين: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" (محمد: ١٩)، وقوله: "لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ" (الفتح: ٢).

لم يرد نولدكه أن يتعرف على المقصود من مغفرة الذنب في حق النبي ﷺ الوارد في الآيتين من المصادر الإسلامية التي بينت معنى ذلك، فإن المقصود بها هو ترك النبي ﷺ الأوّل في بعض الأمور التي يجتهد بها مثل ما حصل في شأن ابن أم مكتوم ﷺ^(٢).

وبعض المستشرقين ظنّ به من بعض أبناء جلدتنا الاعتدال في دراسة الوحي القرآني، فهذا (درمنغم) يُوصف في كتابته لسيرة محمد ﷺ بأنه من أكثر الكتاب الغربيين اعتدالاً في نظريته للرسول الأعظم ﷺ، فقد حاول أن يولف سيرة ناطقة للنبي (ﷺ) مستنداً إلى أقدم المصادر غير غافل عما جاء في الكتب الحديثة^(٣).

وهذه فقط ثلاثة مواضع من المواضع التي تحدث فيها المستشرق الفرنسي عن الوحي:

١. في حديثه عن التفسير لظاهرة الوحي يشبهها بالتجارب الصوفية، فيدعي سيطرة التخيلات، والأوهام النفسية على الرسول عليه الصلاة والسلام حتى ظن أنه يسمع وحياً من السماء^(٤).
٢. يدعي أن الرسول ﷺ كان يعلم من النصارى الذين التقاهم بالشام ومكة بوجود دين موحى به.
٣. ادعاؤه أن الاضطراب النفسي قد اشتد به حتى صار لا يفرق بين تعاقب الليل والنهار^(٥).

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٧.

٢ - انظر، الرازي، محمد بن عمر (٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، ط ٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥، ج ١٣، ص ٣٤٧.

٣ - كلام المترجم لكتاب (حياة محمد) لدرمنغم، ص ٧.

٤ - درمنغم، حياة محمد، مرجع سابق، ص ٧٣.

٥ - المصدر السابق، ص ٧٧.

وأخر سار على منهج نولدكه في دراسة القرآن، ووُصِف بأنه لم يكن متعصباً كنولدكه، ولكن الرجل لم يستطع أن يجعل نفسه في دائرة الموضوعية العلمية، فهو لم يعرض رأي كنيسته فحسب، بل زاد عليه.

يقول المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير وهو يصف الشعور البيزنطي في الربع الأخير من القرن التاسع: "الأوساط الكنسية كانت تتصور دعوة محمد (ﷺ) عمل منشق يدعي أنه ملهم من الله، بينما كان في الواقع قد تلقى تعاليمه من راهب خارج عن العقيدة القويمة"^(١)

ولا ندري هل يمكن أن نصل مع هؤلاء إلى كلمة سواء مع تبنيهم المنهج الإسقاطي^(٢) لما يتعلق بالوحي القرآني .

يقول أحد الكتاب الغربيين المعاصرين عن القرآن: "من وجهة نظر أدبية فإن القرآن له ميزة قليلة، الخطابة، التكرار، الولادة (الصبيانية) ، الافتقار إلى المنطق والترابط، كل هذا يصدّم القارئ غير المستعد"^(٣).

لا يجتمع الدافعان الديني والعلمي في دراسة الوحي فإمّا أن يكون المرء باحثاً عن العقيدة، وهنا لا بد أن تدرس كل الآراء الذاتية والمضادة دراسة واعية؛ لأنه لا تصادم أو تناقض بين العقل والدين، وفي مثل هذه الموضوعات لا ينفع القول بالمنزلة بين المنزلتين بمعنى أن يدرس الأمر لغاية علمية دون التأثير بالخلفيات الدينية، فمثل هذا الأساس كان ينبغي بأمثال نولدكه ودرمنغم وبلاشير وجولدتسيهر وغيرهم أن يكونوا كالمستشرق الألماني رايسكه الذي "رفض أن يكون دينه سبباً في كتم حقيقة آمن بها، وهي أن ظهور محمد ﷺ وانتصار دينه من أحداث التاريخ الإنساني التي لا يستطيع العقل الإنساني إنكارها، وأن فيها برهاناً على تدبير قوة إلهية قديرة"^(٤).

١ - بلاشير، القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، مرجع سابق، ص ١٢ .

٢ - الإسقاط هي العملية النفسية التي تخلع بها التصورات والרגائب، والعواطف على الآخرين، أو على موضوع من الموضوعات، وهذا ينطبق على الكنيسة والاستشراق والتبشير. الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، شوقي أبو خليل، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٥، ص ١٥

٣-Lawson , Todd , The origins of the koran classic Essayson Islanm's Holy Book .
edited by Ibn warraq , Amherst , Newyork , pormetheos books , pp ٤١١ , Journal of the
American oriental society ١٢٢,٣ (٢٠٠٢)

٤ - أبو خليل، شوقي، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، مرجع سابق، ص ٤٦.

الثاني: الباحث العلمي:

يوجد أناس من المستشرقين على قلتهم كان همهم كما يقول مصطفى السباعي: "دراسة علوم وحضارات الأمم وثقافتهم ولغاتها بدافع حب الاطلاع، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وراثته؛ لأنهم لم يتعمدوا الدس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق، وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجماهرة الغالبة من المستشرقين"^(١).

وهؤلاء المدفوعون علمياً نحو الدراسات الاستشراقية القرآنية منها بشكل خاص مُيزوا في الظاهرة الاستشراقية بأمرين:

١. حُرِّموا من الامتيازات التي لقيها ضدهم من الفريق الأول، بل تعدى الأمر إلى أن يلاحقوا حتى في أوقاتهم وخير شاهد على ذلك ما حصل لرايسكه.

٢. لم يأخذوا حقهم فيما قد يسمى بالدعاية الاستشراقية من حيث إن نتائجهم العلمي لم يلق رواجاً في الساحة الغربية، ولولا أن قيض الله لها من يظهر كلمة الحق فيها لهلكت بفناء أصحابها.

ونحن بالنظر إلى المستشرقين الذين درسوا الوحي بدافع علمي أمام ثلاثة أصناف:

الأول: "طائفة آمنّت بالوحي، وأيقنت بحقيته وحقيقته، وأعلنت ذلك وجهرت به.

الثاني: فرقة أقرت بصحته وصدق النبي ﷺ غير أنها أسرت موقفها في نفسها، فلا يُدرى أبقيت على حالها، أم اتبعت الحق الذي جاء به الوحي، ولكنها آثرت السكوت؛ إيثاراً للسلامة"^(٢).

الثالث: أناس درسوا الوحي، واحترموا مضمونه، وأثنوا على رسول الله ﷺ واكتفوا بحمل الأمر على أنه ليس أكثر من إصلاح اجتماعي دون أن يجعلوا ذلك وحياً إلهياً، ومنهجاً ربانياً.

فمن الطائفة الأولى (آيتين دينيه) حيث يقول: "من هذه السماء الدنيا نزلت أولى الآيات الكريمة على محمد، كما نزلت التعاليم العامة للدين الإسلامي، وتوالى الوحي طوال ثلاث وعشرين سنة مرشداً

١ - السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون، مرجع سابق، ص ٢٠.

٢ - ينظر، شلبي، رؤوف، الوحي الإلهي وأهميته في الحضارة الإنسانية، ط١، مطبعة حسان، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٢٠٠.

وهادياً، وموجهاً للرسول في كل أعماله، توالى الوحي مثبتاً لقواعد الدين، ومبيناً لقوانينه، وموضحاً طريق انتصار الإسلام.

ثم يتحدث عن قصة نزول الوحي في غار حراء؛ لتقته في فائدته للقارئ الأوروبي، فيقول عن جبريل عليه السلام: "وهو عينه الذي ظهر للنبي دانيال ولمريم عليها السلام، وهو يختلف عما تصور الكنيسة؛ فهو الروح أو الناموس وكان يأتي بصور متعددة، ثم يقول: "أما الوحي وهذا الملك، وهو الوسيط الرمزي له وإنما هو التجلي الإلهي، ويجب أن نعتبره أسمى درجة تصل إليها تلك القوة الخفية التي نسميها بالإلهام، وهي بالبداية خارجة عن محيط الفرد؛ لأنها مستقلة عن إرادته تمام الاستقلال"^(١)

لقد كانت النتائج التي توصل إليها دينيه منسجمة تماماً مع فلسفة الوحي في القرآن الكريم من حيث مصدرينه وحقيقته في أنه مستقل عن ذات النبي، وأن جبريل ليس إلا ناقلاً له، وأما الرسول ﷺ فهو المتلقي والمبلغ كما تلقاه .

هذه عصارة دراسات الرجل في الوحي ولم يرض أن يجعلها حبيسة نفسه، بل وجهها للغربيين؛ لعله يعلمها وهي الصورة غير الحقيقية المكونة في أذهان هذه الأمة خاصة الطبقة المتقفة منهم عن الوحي القرآني من تراكم عبر العصور بفعل دعاية الكنيسة، وآلة الإعلام وبدعم السياسة؛ لتيقنهم أن هذا الوحي هو وحده الذي يكشف الزيغ والضلال، فيحاولون طمسه.

ومن الفرقة الثانية رودولف دوتراك القائل: "ومما لا ريب فيه أن محمداً (ﷺ) نبي العرب كان يتحدث إلى الناس عن وحي السماء؛ لأنه أتى إلى العالم بدعوة من ورائها المعجزات والآيات، وهي أعظم شاهد على مدّعاها، ولا يجوز لنا أن نفند آراءه بعد أن كانت آيات الصدق بادية عليها، فهو نبي حقاً، وأولى به أن يتبع"^(٢).

١ - دينيه، آيتين، محمد رسول الله، ترجمة عبدالحليم محمود، ومحمود عبدالحليم، دط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩٠، ص ١١٢.

٢ - محمد أمين، الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، ط١، دار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٤٠٣.

وأما الآخرون فربما تأثروا بالموقف الكنسي الذي نظر في أحسن الحالات لرسول الله ﷺ على أنه مصلح اجتماعي ودينه كذلك، ولم تعط القرآن صفة الوحي كالتوراة والإنجيل^(١).

ومن هؤلاء المستشرق وايل حيث يقول: "إن محمداً (ﷺ) يستحق كل إعجابنا وتقديرنا كمصلح عظيم، بل ويستحق أن يطلق عليه لقب النبي، وألا يُصغى إلى أقوال المغرضين، وآراء المتعصبين، فإن محمداً (ﷺ) عظيم في دينه، وفي شخصيته، وكل من يتحامل على محمد (ﷺ) فقد جهله، وغمط حقه"^(٢).

ولئن كان التعدد ظاهرة مميزة في المدارس الاستشراقية، وكانت الاختلافات في نتائج الدراسات حول القرآن الكريم شكلية، ليست جوهرية، فإننا نلاحظ تعدد طوائف المستشرقين أيضاً الذين يدرسون الوحي القرآني، غير أننا لا نستطيع أن نضعهم كلهم في طائفة وادة، بل إن منهم من يدرس الوحي فيخبت له قلبه، ويذعن للحق، ويجهر بإيمانه، ومثل هؤلاء كانوا قلة من بين المستشرقين، وبين أناس أصروا أن ينظروا إلى الوحي نظرة مسبقة بدافع ديني؛ لمحاولة تأكيد أن هذا الوحي ليس كالوحي الذي نزل على موسى وعيسى عليهما السلام، وأخرى أثبتت على النبي ﷺ وأنصفته غير أنه لم يعرف عنها الإيمان بما نزل عليه من وحي، أم أن الأمر كان إقراراً بنتائج الدراسة العلمية النزيهة فقط.

^١ - بوكاي، موريس، دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ط١، دار المعارف، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٢٢ .

^٢ - الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، مرجع سابق، ص ٤٠٧ .

المطلب الثالث

مسالك المستشرقين في الطعن بالوحي القرآني

المشكلة والمشابهة هي أقل ما يمكن قوله بين ما كان يقوله المشركون عن الوحي، وما ادعاه المستشرقون في الموضوع نفسه.

ولكن اللافت للنظر هو أن المستشرقين سلكوا في الأمر مسالك شتى، فهم:

١. وسعوا دائرة الادعاءات:

فإن كان المشركون قد زعموا أن الرسول ﷺ استقى مادة الوحي من أعجمي كما قال تعالى عنهم: "وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ" (النحل: ١٠٣)، فإن المستشرقين لم يقصروا الأمر عند هذا الحد، بل زعموا إلى حد أن "العوام من الناس"^(١)، وليس الأخبار والرهبان هم أساتذته في الوحي القرآني، وكرة يقولون إن بحيرا الراهب هو الذي علمه القرآن، وأنه أخذ منه أثناء رحلاته التجارية.

ويدعي المشركون أن مادة القرآن الموحى بها ما هي إلا أساطير الأولين، فيأتي من يزعم أن رسول الله ﷺ قد قرأ كتاباً اسمه أساطير الأولين ضارباً بذلك عرض الحائط بأمية الرسول عليه الصلاة والسلام، ومدلاً أن هذا الكتاب هو أساس الوحي"^(٢)

٢. أنهم صاغوا الادعاءات بقوالب لغوية جديدة:

"فقد اتهم المشركون رسول الله ﷺ بالجنون فيما يدعيه من تنزل الوحي عليه، وأما المستشرقون فقد عبروا حسب مفاهيمهم بـ (الوحي النفسي والرؤى والخيالات)، وأولئك عبروا وفق مفاهيمهم أيضاً بالجن والشياطين، وقد أخبر الله ﷻ عن ادعائهم هذا"^(٣)، فقال: "وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتِطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ (٢١٢)" (الشعراء: الآيات ٢١٠-٢١٢)

١ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٦

٢ - انظر، المصدر السابق، ج ١، ص ١٥-١٦.

٣ - حسن عتر، وحي الله، حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، مرجع سابق، ص ٢٢٠، بتصرف.

٣. الاحتجاج بمناهج البحث المستخدمة عندهم مع التعليل بـ:

أ. يطبقون هذه المناهج على كتبهم المقدسة، ولكنهم يميزون في أنهم ينظرون للقرآن الكريم أثناء تطبيق هذه المناهج على أنه نتاج إنساني بخلاف كتبهم التي لها نظرة مقدسة خاصة.

ب. يقولون: نحن نقيم الأدلة على أقوالنا من مراجع المسلمين وبالذات القرآن والسنة، ثم يستخدمون أساليبهم في تأويل الآيات المتعلقة بالوحي للاستدلال على مذاهبهم.

ج. يقولون: نحن نقيم الأدلة على ما نذهب إليه من النظريات العلمية فنولدكه كما سيأتي^(١) يستدل بالفيزياء الحديثة على قضية مرض الصرع الذي زعم أنه كان يصيب الرسول ﷺ أثناء نزول الوحي عليه.

ويلاحظ أيضاً أن بين الفريقين مشابهة أخرى من زاوية ثانية تتعلق بموضوع الوحي بصورة مباشرة، وهي (الشخصنة) ويقصد بذلك أن الفريقين لم ينظرا للأمر على أنه وحي تنزل على نبي له معجزاته الدالة على صدقه، بل يفصح القرآن عن اعتراض المشركين أن يكون هذا الشخص هو المقصود بتنزل الوحي.

يقول الله تعالى: "وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ" (الزخرف: ٣١)

وأما المستشرقون وفي مقدمتهم نولدكه فإنه يصور رسول الله ﷺ متحاملاً في القرآن على اليهود بالذات، ورجلاً ليس له هم إلا النساء حتى في أعظم أيام الحج^(٢)

بعد هذه المشاكلة الإجمالية بين فريق أفضى إلى ما قدم، وفريق ما زال حضوره بآثاره الماضية، وتلامذته يمكننا جعل مسالك المستشرقين في دراسة الوحي في محورين:

الأول: من جهة الموحى به.

الثاني: من جهة الموحى إليه.

^١ - في نقد آراء نولدكه في الوحي النفسي

^٢ - انظر تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٦٣.

فأما من حيث المحور الأول، فإن جمهور المستشرقين في الأعم الأغلب تجمعهم غاية واحدة، ويوحدتهم هدف يلتقون عليه، وهو إنكارهم أن يكون القرآن وحياً إلهياً منزلاً من عند الله تعالى على محمد ﷺ.

فالمهدف متعلق بمصدرية القرآن (الذي هو أساس مادة الوحي ومضمونه)، وللاستدلال على ذلك فقد سلخوا مسالك شتى^(١):

١. فقالوا: لو كان القرآن وحياً إلهياً لما حصل فيه التناقض، وذكروا النسخ كمثل على ذلك.
٢. وقالوا: القرآن إبداع ذاتي من محمد (ﷺ) لما تحلى به من عبقرية وذكاء في استخدام الكلام شعراً ونثراً، وقسم ادعى أن محمداً ﷺ ألف القرآن بمعونة تلقاها من الأحبار والرهبان، وبما قرأه من كتب أهل الكتاب، أو كتب غيرهم كأساطير الأولين.

١ - زعمت دائرة المعارف الإسلامية على لسان نولدكه نفسه أن المفسرين المتأخرين كان همهم التخلص من المتناقضات الواردة في القرآن، والتي تصور لنا تدرج محمد (ﷺ) في نبوته، إما بما عمدوا إليه من التوفيق فيما بينها، وإما بالاعتراف بأن الآيات المتأخرة تنسخ ما قبلها، وذلك في الآيات التي يشتد فيها التناقض^١ انظر، دائرة المعارف الإسلامية، أصدرها بالعربية أحمد الشناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، طبعة دار الفكر، القاهرة، ١٩٣٣، ج ٢، ص ٢٧٣، وسبب هذا الإدعاء راجع إلى أن نولدكه وأمثاله من المستشرقين لم يدركوا أو يعوا حقيقة النسخ في الإسلام وأن الحكم الجديد إنما رفع الحكم المنسوخ وألغى العمل به تدرجاً في تربية المؤمنين، وتسهيلاً عليهم، ورفماً للحرج عنهم.

وأما الإدعاء بأن القرآن إنما كان لعبقرية النبي ﷺ فإنه لا يختلف اثنان على أن النبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، وهو أفصح الخلق، ولكن القرآن تحدى الناس بأن يأتوا بمثل القرآن كونه نزل بالحروف التي بها ينطقون، وبها يكتبون، فأفروا بالعجز وظهر أن القرآن هو كلام الله تعالى، وأن النبي ﷺ إنما يوحى به إليه، ثم يبلغه للناس.

وأما الإدعاء بأنه قد تلقى القرآن من الأحبار والرهبان فهذا ما سيأتي الرد عليه في الفصل الثاني من هذه الرسالة- إن شاء الله تعالى-، وفيه أن نولدكه نفسه رفض الاعتراف بأن بحيرا أو غيره من الرهبان قد علموا النبي ﷺ شيئاً من القرآن، ثم رفضه لما ادعاه بعض المستشرقين من أن النبي ﷺ قد قرأ كتاباً اسمه أساطير الأولين.

وأما ردّ الوحي إلى الوحي النفسي فهذا ما ستناقشه الرسالة في الفصل الثاني أيضاً، فشبّهة الوحي النفسي ردها المستشرقون ومنهم نولدكه لتصوير الوحي على أنه رؤى وخيالات، وشخصية النبي ﷺ عند حصول ظاهرة الوحي، وما أخبر به القرآن يدفع هذا كله.

وأما الزعم بوقوع تحريف في القرآن الكريم، والإدعاء بأن في المصحف الذي بين أيدينا لم يتضمن نصوصاً أوحى بها إلى النبي محمد ﷺ فهذا ما ستناقشه الرسالة في الفصل الثالث، وما ادعوه من أحاديث هي غير متواترة، وجاءت من طرق كلها طرق آحاد، وكثير منها رويت بأسانيد واهية، وأسيء فهمها.

٣. قالوا: الوحي المحمدي مسألة نفسية، وتجربة ذاتية لمحمد (ﷺ) في فترة سيطرت عليه نفسه كثيراً لدرجة الاضطراب، فأصابته الأوهام حتى خيل إليه أنه نبي يوحى إليه.
٤. لو كان هذا الوحي القرآني إلهي المصدر لما حصل فيه التحريف، ولما وقع فيه الحذف والإضافة من محمد (ﷺ) نفسه، أو من أصحابه من بعده.
٥. نفي أن يكون القرآن معجزاً، فواحد مثل مسيلمة الكذاب استطاع - على حد زعم نولدكه - أن يأتي بما يضاهي القرآن ويمائته غير أن تفوق المسلمين ونفوذهم حال دون ظهوره^(١)

ولأجل ذلك خصَّ الغربيون التوراة والإنجيل بالقدسية دون القرآن تبعاً لتلك النظرة، "ولو أخلص هؤلاء ما فعلوا ذلك؛ لأن هذا جانب للمنطق السليم، فإما أن يساواوا الكل بها، أو لا، إذ الادعاء بأن القرآن قد وضع لأغراض دينية وسياسية بخلاف التوراة والإنجيل فاسد بحكم العقل ووقائع الأمور؛ لإستحالة أن يلتمس المسلمون حجتهم من كتب اليهود والنصارى من بعد أن دانت لهم أمم الأرض، ودخل الناس في دين الله أفواجا"^(٢).

وأما من حيث المحور الثاني وهو (الموحى إليه) فالمقصود هو النبي محمد ﷺ، فقد كان هدف المستشرقين إنكار نبوته، والتشكيك في صحة رسالته، وصدق دعوته.

يقول جولدتسيهر: "وفي خلال النصف الأول من حياته اضطرت مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكاراً أخذ يجترها في قرارة نفسه، وهو منطو في تأملاته أثناء عزله، ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة، والتي يلمح فيها أثر حالته المرضية، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين"^(٣).

^١ - يقول نولدكه عن أقوال مسيلمة: "وهي مع أنها لا تتعدى كونها شذرات فقط، تطلعنا على الأفكار الدينية التي نشرها هذا الرجل، ولكونه - يقصد الإسلام - ديناً وعى قوته وأراد أن يجذب إليه العالم؛ لأنه الدين الحق الأفضل، أعلن الإسلام الفتي الذي كان يجاهد من أجل بقائه أن كل هذه الحركات - يقصد حركات مسيلمة وطلحة الأسدي، وسجاح وغيرهم - خداع الشيطان وعمله، وقد منحه النجاح الحق في ذلك، لكننا إذا ما تأملنا الأمر من زاوية أخرى بدا لنا هذا الحكم خاطئاً وغير عادل، فتعاليم مسيلمة وتعاليم محمد متشابهة إلى حد كبير" تاريخ القرآن، ج ١، ص ٥١.

^٢ - هيكل، محمد، حياة محمد، ط ١٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٣٠-٣١، باختصار.

^٣ - جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد موسى وآخرين، د.ط، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٤١، ص ٧.

وآخرون يرون أن رسول الله ﷺ كان يسعى قصداً للنبوّة، وأنه خطط لها على مدار سنوات عديدة، وأن ادعاء تنزل الوحي عليه كالأنبياء السابقين كان طريقه لتحقيق هذا الغرض.

والمستشرق غوستاف لوبون واحد من أولئك، إذ يقول: "ولم يخبرنا التاريخ عن سيرة محمد في السنين الخمس عشرة التي انقضت بعد زواجه بخديجة، ونفترض وإن لم يقدّم دليل على ذلك أنه كان يفكر في أثنائها في مبادئ دينه الذي سيكون زعيمه؟، ولم يبد منه في تلك السنين أي نفور من عبادات العرب مع ذلك، كما أنه لم يقع فيها ما يدل على تفكيره في قلب تلك العبادات رأساً على عقب...، وبينما كان تائهاً في الجبل إذ سمع جبريل يقرع أذنيه بقوله (اقرأ)، وأخبر محمد زوجه خديجة بأن ما سمعه كلام إلهي، وبأنه يشعر في نفسه بقوة نبوية^(١).

فالنبي ﷺ في زعمهم هو أحد ثلاثة:

١. إمّا مبتلى بمرض خيل له أنه يوحى إليه (وحاشاه ﷺ)
٢. وإمّا مُدْعٍ لأمر هو ليس له، وإنما قصده قصداً (وحاشاه ﷺ)
٣. وإمّا ناكراً أن الوحي الذي يزعمه مسروق من وحي الأنبياء الذين من قبله (وحاشاه ﷺ)

ولا يخلو الأمر من وجود بعض الدارسين الغربيين والمستشرقين الذين تظهر سلامة نيتهم في دراسة الوحي القرآني الكريم، ولم يكن الدافع لذلك إلا العلم المتحرر من كل هوى ديني، أو إرث تاريخي، ماضي أو حاضر، فالمقصد عندهم هو معرفة الحقيقة التي يكتفها هذا الوحي، ويدعو لها.

فهذا موريس بوكاي أراد أن يعرف أي الوحيين أحق بالاتباع من خلال التناظر مع ما هو مذكور من حقائق كونية، وظواهر طبيعية أهو النازل في القرآن، أم المدعى ربانيته في العهدين القديم والجديد.

واشترط على نفسه دراسة القرآن دون أدنى فكر مسبق، وبموضوعية تامة حتى يستطيع أن يحدد درجة الإلتقان بين القرآن ومعطيات العلم الحديث، ثم جزم بأن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث .

^١ - لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، د.ط.، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٩٦٩، ص ١٠٣ .

وبمثل المنهجية قام بفحص العهدين، ثم قال: "أمّا بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول أي سفر التكوين...، وأما بالنسبة للأناجيل فما تكاد نفتح الصفحة الأولى منها حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة في مواجهة مشكلة خطيرة، ونعني بها شجرة أنساب المسيح^(١).

ومن خلال منظور العلم الذي لا يحابي في منهجه البحثي، والمنطق الصارم المتجرد، أكد بوكاي أن الكتاب الوحيد الذي يستحق أن ينسب إلى السماء، ولم تصل إليه يد التحريف هو القرآن الكريم.

^١ - بوكاي، موريس، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، مرجع سابق، ص ١٣.

المبحث الثاني

عناية الاستشراق الألماني بالدراسات القرآنية

المطلب الأول

نشأة الاستشراق الألماني وأشهر مستشرقيه

مرَّ الاستشراق الألماني في عدة محطات تاريخية ميزت مسيرته العلمية على الرغم من أن بعض الدراسات ترجح اتصال ألمانيا بالشرق في القرن الثاني عشر الميلادي إبان الحملة الصليبية الثانية، واتصال بعض الرهبان الألمان بالأندلس على شاكلة رهبان الدول الغربية الأخرى لتولي مهمة الترجمة عن العربية إلى اللغة اللاتينية^(١)

ويرى بعض الباحثين إلى أن العلاقة بين ألمانيا والشرق لم تكن دائماً علاقة توتر وحرب كما حصل في الحملة الصليبية الثانية، بل وجد في التاريخ ما يدل على وقوع علاقات سياسية بين الطرفين في فترتين:

الأولى: في زمن هارون الرشيد حيث تبادل الهدايا والسفراء مع الإمبراطور شارلمان.

الثانية: في زمن الخليفة عبدالرحمن الناصر في الأندلس حيث أرسل أوتوا الكبير إمبراطور ألمانيا آنذاك سفيراً إلى قرطبة، كما أرسل التاجر قساً من رعاياه كسفير له عنده^(٢).

ويبدو أن الوضع العلمي لألمانيا منذ ١٧٤٠م سمح للدراسات الاستشراقية بالازدهار، فقد شجع على ذلك عدة عوامل حتى "سميت ألمانيا بـ (ألمانيا الأدبية) وهذه العوامل هي:

١. نمو الطبقة البرجوازية ويقصد بها الطبقة الوسطى، والتي تشكلت نتيجة الرخاء الاقتصادي، والتربية القوية.

١ - العقيقي، نجيب، المستشرقون، مرجع سابق ج٢، ص ٣٤٠ - ٣٤١ بتصرف قليل.

٢ - جحاء، ميشال، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ص ١٨٥.

٢. اتضح النهوض الفكري عند الطبقة البرجوازية بنشر المجلات الأدبية والأخلاقية، وإصلاح الجامعات، وتأسيس بعضها كجامعة غوتنجن سنة ١٧٣٧م والتي انتشرت منها حرية الفكر والتوثيق (جمع الوثائق) فتشكل من هذا كله جمهور مثقف^(١).

ويُعَلَّل تأخر الدراسات الشرقية في ألمانيا إلى القرن الثامن عشر كما في سائر الدول الأوروبية بعدة أسباب منها:

١. أنها كانت بعيدة عن العالم العربي مقارنة بدول مثل اسبانيا وإيطاليا.

٢. لم تكن لها روابط استعمارية مع العالم العربي كفرنسا أو بريطانيا^(٢).

في القرن الثامن عشر الذي شهد ازدهاراً علمياً في ألمانيا بدأ الألمان بتعلم اللغات الشرقية في هولندا، ولما رجعوا إلى ألمانيا وعلموها في جامعاتهم أخرجوها من نطاق التوراة التي ضرب حولها رداً من الزمن إلى ميدان الثقافة العامة، وفي مطلع القرن التاسع عشر حلت فرنسا محل هولندا بفضل دي ساسي الذي قصده الألمان للتلمذ عليه، ومنهم فلايشر وإيفالد اللذان أصبحا مؤسسي الدراسات العربية في ألمانيا في جامعة ليبزيغ، والثاني في جامعة جوتنجن، وتخرج منها عليهما كبار المستشرقين^(٣).

"وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، والانقسام الذي حصل لألمانيا، ثم توحيدها مرة أخرى، حصل تطور في الدراسات الاستشراقية الألمانية حيث برزت التخصصية في الدراسات الاستشراقية، وحصلت زيادة ملحوظة في عدد الذين صاروا يقبلون على الاهتمام بالدراسات العربية والغسلامية، حتى يوجد في ألمانيا الآن حوالي ٢٥ جامعة تهتم بهذه الدراسات"^(٤)

وحدد للاستشراق الألماني مزايا عن أنواع الاستشراق الغربي الأخرى، وهي:

١ - حاطوم، نور الدين، حركة القومية الألمانية، د.ط، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجيلوي، ١٩٧١، ص ٩.

٢ - جحا، ميشال، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ص ١٨٦

٣ - العقبلي، نجيب، المستشرقون، مرجع سابق، ص ٣٤٠ - ص ٣٤١

٤ - جحا، ميشال، الاستشراق الألماني في القرن العشرين، مجلة الاجتهاد، السنة ٢٠٠١م، العددان (٥٠-٥١)، ص ٢٥٩ - ص ٢٦٠ باختصار

١. لم يخضع لغايات سياسية أو استعمارية أو دينية كالاستشراق في بلدان أوروبية أخرى، فألمانيا لم يتح لها أن تستعمر البلاد العربية والإسلامية، ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق؛ لذلك لم تؤثر هذه الأهداف في دراسات المستشرقين الألمان فظلت محافظة على الأغلب على التجرد والروح العلمية^(١).

وينقضُ هذا ما أثر عن أحد المستشرقين الألمان وهو أولريش هارمان حيث يذكر أن الدراسات الألمانية حول العالم الإسلامي قبل ١٩١٩م كانت أقل براءة وصفاء نية، فقد كان هنريش بيكر - وهو أحد مستشرقهم - منغمساً في النشاطات السياسية حتى أصبح في عام ١٩١٤ شديد الحماس لمخطط استخدام الإسلام في أفريقيا والهند كدرع سياسية في وجه البريطانيين^(٢).

٢. ومن مزايا المدرسة المانية أيضاً أن استشراقها لم يكن يتصف بروح عدائية، وإن وجدت مثل آراء نولدكه فهي معدودة، فلا يعرف مستشرقون جعلوا دينهم عداً للعرب والإسلام، وتعمدوا الدس والتشويه في دراساتهم، بل العكس فقد رافقت دراساتهم روح إعجاب وتقدير وحب وإنصاف^(٣).

٣. هي من أكثر المدارس نشاطاً وإنتاجاً سواء من الدراسات ونسخ المخطوطات، أو إصدار المجالات والدوريات المتخصصة، ولها دور نشر خاصة ليس بألمانيا فقط بل في أقطار عربية مثل بيروت، ثم وجود جمعية خاصة تنظم شؤونهم وأعمالهم^(٤).

٤. أحد الباحثين في شؤون الاستشراق الألماني يستخدم مرة كلمة الاستعراب^(٥)، وأخرى الاستغراب، وقد علل ذلك أنه منذ صدور كتاب ادوارد سعيد (الاستشراق والاستعمار) تضاعف مصطلح الاستشراق في ألمانيا، فالمصطلح المستعمل اليوم هو الاستعراب^(٦)، معناه طلب العرب، والفرق واضح بين المصطلحين.

١ - المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٩٨٢، ص٧.

٢ - بارت، رودى، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧، ص٣١-٣٢.

٣ - المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان، ص٧.

٤ - كتورة، جورج، صورة الاستشراق الألماني (لمحة عما صدر في آخر سنتين في بعض مجلاته المتخصصة)، مجلة الفكر العربي، العدد ٢، ص ٣٣٧.

٥ - انظر، ميشال جحا، الدراسات العربية الإسلامية في أوروبا، ص ١٨٦ - ١٨٧.

٦ - انظر، جحا، ميشال، الاستشراق الألماني في القرن العشرين، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

٥. يُنزه الاستشراق الألماني أن يكون نابعاً من أسباب وأهداف دينية تبشيرية قوية بحجة أنه لم يكن لها مثل هذه الأهداف في العالم العربي، أو أن الفرنسيين والإنجليز لم يتركوا له حرية العمل في هذا الحقل بالذات^(١).

ولعل صاحب هذه الميزة التي أرادها للاستشراق الألماني قد غفل أنه قبل صفحتين قد ذكر أن "الدافع في ألمانيا لمعرفة اللغة العربية كان في أول الأمر دافعاً دينياً، وهو ترجمة التوراة، وما تطلبه ذلك من معرفة للغة العربية، وهي إحدى اللغات السامية كاللغة العبرية، وكانوا يعتقدون أن معرفة اللغة العربية تساعد على فهم اللغة العبرية، وقد تزايد هذا الاهتمام في زمن لوثر الذي جاء بالمذهب البروتستانتي^(٢).

وإن كانت المدرسة الألمانية قد أنصفت بدراساتها الموضوعية حول الأدب والتاريخ واللغات والآثار، لكننا لا نستطيع أن نعمم حكماً أو وصفاً من خلال جهة معينة من المؤلفات والتصانيف التي عني الاستشراق الألماني بها على الدراسات في الأديان خاصة.

وكثيرون هم المستشرقون الألمان الذين أسهموا في الاستشراق الغربي عموماً، والألماني خصوصاً، وتنوعت دراساتهم على غرار المستشرقين في المدارس الأوروبية الأخرى، فظهرت لهم دراسات في الإسلام، والقرآن الكريم، واللغات، وأديان الشرق، وغير ذلك.

ومن أبرز هؤلاء المستشرقين الألمان، وأشهرهم:

١. رايسكه (١٧١٦ - ١٧٧٤): هو أول مستشرق ألماني جدير بالذكر في عصر مشغول عن العربية بالتوراة، بدأ بتعلم العربية دون معلم، ثم تبحر فيها على سخولنتس، ثم توجه نحو دراسة الشعر العربي، وبعد ذلك تحول إلى الطب حيث حصل على الدكتوراه فيه، ثم عاد لتدريس العربية لبعض مرديه^(٣).

٢. فلايشر (١٨٠١ - ١٨٨٨): تخرج في جامعة ليبزيغ حيث درس فيها اللاهوت، واتصل بالمستشرق الفرنسي دي ساسي، والتحق بمدرسته في فرنسا، وهناك اتصل بالبعثة العلمية التي أرسلها محمد علي إلى باريس، واتصل بأدباء لبنان، ثم عين أستاذاً للغات الشرقية في جامعة درسدن

^١ - انظر، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، مرجع سابق، ص ١٨٧.

^٢ - المصدر السابق، ص ١٨٥.

^٣ - العقيقي، المستشرقون، ج ٢، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

عام ١٨٢٦م، وأسس الجمعية الشرقية الألمانية التي أصدرت مجلة باسمها (Zdmg)، والتي نشرت كثيراً من الكتب العربية المشهورة، ثم تحول لجامعة ليبريج حيث تولى كرسي العربية. من كتبه ترجمة تفسير القرآن للبيضاوي^(١).

٣. إيفالد (١٨٠٣ - ١٨٧٥): بدأ دراساته الشرقية في ألمانيا، ثم قصد دي ساسي مع فلايشر فأخذها عنه، وتخرجاً بالعربية عليه، وسمي إيفالد أستاذاً لها في جوتنجن، واشتهر باللاهوت البروتستانتي^(٢).

٤. سيمون فايل (١٨٠٨ - ١٨٨٩): درس العربية في باريس، ومنها تحول إلى الجزائر ومنها إلى مصر حيث عمل مدرساً وقديساً لمدة خمس سنوات، وأخذ العربية عن بعض شيوخها وأساتذتها آنذاك، عمل في جامعة برلين من آثاره (التوراة في القرآن، (النبي محمد) من ثلاثة مجلدات، أحرز أوسمة رفيعة وشرف عضوية العديد من المجامع اللغوية^(٣).

٥. فللهاوزن (١٨٤٤ - ١٩١٨): بدأ دراسة اللاهوت لنقد التوراة، ثم تخرج باللغات الشرقية على إيفالد في جوتنجن من آثاره: تاريخ اليهود، ومحمد في المدينة^(٤).

٦. بيكر كارل هنريخ (١٨٦٧ - ١٩٣٣): مولده في هولندا، عين أستاذاً في هامبورج وبون، واشتهر بتضلعه من التاريخ الإسلامي، ودراسته عن أثر العوامل الاقتصادية، والتفاصيل التاريخية، والعناصر الإغريقية والنصرانية والحضارة الإسلامية، وهو الذي أنشأ مجلة الإسلام، وأصبح وزيراً للمعارف عام ١٩٢١، ثم أستاذاً فخرياً في جامعة برلين، ومن آثاره: قواعد لغة القرآن في دراسات نولدكه^(٥).

٧. كارل بروكلمان (١٨٦٨ - ١٩٥٦): ولد في روستوك بألمانيا، وتخرج باللغات السامية على أعلام المستشرقين ومنهم نولدكه، ونبغ في العربية قراءة وكتابة وفي التاريخ الإسلامي، وتاريخ الآداب العربي حتى عدّ إماماً من أئمتها، وعين أستاذاً في جامعات عديدة، وعضواً في المجامع

١ - العقيلي، المستشرقون، ج٢، ص ٣٦٢ - ٣٦٣.

٢ - المصدر السابق، ج٢، ص ٣٦٤.

٣ - المصدر السابق، ج٢، ص ٣٦٦.

٤ - المصدر السابق، ج٢، ص ٣٨٦ - ٣٨٧.

٥ - المصدر السابق، ج٢، ص ٤١٨ - ٤١٩.

اللغوية، كانت رسالته في الدكتوراه حول العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، وبين كتاب أخبار الرسل والملوك للطبري، واشتهر بكتابه تاريخ الأدب العربي^(١).

٨. إينوليتمان (١٨٧٥-١٩٥٨): أستاذ اللغات الشرقية في توبنجن، وفي الجامعة المصرية عند إنشائها، ثم في جامعات ألمانيا والولايات المتحدة،

شارك في تحرير دائرة المعارف الإسلامية، وفي مؤتمرات المستشرقين، وحلقات الدراسة الشرقية، تزيد آثاره عن ٥٥٠ مصنف وكتاب ومترجم، وبين تراجم وفهارس ودراسات تناولت علاقة الشرق بالغرب، وتراجم المستشرقين، والتعليق على منشوراتهم، وغير ذلك^(٢).

٩. برجستراسر: (١٨٨٦-١٩٣٣): درس اللغات السامية بجامعة ليبزيغ (١٩٠٤)، ونال منها الدكتوراه، طوّف في تركيا، ودرس في جامعة الأستانة، ورحل إلى فلسطين ومصر، أنشأ للقرآن متحفاً في ميونيخ، نشر الجزء الثالث من تاريخ النص القرآني لنولدكه^(٣).

١٠. فوك (١٨٩٤-١٩٧٤): متخصص باللغة العربية وبالدراسات الإسلامية، درس في جامعات ألمانيا، كتابه (العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب) يعد من البحوث اللغوية التي ظهرت في ألمانيا، له عدة أبحاث تتناول الإسلام والقرآن والنبى محمد ﷺ وغير ذلك، وهو آخر المستشرقين الألمان الكبار الذين ولدوا قبل القرن العشرين^(٤).

إن استقراء الموسوعات التي عنيت بالتعريف بالمستشرقين الألمان تظهر الاستمرارية في العمل الاستشراقي في هذه المدرسة^(٥)، حيث تلحظ ظاهرة التنوع في الدراسات الاستشراقية عند كثير من المستشرقين الألمان، ثم ظاهرة البناء من المستشرقين اللاحقين على أعمال المستشرقين السابقين.

١ - العقيلي، المستشرقون، ج٢، ص ٤٢٤-٤٢٥.

٢ - المصدر السابق، ج٢، ص ٤٣٨.

٣ - المصدر السابق، ج٢، ص ٤٥٠-٤٥١.

٤ - جحا، ميشال، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، مرجع سابق، ص ٢١٣-٢١٤.

٥ - في موسوعة المستشرقين، وهي أضخم موسوعة ترجمت للمستشرقين نجد حوالي ٢٥٠ مستشرقاً ألمانياً ترجم المؤلف لهم.

المطلب الثاني

دراسات المستشرقين الألمان في الوحي

تعددت الدراسات الاستشراقية الألمانية لموضوع الوحي سواء أكان ذلك من حيث الحديث عن أصله أم مصدره ومضمونه، أم من حيث المقارنة بينه وبين كتب أهل الكتاب.

وباستقراء ما كتب المستشرقون الألمان حول القرآن وعلومه، فإننا لا نجد كتباً مباشرة تحمل عنوان الوحي، ولكنهم درجوا في أبحاثهم مسلك الغربيين الشكلي، وهو الحديث عن الوحي في المؤلفات التي تتحدث عن القرآن بشكل مقصود، أو عن سيرة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، أو الكتب التي أرخت للعرب والمسلمين.

وفيما يلي إلقاء الضوء على هذه المؤلفات:

١. أولاً: التي تحدثت عن القرآن^(١).

تحت تأثير منهج (التأثير والتأثر) لا يقتصر شاخنت على إنكار النبوة والوحي، بل يجعل مضمون الوحي القرآني فيما يخص الأحكام الشرعية مقتبساً من اليهود.

ففي كتابه (محمد والقرآن) يقول المستشرق الألماني شاخنت: "إن محمداً قد ظهر في مكة كمصلح ديني، وأنه أصبح بشدة على كفار مكة من أهل مكة، واعتبروه كمجرد كاهن، أو عراف آخر، وأنه بسبب قوة شخصيته قد دُعي إلى المدينة في عام ٦٢٢م كحكم في نزاع قبلي بين أهل المدينة، وأنه كالنبي قد أصبح قائداً ومشروعاً يحكم مجتمعاً جديداً على أساس ديني، وأن محمداً قد اقتبس من اليهود في المدينة كثيراً من الأحكام"^(٢).

^١ - من هذه الدراسات: ١. ياكوب بارت القرآن في مجلة الإسلام، ٢. القرآن لكوبيرت، ٣. يوهان فوك، القرآن، مجلة الآداب الشرقية، ٤. هورفيتش، القرآن، ٥. فلهاوزن (القرآن) المجلة الشرقية الألمانية ١٩١٣م، ٦. كاله (القرآن) صحيفة دراسات الشرق الأدبي (١٩٤٩م)، انظر موسوعة المستشرقين للعقيقي، ج٢، ص ٣٩٣، ص ٤٣٣، ص ٤٤١، ص ٤٥٣، ص ٤٦٣.

^٢ - جبريل، محمد السيد، مصدر القرآن الكريم في رأي المستشرقين، البحث ٣٤، ص ٤٨، ندوة مجمع الملك فهد القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية. (وقد بحثت عن كتاب شاخنت (محمد والقرآن) في المكتبات التي تيسر لي البحث فيها عنه فلم أجده)

وكتب أبراهام غايغر في كتابه (ماذا أخذ محمد من اليهودية) عن:

١. أراد، تمكن (يقصد النبي محمد ﷺ)، فكيف تمكن، فكيف سمح له أن يقتبس من الموسوية ؟
٢. اقتبس محمد عن الموسوية فماذا اقتبس؟
٣. ما يخص اليهودية وأفكارها المدرجة في السياق القرآني.
٤. القصص القرآني.
٥. موسى وعصره.
٦. الملوك الحاكمون لسائر بني إسرائيل^(١).

الموضوعات من (١-٤) تكشف عن الأهداف الحقيقية لصاحب الكتاب، وهي تنفيذ حقيقة الوحي، وإنكار أصالة القرآن الكريم وكونه إحياء ربانياً، وجعل الأمر يبدو وكأن الوحي القرآني صورة طبق الأصل عما في أيدي اليهود.

ومن كتب أيضاً - من المستشرقين الألمان - مؤلفات ترد الوحي القرآني إلى عناصر كتابية:

١. سيمون فايل في كتابه (التوراة في القرآن).
٢. بومستارك في كتابه (النصرانية واليهودية في القرآن).
٣. جراف في كتابه (النصرانية في نصوص إسلامية).
٤. أرينز في كتابه (عناصر نصرانية في القرآن).
٥. شبابير في كتابه (القصص الكتابي في القرآن)^(٢).

وحتى الكتب التي كان غرضها البحث في ترتيب القرآن لم تخرج عن هذه النظرة، فالمستشرق الألماني هيرشفيلد في كتابه ((بحوث جديدة في نظم القرآن وتفسيره)) حاول أن يثبت من خلال الأمثلة تأثر القرآن بالتوراة.

١ - العالم، عمر، الألمان والقرآن، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد ٤، ١٩٨٧م، ص١٩٨-١٩٩، باختصار.

٢ - انظر العقيلي، المستشرقون، مرجع سابق، ج ٢، ص٣٦٦، ص٤٣١، ص٤٣٨، ص٤٦٣، ص٤٦٦.

وقد ذكر هيرشفيلد أمثلة حاول إثبات أن النظم القرآني فيها منقول من التوراة من خلال مقابلة النصوص بعضها ببعض، "ومن ذلك ما فعله المستشرق هيرشفيلد بين آيات من سورة الرحمن، وجمل من سفر المزمور (١٣٦) من العهد القديم"^(١):

سورة الرحمن سفر المزمور (١٣٦) من العهد القديم^(٢)

الآية ٥ : " الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ "	٨: الشمس لحكم النهار لأن إلى الأبد رحمته
الآية ٦ : " وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ "	٩: القمر والكوكب لحكم الليل لأن إلى الأبد رحمته
الآية ٧ : " وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ "	٥: الصانع السماوات بفهم لأن إلى الأبد رحمته
الآية ١٠ : " وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ "	٦: الباسط الأرض على المياه لأن إلى الأبد رحمته

وعند تدقيق النظر في مقابلة النصوص لبعضها بعضاً يتضح مدى التسرع في الحكم، وأنه جاء بناء على أفكار مسبقة، وتأثراً بالدوافع الدينية.

الشمس والقمر جاءا في آية واحدة دلت على أنهما محكومتان بنظام دقيق في حركتهما، بينما في سفر المزمور جاء كل واحد منهما في جملة ولم تزد الواحدة منهما على ذكر الوقت الذي يظهر فيه النجمان، وهذا من البدهيات التي لا يعنر أحد بجعلها.

^١ - بدوي، عبدالرحمن، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ترجمة كمال جادالله، ط١، دار العالمية للكتاب والنشر، القاهرة، دت، ص٢٥، وفي هذا المثال الذي زعم به هيرشفيلد أن هذه الآيات مقتبسة من القرآن يلاحظ أن الفقرتين من سفر المزمور التي ادعى منهما الاقتباس تكررت فيهما عبارة (لأن إلى الأبد رحمته)، ونحن لعدم وجود كتاب هيرشفيلد لا نعرف إذا كان أيضاً قد ادعى بأن جملة " فبأي آلاء ربكما تكذبان" قد اقتبست من هذه الجملة التوراتية، والأستاذ عبدالرحمن بدوي لم يتطرق لهذا في المثال الذي ذكره عن هيرشفيلد في دعوى الاقتباس. وإذا افترضنا أنه ادعى ذلك فإن في تكرارها تجديداً لذكر النعم في هذه السورة، واقتضاء الشكر عليها، ونعمته تعالى فيما أنذر به ليجتنب، فهي بإزاء نعمه على ما وعد من ثوابه ليطاع، فالوعد والوعيد وإن تقابلا في ذواتهما، فإنهما متوازيان في موضع النعم بالتوفيق على ما أمرهما، والإبانة عن عواقب مصيرهم" الخطابي، حمد بن محمد (٣٨٨هـ-)، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م ص٥٣-٤٥ بتصرف قليل

^٢ - الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر المزمور، الإصحاح ١٣٦، الفقرتان ٥ و٨.

"القرآن يؤكد أن الأعشاب والأشجار تسجد لله عز وجل، وهذه فكرة غائبة^(١) بالكلية عن المزمور، وهو أيضاً يتحدث عن الحكمة التي بها خلق الله السماوات، ولكن القرآن لا يتحدث إلا عن فعل الله في رفع السماء من خلال الآية رقم (٩)، ويؤكد القرآن أن الله وضع الأرض لصالح الإنسانية جمعاء، بينما تتحدث الآية (٦) في المزمور فقط عن ظاهرة جغرافية بسيطة وهي أن الأرض تتمدد فوق المياه"^(٢)

لقد أراد هيرشفيلد إثبات وجود جمل متشابهات بين نصوص قرآنية، وأخرى توراتية؛ ليثبت نظريته، وأنى له ذلك، فحاله حال من قبله إذ يتلقون كل كلمة تشابهت حروفها في القرآن وفي التوراة للقول للدعاء أن النبي ﷺ اقتبى مضمون القرآن الكريم من التوراة.

ثانياً: الكتب التي تحدثت عن السيرة النبوية.

تحت تأثير الأيديولوجيا، والأفكار المسبقة يدعي المستشرق هوبرت جريم في كتابه (محمد) أن الإسلام ليس ديناً سماوياً، بل هو حركة إصلاحية اجتماعية هدفها تغيير الأوضاع السائدة آنذاك؛ لإزالة الفروق الصارخة بين طبقتي الأغنياء الفقراء، ومن أجل ذلك تم فرض الزكاة كضريبة لتحقيق ذلك، والتركيز على فكرة الحساب للضغط المعنوي، واصفاً هذه الحركة بأنها نوع من الاشتراكية^(٣)

لم يقصد جريم بقوله (حركة إصلاحية) إلا نفي أن يكون الإسلام ديناً موحي به من السماء، وما دام هو محاولة للإصلاح الاجتماعي، فهو بالتالي تجربة بشرية خالصة ليس للوحي الإلهي أثر في ذلك كله.

يقول رودى بارت عن هذا الحكم: "تحدث جريمه عن حياة النبي العربي وعمله، ولكن حكمه كان خاطئاً فقد اعتبر محمداً مصلحاً اشتراكياً أولاً، وقبل كل شيء آخر"^(٤)

١ - لعل لفظ النجم جعل هيرشفيلد يحمله على الكوكب المضيء في حين أن بعض المفسرين يحمله على كل نبات انبسط على وجه الأرض ، انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٤، ص ٢٧٤.

٢ - بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، مرجع سابق، ص٢٥.

٣ - انظر، كوثر، صدر الدين، مصادر القرآن الكريم عند المستشرقين، ندوة مجمع الملك فهد (القرآن الكريم فسي الدراسات الاستشراقية)، البحث ٣٦، ص٣٠.

٤ - بارت، رودى، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، مرجع سابق ص ٣٩.

وأما جوستاف فايل ففي كتابه (النبي محمد حياته وتعاليمه) زعم أن ما كان ينتاب الرسول ﷺ مما يشبه الحمى، وما كان يسمعه من صوت كصلصلة الجرس ليس وحيًا، وإنما هو نوبات صرع، واضطرابات عصبية^(١)، وقوله هذا اعتمده نولدكه كما سيأتي في محله من الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

"وأما شبرنجر ففي موسوعته حول السيرة النبوية في كتابه (حياة محمد وتعاليمه حسب مصادر لم تستخدم غالبيتها إلى الآن)، وقد ظهر كتابه هذا من ثلاثة مجلدات من عام ١٨٦١-١٨٦٥ في برلين وظهر الجزء الأول منه في (الله أباد) في الهند"^(٢)

فقد زعم أن الأحوال التي كانت تحصل للنبي ﷺ عند نزول الوحي شواهد على الصرع والهستيريا، " وقد تعرض بسبب مزاعمه هذه إلى نقد شديد من بعض المستشرقين، فـ (موير) يرى أن الرجل مؤطر بحب المفارقة، والميل إلى الاستهلال بالنظريات المشيدة على أرضيات هشة، ويلاحظ هيرشفيلد أنه يخطئ بكل تأكيد في أنه يعزو نصيباً كبيراً في نشأة الإسلام إلى حالة محمد ﷺ العصبية أكثر مما تستحقها، فالنوبة الهلوسية والهستيرية عامل غير قوي بما فيه الكفاية لإنتاج بالعموم جيشان كالذي سببه الإيمان الجديد، ويصف المستشرق الهولندي هورجرونيه عمله بأنه عرض مبالغ فيه ليقينية مؤسسة على دراساته الطبية السابقة"^(٣)

ومن الكتب الألمانية التي عنيت بموضوع الوحي كتاب (محمد حياته ودينه) للمستشرق تور أندريه حيث عقد فصلاً سماه (عقيدة محمد في الوحي) .

من خلال آية: "وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيرًا لِّلْكَافِرِينَ" (القصص: ٨٦)، حاول تور أندريه التذليل بها على أن النبي محمد عليه الصلاة والسلام قد مر بعدة مراحل سابقة حتى اختمرت فكرة أنه نبي يوحى إليه في عقله؛ ليعلم في اللحظة الحاسمة هذا الوحي.

١ - محمد، إدريس، آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي، ندوة مجمع الملك فهد، البحث ٣٠، ص ٤٦، نقلًا عن ريتشارد بل، ومونتجمري، واط، مدخل إلى القرآن، ص ١٧ وما بعدها، أدنبرة، ١٩٧٧.

٢ - بارت، رودى، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، مرجع سابق، ص ٢٢

٣ - جفري، آرثر، بحثًا عن محمد التاريخي، ترجمة مالك مسلماني، على شبكة الانترنت .

يقول تور أندريه: "ومن المحتمل جداً بأن الشكل الذي استخدمه محمد لتقديم وحيه النبوي تم تحديده مسبقاً بأفكاره، ولم لا أيضاً برغباته السرية التي بيّتها في عقله عبر سنوات من الترقب والانتظار، وكان الإيمان بالقيامة والعقوبة الأبدية الدافع الديني وراء ظهور محمد وتثبيت وحيه".

وإذا كان المستشرقون الألمان نوو الأصول اليهودية مثل غايغر وهيرشفيلد ونولدكه^(١) قد اعتمدوا الرأي القائل بالأصل اليهودي للوحي القرآني، فـ (تور أندريه) واحد من أولئك المسيحيين الإنجيليين الذين قالوا بالعكس أي بالمصدر المسيحي.

يقول: "كان لزهاد النصارى ورهبانهم الذين لمست مواعظهم الروحانية قلبه أثراً عميقاً بسبب تدريباتهم الصارمة المكرسة للعبادة".

ويضيف قائلاً: "ألا يمكن التصديق أن يكون محمد قد بلور فكرة الوحي بنفسه، أو أن يكون قد أخذها من الملل الدينية المتعددة التي سبقته، فالراجح أن يكون قد تعلم من النصرانية على وجه الخصوص بعد أن علم أن وحدتها دينية وليست وطنية"^(٢)

١ - لم يفصح نولدكه في كتابه (تاريخ القرآن) إذا كان أصله يهودياً أم لا، ولم تتطرق لذلك اللجنة التي ترجمت كتابه إلى العربية، غير أن كتابات الرجل عن الوحي بلغة أظهرت التعصب لليهود بشكل بارز يقوي الشك بأن أصوله تعود إلى اليهودية، ومن ذلك: أ- أنه قلل من احتمالية أن يكون للنصارى في الجزيرة العربية دور في الوحي القرآني، وشدد على دور اليهود في ذلك، فكان في الغالب يدعي اقتباس القرآن من العهد القديم تحديداً كما هو الحال في سورة الفاتحة، والتي أرجعها كلها إليه.

ب- اتهامه للنبي ﷺ بأنه كان متحاملاً على اليهود.

ج- إعجاب نولدكه باليهود فيصورهم بأنهم ذوي بأس، وأن النبي محمداً (ﷺ) كان يخشاهم في أول أمره. (انظر في ذلك ما كتبه في كتابه تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٥٢)

٢- TOR,ANDRE, Mohammed: The man and his faith ,Translated by Theopil Menzil ,Harper ,Torch books ,First Edition published ,١٩٦٣ ,(Mohammed's Doctrine of Revelation ,pages ٩٤-١١٣. (باختصار)

ثالثاً : كتب التاريخ .

تحدث كارل بروكلمان تحت عنوان (القرآن) في كتابه تاريخ الأدب العربي واصفاً حالة الوحي على أنها غيبوبة واستغراق، نتج عنها في المراحل الأولى من الدعوة التطبيع بطابع سجع الكهان، وبعد ذلك طالت الجمل، والتي خفت كثيراً متأثرة بالقصص من العهد القديم والهجادة^(١).

وفي كتابه الآخر تاريخ الشعوب الإسلامية ينظر بروكلمان إلى الوحي الإلهي الذي خص الله تعالى به محمداً ﷺ نظرة تجعله تجربة ذاتية حيث انصرف محمد (ﷺ) إلى التفكير في المسائل الدينية في وقت مبكر شأنه شأن العديد من أصحاب النفوس الصافية، فاتصل لأجل ذلك ببعض اليهود والنصارى ممن يعرفون العهدين القديم والجديد، ولم تتبدد شكوكه بأنه يوحى إليه إلا بعد أن خضع لإحدى الخبرات الخارقة التي هيات له بأن طائفاً قد تجلى له وخاطبه. وكان على أمل أن يكسب ود اليهود فيدخلوا في دينه عبر تكليف شعائر الإسلام بحيث تتفق في بعض المناحي مع شعائرتهم، غير أن هذا الوحي لم يؤثر في مشاعر قومه، ولم يلهب أحاسيسهم؛ لأنهم كانوا معتادين على أن يظهر في كل قبيلة من يعرف الكهانة، وقول النثر مسجوعاً^(٢).

وعلى إرث الماضيين خاصة أستاذه نولدكه يسير في إثبات قصة الغرائق جاعلاً منها دليلاً على المهادنة والمجاملة التي اتبعتها الرسول محمد ﷺ مع أهل مكة في بدايات تنزل الوحي عليه^(٣).

ويرجع الاختلاف في خصائص القرآن المكي والقرآن المدني إلى تأثر الوحي في كل واحد منهما بالبيئتين المكية والمدنية، وما بينهما من تفاوت ظاهر^(٤).

وأما يوليوس فلهاوزن، فقد زعم في مقدمة كتابه (تاريخ الدولة العربية) بأن القرآن من تأليف محمد عليه الصلاة والسلام ضارباً بعرض الحائط أن يكون له ما للتوراة والإنجيل من صفة التنزل الإلهي^(٥).

١- انظر، بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم النجار، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩، ج١، ص ١٣ . والهجادة: جزء من التلمود يحتوي على تعليقات لتمجيد القواعد الشرعية في شكل حواريات وأمثال وطرائف وأقوال مأثورة. انظر الفيشاوي، سعد، المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، ص ٢٦١

٢- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٤ وما بعدها باختصار.

٣- المرجع السابق، ص ٣٤.

٤- المرجع السابق، ص ٣٧.

٥- انظر، فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد أبو ريبة، د.ط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٨.

المبحث الثالث

التعريف بـ (نولدكه) وكتابه (تاريخ القرآن)

المطلب الأول

التعريف بـ (نولدكه)*

هو ثيودور^(١) نولدكه من مواليد مدينة هامبورغ في ألمانيا، ولد في الثاني من شهر آذار لعام ١٨٣٦م، وهو من أسرة واسعة الانتشار في الشمال الغربي من ألمانيا، يعود أصلها عبر عدة قرون إلى أحد وجهاء مدينة هلدسهيلم.

طلب نولدكه العلم صغيراً متأثراً ومستفيداً من العوامل والمحفزات التي ساعدت على ظهور علامات الذكاء والإنتاجية المبكرة عنده وهي:

أولاً: البيئة الأسرية ممثلة في المقام الأول بوالده حيث دفعه إلى حب علوم الأوائل لاسيما أن الأب كان عارفاً باللغات القديمة، مع ما تميزت به عائلته بشكل عام من أنها تضم عدداً كبيراً من رجال الدين والمعلمين والموظفين.

ثانياً: البيئة العلمية في ألمانيا حيث تميزت الفترة التي ولد فيها نولدكه بازدهار الحياة الجامعية، حيث وصفت بالحياة والنشيطه مع أدائها واجبات قومية رفيعة، وكان تأثير أساتذتها أعمق بكثير من تأثير الصحافيين أو رجال السياسة في فرنسا.

واشتهر في ألمانيا العديد من الجامعات أمثال بون وميونخ وغوتنغن، وشاع صيت لأساتذتها أمثال المستشرق إيفالد.

وكانت الحركة العلمية في ألمانيا منارة فخر واعتزاز لأهلها في الرياضيات والكيمياء والفيزياء وفقه اللغة والتاريخ وغيرها، وظهرت نواة تشكيل المدارس العلمية المتخصصة بظهور مدرسة تهتم بالكتاب المقدس، وتميز عمل العلماء والفقهاء في اللغة، والمؤرخين في أنهم يعملون

* انظر ترجمة حياته في: أ. المستشرقون الألمان : صلاح الدين المنجد ، ج ١ ، ص ١١٥ ،

ب. المستشرقون: نجيب العتيقي، ج ٢، ص ٧٩، ج. موسوعة المستشرقين: عبدالرحمن بدوي، ص ٤٠.

د- الأعلام: الزركلي، ج ٢، ص ٩٦ .

١ - يسميه بروكلمان أحياناً (ثيودوروس)، الأعلام للزركلي، ج ٢ ، ص ٩٦، ويلفظ من البعض أحياناً بـ (ثيودور)

بصورة منعزلة كل واحد منهم من حقل اختصاصه، ومع ذلك فقد أسهموا في خلق روح قومية متماسكة^(١).

ثالثاً: العوامل الذاتية.

فقد كان نولدكه متميزاً بقوة الملاحظة والانتباه، مع ما كان يسود حياته من هدوء ميّز أغلب مراحل طفولته.

ولعله في ذلك عوّض قلة الاختلاط والاحتكاك الذي سببته في معظم الأحيان بنيته الجسدية الضعيفة التي شب عليها مما ميز مشاركاته الرياضية مع أقرانه في مسقط رأسه بعدم الحيوية والقوة.

الرياضة العقلية عوضت إذاً الرياضة الجسدية مع عدم رغبته كثيراً في العلاقات الاجتماعية، وهذا ما جعل نولدكه يميل إلى العزلة الفردية مستغلاً إياها بالتعلم الذاتي للدراسات الشرقية والرحلات والآداب.

عدم سفره إلى بلاد الشرق، والاقتصار على التعرف عليها من الكتب المطبوعة آنذاك جعلت دراسة نولدكه تدور في الإطار النظري، لكن الفتى حقق تقدماً لافتاً حتى على أولئك الذين جمعوا بين الجانبين النظري والعلمي أعواماً طويلة.

تحقق هذا ونولدكه لم يبلغ بعد الخامسة عشرة من عمره، وفي هذه السن هجم المرض عليه فاضطر للتوقف عن الدراسة مدة ثلاثة شهور؛ لإصابته بفقر في الدم.

بعد شفائه عاد للتعلم الفردي فتعلم العبرية فأتقنها حتى أعفي منها في مدرسته التي تشمل لائحة مواد الدراسة فيها اللغات القديمة.

^١ - انظر، حاطوم، نور الدين، حركة القومية الألمانية، مرجع سابق، ص ٧٤ وما بعدها باختصار .

في العام ثلاث وخمسين وثمانمائة وألف آن لنولدكه أن يستفيد من ازدهار الحياة العلمية بشكل عام، والجامعية بشكل خاص في ألمانيا، فالتحق بأعرق جامعاتها وهي جامعة جوتنجن، وقد علّل والده التحاقه بها بأنه أراد أن يجعل منه مستشرقاً^(١)

وهنا يطرح سؤال نفسه، وهو لماذا كان الأب حريصاً على ذلك، فهل كان يدرك أن الاستشراق هو الكفيل بأن يتبوأ ابنه مركزاً علمياً شبيهاً بالذي يحتله صديقه المستشرق إيفالد في جامعة جوتنجن ؟

أم أنه رأى أن ما حصله ولده من لغات ودراسات شرقية في مرحلة ما قبل الجامعة جعله يضع قدمه على أعتاب حمل لقب (مستشرق) .

التحق نولدكه بالجامعة مع أنه كان يرغب في دراسة اللغات القديمة والشرقية، غير أن شخصية أستاذه إيفالد استحوذت عليه كلياً لدراسة الاستشراق، وتابع دراسة اللغات السامية والفارسية والسنسكريتية بإشراف بعض أساتذته.

في عام ١٨٥٦ حصل تحول هام في حياة نولدكه، حيث ظهر أول مؤلف له تمكن به من الفوز بالمسابقة العلمية للكلية فطبع مؤلفه، واعتبر في الوقت نفسه أطروحة دكتوراه فنال في العام نفسه هذه الدرجة العلمية، وعنوان المؤلف بالعربية هو (حول نشوء وتركيب السور القرآنية) .

أراد نولدكه بعد ذلك السفر إلى بلاد الشرق للتعرف عليه بنفسه لكن ذلك لم يتيسر له، فعوض هذا بالترحال بين بعض مدن أوروبا، حيث اتجه إلى فينا للتعرف على مخطوطات المكتبة الملكية هناك، وفي لايبزج التقى بأستاذ علوم اللغة العربية فلايشر.

وفي العام ١٨٥٧م انتقل إلى لايدن وفيها تعلم الهولندية، وعمل على المخطوطات العربية الموجودة هناك.

مناصبه العلمية: في عام ١٨٦٠م عاد نولدكه من برلين إلى جوتنجن، وأصبح فوراً مساعداً في المكتبة، وفي ربيع ١٨٦١م قدم أطروحة الكفاءة التدريسية الجامعية، وأصبح محاضراً خاصاً للغات

^١ - المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان (تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية)، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٢، ج١، ص ١١٥.

السامية، وتخلّى عن منصبه في المكتبة بعد عام ونصف العام حيث رأى أن عمله فيها يعيقه عن أبحاثه العلمية، واهتم نولده خلال هذه الفترة بالشعر العربي، واللغة التركية التي برع فيها، وفي نهجاتها.

وفي ربيع عام ١٨٦٤م استدعي إلى جامعة كيل حيث ظل هناك أربعة أعوام كأستاذ غير نظامي، ثم أربعة أعوام ونصف كأستاذ نظامي عام.

وخلال هذه الفترة في كيل اهتم نولده بالعهد القديم الذي كان عليه شرحه في محاضراته، واهتم كذلك باللغة الآرامية، وأصدر آنذاك كتابيه: المؤلفات المختصة بالعهد القديم وأبحاث في نقد العهد القديم، وكان الأول عرضاً شعبياً، والثاني يشكل الأساس العلمي لذلك.

وفي العام ١٨٧١م استدعي إلى الجامعة الألمانية في ستراسبورج، وظل فيها حتى عام ١٩٢٠م، ورفض طلبات استدعاء إلى جامعات فينا ولايبزج وجوتنجن.

أساتذته: من أبرز أساتذته إيفالد، وأبراهام غايغر، وكوزيجارتن، وفلايشر هاينرش، وربنهارت، ودوزي ديلمان، ويونبول^(١)

واستفاد نولده كثيراً من الدراسات الاستشراقية الألمانية للقرآن الكريم في كتابه (تاريخ القرآن) في دراسته لموضوع الوحي، ومن أبرز هذه الدراسات:

١- كتاب (ماذا أخذ محمد من اليهودية) لأستاذه أبراهام غايغر.

٢- كتاب (بحوث جديدة جديدة في ترتيب القرآن وتفسيره) للمستشرق الألماني هيرشفيلد

٣- كتاب (حياة محمد وتعاليمه) للمستشرق الألماني شبرنجر

٤- كتاب (النبي محمد حياته وتعاليمه) للمستشرق الألماني فايل

٥- كتاب (محمد) للمستشرق الألماني غريمه

١- فوك، يوهان، الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين، دار قتيبة، دمشق، ص ١٨١-١٨٢.

٦- وأفاد نولدكه في دراسته من كتاب المستشرق الإنجليزي وليام موير في كتابه (حياة محمد).

طريقة نولدكه في التدريس:

هي أشبه بالطريقة التقليدية حيث كانت حلقاته التدريسية في غرفة عمله تتناول اللغات السامية بأغلبها، وكان تلامذته يترجمون بينما كان يقوم بالتصحيح والتعليق والشرح.

"وتأثر بأستاذه إيفالد الذي كان يفرض على تلاميذه مطالب عالية، فتعلموا منه أن يكونوا أمناء في أدق التفاصيل، وألاً يفقدوا نظرهم إلى الكل عموماً، وأن يجتنبوا النظريات الثقيلة التي لا تستند للحجة والبرهان".^١

وبعد تقاعده ظل يعقد حلقاته التدريسية مرات عديدة، وكان قلماً يقوم بإلقاء المحاضرات المنتظمة.

عُرفت شخصيته العلمية بالعقلانية، بعكس المسائل الشخصية التي كان يميل فيها إلى العاطفة، وكان ينفر من كل ما هو صوفي؛ ولذلك لم يهتم بدراسة التصوف الشرقي، ووصف كذلك بأنه يتميز بروح الفكاهة، والبعد عن الغرور وحب الظهور، وعلى الرغم مما كان يتصف به من سلاسة في كلماته المكتوبة، ومن حيوية في أحاديثه إلا أنه لم يكن يحب إلقاء الخطب العامة.

ويوصف أيضاً بأنه كان مسهماً في أعمال كليته وجامعته ومصير وطنه، مع تميزه بأنه قارئ صحف نشيط، وكان يُحضر لكل محاضرة، ويسهم في التقريظ العلمي للكتب الجديدة تحضيراً، وكان يجد على الرغم من ذلك متسعاً من الوقت لكتابة عدة آلاف من الرسائل.

مؤلفاته العلمية:

بلغ عدد منشوراته العلمية ما يقارب السبعمئة بحث^(١)، وهذه البحوث ما تزال في ستراسبورج وأشهرها (أصل وتركيب سور القرآن، وعاون شيرنجر في كتابه سيرة محمد (ﷺ)،

^١ - كتاب تاريخ القرآن هو الدراسة القرآنية الموسعة الوحيدة لنولدكه غير أن له مقالة بعنوان (THE KORAN) وجاء فيها: ١- يعتبر القرآن أكثر كتاب يقرأ في الوجود، وهذا كاف كي يجلب انتباهنا بغض النظر إن كان يروق لنا ويتفق مع رأينا الديني والفلسفي أم لا. ٢- محمد (ﷺ) لم يكن مفكراً منتظماً بارداً ولكن صاحب رؤيا شرقي، نشأ في بيئة ملأى بالخرافات المطبقة، وفي غياب نظام عقلي، فإن رجلاً مزاجه العصبي قد عمل بقوة من خلال الزهد

وله (تاريخ الشعوب السامية)، وتاريخ الفرس والعرب في عهد الساسانيين، وترجمة كلية ودمنة، ومعجم اللسان العربي الفصيح، وأسهم في نشر تاريخ البلدان للطبري^(١).

وفاته: منذ العام ١٩٠٦ أُحيل نولدكه على المعاش، وعندما دخل الفرنسيون بعد انكسار ألمانيا أراضي الأكراس، وأبعدوا جميع الألمان من ستراسبورج- لم يجرأوا أن يفعلوا ذلك معه، فغادر في ربيع عام ١٩٢٠م المدينة بمحض اختياره، واتجه إلى كارلزروهه؛ ليقم مع ابنه هناك، وظل فيها مدة أحد عشر عاماً إلى أن فارق الحياة في صبيحة يوم (عيد الميلاد) من عام ١٩٣٠م^(٢).

قد تكون العوامل التي أثرت في تكوين شخصية نولدكه - قد اجتمعت في شخصيات مستشرقين آخرين سواء أكانوا مستشرقين ألمان أم من غيرهم من المستشرقين الغربيين، ولكن ما يميز شخصية نولدكه عن غيره هي تأثيرها في الحقل الاستشراقي الذي طبعه بطابعه طوال عقود طويلة في حياته، وبعد موته من خلال دراسته في كتاب تاريخ القرآن.

-التلقائي، والذي كان أيضاً يثار من قبل المعارضين الذين كان يواجههم؛ لأنه كان يفتقر إلى السمات البطولية في طبيعته، وكون محمد(ﷺ) كان مشعباً بالأفكار الدينية والروى فقد كان من المحتمل أنه تخيل بشكل جيد أنه قد سمع الملاك مختفياً وهو يتلو ما قيل له. ٣- رتبت النصوص في القرآن ترتيباً عشوائياً، فوضعت السور الأطول في البداية ثم تلاها الأقصر منها، ووضع في النهاية تركيبان سحريان كنوع من الحماية. ٤- محمد(ﷺ) ليس ضليعاً في الأسلوب، وهذا الرأي يتفق معه أي شخص أوروبي غير متحيز، ويمتلك بعض المعرفة باللغة دون أن يأخذ بعين الاعتبار التأثير الممل للتكرارات غير المتناهية، ولكن بالنسبة لكل مسلم فإن حكماً من هذا القبيل سيكون له تأثيراً صاعقاً كالإلحاد أو الشرك ٥- أدخل النبي(ﷺ) في مكة أجزاء أخرى إلى القرآن ومسح أجزاء أخرى من الأجزاء التي نزلت في السابق، وفي بعض الأحيان طلب محمد(ﷺ) من أتباعه طمس أو نسيان أجزاء كاملة أو آيات معلناً أن

هذه الأجزاء قد نقضت (نسخت). NOLDEKE, THEODOR, THE KORAN, Encyclopaedia.

Britannicas Sixteenth edition ١٨٩١, Great Minds, page ٥٥, on the Interent

^١ - العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج٢، ص ٣٨٠ - ٣٨١.

^٢ - المرجع السابق، ج١، ص ١١٨.

المطلب الثاني

مكانة نولدكه في الاستشراق

حصل نولدكه في الاستشراق الغربي بشكل عام، وفي الألماني بشكل خاص على مكانة قلند لأن تحصل لنظرائه من المستشرقين الآخرين. ولعل الوقوف على ما قيل فيه في حياته، وبعد موته يكشف عن سرّ هذه المكانة التي حظي بها نولدكه.

يقول فيه المستشرق الألماني إينو ليتمان: "رغم الهدوء الذي كان يسود بوجه عام مجرى حياة المستشرق العظيم ثيودور نولدكه، إلا أن مكاسبه العلمية وقوة نفوذه طبعت حقل الاستشراق بكامله خلال السبعين عاماً الأخيرة بطابع شخصيته المؤثرة، ولولاه لما أمكن تصور أي تطور لهذا العلم"^(١).

وقيل فيه عند موته: "مات زعيم المستشرقين مات نولدكه الذي رفع لواء الاستشراق عالياً وظل رافعه زهاء نصف قرن... نولدكه هو المستشرق الذي خلق علوماً لم تكن معروفة من قبل"^(٢).

"بعد نولدكه عند المستشرقين سيد الأسلوب العلمي، والأسلوب الشعبي معاً، فخمسة من كتبه وهي - المؤلفات المختصة بالعهد القديم، وحياة محمد، ومقالات في التاريخ الفارسي، وأبحاث شرقية، وبحث اللغات السامية - هذه الأبحاث جعلت نتائج دراساته العلمية تراثاً عاماً للعالم المتقف"^(٣).

ويعرف ثيودور نولدكه بأنه "أبو النقد القرآني الغربي"، وهو يعتبر "واحداً من أعظم المتخصصين في الدراسات السامية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ومن خلال استغلال المخطوطات التي وجدت في البعثة الأمريكية في الشرق الأدنى، قام نولدكه بكتابة أولى القواعد العلمية للهجات السيريانية والآرامية، وهي لغة المسيحية الشرقية بادناً بذلك الدراسات السيريانية الحديثة، مع إسهاماته الأخرى في حقل الدراسات الإسلامية وتحديد تاريخ القرآن"^(٤).

١ - المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ج١، ص ١١٥.

٢ - المرجع السابق، ج١، ص ١٢٣.

٣ - المرجع السابق، ج١، ص ١٢١.

٤ - Warrag Ibn: Theodor Noldeke Father of Quranic Criticism, Great Minds ,page ٥٤

وفي الوقت نفسه فإن 'تفعيده لأكرامية الشرقية قد كوتت الأساس لفهم الأدب الأرامي الشرقي، وكذلك لتفهم كثير من مشاكل المقارنات اللغوية السامية'(1)

ينظر الاستشراق الألماني إلى نولده على أنه صاحب الفضل في أن 'ستراسبورج أصبحت مركز الاستشراق ليس فقط بالنسبة لألمانيا، بل للعالم أجمع، وهو شخصياً أصبح وجهة المستشرقين في زمانه، على الرغم من أنه قد تعتمد ألا يؤسس مدرسة خاصة به، ولكن جميع علماء اللغات السامية المعاصرين له أصبحوا تلاميذه سواء أدرسوا على يديه، أم استمدوا عندهم العلمية، ومناهجهم البحثية من كتبه ومؤلفاته'(2).

ولا غرو أن يعتبر نولده "أكبر مستشرق ألماني في عصره متميزاً بالشخصية العلمية الفريدة ذات الإبداع والإنجاز في الدراسات الإنسانية المختلفة حيث أنجز كلغوي وباحث و مترجم وناشر ونحوي وناقد مقداراً ضخماً من العمل المثمر في هذه الحقول جميعها مما جعله يستحق هذا الوصف، مع ما انفرد به عن مستشركي وعلماء زمانه بما امتلکه من موهبة إدراك سليم مع قدر أكبر من التواضع"(3).

وسنة من المستشرقين الألمان(4) نولده واحد منهم أطلق المستشرق الألماني هانز شباير على مؤلفاتهم في الدراسات القرآنية (أعمدة هذا العلم)، وعلل هذا الإطلاق بأن هؤلاء الستة هم الذين هندسوا للفكر الاستشراقي، ووضعوا أسس ومرتكزات بنائه وصرحه(5).

وللمكانة التي تميز بها نولده على الصعيد الاستشراقي الأوروبي العام، والألماني بشكل خاص فقد أسند المستشرقون الإنجليز إليه تحرير معظم المواد المتصلة بالشرق والشرقيين في دائرة المعارف البريطانية، ودائرة معارف الكتاب المقدس(6).

1 - المنجد، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ج ١، ص ١١٨.

2 - المرجع السابق، ج ١، ص ١١٨، بتصريف

3 - فوك، يوهان، الدراسات العربية في أوروبا، ص ١٥١، بتصريف

4 - هم نولده وشبرنجر وجريم ومرير وبوهل وشغالي.

5 - انظر، المستشرقون والقرآن، عمر العالم، ص ٨٨.

6 - انظر، المنجد، المستشرقون الألمان، ص ١٢٣.

ونولده الذي حاز لقب شيخ المستشرقين^(١) وُصِفَ بـ: "كان في كل ما كتب مثال العالم المتجرد العقلاني، فلم يتجن في أبحاثه على الإسلام، ولم يحاول أن يدعي معرفة أشياء لم يكن يعرفها، ولهذا جاءت آراؤه واضحة جلية، وخاضعة لصفة التجرد بعيدة عن الهوى والتضليل"^(٢).

قد تكون آراء نولده واضحة وجليّة بما يتعلق باللغات السامية والآداب الشرقية القديمة، لكن الذي يسترعي الانتباه، ويستدعي إعادة النظر فيه هو تعميم هذا الرأي -إن صح في كل أحواله- على موقف نولده في دراساته عن القرآن والإسلام.

يبدو أن في مثل هذا التعميم نوعاً من التعجل، إذ ينبغي عدم النظر إلى الحكم بعين واحدة، فإن كان نولده في نظر المستشرقين قد وضع قواعد دراسة الأبحاث القرآنية في كتابه (تاريخ القرآن)^(٣) فنحن أمام مسألتين:

الأولى: المسألة الشكلية، ونعني بها الخطوات المنهجية البحثية التي سار نولده عليها في كتابه من حيث أنه (عمل علمي أكاديمي) حتى صارت منهجاً للمستشرقين وغيرهم.

الثانية: مدى الحيادية، والنزاهة والموضوعية في معالجة المحتوى العلمي الذي درسه نولده سواء أتعلق بالوحي أم بجمع القرآن أم بالقراءات.

ربما لم ينل مستشرق ما ناله نولده من الثناء والمدح ممن ترجم لحياته، وكتب في أعماله سواء أكان ذلك في المستشرقين أم من الباحثين والدارسين، ولكن كان ينبغي التفريق بين أعمال نولده في العلوم الأخرى كاللغات التي كتب بها، وبين دراسته القرآنية الموسعة المتمثلة في كتابه تاريخ القرآن خاصة في الجزء الأول منه الذي عالج فيه موضوع الوحي القرآني حيث ظهر التجني الواضح فيه من نولده على الإسلام ونبيه ﷺ، فنال بذلك نولده مجداً لا يستحقه أبداً على حساب القرآن الكريم.

١ - العالم، المستشرقون والقرآن، ص ١٤٩.

٢ - جحا، ميشال، الدراسات العربية في أوروبا، مرجع سابق، ص ١٩٩.

٣ - المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ج ١، ص ١١٧.

المطلب الثالث

التعريف بكتاب (تاريخ القرآن)

هذا الكتاب أصله أطروحة الدكتوراه التي نال بها هذه الدرجة العلمية عام ١٨٥٦، وكانت بعنوان (حول نشوء وتركيب السور القرآنية)، وهي أول مؤلف له، وبها تمكن من الفوز بالمسابقة العلمية للكلية التي كان يدرس بها في جامعة جوتنجن، واعتبرت له أيضاً أطروحة دكتوراه.

ثم فازت أطروحته بجائزة علمية أخرى، فعندما كان في مدينة لايدن في هولندا يطلع على المخطوطات العربية تنامى إلى سماعه أن أكاديمية المخطوطات الباريسية قد عقدت مسابقة بعنوان (تاريخ القرآن)، فوجد في نفسه شعوراً بأنه هو الشخص المناسب للظفر بها، فغادر لايدن متوجهاً إلى غوتا وبرلين للاطلاع على مخطوطات كانت مهمة بالنسبة لعمله، وفي ربيع عام ١٨٥٨ جاء برلين، وأتم فيها كتابة بحث المسابقة، ثم أرسل المخطوط باللغة اللاتينية إلى باريس، حيث كان قد وصل مخطوطان آخران كتبهما مستشرقان هما شبرنجر وأماري، فما كان من الأكاديمية إلا أن ضاعفت الجائزة، ووزعت المبلغ بالتساوي على الفائزين الثلاثة. وهكذا كان الشاب الذي لم يتجاوز سنه الاثنتين والعشرين عاماً قد حل مسابقتين علميتين، كما فاز في الثانية على صعيد واحد مع اثنتين من المستشرقين البارزين وأكبر منه سناً^(١)

بعد فوزه بجائزة الأكاديمية الباريسية بسنتين، وتحديداً عام ١٨٦٠ نشر نولدكه ترجمة ألمانية لكتابه (تاريخ القرآن) الذي كان قبل ذلك باللغة اللاتينية، وفي هذه الطبعة توسع نولدكه فيها جداً فيما بعد بالتعاون مع تلميذه شفالي^(٢).

بعد ذلك بحوالي أربعة عقود أراد ناشر الكتاب إعادة نشره مرة أخرى، فاستأنن نولدكه بذلك، أو أن يقترح عليه عالماً آخر للقيام بهذه المهمة فاعتذر نولدكه أن يقوم بهذا العمل بنفسه، وردّ قائلاً: "وإذ لم يكن في وسعي؛ لأسباب عديدة أن أمنح هذا العمل الشكل الذي يرضيني إلى حد ما، اقترحت بعد تفكير يسير تلميذي القديم وصديقي الأستاذ شفالي ليقوم به، فأعلن استعداداه لذلك. وقد قام بقدر الإمكان بجعل الكتاب الذي أنجزته بسرعة قبل نصف قرن مراعيًا المستلزمات الحاضرة.

١ - المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان، ج ١، ص ١١٦.

٢ - انظر بدوي، عبدالرحمن، موسوعة المستشرقين، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤، ص ٤١٩.

أقول "بقدر الإمكان"؛ لأن آثار الوقاحة الصيبانية لن يمكن محوها بالكلية، من دون أن يعاد تأليف الكتاب من جديد. بعض ما قلته حينذاك بقليل أو كثير من الثقة انعدمت به ثقتي لاحقاً^(١).

إذاً، خضع هذا الكتاب لعدة تعديلات، اثنتان منها قام بهما صاحبه، وأخرى تلميذه (شواللي) في التحقيق والتعليق عليه في مجلدين، ونشر برجشستر وبريتزل الجزء الثالث منه^(٢).

ويمكن القول بأن هذا الكتاب استغرق ما يزيد على ثمانين عاماً من العمل المتواصل بين تأليف وزيادة، وتنقيح وتصحيح وترجمة، وذلك منذ إعداد رسالة دكتوراه عام ١٨٥٦م وحتى نشر برجشستر وبريتزل للجزء الثالث منه عام ١٩٣٨ مع ملاحظة التطور الذي أدخل على العنوان من عنوان الرسالة (حول نشوء وتركيب سور القرآن) إلى عنوان الكتاب (تاريخ النص القرآني)، فالعنوان الأخير المختار يشير إلى تطبيق تام لمنهج نقد العهد القديم على القرآن الكريم^(٣).

هذا الكتاب يتكون من ثلاثة أجزاء عناوينها كالآتي:

الأول: بعنوان في أصل القرآن وبيحث في موضوع الوحي.

الثاني: وهو يبحث في جمع القرآن.

وأما الثالث: فهو يفصل القول في الرسم والقراءات.

لقد استثمر نولدكه المكانة والصيت الذي حظي به كتابه إلى درجة اعتماده أصلاً خاصة في تاريخ ترتيب الآيات والسور، فكان في الدراسات القرآنية يستغل تفوقه بفرض وجهات نظره بطريقة دكتاتورية ومع ذلك يعتبر كتاب نولدكه (تاريخ القرآن) أداة لا غنى عنها لمزيد من الدراسة^(٤).

^١ - انظر، نولدكه، في مقدمة كتاب تاريخ القرآن ص xxxi.

^٢ - العقيلي، نجيب، المستشرقون، ج ٢، ص ٣٨٠.

^٣ - حسن محمد خليفة، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، ندوة مجمع الملك فهد (القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية)، البحث ٢٩، ص ١٢.

^٤ - Warrag, Ibn, Theodor Noldede Father of the Quranic criticism, page ٦١٥

قال المستشرق يوهان فوك عن صنيع نولدكه فيه: "أحدث هزة كبرى حيث عالج فيه مسائل نشوء القرآن وجمعه ووصوله بما فيه، وفي معرض المناقشة النقدية للسور حقق لسائر مباحث القرآن التاريخية أساساً متيناً"^(١).

عده رودي بارت من أهم كتب نولدكه على الإطلاق، وأنه قد أصبح منذ زمن طويل كتاباً أساسياً من كتب هذا الفرع من التخصص (تاريخ القرآن)، ونص على أنه من يريد الاشتغال علمياً بالقرآن على أي نحو أن يعتمد على كتاب نولدكه (تاريخ القرآن)، ذلك الكتاب الذي سيظل حافظاً لقيمه على مر الأيام^(٢).

وأضحى الكتاب مصدراً أساسياً لكل ما يكتب في الاستشراق عن القرآن الكريم، فكل ما ينشر من كتب ومقالات أصبحت تعتمد على الخطوط الجوهرية العامة لمنهج نولدكه وتلامذته الذي أصبح يعرف بـ (مدرسة نولدكه للدراسات القرآنية)، وقد اعتمدت المقالات الأساسية عن القرآن الكريم في دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف الإسلامية، ودائرة معارف بوردا الفرنسية على التعريف بالقرآن وفقاً لمنهج نولدكه الساعي إلى البحث عما يسمى بـ (مصادر القرآن)، وهو هدف استشراقي يسعى إلى وضع تاريخ للقرآن، كما تم وضع تاريخ للتوراة، ولبقية أسفار العهد القديم^(٣).

ولعل من العجيب والغريب أن ينال كتاب كل هذا الصيت، على الرغم من أن الكتاب لم يسلم من نقد صاحبه الذاتي له، عندما يعترف بأن محو "آثار الوقاحة الصبائية" بالكلية من مؤلفه أمر عسير، من دون أن يعاد تأليف الكتاب من جديد؛ وسبب ذلك ما قاله بنفسه: "بعض ما قلته حينذاك بقليل أو كثير من الثقة، انعدمت تقني به لاحقاً"

^١ - فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، ترجمة عمر لطفي العالم، ط١، دار قتيبية، دمشق، ١٤١٧هـ، ص ٢٣٣.

^٢ - بارت، رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون الألمان منذ ثيودور نولدكه)، مرجع سابق، ص ٢٦ - ٢٧.

^٣ - حسين، محمد توفيق، الإسلام في الكتابات الغربية، مجلة عالم الفكر، الكويت، ص ٤٠-٤١، نقلاً عن حسن محمد خليفة، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، ندوة مجمع الملك فهد، البحث ٢٩، ص ١٣.

المبحث الرابع

منهج نولدكه في دراسته

كانت طريقة نولدكه في دراسته القرآنية (تاريخ القرآن) مضرب المثل في المنهجية الغربية العامة في دراسة القرآن الكريم وعلومه عند أتباعه ومؤيديه، وهي المنهجية التي وصف المستشرق آرثر جفري أصحابها بـ (أهل التقيب) إذ يقول: "وأما أهل التقيب فطريقتهم في البحث أن يجمعوا الآراء والظنون والأوهام والتصورات بأجمعها؛ ليستنتجوا بالفحص والاكتشاف ما كان مطابقاً للمكان والزمان وظروف الأحوال معتبرين في ذلك المتن دون الإسناد، ويجتهدون في إقامة نص التوراة والإنجيل كما أقيم نص قصائد هوميروس، أو نص رسائل أرسطو الفيلسوف"^(١).

يبين آرثر جفري أن أول من بدأ هذه الطريقة هو ثيودور نولدكه، وتحديداً في كتابه (تاريخ القرآن)، فقد كانت هذه الطريقة سبباً في أن يتجنى كما قال (جفري) بعض أصحاب النقل من أهل الشرق عليه، واتهموه بالطعن في الدين وزعموا أن الذين يتبعون هذه الطريقة ليسوا خالين من المحاباة في أبحاثهم مع أن إنصافهم وصدق نيتهم وعدم محاباتهم ظاهر، ويتبين من كتبهم أنهم لا يرومون إلا الكشف عن الحق، وكان عيبهم الوحيد في أعين أهل النقل أنهم يعتبرون المتن دون الإسناد، ويختارون من آراء القدماء ما يطابق ظروف الأحوال من أسانيد متواترة كانت أم

١ - ابن أبي داود، عبدالله (٣١٦ هـ)، كتاب المصاحف (المقدمة)، تحقيق آرثر جفري، ط١، المكتبة الرحمانية، مصر، ١٩٣٦م، ص٤.

* هم لا يعارضون في تطبيق هذه المنهجية على كتبهم المقدسة فهم فيها مجبرون على نقد المتن؛ لأنه لا إسناد لديهم أصلاً، وأما بالنسبة لنصوص الوحي في الإسلام فأسانيدنا ثابتة نقلتها الأمة من لحظة النزول، بخلاف القوم فإن الإسناد غير متيسر لهم؛ لبعده المسافة بينهم وبين ثقافتهم القديمة، ثم إن المنهج الأوروبي التاريخي الحديث لم يظهر في أوروبا إلا في القرن الثالث عشر الميلادي، وهو مأخوذ من علماء المسلمين الذين استخدموه في نقد ما ليس ثابتاً ثبوتاً صحيحاً، فهذا المنهج إنما يطبق حيث يكون التعارض، وتلتبس الحقيقة، ولا تظهر ثابتة في الروايات الصحيحة، فكان شأن من يلجأ لهذا المنهج ويزن به النص الثابت من الحديث والقرآن، مما توفرت رواية وصحة ثبوته شأن من يريد أن يزن الذهب المكنون بميزان الحديد والتراب فيخفق في التقدير، السوحي الإلهي، للحسيني عبدالمجيد هاشم، مجلة الأزهر، ١٤٠٤ هـ، ص٨٦ وما بعدها. باختصار

لو أن هؤلاء المستشرقين قلدوا محاولاتهم بمنهج النقد الإسلامية في انتقاء الأخبار والرواية، لما خالفت أحكامهم أحكامنا، ولكتبوا للقرآن تاريخاً نموذجياً فيه الكثير من الصواب، والقليل من الزلل*. انظر، تاريخ القرآن، عبدالصبور شاهين، نهضة مصر للطباعة والنشر، ص٩

ضعيفة، فكثيراً ما تناقض نتائج أبحاثهم بهذه الطريقة تعليم أهل النقل الذي قد عرف بين العلماء من زمن بعيد.."، ونسي آرثر جفري أن طريقة نولدكه في دراسة تاريخ القرآن القائمة على منهجية نقد الكتاب المقدس "لقيت معارضة ممن سماهم أيضاً بأهل النقل من اليهود والنصارى، ورأوا أن مثل هذه الطريقة في دراسة تاريخ كتابهم المقدس ما هي إلا طعناً في الدين، بل نسبوا إلى هؤلاء الباحثين عدم الإيمان، ورموهم بالزندقة والإلحاد^(١).

فمنهجية نولدكه في (تاريخ القرآن) صارت أساس البحوث القرآنية في أوروبا، في فترة تميزت بسيطرة المنهجية الكلاسيكية بكل أحكامها المسبقة والضمنية، والتي أثرت على عقلية الكثير من المستشرقين بدافع من الأيديولوجيا التي تفرض نفسها من حيث قوة الأسياد وضعف المغلوب^(٢).

وبالإمكان وصف المنهجية العامة لنولدكه في كتابه تاريخ القرآن بـ:

١- إن معرفة نولدكه باللغات السامية -حتى صار مؤسساً لقواعد بعضها كالسريانية والآرامية- قد أثرت كثيراً في دراسته لموضوع الوحي القرآني، من حيث إنه ردّ الكثير من مفردات وتراكيب القرآن الكريم إلى هذه اللغات.

بل تجده يرد سورة كسورة الفاتحة إلى العبرانية، ويقابل كل جملة منها بجملة من العهد القديم، فقد وظف نولدكه هذا ليقرر هدفه غير المعلن من قبله، وهو أن من مصادر النبي محمد ﷺ ما تلقاه شفويّاً من أهل الكتاب وبالأخص اليهود منهم، والذين كان يلقاهم من حين لآخر.

٢- رجع نولدكه إلى المصادر المنتمية، وغير المنتمية التي تعالج موضوع الوحي القرآني، وتميز في هذه الناحية بالنفس الطويل والجلد من حيث إنه رجع إلى:

أ. عدد كبير من المصادر القرآنية والتاريخية والأدبية.

ب. أفاد من المصادر العربية وغير العربية سواء ما كتب باللغة الألمانية أو غيرها.

ج. استفاد من المصادر المطبوعة والمخطوطة.

١- كتاب المصاحف (المقدمة)، ص ٦ .

٢- رودنسون، مكسيم، الإسلام بين دعائه ومعارضيه ، مقالة وضع الاستشراق المختص بالإسلاميات (مكتسباته ومشاكله)، ترجمة هاشم صالح، ص ١١.

٣- استخدامه للمنهج التاريخي الفيلولوجي، حيث شاع استخدام هذا المنهج عند المستشرقين الألمان على وجه الخصوص في القرن التاسع عشر الميلادي مثل غايغر وفابيل وشبرنجر وهيرشفيلد في دراسة القرآن دراسة فيلولوجية تاريخية باعتبار ذلك هو المنهج السائد آنذاك في سائر العلوم الإنسانية.

ولهذا المنهج خاصتان: الأولى أنه من نتائج إنسانويات القرن الثامن عشر، والثانية أنه مذهب وضعي، وبسبب هذين الأمرين يتخذ المنهج الفيلولوجي موقفاً سلبياً تجاه النصوص المقدسة، فينزح القداسة عنها، ويهتم بدراسة أصولها وتاريخها أكثر من الاهتمام بمحتواها^(١)

٤- تأثر تولدك بالمناهج البحثية الاستشراقية مثل المنهج الروائي الانتقائي والمنهج الإسقاطي، والافتراضي.

٥- التأويل الفاسد للآيات القرآنية، وردّ الروايات الصحيحة، والتعلق بالروايات الضعيفة والموضوعة.

٦- تعمد إغفال الحقائق، واستباق الأمور حيث يقوم بطرح النتائج قبل المقدمات.

٧- الجهل بمصطلحات علم مصطلح الحديث خاصة مرسل الصحابي.

٨- عدم الموضوعية في البحث، والتعصب الأعمى، وتأثير الخلفية الدينية خاصة لليهود.

وفي دراسة تولدك لموضوع الوحي في كتابه تاريخ القرآن اختلف تولدك عن عالِم هذا الموضوع بـ :

١. استقصى أغلب الآراء سواء المطروحة من الكتاب المسلمين، أو الباحثين المستشرقين.

٢. رجع إلى ما وقعت عليه يداه من كتب ذات علاقة مباشرة بالموضوع، أو غير مباشرة، سواء منها المطبوع أو المخطوط.

وأما اختيار تولدك عنوان (تاريخ القرآن) لكتابه فهو يومي بالسبب الذي يقف وراء ذلك، وهو اتباعه للمنهجية السائدة منذ القرن الثامن عشر في الدراسات القرآنية على يد أسناده إيفالد، والقائمة على منهج النقد أي ما عرف باسم نقد الكتاب المقدس^(٢)، والذي تفرع إلى نقد العهد القديم،

^١ انظر، السيد، رضوان، مجلة التسامح، جواتب من الدراسات القرآنية الحديثة والمعاصرة في الغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، العدد ١٧، (عبر شبكة الانترنت)، باختصار

^٢ - هو التحليل والدراسة العلمية لأسفار الكتاب المقدس فيما يتعلق بمحتواها وشكلها، وهناك اتجاهان رئيسان في نقده: المنهج التاريخي، والاتجاه العقلاني. ويسعى نقد الكتاب المقدس لدراسة وتوضيح أصول نصوص الكتاب

ونقد العهد الجديد، واشتهر داخل الأول ما يسمى بنقد التوراة، أو نقد الأسفار الخمسة أو النقد العالي^(١).

لقد كان لهذا العنوان دلالة تميز منهج نولدكه عن مناهج المستشرقين الألمان في الدراسات القرآنية-، والذين كانت كتب أغلبهم راجعة إليه في دراستها حول الوحي القرآني، وترتيب سوره على فتراته التي ارتأها-، فهؤلاء وغيرهم اتبعوا طريقة العنوان المباشر للجانب المراد دراسته من خلال القرآن كالقصاص، أو الكلمات والمفردات أو الإعلام أو الأسماء وغير ذلك.

وهكذا تتبلور نظرية نولدكه في أن القرآن له تاريخ كنص، وبالتالي فالدين المعتمد على هذا النص دين تاريخي له نشأة وتطور انعكست في العقيدة والشريعة، وبشكل أكثر حدة تسعى هذه النظرية إلى القول بتعدد مصادر القرآن^(٢)، ومن ثم الحكم بأن القرآن ليس وحياً كما يعتقد المسيحيون، فكانت هذه النظرية على إثر ذلك أخطر نظريات الاستشراق على الإطلاق من خلال رفض لفكرة ربانية الوحي القرآني برده إلى مصادر إنسانية لإثبات تطور الإسلام وعقيدته^(٣).

"بيد أن الخطأ الذي وقعت فيه منهجية نولدكه هذه تتبع من تعميم ما ينطبق على اليهودية والنصرانية والكتاب المقدس على الإسلام والوحي القرآني، فالأمر مختلف تماماً بين الجهتين إذ الأولى حصل فيها التطور التاريخي بخلاف الثانية، فالوحي القرآني معروف منته وهي ثلاث وعشرون سنة تنزل فيها الوحي على الرسول محمد ﷺ، وبلغه لأصحابه فحفظوه ودونوه، وجمع بعده، كما حفظ ودون في حياته، وأما التوراة فإن تاريخها يقترب من ثمانمائة عام محصورة بين زمن نزول الوحي على موسى عليه السلام في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وزمن إخضاع هذا الوحي للكتابة والتدوين على يد عزرا الكاتب في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، وهي فترة طويلة تحول فيها الوحي التوراتي من وحي مكتوب إلى روايات شفوية انتهت إلى عملية تحرير

^١ -المقدس والأسفار المقروءة، ويسعى كذلك لتمييز الظروف التاريخية التي ظهرت فيها، وعقد مقارنات بين أسفار

الكتاب المقدس، والكتب المقدسة في الأديان الأخرى. الفيشاوي، سعد، المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، ص ٨٤

^٢ - حسن، محمد خليفة، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، ندوة مجمع الملك فهد، البحث ٢٩، ص ٥، بتصرف قليل في العبارة.

^٣ - وهذا ما ظهر من خلال مناقشته لمصادر الوحي حتى صارت قسمان حسبما يظهر من كلامه وهما المعتمدة والمستبعدة. انظر تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٦ وما بعدها.

^٤ - خليفة، محمد حسن، دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، ندوة مجمع الملك فهد، البحث ٢٩، ص ١٣.

وتدوين في القرن الخامس قبل الميلاد، وهذه المدة الطويلة سمحت بكل أنواع التحريف والتبديل شفويًا وكتابيًا^(١).

يعبر نولدكه بـ (الأحدث)^(٢)، و(الأقدم)^(٣)، وبتعبير "نشأت السورة" أو "نشأت الآيات"^(٤) بدلاً من أن يقول نزلت السورة أو الآيات؛ وذلك في منهجه التاريخي الذي سار عليه في ترتيب نزول السور زمنياً على فترات الوحي؛ للاستدلال على ما زعمه من وجود تاريخ للقرآن.

وهذه الإطلاقات التي استخدمها لا نجد لها عند علماء التفسير أو علماء علوم القرآن سواء أكان السيوطي أم غيره، فالذي يُعبّر به هو (أول ما نزل، وآخر ما نزل، أو أوائل مخصوصة)^(٥).

واستقراء ما كتبه نولدكه عن الوحي يظهر التزامه بمنهجية نقد الكتاب المقدس في دراسة هذا الموضوع، وهذه مقتطفات مما كتب تدل على هذا الالتزام بهذا المنهج.

يقول: "ولا بد أن محمداً منح المقاطع القرآنية شكلها النهائي الذي احتفظت به من خلال تلاوته إياها من أجل أن تحفظ وتدون"^(٦).

١ - شازار، زلمان، تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، ترجمة أحمد محمد هويدي، تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٣-٤ باختصار. وشازار يهودي كبير كان مرشحاً لاستلام دولة إسرائيل، ويشهد على قومه وعقيدتهم بأن التوراة كتاب بشري، وجمع فيه ما يقارب آراء مائة عالم نقدوا التوراة، وحاولوا إثبات بشرية مصدر التوراة، ونفي المصدر الإلهي عنها و"يقدم كتابه عرضاً موجزاً لتاريخ العملية النقدية، فيبدأ بعملية تثبيت نص التوراة، وهي في حد ذاتها عملية نقدية قام بها عزرا الكاتب في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث تم تدوين التوراة من خلال عملية تحرير للروايات الشفوية وكتابتها بعد محاولات التوفيق بينها بسبب اختلاف الراجع إلى تعدد مصادرها، ويشير الكتاب إلى النسخ التوراتية المختلفة، وموقف الفرق اليهودية من العهد القديم، وعملية البحث عن مؤلفي العهد القديم، وتحديد الكتب للمقروء والمكتوب، وموقف علماء التلمود من العهد القديم، وعملية البحث عن مؤلفي العهد القديم، والإشارة إلى تداخل الأقوال في أسفار الأنبياء، وإلى التناقضات داخل التوراة، وإعطاء أمثلة على هذا التناقض" تاريخ نقد العهد القديم، ص ١١

٢ - انظر مثلاً، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٧٨، ص ٩٣، ص ١٥٩

٣ - انظر مثلاً، المصدر السابق، ص ٩٨، ص ١١٢، ص ١٥٥

٤ - انظر مثلاً، المصدر السابق، ص ٧٩، ص ٨٢، ص ١١٧

٥ - انظر، السيوطي مثلاً في الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ١١٥، و ص ١١٩، و ص ١٢٩.

٦ - تاريخ القرآن، ج ٢١، ص ٤٣.

ومن صفات الأسلوب القرآني في الفترة الثانية عنده كذلك أن الأفكار لا تتطور بهدوء إلا نادراً^(١)، وينبه القارئ كذلك إلى أنه في معالجته للسور في المراحل المختلفة لن يلتفت إلا إلى تطورها الداخلي^(٢)

ونظراً إلى اختفاء التطور تقريباً من سور الفترة الثالثة تضعف لدى نولدكه إمكانية القيام بترتيب تاريخي لها عما كانت تسمح به الفترتان السابقتان^(٣).

ويزعم أن الآيات الواردة في شأن أحداث غزوة تبوك من سورة التوبة لم تنشأ دفعة واحدة، بل نشأ بعضها قبل الحملة، وبعضها أثناءها، والبعض الآخر بعد العودة منها^(٤).

"بل إن نولدكه أراد إثبات التطور التاريخي في قراءات القرآن، من حيث إن اتصال القراء بعضهم ببعض وبصحابة النبي ﷺ كان يتم عبر شبكة من الأسانيد، مما يعطي صورة عن تاريخ النص القرآني في النصف الثاني من القرن الأول، والنصف الأول من القرن الثاني والفترة اللاحقة بعدها"، ويقول أيضاً: "ثم إن القراءات في النسخ النموذجية المحلية كانت هي المهيمنة على المراكز الإسلامية مثل دمشق من بعد أن اختارها الأمويون مقراً ومركزاً لهم، ثم تليها مكة، بحيث إن كل مركز اكتفى بالقراءة السائدة والمهيمنة فيه عن القراءات في المراكز الأخرى".

وكان من أهم الأحداث في تاريخ قراءة القرآن، والذي مهد لحصول انقسام ما زال قائماً حتى الوقت الحاضر هو ما حصل مبكراً في قراءة المغرب بقراءة نافع، والمشرق بقراءة عاصم^(٥).

أراد نولدكه أن يثبت التطور التاريخي الذي حصل للقرآن لنفي إمكانية أن يكون موحى به من عند الله تعالى، وإذا كان كذلك، فليس هو إلا نتاج محمدي مرّ في مراحل عديدة منذ النشأة إلى التطور والاستقرار النهائي له!

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٥٩.

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٦٥.

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٩.

٤ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٠.

٥ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٠١، وما بعدها باختصار.

غير أن المنهج التاريخي الذي استخدمه نولدكه على نصوص الكتاب المقدس من خلال ما يسمى بقواعد النقد الأعلى والأدنى^(١)، ثم استخدمه نولدكه على النص القرآني كان موضع نقد من المستشرقين أنفسهم حيث عبر المستشرق الإنجليزي آربري عن رفضه له متمسكاً بالرأي القائل بأن القرآن لا يمكن إخضاعه للنقد الأدنى، فهو موضوع خارج عن موضوعات هذا النقد، كما أن منطق الوحي ليس "منطقاً مدرسياً"، فليس هناك قبل أو بعد في رسالة النبي (ﷺ)، فالحقيقة الدائمة في الرسالة الصادقة لا يمكن حصرها في إطار زمني أو مكاني، بل إن كل لحظة تعرض نفسها بشكل مطلق^(٢)

والموضوعية والأمانة العلمية تأبى أن يساوى الوحي القرآني بما هو موجود في التوراة والإنجيل المحرفين، فيقوم نولدكه تبعاً لمدرسة نقد الكتاب المقدس بتطبيق هذه المنهجية على القرآن الكريم كما طبقتها هذه المدرسة على التوراة والإنجيل، فالقرآن هو على خلاف (كتابهم المقدس) تماماً فسندته متواتر ونقلته الأمة كلها، فما يتلى الآن هو ما تنزل به الوحي على النبي محمد ﷺ، وليس فيه ما يتعارض مع التوحيد أو عصمة الأنبياء، أو الحقائق العلمية، وأما (الكتاب المقدس) فلا سند له، ويتناقض مع توحيد الله، وعصمة الرسل، ولعل ذلك هو سبب النظرة التي سادت في العالم الغربي مدة تزيد على ثلاثة قرون في إرجاع الوحي إلى الخرافات والأساطير بسبب ما هو ميثوث في الكتاب المقدس من تحريفات تتناقض مع العقيدة والإيمان بالله تعالى ورسوله.

بالتالي فإن ما أعلنه نولدكه عن الوحي في كتابه تاريخ القرآن كان متأثراً بالخلفية الدينية لديه، وإلا فما سبب أن يصف كتابه بعد ذلك بعدم النضوج، وأن آثار الوقاحة الصبائية بادية عليه، بل يعتذر عن نشره بنفسه مرة ثانية، ويكلف بذلك أحد تلاميذه، فهذا دليل على أن المنهجية التي اتبعها في كتابه تاريخ القرآن في دراسة الوحي القرآني لم تكن منهجية سليمة، ولم تراع قواعد البحث العلمي في الموضوعية، ونقل الحقيقة.

^١ - النقد الأعلى هو استخدام قاعدة الشك المنهجي، فلا يُجزم بشيء يتعلق بالراوي إلا بعد التثبت من ذلك بأسباب قوية حول سيرة الراوي وأخلاقه، وما غايته؟ ومتى كتب كتابه، وفي أي وقت، ولمن كتب؟ ومدى تحقق شروط العدالة الأخلاقية والضبط العلمي فيه، ودراسة البيئات السياسية والاجتماعية والأحداث التاريخية والصراعات العقيدية، ومدى انعكاسها على الكاتب وبالتالي على النص، وكيف جمع النص أولاً وما الأيدي التي تناولته، وما النسخ التي اشتمل عليها؟ وأما النقد الأدنى فهو يشبه النقد الداخلي في مناهج الدراسة الأنبية القائم على عدم أخذ النص ككل، بل = يُحلل إلى أجزاء ويدرك كل جزء على حدة. انظر، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، محمد السعيد جمال الدين، المكتبة الشاملة على الانترنت، البحث ١، ص ٧-٨.

^٢ - انظر: أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق، مرجع سابق، ص ١٧٣ - ١٧٤.

تمهيد:

أولاً: مفهوم الوحي عند المسلمين:

كلمة "الوحي" هي إحدى مفردات اللغة العربية التي شاعت في الاستعمال، وبلغت في لسان أهل العربية شأواً بعيداً حتى غدت صاحبة جنر، وذات أصالة في أصل دلالتها.

الوحي في اللغة مشتق من الفعل الثلاثي: (و ح ي)، والوحي الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكل ما ألقينته إلى غيرك^(١)

يقول ابن فارس: "وحي" أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك، ثم قال: وكل ما في باب الوحي فراجع إلى هذا الأصل الذي ذكرناه^(٢)

وعلى الطرف الآخر يعد بعض اللغويين أن (وحي) تدل في أصلها على السرعة، وهذا قول الراغب الأصفهاني في مفرداته إذ يقول في (وحي): أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمرٌ وحيٌّ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة بعض الجوارح، وبالكتابة^(٣).

وفي ضوء ما تقدم، فإن كلمة الوحي من الألفاظ المشتركة في أصل لفظها، وتعدد معانيها غير أنها شاعت في الإلقاء الذي يكون في سرعة وخفاء.

وعدّ الزمخشري أن وحي وأوحى إليه بمعنى واحد، ووحيت إليه وأوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره^(٤)

ويلاحظ أن الأصل الثلاثي للمصدر (الوحي) وهو (وحي) لم يستخدم في التعبير القرآني، وإنما المستخدم مصدره، والفعل المزيد أوحى بخلاف مصدر هذا الأخير وهو الإيحاء.

١- ابن منظور، محمد بن مكرم، (٧١١ هـ)، لسان العرب، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت، ج ١٥، ص ٣٧٩.

٢- ابن فارس، الحسين بن أحمد (٣٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، د.ط، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج ٦، ص ٩٣.

٣- الأصفهاني، الراغب (٤٢٥ هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان، ط ٢، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٢، ص ٨٥٨

٤- الزمخشري، محمود بن عمر (٥٣٨ هـ)، أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، د.ط، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص ٤٩٤

وأما الوحي في الاصطلاح، فقد راعى بعض من عرّف الوحي بيان حصوله بالخفاء، فقال: حقيقته أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، بطريقة سرية خفية غير معنّاة للبشر^(١)

وآخرون راعوا ظهور مضمون الإلقاء، والشخص الموحى إليه في التعريف، فقيل: الوحي هو إعلام الله رسولاً أو نبيّاً من أنبيائه ما يشاء من كلام أو معنى بطريقة تفيد النبي، أو الرسول العلم اليقيني القاطع بما أعلمه الله به^(٢)

وهذا التعريف يبدو أنه يفرق بين الرسول والنبي ثم يشركهما في قضية الوحي، واقتصر على ما يوحى إليهما دون غيرهما من باب التغليب، في حين جاءت صفة الموحى إليهم في التعريف الأول بعبارة عمومية (من اصطفاه الله من عباده)، وإن دلت على المقصود ضمناً.

وعرّف الشيخ محمد أبوشهبة الوحي شرعاً من حيث إنه إذا أريد به المعنى المصدري فهو إعلام الله تعالى أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتب بواسطة أو بغير واسطة، فهو بذلك أخص من المعنى اللغوي لخصوص مصدره ومورده، فقد خصّ المصدر بالله تعالى، والمورد بالأنبياء، وأما إذا أريد به المعنى الحاصل بالمصدر فهو "عرفان يجده الشخص من نفسه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة"^(٣)، ويطلق الوحي ويراد به الموحى به على معنى أنه ما أنزله الله تعالى على أنبيائه وعرّفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم، ومنهم من أعطاه كتاباً، ومنهم من لم يعطه^(٤)

ويُعرض على تعريف الإمام محمد عبده الذي اسشهد به الشيخ أبوشهبة في تعريف الوحي من حيث المعنى الحاصل بالمصدر "عرفان يجده الشخص من نفسه..." - بأن مصطلح العرفان الذي عبّر به عن معنى الوحي من المصطلحات التي شاع استخدامها في المنهج الإشراقي الباطني، أو ما يطلق عليه اسم (المذهب الغنوصي) التي يعني المعرفة أو العرفان؛ لأن أصحاب هذا المذهب يقولون: العرفان الحق (الغنوص الحق) ليس العلم بواسطة المعاني المجردة، والاستدلال العقلي،

١ - الزرقاني، محمد، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥، ج١، ص٥١.

٢ - حبنكة، عبدالرحمن، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط٩، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠، ص٤٥٦.

٣ - هذا تعريف الأستاذ الإمام محمد عبده، رسالة التوحيد، صححها محمد رشيد رضا، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠١، ص١٦٢.

٤ - أبو شهبة، محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط٣، دار اللواء، الرياض، ١٩٨٧، ص٨٤.

وإنما هو العرفان الحدسي التجريبي الذي ينبع من الباطن نتيجة اتحاد العارف بالمعروف^(١)، فكان من الأولى عدم التعبير بمثل هذه المصطلحات، ولذا فإن أغلب من عرف الوحي ذكر مصطلح (الإعلام).

ومن مجموع التعريفات المتقدمة، فالوحي في الاصطلاح الشرعي هو ما كان فيه إعلام من الله تعالى لأحد رسله بما يشاء منه بطريقة تفيد السرعة والخفاء.

وبهذا يخرج ما كان فيه سرعة وخفاء، ولكنه ليس من الله تعالى، ثم إن ما يلقيه الله ﷻ في قلوب بعض البشر يخرج بهذا؛ لأن ذلك وإن كان في باب الإلهام، الذي هو أحد صور الوحي، إلا أن المراد بالتعريف هو الوحي الخاص للرسول من الله عز وجل.

والإعلام من الله تعالى لرسوله ﷺ إعلام عام، فإذا أريد به الوحي المثلوه فهو ما كان يتنزل به جبريل عليه السلام من لدن الله تعالى على قلب النبي عليه الصلاة والسلام، وإذا أريد به الوحي غير المثلوه فقد يكون بوساطة جبريل أو بأي صورة من صور الوحي الأخرى.

وأما صور الوحي فقد جاءت في القرآن الكريم على النحو الآتي:

١- من الله تعالى للأنبياء، وهو الأكثر في القرآن الكريم.

٢- من الله ﷻ للبشر من غير الرسل.

٣- من الله تعالى للملائكة عليهم السلام

٤- من الله تبارك وتعالى للسموات والأرض والنحل.

٥- من البشر للبشر، ومن الجن للبشر.

والوحي إذا أطلق فإنه يُراد به وحي الله تعالى إلى أنبيائه عليهم السلام، وأما إذا ورد إلى غيرهم من الخلق، فإنه يكون بمعنى الإلهام، وأما وقوعه بين الخلق أنفسهم، فإنه يكون بالمعنى اللغوي، وهو الإعلام الذي يكون في خفاء.

١ - القصير، أحمد بن عبدالعزيز، عقيدة الصوفية (وحدة الوجود الخفية)، مكتبة الرشد، ط١، الرياض، ٢٠٠٣م، ص٤٩٩.

ثانياً- مفهوم الوحي^(١) عند اليهود والنصارى:

اختلف اليهود والنصارى في تعريف الوحي، فعند اليهود يرجع وحي الأنبياء إلى الرؤى والمنامات، وهذا نجده عند الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون^(٢) الذي ردّ الوحي إلى الأنبياء^(٣) إلى الرؤيا والحلم سواء صرح بذلك أم لم يصرح، وأن الوحي إنما يبتدئ بهذا، ثم يعظم الإنزعاج والإنفعال الشديد التابع لكمال القوة المتخيلة^(٤)، فحينئذ يأتي الوحي كما جاء في إبراهيم^(عليه السلام) الذي جاء في ابتداء ذلك الوحي: "صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا" وفي آخره: "وقع على أبرام سبات وإذا رعبه مظلمة عظيمة واقعة عليه، فقال لأبرام: اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم"^(٥)

ويضيف ابن ميمون بأن النبي قد يرى الله في مرأى النبوة، وقد يسمع ملكاً وهو يراه، ذها كثير جداسن، وقد لا يرى النبي شخص غنسان بكلمه، وقد لا يرى النبي صورة أحد أصلاً إلا أن يسمع كلاماً في مرأى النبوة، وهو هو في في الكلام الذي يسمعه النبي في مرأى النبوة قد يخيل إليه أنه في غاية العظم كما يحلم الإنسان أنه سمع رعداً عظيماً، أو رأى زلزلة أو صاعقة فكثير أيضاً ما يحلم هذا^(٥)

وجاء في قاموس الكتاب المقدس في تعريف (وحي): "الوحي هو إبلاغ الحق الإلهي للبشر بواسطة بشر، وهو عمل روحي، أو بعبارة أدق عمل روح القدس، فالروح القدس يعمل في أفكار أشخاص مختارين وفي قلوبهم، ويجعلهم أداة للوحي الإلهي"^(٦).

١ - يرد نولدكه معنى "وحي" إلى تحدث، والمعالم السرية الأحجوية، ومعنى الكتابة، انظر، نولدكه، تاريخ القرآن، ج١، هامش ص ٢٠

٢ - هو الفيلسوف والطبيب اليهودي موسى بن ميمون بن يوسف بن اسحاق، أبو عمران القرطبي، يرجع بعض المؤرخين نسبه إلى يهودا جامع أسفار المشناه، تظاهر بالإسلام، وقيل: أكره عليه فحفظ القرآن وتفقه بالمالكية، ودخل مصر، فعاد إلى يهوديته، توفي سنة ١٢٠٤م. الأعلام للزركلي ج٧، ص ٣٢٩

٣ - بن ميمون، موسى، دلالة الحائرین، عارضه بأصوله العربية حسين أتاب، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٤١٩ وانظر ص ٤٢٣، والقوة المتخيلة كما ذكر موسى بن ميمون هي قوة بدنية بلا شك، وهي تكسل وتضعف وتختل وقتاً، وتصح وقتاً آخر، فلذلك تتعطل نبوة الأنبياء - ما زعم- عند الحزن أو الغضب أو نحوهما، ص ٤٠٤

٤ - الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح ١٥، الفقرة ١، والفقرة ١٢

٥ - ابن ميمون، دلالة الحائرین، مصدر سابق، ص ٤٣٠

٦ - عبد الملك، بطرس، قاموس الكتاب المقدس، ط١٠١، دار الثقافة، مصر، ١٩٩٥م، ص ١٠٢٠

وهذا التعريف عليه ما يأتي:

١- لم يحدد صفة الوحي من حيث سرعته وخفاؤه.

٢- لا يتطرق التعريف لذكر النبي أو الرسول الذي يتنزل عليه الوحي بشكل صريح، بل يقتصر على أن الذين يبلغون الحق الإلهي للبشر هم بشر أيضاً، ثم في الشق الثاني من التعريف يصف أولئك الذين يعمل فيهم الروح القدس بـ (أشخاص مختارين)

وجاء أيضاً في تعريفه: "حلول روح القدس في روح الكتاب الملهمين لإطلاعهم على الحقائق الروحية، والأخبار الغيبية من غير أن يفقد هؤلاء الكتاب بالوحي شيئاً من شخصياتهم، فكل منهم نمطه في التأليف، وأسلوبه في التعبير"^(١)

فتفسير الوحي بالإلهام تحكم من النصارى لم يعرفه ولا يعترف به أنبياء بني اسرائيل ولا علماءهم، ولا يمكنهم إثباته ولا دفع ما يرد عليه من وقوع التعارض والتناقض^(٢). وهذا التعريف هو أبعد ما يكون عن الصعيد الديني الآخذ عن الله تعالى، بل هو أقرب ما يكون إلى مدلول الكشف الذي عرف به بعض الشعراء والمتصوفة، وأكثر من ذلك عند الكهان والعرافين^(٣)

والوحي بمفهومه الشرعي يدل على أنه إعلام من الله تعالى لرسله بما يريد منهم، وفالمعرفة التي يتلقاها النبي من لدن الله عز وجل بوساطة الوحي هي معرفة تلقائية، ومستقلة عن شخصيته، ولا اختيار أو إرادة له فيها، وهي معرفة يقينية؛ لأن الوحي مرتبط بالإصطفاء الإلهي.

والوحي بذلك يختلف اختلافاً جذرياً عن مفهوم الكشف^(٤)، إذ لا دليل على الكشف من الكتاب أو السنة، ثم إن المعرفة التي يُزعم أنها تحصل عبر الكشف، فيدعى أنها تأتي للعارفين من خلال الرياضات الروحية، والمجاهدة النفسية تطلعاً لانكشاف حجب الغيب، ثم الحصول على هذه المعرفة.

^١ - بست، جورج، قاموس الكتاب المقدس، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٨٤م، عن الوحي المحمدي للشيخ محمد رشيد رضا، ص ٦٠

^٢ - رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ط ١٠، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٦٣

^٣ - انظر، الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، ط ١٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٥، بتصريف.

^٤ - الكشف من مصطلحات الصوفية، وهو الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجوداً أو شهوداً. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ط ١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، ص ١٨٤.

وجاء الحديث عن الوحي في الكتاب المقدس في مواضع متعددة:
ففي العهد القديم يلاحظ التركيز على الوحي بواسطة الإلقاء المباشر، والتكليم من الله للنبي،
دون التطرق لدور الوسيط بين الله ورسوله، ولعل ذلك هو السر في محاولة إلغاء دور جبريل عليه
السلام في وحي القرآن إلى محمد.

جاء في سفر الخروج: "ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه"^(١)
وجاء في سفر العدد: "فوافى الرب بلعام، ووضع كلاماً في فمه، وقال ارجع إلى بالاق،
وتكلم هكذا"^(٢)

وفي سفر إرميا: "ومدّ الرب يده، ولمس فمي، قال الرب لي: "ها قد جعلت كلامي في فمك.
انظر قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب، وعلى الممالك لتقلع، وتهدم، وتُهلك وتُنقض وتبني
وتغرس"^(٣)

وفي العهد الجديد: "كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب
الذي في البر؛ لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح"^(٤)

وجاء فيه أيضاً: "وامتلاً زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً: مبارك الرب إله اسرائيل؛
لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه"^(٥)

وجاء فيه أيضاً: "ومتى قنموكم إلى المجامع والرؤساء والسلطين فلا تهتموا كيف أو بما
تحتجون أو بما تقولون؛ لأن الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه"^(٦)
ويرتبط الوحي بروح القدس في العهد الجديد، حيث جاء في إنجيل لوقا: "أما يسوع فرجع
من الأردن ممثلاً من الروح القدس"^(٧)، وفيه أيضاً "الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين
يسألونه"^(٨)

١ - الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج، الإصحاح ٣٣، الفقرة ١١

٢ - المصدر السابق، سفر العدد، الإصحاح ٢٣، الفقرة ١٦

٣ - المصدر السابق، سفر إرميا، الإصحاح ١، الفقرة ٩

٤ - المصدر السابق، رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس، الإصحاح ٣، الفقرة ١٦

٥ - المصدر السابق، العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ١، الفقرة ٦٧

٦ - المصدر السابق، الإصحاح ١٢، الفقرة ١١

٧ - المصدر السابق، العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٤، الفقرة ١

٨ - المصدر السابق، الإصحاح ١١، الفقرة ١٣

وجاء في رسالة بطرس الرسول الثانية "لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس"^(١)

وقد اختلفت نظرة الغربيين إلى الوحي عبر العصور، فقد ظلوا يقولون به إلى القرن السادس عشر، حتى جاء عصر الفلاسفة الذين جعلوا مسألة الوحي من بقايا الخرافات القديمة، وعللوا ذلك بأن ما ورد عن الوحي في الكتب القديمة إنما هو اختلاق المتنبئة أنفسهم؛ لاجتذاب الناس إليهم، أو إلى هذيان مرضي يعترى بعض العصبيين فيخيل إليهم أنهم يرون أشخاصاً تكلمهم، وهم لا يرون في الواقع شيئاً"^(٢)

وبقي هذا الاعتقاد سائداً في الأوساط الأوروبية حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريباً عندما أعاد العلماء البحث في مسألة الوحي على قاعدة البحث التجريبي لا على أسلوب التقليد الديني، فقالوا: إن الوحي لا يكون بنزول ملك من السماء على الرسول ليبلغه كلاماً عن الله، بل يكون بواسطة شخصيته الباطنة حيث تعلمه ما لم يكن يعلم، وتهديه إلى خير الطرق لهداية نفسه، وترقية أمته"^(٣)

وهكذا يلاحظ أن الرأيين الذين سادا العالم الغربي لدى الفلاسفة والعلماء التجريبيين حول الوحي خالفاً مفهوم الوحي الذي نطقت به الكتب السماوية كلها المنزلة من لدن الله تعالى على رسله عليهم الصلاة والسلام في أن هذا الوحي إنما هو وحي إلهي مستقل عن شخصية الرسول الذي لا إرادة له فيه ولا اختيار، وليس نابعاً من نفسه، وأنه منزل من عند الله ﷻ ليقوم الرسول بتبليغه للناس.

كما إن هذا المفهوم التجريبي للوحي مخالف لمفهوم الوحي في الإسلام في أن الوحي القرآني قد نزل بالإعجاز والرسالة معاً، وهو في هذا يتميز عن وحي الأنبياء السابقين الذين لم تكن كتبهم معجزة كالقرآن الكريم، في حين اجتمع في (وحي القرآن) المعجزة الكبرى لمحمد ﷺ وكتاب الهداية الخالد للناس أجمعين، فكان هذا الوحي معجزة للنبوة المحمدية، وآية على صدقها، وكتبا هداية لرسائله ودعوته التي جاءت للناس كافة.

١ - المصدر السابق، رسالة بطرس الرسول الثانية، الإصحاح ١، الفقرة ٢١

٢ - وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، دط، الشركة اللبنانية للموسوعات العالمية، بيروت، د.ت، ج ١٠، ص ٧١٢-٧١٣، باختصار.

٣ - المصدر السابق، ج ١٠، ص ٧١٩، بتصريف.

الفصل الثاني

موقف نولدكه من الوحي

المبحث الأول: واقع الوحي عند نولدكه ومصادره

المطلب الأول: شبهات نولدكه على النبي ﷺ وأتباعه

المطلب الثاني: نقد آراء نولدكه في الوحي النفسي

المطلب الثالث: مصادر الوحي المعتمدة والمستبعدة عند نولدكه

المطلب الرابع: نقد آراء نولدكه في كفيات الوحي

المبحث الثاني: منهج نولدكه في ترتيب سور القرآن الكريم

المطلب الأول: نقد نولدكه في ترتيب سور القرآن الكريم

المطلب الثاني: رأي نولدكه في ترتيب المستشرقين لسور القرآن

المطلب الثالث: رأي نولدكه في ترتيب السور عند العلماء المسلمين

المطلب الرابع: منهج نولدكه في الترتيب الزمني للسور القرآنية على فترات الوحي

المطلب الخامس: شبهات نولدكه على أسلوب الوحي في نزول السور القرآنية

المبحث الثالث: نقد دراسة نولدكه التطبيقية لسور القرآن

المطلب الأول: نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المكية الأولى

المطلب الثاني: نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المكية الثانية

المطلب الثالث: نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المكية الثالثة

المطلب الرابع: نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المدنية

المبحث الأول

واقع الوحي عند نولدكه ومصادره

المطلب الأول

شبهات نولدكه على النبي ﷺ وأتباعه

تعتمد نولدكه إثارة الشبهات والأباطيل في الصفحات الأولى من كتابه حول شخصية النبي ﷺ؛ لينسف قضية الوحي المنزل على رسول الله ﷺ من رب العزة، وليقرر دعواه أن من كانت هذه شخصيته يحال أن يكون شخصاً يتنزل عليه الوحي من السماء، وإنما أمر رسالته أنها أوهام وخيالات رفعت إلى مستوى أنه صدق نفسه أنه صاحب رسالة يوحى إليه، وهذه الشبهات هي: الشبهة الأولى: يقول نولدكه: "كان محمد (ﷺ) ضعيف العزم لأنه لم يجرؤ على الجهر بدعوته إلا بعد مضي ثلاث سنوات حتى أجبره صوته الداخلي على ذلك"^(١)

والجواب على الشبهة هو:

أولاً: أن التأخر بالجهر بالدعوة كان راجعاً إلى تنفيذ أمر إلهي حتى نزل قوله تعالى: "اصدغ بما تؤمر وأعرض عن المشركين" (الحجر: ٩٤)، وقوله تعالى: "وأندب عشيرتك الأقربين" (الشعراء: ٢١٤). ثانياً: من صفات شخصية النبي ﷺ (الجرأة) ودليل ذلك ما حصل عند الأمر بالجهر بالدعوة حيث استجاب النبي ﷺ لأمر ربه وصعد إلى الصفا، ونادى في بطون عشيرته من بني هاشم بجهر برسالة الإسلام، وبذلك يظهر أن التأخر بالجهر كان لحكم اقتضتها طبيعة الدعوة الإسلامية، ومن ذلك أن النبي ﷺ لو جهر بأنه يوحى إليه من أول يوم لأثار بذلك قريشاً عليه، وعلى المؤمنين بدعوته. ثالثاً: لا يستطيع نولدكه أن ينكر أن موسى ﷺ قد خرج بقومه بني إسرائيل من مصر سراً، وأن مرد ذلك لم يكن ضعفاً في العزم، فالسرية عندما ترتبط بالحكمة لا تكون أبداً ضعفاً في العزم، وإنما فطنة وكياسة وسياسة في تدبير الأمور. رابعاً: نولدكه نفسه لم يصرح بكتابه إلا بعد فترة طويلة من قراءته، فهل كان ضعيف العزم؟ بل هو لم يجرؤ أن يطبع كتابه مرة ثانية، فعلى هذا الأساس يصح أن نصفه بأنه كان ضعيف العزم.

^١ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٥

الشبهة الثانية: يقول نولدكه: "إن أكثر أتباعه كانوا من الطبقات الاجتماعية الدنيا، وإن كان قد اتبعه أشخاص من عائلات عالية القدر، ولكن هؤلاء عدوا إيمان الفقراء والضعفاء معهم عاراً كبيراً بالنسبة لهم"^(١).

والجواب على الشبهة أنه:

لا شك أن أكثر أتباعه لم يكونوا من الملأ؛ ذلك لأن أشرف العرب كانت نفوسهم جامحة عن الإيمان خوفاً من ضياع مراكزهم الاجتماعية مما يجعلهم - لو آمنوا بالنبى ﷺ وما أوحى إليه متواضعين يقفون مع الفقراء صفاً واحداً في الصلاة وغيرها، وأما الأشخاص الذين كانوا من عائلات عالية القدر فقد اسلموا؛ لأنهم وازنوا بين ما هم فيه وما أعد الله لهم إذا آمنوا فعقولهم الراجحة دعتهم إلى الإيمان لينالوا ما عند الله على ما في هذه الدنيا، وهذا لا ينقص من قدره ﷺ.

وأما دعواه أن الذين آمنوا عدواً هذا عاراً فليس بصحيح بدليل أن عمر رضي الله عنه قال: "أنا ابن الإسلام"^(٢)، وأما ما يتعلق بكون أكثر المؤمنين بهذا الوحي كانوا من الفقراء فهذا أمر صحيح، ولكن هذه الظاهرة يشترك فيها جميع الأنبياء ﷺ، إذ أن أتباعهم كانوا من الفقراء^(٣)، في حين كان موقف الملأ هو الممانعة والمعارضة.

وليقرأ نولدكه كلام هرقل عندما عقب على إجابة أبي سفيان بأن ضعفاء الناس هم الذين اتبعوا محمداً النبي ﷺ، فحينئذ قال هرقل: وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل^(٤)

وما جاء في صدر سورة عبس يؤكد قيمة الذين آمنوا مع النبي محمد ﷺ في وح الله تعالى حتى نزل في شأن بعضهم عتاب لرسول الله عليه الصلاة والسلام، كما حصل في شأن ابن أم مكتوم.

قال الله ﷻ: "عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى أَوْ يُذَكَّرُ فَتَنَفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَا مَنْ اسْتَعْتَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى وَأَمَا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى" (عبس: الآيات: ١-١٠)

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٥

٢ - الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق لجنة من العلماء، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١، ج ١، ص ٥٤٤

٣ - جاء ذلك في آيات عديدة من القرآن مثل قوله تعالى: "فقال الملأ من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أرائدنا بادي الرأي" (هود: ٢٧)

٤ - أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، الباب السادس (بلا تسمية)، حديث رقم ٧

الشبهة الثالثة: يقول نولدكه: "الروايات الواردة في شأن تعرض النبي ﷺ وأصحابه للاضطهاد، والإساءة الجسدية مبالغ فيها"^(١).

والجواب على الشبهة أن كتاب السيرة النبوية لابن هشام من المصادر التي اعتمدت لدى نولدكه في كتابه تاريخ القرآن، فإما أن الروايات التي ساقها ابن هشام^(٢) لم ترق لنولدكه أو أنه لم يطلع عليها في الأساس، ثم لو شاء لأحال نفسه إلى كتب الصحة كالبخاري^(٣) ففيها ما يدل على الإساءة الجسدية التي لقيها النبي ﷺ وأصحابه على حد سواء، فكان عدم ذكره لها برهاناً على حقيقة عدم موضوعية نولدكه، وأن منهجه قائم على الاجتزاء والانتقاء لما يروق له.

ثم إن أحداث السيرة تكشف عن أن بعض أصحاب النبي ﷺ وأتباعه قد استشهدوا تحت التعذيب مثل سمية أم عمار بن ياسر وأبيه رضي الله عنهم، فهل من وصل به حد الإساءة إلى القتل يتورع عن التعذيب البدني؟.

لقد بلغت أخبار تعذيب بعض الصحابة إلى حد التواتر؛ لكثرة الروايات التي نقلها الرواة من المسلمين وغيرهم، ففي حديث خباب بن الأرت ؓ عندما قال لرسول الله ﷺ: "ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال رسول الله ﷺ: كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه"^(٤).

وهل يجرؤ نولدكه على التشكيك أو التكذيب بأن أتباع المسيح عليه السلام قد لاقوا عذاباً أشد مما لاقاه المسلمون بعد الجهر بالدعوة، ولم نسمع أن مؤرخاً شكك بهذا أو أوصله إلى حد الإساءة المبالغ فيها.

فقد اضطهد المسيحيون، فصدر فيهم مرسوم كلوريوس، والذي يعد أول اضطهاد لهم، ثم أودوا في عهد نيرون الذين عاقبهم تحت جريمة (معتنقي معتقد خرافي جديد)، ثم الاضطهادات

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٥ وهامشها.

٢ - سيرة ابن هشام ص ١٢٥، وينظر كذلك ص ١١٣-١٢٦

٣ - ينظر كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، وفي الباب حديث خباب رضي الله عنه "ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا" حديث رقم ٦٩٤٣، وينظر كذلك كتاب مناقب الأنصار باب ما لقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة، وفي الباب حديث خباب المتقدم، وحديث إيذاء عقبة بن أبي معيط لرسول الله حديث رقم ٣٨٥٤.

٤ - أخرجه البخاري، في كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، حديث رقم ٦٥٤٤

الدموية التي أصابتهم في عهد دوميتان، وحكمه عليهم بالموت حيث كان اعتناق المسيحية يجعل الفرد مجرمًا في نظر القانون^(١).

الشبهة الرابعة: يقول نولدكه: "كان النبي (ﷺ) ضعيفاً في التجريد المنطقي في أنه لم يختبر اعتقاده مطلقاً، وإن تمتع بذكاء عملي كبير"^(٢)
والجواب على الشبهة بما يأتي:

أولاً: يُردّ على دعوى ضعف العزم بما سلف في الشبهة الأولى.

ثانياً: لم يعرف عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام استعمال علم المنطق، ولا ورتوه لأتباعهم، وكذلك كان الحال في القرون الثلاثة الأولى من حياة الأمة الإسلامية، فالمسلمون خلال هذه المدة لم يتعاطوا الصناعة المنطقية عوضاً أن يبتدعوها، ولم تكن الكتب الأعجمية قد عُربت لهم^(٣)، فهم استعملوا المنطق القائم على المنطق، وليس المنطق اليوناني القائم على المقدمات والتصورات والفسطات.

لم يكن النبي (ﷺ) ضعيفاً في يوم من الأيام، ولكنه لم يعرف علم المنطق الأرسطوطاليسي القائم على السفطة، وإنما كان يعلم المطق الفطري البرهاني، ثم إنه لا يجوز الحكم على المرء بالقوة أو الضعف في شيء إلا إذا قرر أنه يعرفه، ثم إن "الفلاسفة التجريديين كانوا يعيدون كل البعد عن زمن النبي (ﷺ)، ففيثاغورس كان في القرن السادس قبل الميلاد، وسقراط كان في القرن الرابع، وأرسطو كان في القرن الثالث قبل الميلاد، وعلى هذا فهم أقرب إلى سيدنا عيسى (عليه السلام)"^(٤)

ثالثاً: أ- عرفت العرب موازين ومناهج نقد الكلام نثراً وشعراً، ولم يؤثر عنهم تعاطي علم المنطق في مساجلاتهم الأدبية، فهل يمكنه الإتيان بدليل على تعاطيهم المنطق؟

ب- هو أحوج أن يثبت أنه قد تعاطى علم المنطق أحد في الجزيرة العربية قبل مبعث النبي (ﷺ) وبعده أيضاً سواء أكان من العرب أم من غيرهم.

وإن قصد نولدكه ضعف الأدلة والبراهين التي استخدمها الأسلوب القرآني في تقرير موضوعاته، فإنه يكون قد جانب الحق والصواب، فإن القرآن الكريم -على سبيل المثال- قد برهن على

١ - تشينسكي، دوبرا، أوروبا والمسيحية (الألفية الأولى)، ترجمة كبرو لحدو، دار الحصاد، ط١، دمشق ٢٠٠٧م. ص١٦، باختصار

٢ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج١، ص٥

٣ - العاصمي النجدي، عبدالرحمن بن محمد وابنه محمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، المجلد التاسع (كتاب المنطق)، انظر ص٢٣، وانظر كذلك ص٤٥-٤٦ صبتصرف.

٤ - عباس، فضل حسن، وسناء فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، د.ط، ١٩٩١م، ص٢٧

الموضوعات التي أراد إقناع الخصوم بها، وتحقيق إيمان المؤمنين بها خاصة في مسألتني وجود الله تعالى ووحدانيته، إذ نجد أدلة العناية المتعلقة بآلاء ونعم الله تعالى في الآفاق والنفوس، ثم دليل الاختراع والسببية مثل قوله تعالى: "فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق" (الطارق: ٥-٦)، وأما أدلة الوجدانية فقد اعتنى القرآن بها، كقوله تعالى: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" (الأنبياء: ٢٢)، ودلالة الدليل في هذه الآية مغروزة في الفطر بالطبع، إذ يحال أن يصدر عن فاعلين من نوع واحد فعل واحد، فيجب ضرورة إن فعلاً معاً أن تفسد المدينة الواحدة، إلا أن يكون أحدهما يفعل، ويبقى الآخر عطلاً، وذلك منتف في صفة الإلهية، فإنه متى اجتمع فعلاً من نوع واحد على محل واحد فسد المحل ضرورة^(١)

ومثل هذه البراهين في القرآن الكريم على قضايا العقيدة ومسائل الإيمان والأخلاق وغير ذلك من موضوعات التي نزل بها مبنوثة في كتاب الله تعالى، لا تناقض فيها قيد أنملة بين العقل والنقل، ويجد فيها العقل الإنساني إذا ابتغى الحق، وقام بتحييد الهوى والتعصب - الحجة والبرهان على صحة المسائل التي عرض لها الوحي القرآني.

الشبهة الخامسة: يقول نولدكه: "إن النبي (ﷺ) استخدم سلطة القرآن حتى لا يفصل بين الروحيات والدينيات"^(٢) والجواب عن الشبهة في الآتي:

لم يكن رسول الله ﷺ بدعاً من الأنبياء في أن الوحي الذي تنزل عليه، فقد جاء ينظم العلاقة بين الخالق والمخلوق في جانب العبادات، مع تنظيم شؤون المجتمع من حيث علاقة الفرد بالآخر، وعلاقة الجماعة بالجماعة، مع تميز الإسلام بأنه ينظم علاقة المسلمين حتى بأولئك من غير المسلمين على قواعد من الحق والعدالة لم تعرف في شريعة أرضية أو سماوية. على أن تنظيم جميع العلاقات التي تستلزمها الحياة الإنسانية سواء في توجيهها لله الخالق، أو في علاقتها بالآخرين لم تشرع فقط في الوحي القرآني، بل إن التفصيل لهذه العلاقات إنما كان في وحي السنة.

^١ - ابن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمود قاسم، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر ١٩٦٤، ص ١٥٥-١٥٦ باختصار

^٢ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٦

وليدلنا نولدكه "وعلماء التاريخ على نبي من الأنبياء، أو حكيم من الحكماء، أو ملك من الملوك الفاتحين، والمشرعين ربى أمة من الأمم في عشر سنين أو عشرين سنة، فجعلها أهلاً لفتح الأمصار، والسيادة على الأمم الحضرية، وسياستها بالعدل والرحمة، وتحويلها عن أديانها ولغاتها بالإقناع، حسن القدوة دون الاشتراط بأن تكون هذه الأمة التي علمها وهذبها ووحدها رجل واحد كالأمة العربية في عتوها، ولا أن يكون هذا الرجل أمياً كمحمد ﷺ" (١)

الحوادث التاريخية في القرنين السادس والسابع لا تدل على أن الدين والدولة كانا لحمة واحدة عند اليهود والنصارى، بل فصلاً وتعادياً - خاصة في المسيحية - ، ولم يجمع بينهما إلا النبي ﷺ فيما أوحاه إليه من القرآن والسنة، فملاً الفجوة بينهما، وجعلهما وحدة واحدة تشمل كل شعب الحياة. ووجود المباحات في الإسلام ليس مما يعاب الوحي أو رسول الله ﷺ فيه؛ إذ الأصل في كل فكرة دينية أن تسمح بالاستمتاع بالمباح ما لم يتعارض مع أحكام الدين، وألا تدخل في صراع مع الفطرة والغرائز الإنسانية، فالمسيحية - التي يدين بها نولدكه - لما أدلت النفس الإنسانية بالأحكام القاسية، والتعاليم الجائرة، وقدمت صورة مفزعة للدين أدت باتباعها إلى أن ينقلبوا عليها مؤثرين الدنيا على الدين" (٢)

الشبهة السادسة: يقول نولدكه: "اعتبر محمد (ﷺ) كل شيء مباحاً ما لم يتعارض هذا مع صوت قلبه" (٣)

والجواب عن الشبهة في الآتي:

أولاً: أما بالنسبة إلى (صوت القلب) فقد مرّ الردّ عليها في الشبهة الأولى. ثانياً: وأما زعمه أن النبي ﷺ كان يتصرف في الوحي حسب إرادته، فهذا مردود بما نطق به الوحي القرآن نفسه، فهل يسكت النبي ﷺ - لو كان أمر الوحي بيده - عندما أرجف المنافقون في المدينة وخاضوا في عرضه الشريف، وأبطأ الوحي فلم يزد إلا أن قال عن أم المؤمنين: "إني لا أعلم عنها إلا خيراً" ثم إنه بعد أن بذل جهده في التحري والسؤال واستشارة الأصحاب، ومضى شهر بأكمله والكل يقولون ما علمنا عليها من سوء، لم يزد على أن قال لها آخر الأمر: "يا عائشة، أما إنه بلغني كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله. هذا كلامه بوحي ضميره، وهو كلام البشر الذي لا يعلم الغيب، وكلام الصديق المثبت الذي لا يتبع الظن ولا يقول ما

١ - رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، مرجع سابق، ص ٣٤٨

٢ - الندوي، أبو الحسن، السيرة النبوية، دار ابن كثير، ط ١، دمشق، ١٩٩٩م، ص ٤٨٠ وما بعدها باختصار

٣ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٦

ليس له به علم، على أنه لم يغادر مكانه بعد أن قال هذه الكلمات حتى نزل صدر سورة النور معلناً براءتها. فما الذي كان سيمنعه لو كان أمر القرآن أن يتقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل ليحمي بها عرضه، ويذب بها عن عرينه، ونسبها إلى الوحي السماوي؛ ليقطع السنة المتخربين؟^(١)

ألم ينتزل الوحي على غير مما يحبه رسول الله ﷺ ويهواه، فيخطئه في الرأي، ويأذن له في الشيء لا يميل إليه فإذا تلبث فيه يسيراً تلقاه القرآن بالتعنيف الشديد، والعتاب القاسي^(٢)، فليقرأ نولده ما قاله الله تعالى في شأن زينب بنت جحش رضي الله عنها: "وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه"، (الأحزاب: ٣٧)، ثم ما ورد في شأن أسرى بدر "ما كان لني أن يكون له أسرى حتى يتخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة" (الأنفال: ٦٧)

الشبهة السابعة: يقول نولده: "استخدم محمد (ﷺ) وسائل مرذولة في نشر ما آمن به من أجل الخداع باسم الدين"^(٣).

ويجاب عن الشبهة في الآتي:

أولاً: شهد المعاصرون له من قومه بالصدق والأمانة، حتى حكموه في أدق مشكلاتهم - وحادثة الحجر الأسود تشهد بذلك - واستودعوه أماناتهم حتى بعد بعثته، وهم على عداوته، ولم ينقل عن أحد منهم أنه اتهمه أنه يخادعهم باسم الدين، وما جاء على ألسنتهم من اتهامات له إنما كانت بدافع التعنت والجحود، وصد الناس عن الحق الذي يدعو إليه.

ثانياً: خير الشهادات أن يشهد العدو للمرء، فهذا هرقل يشهد للنبي محمد ﷺ بشهادة تنزه ساحته عن مثل هذا الاتهام، فقد سأل أبا سفيان في لقائه معه: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال أبو سفيان: لا، فردّ هرقل: ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله^(٤)

ثالثاً: ثم ليعلم نولده أن الدين هو دين الله ﷻ في الأرض والسماء، فمن يستطيع أن يخادع باسم الدين، ثم لا ينكشف أمره.

لقد كان منهج رسول الله ﷺ في نشر الدعوة، وتبليغ ما ينتزل عليه قوله تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (النحل: ١٢٥)

١ - دراز، النبا العظيم، مرجع سابق، ص ٢٤، بتصرف قليل

٢ - المرجع السابق، ص ٢٤ - ص ٢٥، مع تصرف قليل.

٣ - نولده، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٦

٤ - أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم ٧

المطلب الثاني

نقد آراء نولدكه في الوحي النفسي

ردّ نولدكه الوحي الإلهي الذي كان يتنزل على النبي محمد ﷺ إلى الوحي النفسي في مقدمات دراسته عن الوحي في كتابه تاريخ القرآن، فزعم قائلاً: 'حمل محمد (ﷺ) في وحدته ما أخذه من اليهود والمسيحيين (الغرباء)، وتفاعل هذا مع قلبه، ثم صاغه حسب تفكيره حتى أجبره صوته الداخلي على أن يعلن للناس ذلك ليستبدل عبادة العرب الوثنية بدين جديد يمنح الغبطة للمؤمنين'^(١).

وذكر نولدكه شبهة الوحي النفسي في موضع آخر من كتابه فقال: 'من بعد أن قضى محمد (ﷺ) حياة زهد طويلة في الوحدة، وصار بواسطة التأمل والصراع الداخلي إلى وضع من الاضطراب الهائل، حكم عليه بصورة قاطعة بواسطة حلم أو رؤيا بأن يتنبأ، أي أن يجهر بالحقيقة التي اتضحت له، واكتسبت الدعوة في نفسه شكلاً ثابتاً كوحي يطلب فيه الله بأن يبلغ قومه باسم سيد خالق البشر ما انتهى إليه من الكتاب السماوي'^(٢).

عودة إلى كلام نولدكه فنرى أنه يخالف الحقائق الثابتة في ذاتها: أولاً: قوله بأنه قضى فترة طويلة في الوحدة غير صحيح، فالرواية الصحيحة تبين أنه حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها^(٣)، وأبهم العدد لاختلافه، وإن كان المشهور أنه كان يتحنث في شهر رمضان^(٤).

ثانياً: الإخبار بالأمر الغيبية، إذ يحال أن يكون الإخبار ما مضى من أخبار الأولين، وما سيقع من أمور الساعة وغير ذلك مما أخبر عنه الوحي في القرآن من غيوب الماضي أو المستقبل - يحال أن يكون من قبل الوحي النفسي^(٥).

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٣

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٧٥

٣ - أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب (٣)، حديث رقم ٣

٤ - العسقلاني، ابن حجر (٨٥٢هـ) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق ابن باز د. ط. دار الفكر، دمشق، ج ١، ص ٣٤

٥ - انظر، رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، مرجع سابق، ص ١٢٠ - ١٢١

ثالثاً: الفرق واضح جلي بين مفهومي الوحي، والوحي النفسي، ففي حين أن الوحي النفسي هو المعرفة المباشرة بموضوع قابل للتفكير، أو خاض فيه التفكير فعلاً، فإن الوحي الإلهي هو المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لا يشغل التفكير وغير قابل للتفكير، ثم إن الوحي النفسي لا يتيح يقيناً كاملاً، بل ينتج ما يسمى بالاحتمال، والاحتمال يأتي برهانه بعده، أما يقين النبي ﷺ فقد كان كاملاً في أن المعرفة الموحى بها إليه غير شخصية وطارئة خارجة عن ذاته^(١)

رابعاً: لقد كان نولدكه وأمثاله من المستشرقين الذين أثاروا شبهة الوحي النفسي بضاهئون قول المشركين لما ادعوا على رسول الله ﷺ - كذباً وتعتاً- أن وجدانه يطغى على حواسه فهو يخيل إليه أنه يرى ويسمع أشخاصاً فهو الجنون أو أضغاث الأخلام، ثم لما بدا وهن ما زعموا، تعلقوا بأحبال مطعن آخر فقالوا: إنما تلقفه من أفواه العلماء في أسفاره للتجارة^(٢)

ثم حاول نولدكه تقرير هذه الشبهة عند حديثه عن كيفيات الوحي فقال: الغيبوبة التي كانت تصيب النبي ﷺ كانت على الأرجح تعتريه أثناء غرقه في تفكير عميق حيث اعتقد أن قوة إلهية قد حلت به، فلم يكن الوحي يتضح له إلا بعد أن يفارقه الملك أي بعد عودته إلى وعيه الكامل إثر اضطراب نفسي شديد^(٣).

وقال: هذا الوضع الجسدي والنفسي المضطرب إلى درجة المرض يفسر الأحلام والرؤى التي رفعت فوق مستوى العلاقات البشرية المعتادة، ولعل أشهر ما يذكر في هذا الصدد الإسراء أو المعراج أدى بمحمد ﷺ إلى حالة من الرؤى والخيالات التي جعلته يتهمياً أنه يكلم ويوحى إليه من السماء، وأشهر ما يدل على ذلك الإسراء والمعراج^(٤).

ويضيف قائلاً أيضاً: " ولا يجوز أن نغفل أن معظم الوحي حدث ليلاً كما يبدو حين تكون أكثر قابلية لاستقبال التخيلات والانطباعات النفسية عما هي عليه في وضوح النهار. ونحن نعلم بالتأكيد أن محمداً ﷺ كثيراً ما قضى الليل متهدداً (سورة الإسراء: ٧٩)، وأنه كثيراً ما صام،

^١ - بن نبي، مالك، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبدالصبور شاهين، د.ط، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م، ص ١٤٩ وما بعدها باختصار.

^٢ - دراز، محمد عبدالله، انبأ العظيم، دار القلم، د.ط، الكويت، د.ت، هامش ص ٦٧

^٣ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٤

^٤ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥

وتشتد بالصيام القدرة على مشاهدة الرؤى (إنجيل متى الفصل ٤:٢) كما اكتشفت الفيزيولوجيا الحديثة مؤخراً^(١).

وما زعمه نولدكه مردود بما يلي:

أولاً: لا يروق لنولدكه أن يكون المقرر عند العلماء المسلمين بأن معظم الوحي قد حصل نهاراً^(٢)، فيصف ما ذكره السيوطي بأنه ادعاء^(٣).

ثانياً: وأما التهجد الذي زعمه مستدلاً بآية سورة الإسراء "ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً" (الإسراء: ٧٩)، فهذه الآية نزلت بعد حادثة الإسراء، وفرض الصلوات الخمس، أي في السنة العاشرة للبعثة النبوية، وقد رجح الطبري أن يكون المراد به بما خص الله تعالى رسوله به من فرض قيام الليل عليه دون سائر أمته^(٤).

فالأمر بالتهجد كان متأخراً عن نزول الوحي، وفي السنة العاشرة تحديداً، وهي السنة التي نزلت فيها سورة الإسراء عقب حادثة الإسراء والمعراج، ثم إن قريشاً كان أكثر دراية بأحوال النبي ﷺ من نولدكه، ومثل هذا الزعم لم يرد عنهم، أنه من تهجده كان يخيل إليه أن يرى ويسمع أشخاصاً يكلمونه.

ولو كان للتهجد أثر في (الوحي النفسي) على حد زعم نولدكه فلماذا يتأخر حرص النبي ﷺ عليه عشر سنوات من دعوته، ثم إنه لكان أحرص عليه في مكة منه في المدينة، وما ورد يدل على حرص النبي ﷺ عليه بشدة دوامه عليه بعد هجرته حتى أنه كانت ترم قدماء من كثرة التهجد، فلما سئل عن ذلك، قال: أفلا أكون عبداً شكوراً^(٥).

ثالثاً: يتخذ نولدكه من الصيام دليلاً على أنه اشتدت قدرة رسول الله ﷺ على مشاهدة الرؤى^(٦)، وهنا يرد على نولدكه بأن الصيام لم يفرض في الإسلام إلا في السنة الثانية للهجرة، فما زعمه نولدكه أن اشتداد حرارة الخطاب بسبب الصيام مردود لعدم فرضية الصيام قبل الهجرة.

١- تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٥. ولم أستطع العثور على هذه المقولة في الفيزيولوجيا للتعرف على مضمونها.

٢- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٩٠.

٣- انظر، تاريخ القرآن ج ١، هامش ص ٢٥.

٤- انظر، الطبري، جامع البيان، ج ١٧، ص ٥٢٥.

٥- أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ حتى ترم قدماء، حديث رقم ١٠٧٨.

٦- انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٥.

ولو كان - على حد زعمه- للصيام أثر في أسلوب الكلام، فهل كان ذلك مما سيخفى عن مشركي مكة، وهم أعرف الناس بالكلام.

ويستدل بالنص الوارد في (إنجيل متى) على أن الصوم يؤدي إلى شدة القدرة على مشاهدة الرؤى: ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس، فبعدها صام أربعين يوماً، وأربعين ليلة جاع أخيراً، فتقدم إليه المجرب، وقال: إن كنت ابن الله فقل: أن تصير هذه الحجارة خبزاً، فأجاب، وقال: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله...، ثم تركه إبليس، وإذا بالملائكة قد جاءت فصارت تخدمه^(١)

لا دلالة في هذا النص على ما ذهب إليه، فكل ما يدل عليه النص هو أن نبي الله عيسى عليه السلام رفض ما اقترحه إبليس لما طلب منه على سبيل الامتحان معجزتين، فما أجاب بواحدة منهما، واعترف في المرة الثانية أنه لا يليق بالمربوب أن يجرب ربه، بل مقتضى العبودية مراعاة الأدب وعدم التجربة^(٢)

ثم إنه توجد نصوص تفيد أن عيسى عليه السلام رفض فكرة الصيام أثناء حياته رفضاً جازماً، وذلك حينما سأله أتباع يوحنا قائلين: "نصوم نحن والفريسيون كثيراً، وأما تلاميذك فلا يصومون، فقال لهم يسوع: هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا ما دام العريس معهم، ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون"^(٣)

رابعاً: يستدل نولدكه أيضاً بنظرية الفيزيولوجيا، فيزعم أنها تؤكد أن الصيام يقوي القدرة على مشاهدة الرؤى والخيالات^(٤)

ومثل هذه النظرية لا نجد لها تطبيقاً إلا في الديانات القديمة والأساطير التي كانت سائدة في العهود الغابرة، حيث ساد الاعتقاد بأن الآلهة تلهم الكهنة الذين يصومون بإخلاص شديد القدرة على مشاهدة الرؤى والأحلام، وبالتالي استطاعة شفاء المرضى الذين يتصلون بهم روحياً من أمراض غريبة^(٥)

١ - الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح الرابع، الفقرة ١

٢ - الهندي، رحمت الله، إظهار الحق، ج ٢، ص ٣٨٠

٣ - الكتاب المقدس، إنجيل متى، الإصحاح التاسع، الفقرة ١٤

٤ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٥

٥ - أبو الوفاء، أسامة، الصوم في التراث الإنساني، مجلة الأفق الثقافية، ٢٠٠٢م، على شبكة الانترنت، باختصار

وفي الجينية وهي أكثر ديانات الأرض التي عرفت الجوع، لم يعرف عن أتباعها إلا الجوع وتعذيب الجسد للتوصل إلى طهارة الروح، وللاتصال بالعالم العلوي، ثم يكافأ أتباعها بالانتحار بعد اثني أو ثلاثة عشر عاماً من هذه الرهينة^(١)، فهل يجوز في منطق العقلاء أن يقاس وحى القرآن الذي أقام الحياة على أصول محكمة في التربية والأخلاق، وجعل للنفس الإنسانية منهجاً يوازن بين البعدين الديني والدنيوي- فهل يجوز أن يقاس على هذه الأساطير التي لم تنتج إلا الشقاء للبشرية؟

خامساً: يرد نولدكه الوحي إلى رؤى ومنامات وخيالات بسبب الاضطرابات العصبية التي زعم أنها كانت تصيب النبي ﷺ، ويدع الرواية الصحيحة^(٢) الصريحة عن عائشة رضي الله عنها في نزول جبريل عليه السلام على النبي ﷺ بقطة، بحجة أنه لا يوثق بكلامها كثيراً؛ لأن محمداً (ﷺ) لم يرو لها ما حدث إلا بعد حدوثه بزمن طويل^(٣) ويتمسك برواية في سيرة ابن هشام زاعماً أن مبدأ الوحي كان مناماً^(٤)، ونص الرواية هو أن رسول الله ﷺ قال: فجاءني جبريل، وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال اقرأ، قال: قلت ما أقرأ^(٥) (الحديث)

وأما زعمه رد رواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ لأنها كانت صغيرة يومئذ، فهي من قبيل مرسل الصحابي، فحكم روايتها هذه كحكم "مراسيل الصحابة كابن عباس رضي الله عنهما وغيره فلها حكم الموصول؛ لأنهم إنما يروون عن الصحابة، وكلهم عدول، فجهالتهم لا تضر، والله أعلم"^(٦)، وسرّ ذلك؛ لأن الله تعالى منحهم العدالة.

- ١ - شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى، ط ٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٢٣-١٢٤ باختصار، والجينية هي ديانة منتشرة في الهند تنسب إلى جينا، ويعني عندهم القاهر والمتغلب، وسميت الفرقة بذلك؛ لأن مؤسسيها عرفوا بقهر شهواتهم، والتغلب على رغباتهم المادية. أديان الهند الكبرى، ص ١١٤
- ٢ - أخرجها البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم ٣
- ٢ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٧٣
- ٤ - انظر، المصدر السابق، ص ٧١-٧٢ باختصار
- ٥ - السيرة النبوية، ابن هشام، مصدر سابق، ص ٩٤-٩٥، وقد تقدم الحكم على الرواية بأنها مرسل تابعي، فهي رواية ضعيفة، فهي في سيرة ابن هشام من رواية عبيد الله بن عمير، وهو من كبار التابعين، وعند الطبري في تاريخه من رواية محمد بن حميد الرازي وقد كذبه جماعة من العلماء.
- ٦ - شاكر، أحمد محمد، الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث لابن كثير، ط ١، دار المؤيد، الرياض، ١٩٩٧، ص ٤٧، بتصرف قليل.

وأراد نولدكه أن يتخذ من (فترة الوحي) شاهداً له على ما كان يزعم من معاناة النبي لأوضاع نفسية، فيقول: لم يتجراً محمد (ﷺ) أن يتكلم بالنبوة، ولم يكن على ثقة من نفسه بالجهر، وأنه كان يعيش تحت وقع الصراع النفسي العنيف، وكاد أن يؤدي به إلى الانتحار من بعد أن فتر الوحي عنه مدة دامت بين سنتين إلى ثلاث سنوات^(١).

فنولدكه كعادته اجتزأ رأيين فقط من الآراء الواردة في الروايات حول المدة التي فتر فيها الوحي، وتعمد أن يذكر الرأيين اللذين يدلان على المدة الأكبر بدلالة أنه لم يتطرق أبداً للآراء الأخرى. والآراء التي وردت في مدة فترة الوحي هي: روي أنها ثلاث سنوات، وقيل: سنتين ونصف، وقيل: سنتين، وقيل: أربعين يوماً، وقيل: خمسة عشر يوماً، وقيل: استمرت اثنا عشر يوماً، وقيل: إنها لم تزد على ثلاثة أيام^(٢).

وأمر مدة فترة الوحي مما بحثه العلماء، واختلفوا فيه، والوصول إلى تحديد دقيق لهذه المدة هو أمر عسير جداً، والاختلاف فيها دليل على أن أمرها لم يشتهر بين الناس بحيث يرصدوا أولها وآخرها، فيبدو أن تقدير الروايات بالزمن حصل بعد انتهائها حين انتشرت الدعوة الإسلامية، وبدأ الرواة يراجعون أمورها، ويتعقبون أخبارها بالاستقصاء والتسجيل، بينما نجد أن العلماء المتقدمين لم يهتموا باستقصاء زمن هذه الفترة؛ لأن ذلك لم يكن له نتيجة عملية في الدين والدنيا، فابن هشام لم يحدد هذه الفترة^(٣)، وكذلك فعل الإمام البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي^(٤).

وأما دعواه بأن النبي ﷺ في فترة الوحي هذه كان يريد الانتحار بالتردي من شواهد الجبال، فهذا ادعاء وزعم باطل.

فقد ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنه قد فتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال فكلما أوفى بنزوة جبل لكي يلقي

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٧٥

٢ - انظر، الصالحى الشامى، محمد بن يوسف (٩٤٣هـ-)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق عادل عبدالموجود وعلي معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣، ج ٢، ص ٢٧٢

٣ - انظر ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٩٦

٤ - بلتاجي، محمد، مدخل إلى الدراسات القرآنية، مكتبة الشباب، د.ط، مصر، ص ١٣٤ - ١٣٥ باختصار

منه نفسه تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال: له مثل ذلك^(١) قال ابن حجر حول هذا الحديث: "إن القائل بلغنا كذا هو الزهري، وعنه حكى البخاري هذا البلاغ، وليس هذا البلاغ موصولاً برسول الله ﷺ، وقال الكرمانى: وهذا هو الظاهر"^(٢)

وإذا كان نولدكه قد أنكر نبوة محمد ﷺ، وردّ الوحي إلى (الوحي النفسي) فإن ثمة دلائل تشير إلى (إلحاد) نولدكه في موضوع (النبوة والوحي) وهذا هو نص كلامه:
يقول عن النبوة: "تطورت النبوة التي كانت محرّكة للدين والدولة معاً في الشعب الإسرائيلي دون ما سواه من الشعوب الأخرى حتى انتهت بـ (يسوع المسيح)، ولكن سبب ظهور النبوة كثيراً في الشعب الإسرائيلي ومدى تأثيره على تاريخه أمر يصعب التحري عنه، ولكن هذه الحركة النبوية في اليهودية تراجعت لكنها لم تنقرض تماماً كما يدل عليه بروز المسحاء الكذبة، وأنبياء العصر الروماني"^(٣)

كلام نولدكه هذا يشير إلى إنكاره لنبوات أنبياء آخرين لم يرد ذكرهم في (الكتاب المقدس) مثل صالح وهود عليهما السلام، حيث يعد قصصهما التي قصتها القرآن أساطير شعبية، بل وصل به الحد إلى عدّ صالح عليه السلام "من اختراع محمد ﷺ"^(٤)

وأما الحركة النبوية التي سماها في بني إسرائيل فقد جاءت الأخبار عنها من خلال "المخطوطات الإسرائيلية نفسها في القرنين السادس والسابع الميلاديين، وفي هذه الحقبة من التاريخ الإسرائيلي لم تكن فترة ارتقاء روحي، بل فترة تدهور خلقي وديني ناتج عن الاضطرابات الاجتماعية والسياسية، وهذا التدهور هو على وجه التحديد موضوع دعوة الأنبياء. وإذا كان المستوى الروحي قد انحط تبعاً لهذا التفتيق والتأميم لفكرة الإله الواحد فإن النشاط الديني الذي التزمته طقوس المعبد أو نمته كان يغذي في روح إسرائيل المتصوفة حمية واندفاعاً تمسك الإسرائيليون بمظاهرها العامة على أنهما أجزاء مكملة للحركة الدينية، فقد تكاثر الكهان والعرافون وأهل الكشف في بيت المقدس حيث كانوا موضع احترام الشعب أو خوفه لما خصهم به من المقدرة

١ - أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب أول ما بدء به الرسول من الوحي الرؤيا الصالحة، حديث رقم ٦٤٦٧

٢ - ابن حجر، فتح الباري، ج ١٤، ص ٣٨٣

٣ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٣، باختصار

٤ - انظر، المصدر السابق، ج ١، هامش ص ١٨، رقم الهامش (٣٨)

الخارقة، ولما كان من الضروري إطلاق اسم هؤلاء الذين يحظون بهذا الاحترام، فقد أطلق عليهم جميعاً اسم الأنبياء نظراً لعدم وجود مصطلح اشتقاق مناسب لهم^(١)

ومثل هذا الادعاء لا يستند إلى أي أساس أو واقع تاريخي، فنوح عليه السلام الذي عاش قبل أكثر من خمسة آلاف عام لم يكن يهودياً، ولم يكن الأنبياء الذين ظهروا بعده يهوداً، وإبراهيم لم يكن يهودياً كذلك، وهؤلاء كلهم نسبوا إلى الجنس السامي العربي، ونادوا بعقيدة التوحيد قبل أن يكون هناك يهود في العالم، فحشر هؤلاء الأنبياء مع الشعب اليهودي في زمن لم يكن فيه يهود لا يتفق والمنطق، بل هو تشويه للتاريخ وللحقائق^(٢)

وأما (إلحاده) في موضوع الوحي، فهذا تؤكد الموضوع التالية من كتابه:

١- "جوهر النبوة يقوم على فكرة تشبع النبي (ﷺ) روحه من فكرة دينية ما تسيطر عليه أخيراً، فيترأى له أنه مدفوع بقوة إلهية ليبلغ من حوله من الناس تلك الفكرة على أنها حقيقة آتية من الله".
٢- يسوع أراد أن يكون أكثر من نبي، فقد شعر أنه المسيح الذي وعد به بنو إسرائيل، وعرف كيف يبث في جماعته الاعتقاد بأنه انضوى في مجد الأب كابن الله، وسيد المؤمنين، رغم الآلام والموت".

فأرجع الأمر إلى إرادة عيسى عليه السلام، على الرغم من أنه وسائر الرسل لم تكن رسالتهم باختيارهم، بل اصطفاً من الله تعالى.

٣- "حتى يقنع محمد (ﷺ) الناس أنه نبي يوحى إليه لا بد وأن يكون معه دستوراً وكتاباً إلهياً - شأن الرسل السابقين - فأعلن عن سور أعدها بتفكير واع، وبواسطة قصص من مصادر غريبة، وكأنها وحي حقيقي من الله، شأنها في ذلك شأن البواكير التي صدرت عن وجدانه الملهب انفعالاً، وهذه التهمة يمكن أن توجه إلى أنبياء بني إسرائيل الذين نشروا منتجاتهم الأدبية على أنها كلمات رب الصباؤوت^(٣)، وهذه لم تنتج إجمالاً من اعتماد الخداع بل من الاعتقاد الساذج"^(٤).

^١ - بن نبي، مالك، الظاهرة القرآنية، مرجع سابق، ص ٨٧- ٨٨

^٢ - سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، د.ط، ١٩٨١م، ص ٣٨٣

^٣ - صباؤوت جمع صبا، ومعناها جمهور أو جيش عرمرم، ورب الصباؤوت أي رب الجنود. قاموس المصطلحات الكنسية، للنس تادرس يعقوب، طبعة بيروت، ١٩٦٩ على الانترنت.

^٤ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٣، و ص ٦

والملاحظ على نولدكه أن الرجل بدأ متناقضاً مع نفسه في دراسة موضوع الوحي القرآني، ففي حين يصر أن اليهود والنصارى هم أساس مادة الوحي القرآني، فإنه يسوّي بين محمد ﷺ وإخوته من الرسل عليهم السلام في تفسير ظاهرة الوحي.

ومثل هذا التناقض دليل على أن نولدكه لم يستطع التخلص من المفهوم الذي ساد لدى العلماء التجريبيين الأوربيين في القرن التاسع عشر حول الوحي، فكان الأصل من نولدكه أن يتمسك بصورة الوحي في الإسلام والشرايع التي نزلت من قبل، والتي تجمع كلها أن جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يتلقون هذا الوحي من الله ﷻ، وأنه ليس لأنفسهم حظ في تنزل هذا الوحي عليهم.

المطلب الثالث

مصادر وحي القرآن عند نولدكه

من الطبيعي في العمل البشري أن تتعدد مصادره، ولكن الأمر حينما يتعلق بالوحي فإنه لا يجوز أن يكون مصدر الوحي إلا جهة السماء، وهذا ينطبق على النبي محمد ﷺ وعلى سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ولكن نولدكه في منهجيته التي سار عليها في دراسة تاريخ القرآن، وهو المنهج المعروف بدراسة الكتاب المقدس - أراد أن يستل على أساس هذا المنهج الذي يقوم أساساً على فكرة تعدد المصادر؛ ليقرر أن ثمة مراحل تاريخية مر بها القرآن الكريم؛ وليقود ذلك إلى تقرير نشأة له وتطور من خلال المصادر التي أخذ منها مادة الوحي ومضمونه، والفترات التي اقتضت التغير فيه بسبب الأحداث التاريخية في فترات تنزله.

يقرر نولدكه أن هناك مصادر عديدة اقتبس رسول الله ﷺ محتوى الوحي ومضمونه منها عبر الفترات التي زعم - بحسب وجهة نظره - تنزل الوحي القرآني فيها، ويمكن تقسيم هذه المصادر التي تناولها نولدكه بالنقد إلى:

١- مصادر مكتوبة

٢- مصادر شفوية

٣- مصادر بيئية

وكان نولدكه يبدي وجهة نظره في هذه المصادر إما موافقاً، أو مستبعداً^(١) من خلال بيان العلة في الرفض أو التأييد.

والمصادر المستبعدة عند نولدكه تشمل بعض المصادر من النوعين الأول والثاني - أي المكتوب والشفهي - فمن المصادر الشفهية المستبعدة عنده:

أولاً: من رجال افتراض سماع رسول الله ﷺ منهم، وهم:

١- الرهبان خاصة بحيرا ونسطوريوس حيث يرفض نولدكه الرواية الاستشراقية القائلة بتلقي الرسول (ﷺ) تعليمه منهما، وإن كان قد زعم أن الروايات التي تجمع محمداً ﷺ بهذين الراهبين

١ - استبعاد نولدكه مصدراً ما ليس دليلاً على دفاعه عن الوحي، أو تدليلاً على موضوعيته في النقد التاريخي بقدر ما هو رد لرأي ضعيف يخشى أن يحسب عليه إذا اعتمده.

تحتوي نواة من الحقيقة، إلا أنه لا يمكن للقاء كهذا أن يكون ذا أثر بالغ في نبوته، ومعللاً ذلك بأن محمداً ﷺ لم يكن مضطراً لیسافر إلى سوريا والحبشة؛ ليتعرف على أديان الوحي؛ لأنه قد توافر ما يكفي لهذا الغرض من اليهود والمسيحيين قرب مكة المكرمة أو فيها^(١)

يقول نولدكه: "من المستبعد أن ينزلق شخص متفوق، وواثق بنفسه مثل محمد(ﷺ) إلى تبعية أحد معاصريه بهذا الشكل، ولا يجوز افتراض توافق خداعي بينه وبين شخص آخر، فبالرغم من أخطاء محمد(ﷺ) كانت حياته وإنجازاته تقوم على صدق رسالته غير المحدود"^(٢)

وعجز الكلام في زعم نولدكه هذا مناقض لصدوره، فكيف يجتمع للنبي صدق غير محدود، وأخطاء تظهر لمن حوله من أعدائه وأصحابه!

٢- دحية بن خليفة الكلبي

ينقل نولدكه عن فايل الألماني أن محمداً ﷺ كان يتلقى بعض الآيات التي يُخاطب بها من إنسان كان يسخر منه، وهذا الشخص هو دحية بن خليفة الكلبي ﷺ، وذلك على اعتبار أن جبريل ﷺ كان يشبهه؛ لأنه كان ينزل عليه بصورته ﷺ^(٣)

لم يكن تنزل الوحي القرآني بوساطة جبريل على النبي ﷺ بصورة دحية، أو عبر الإلهام، أو بالفتن في روعه، وإنما أنزل كله عبر جبريل، وهو ما يسمى بالوحي الجلي^(٤) يرفض نولدكه رأي فايل لسببين:

الأول: أنه كان الأولى أن يكون هذا الإنسان هو المصلح بدلاً من أن يخترع شخصاً يسهل خداعه ليدفع به عبر حيل - ستسلب الحقيقة قيمتها- إلى التبشير بتعاليمه.
الثاني: زعم فايل أن الآيات التي أخذها من دحية لا تتلاءم والحقيقة التي كان محمد (ﷺ) مشبعاً بها منذ البداية، فنتج مازقين:

١- إما أن يكون المؤلف المجهول قد أنتج فقط تلك الآيات التي هي بحد ذاتها غير قيمة.
٢- أن يكون المؤلف المجهول قد أنتج آيات أخرى كما لو كان محمد (ﷺ) هو الذي أتى بها، وهي تعتبر صادقة^(١)

١ - انظر تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٧

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦

٤ - انظر، العك، خالد، تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، دار الفكر، ط ٢، دمشق، ١٩٨٦م، ص ١٣

١- أمية بن أبي الصلت

رفض نولدكه أيضاً دعوى بعض المستشرقين^(٢) في أن تكون قصائد أمية بن أبي الصلت مصدراً من مصادر محمد ﷺ في القرآن، معللاً رأيه بأن أمية بن أبي الصلت قد نهل مثل محمد ﷺ من معين الروايات اليهودية والمسيحية، وبالتالي فإن المواضع التي سيقت للتأكيد على هذا الإدعاء إنما كانت مزورة تحت تأثير القرآن^(٣)

بل إنه في موضع آخر يرى أن شعر أمية بن أبي الصلت لم يكن شعراً حقيقياً، بل آراء مستعارة، وتتميق كلام خطابي^(٤)

وأما المصادر الكتابية التي استبعدها في موضوع مصادر الوحي فتتمثل في رأي المستشرق الألماني شبرنغر الذي ذهب إلى أن محمداً (ﷺ) قد اطلع على كتاب حول العقائد والأساطير اسمه (أساطير الأولين)، وأن صحف إبراهيم الوارد ذكرها في سورتي النجم والأعلى ليست إلا الكتاب الذي استعمله محمد ﷺ^(٥)

ويعلل نولدكه رفضه لهذا الرأي بقوله: "لو فعل محمد (ﷺ) ذلك لكان قد كشف نفسه للناس، فإنه مما ينافي النبوة أن يستعمل كتاباً معروفاً على ما يزعم أنه يتلقاه بنفسه من الوحي، لو كان (أساطير الأولين) كتاباً لم يقل محمد ﷺ لقومه (هذه فقط أساطير الأولين)، بل لقال لهم: (هذا من أساطير الأولين)"^(٦).

ونفي نولدكه وجود مصدر مكتوب باسم أساطير الأولين للنبي محمد ﷺ لا يعني بحال من الأحوال أنه كان إيجابياً من قضية الأمية، بل على العكس من ذلك فقد زعم بأن هناك دلائل عدة على أن النبي (ﷺ) استطاع القراءة والكتابة، لكنه لم يشأ أن يُعرف بذلك^(٧)

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٦ باختصار

٢ - مثل المستشرق كليمان هوار، ولكن نولدكه يتراجع في هامش ص ٣٣ فيقول: "إن ما جذب محمد إلى أمية عالمه الفكري الذي يشبه فكر الإسلام"

٣ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٨

٤ - انظر، المصدر السابق، ج ١، هامش ص ٣٣

٥ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٥

٦ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٤ باختصار.

٧ - انظر المصدر السابق، ج ١، ص ١٥

ينفي أن تكون معنى كلمة (الأمي) الواردة في قوله تعالى: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ" ، (الأعراف: ١٥٧) تعني عدم معرفة القراءة والكتابة، بل يزعم قائلًا: "لكننا إذا تفحصنا كل الآيات القرآنية التي ترد فيها كلمة أمي وجدنا أنها تعني في كل الحالات نقيض أهل الكتاب، وهذا يفيد أن المراد بالكلمة ليس عكس القادرين على الكتابة، بل عكس من يعرفون الكتاب المقدس ويستدل بآية البقرة: "وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ" ، (البقرة: ٧٨)، في أنه ثمة حتى بين اليهود أميون لا يفهمون من الكتاب إلا القليل، فالكلمة إذا تصف في حال محمد (ﷺ) الوضع الذي كان يشدد عليه دائماً، وهو أنه لم يكن يعرف الكتب المقدسة، بل عرف الحقيقة بواسطة الوحي، الكلمة لا تعني من يجهل القراءة والكتابة"^(١)

ونولده بهذا التأويل الذي زعمه نحا إلى غير الحق، فزعمه هذا ذكره أيضاً غيره مثل "شبرنغر عندما جعل كلمة (الأمي) متعلقة بوصف غير أهل الكتاب، فجعلها مشتقة من أمة بمعنى شعب وثني، وأن هذا يتوافق مع الكلمة العبرية "جويم".

ونولده نعد أن يقوم بإسقاط معنى جويم في اليهودية على الاستعمال القرآني لكلمة (الأمي) في وصف النبي ﷺ بأنه لا يقرأ ولا يكتب، واستعمال اليهود لها في وصف الذين هم على نقيض أهل الكتاب ليس بلازم بأن يكون معناها في العربية هكذا^(٢).

وزعم أيضاً أن الحديث الموضوع "أنا مدينة العلم وعلي بابها" يحوي شيئاً من الحقيقة في هذا الموضوع^(٣)، ثم إنه لا يستبعد أن يحوز رجل وجد في محيطه القريب عشرات من الرجال الذين استطاعوا القراءة والكتابة ما يحتاجه من هذه الصنعة، ليس فقط من أجل تسجيل البضائع والأسعار والأسماء، بل أيضاً بسبب اهتمامه بكتب اليهود والمسيحيين المقدسة التي أراد أن يتعمق بها معرفة^(٤).

١ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٣-١٤.

٢ - ينظر في ذلك، دراز، محمد، مدخل إلى القرآن الكريم، ص ١٣٩ وها مشها، فالقرآن نفسه يطلق وصف (أمي) على اليهود غير المتعلمين في قوله ﷺ: "ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى" (البقرة: ٧٨).

٣ - انظر، ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (٥٩٧هـ-)، الموضوعات، تحقيق عبدالرحمن عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط ١، ١٩٦٦م، ج ١، ص ٣٥٠، وما بعدها حيث ذكره بجميع طرقه وبتين ما بها من ضعف شديد.

٤ - انظر تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٥.

وحال النبي ﷺ قبل بعثته يكذب ما ادعاه، فإنه لم يجالس معلماً، ولا عرف قراءة الحروف ولا كتابتها، ووجود كتاب الوحي لا يدل على أنه كان يعرف القراءة والكتابة.

وأما المصادر التي جعلها نولده معتمدة عنده للوحي، فيه نوعان: شفهي، وبيئي. يزعم نولده أن أهم أجزاء تعليم النبي (ﷺ) قد تلقاها شفويًا من اليهود والمسيحيين، مستدلًا على أن القرآن نفسه يؤكد هذا التلقي الشفهي^(١).

وفيما يلي عرض للنصوص التي تأولها أدلة له على المصدرية اليهودية المسيحية للوحي القرآني، فزعم في ذلك قوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتِرَاءِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا"، (الفرقان: ٤)، دال على ذلك، وهذه الآية جاءت حكاية لما افتراه المشركون حول رسول الله ﷺ، لا أن القرآن يقرر أنه قد أخذه من غيره بدلالة بداية الآية (وقال الذين كفروا)، وخاتمة الآية تؤكد حقيقة ذلك إذ جاءت "فقد جاؤوا ظلماً وزوراً"، وما فعله نولده أنه بتر أول السياق عن آخره، وما بعد خاتمة الآية يقرر أن الكلام جاء حكاية عن دعوى الكفار فيها "وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً"، والتقرير في الآية التي تلت هاتين الآيتين يكشف عن الحق، إذ قال الله تعالى: "قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض" فنسب الإنزال إلى الله تعالى، وليس إلى ما ادعته قريش.

وأما الآية الثانية التي استدلت بها فهي قوله تعالى: "وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ"، (النحل: ١٠٣) وما قيل عن الأولى في أنها حكاية لدعوى المشركين فهذه مثلها، وزادت بأن أبطلت الدعوى من أساسها.

يقول سيد قطب: "وهذه المقالة منهم يصعب حملها على الجد، وأغلب الظن أنها كيد من كيدهم الذي كانوا يدبرونه وهم يعلمون كذبه وافتراءه، وإلا فكيف يقولون - وهم أخبر بقيمة هذا الكتاب وإعجازه - إن أعجمياً يملك أن يعلم محمداً (ﷺ) هذا الكتاب، ولئن كان قادراً على مثله ل يظهرن به نفسه"^(٢).

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٥ - ص ١٦ باختصار

٢ - قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط ١٧، القاهرة، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٤، ص ٢١٩٥

وقد اختلف في هذا الأعجمي فهل يعرف هذا المعلم الذي استأهل هذا الشرف القرشي والاستشراقي الذي زعمت قريش، ونولده من بعدها تعلم الرسول ﷺ القرآن منه فقيل: "اسمه بلعام: وقيل: يعيش، وقيل: جبر، وقيل غير ذلك"^(١)

وقد أبطلت الآية دعوى المشركين فسكتوا، "ولو فندوه لسجل القرآن هذا التفتيد ورد عليهم بدوره كما هي عادة الوحي"^(٢)، فما الذي بقي لنولده ليمسك به في أن ثمة أناس من أهل الكتاب التقوا برسول الله ﷺ قبل البعثة، ونهل محتوى القرآن ومادته منهم، فهؤلاء لا يخلو الأمر بعد البعثة النبوية من أن يكونوا كلهم أو بعضهم على قيد الحياة، فما الذي حال بينهم وبين فضح أمره، لو كان الأمر كما زعم نولده.

وما ردّ به نولده على فيل بخصوص استبعاد أن يكون دحية مصدراً من مصادر السوحي لمحمد ﷺ يصلح به الردّ عليه هنا من خلال: كيف يؤثر امرؤ شخصاً آخر بتعليم يجلب له النبوة وإصلاح العالمين بدلاً من أن يكون ذلك له، أو لأحد من بني جدته على أقل تقدير^(٣).

وما يكشف بطلان هذه الدعوى أيضاً الأمور التالية:
أولاً: أحوال اليهود والنصارى.

١- فقد وصف الله تعالى أهل الكتاب بالبخل بما عندهم من العلم، بحيث أنهم لم يكونوا يتنازلون عن بضع أوراق من التوراة إلا مع حرصهم على إخفاء الجزء الأكبر منها^(٤) "تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً" (الأنعام: ٩١)

٢- من الضروري بيان حال أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين في الفترة التي سبقت نزول الوحي على محمد ﷺ وتحديدًا في القرنين السادس والسابع الميلاديين.

"قلم يكن اليهود أهلاً لتعليم النبي محمد ﷺ أو غيره، على الرغم أنهم كانوا أغنى أمم الأرض في الدين، وأقربهم فهماً لمصطلحاته ومعانيه، ولكنهم لم يكونوا عاملاً من عوامل الحضارة أو السياسة والدين حتى يؤثروا في غيرهم، بل قضى عليهم من قرون طويلة أن يتحكم فيهم غيرهم،

١ - انظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٦٧، وينظر، دراز، محمد عبدالله، انبأ العظيم، د.ط، دار القلم، الكويت، ١٩٦٩م، ص ٦٢-٦٣

٢ - عوض، إبراهيم، مصدر القرآن (دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي)، د.ط، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ١٩٩٧م، ص ١٠٥

٣ - انظر، دراز، انبأ العظيم، مرجع سابق، ص ٦٥

٤ - دراز، محمد، مدخل إلى القرآن الكريم، ترجمة محمد عبدالعظيم علي، د.ط، دار القلم، ١٩٨٦، ص ١٤١

وأورثتهم حالة الاستبداد والنفي والجلاء والبلاء أزمة نفسية غريبة جعلتهم أمة منغلقة على نفسه، فهم بهذا عزلوا عن إمامة الأمم، وقيادة العلم في القرنين السادس والسابع^(١)

فالعالمية العظمى من اليهود كانت تعادي رسول الله ﷺ، وهو ما زال في صباه- في الثانية عشرة من عمره-، وتتحين الفرصة لتكيد به المكائد، وهذا هو سر قول بحيرا لعم رسول الله ﷺ أبي طالب عندما استفهم بحيرا من النبي ﷺ عن بعض شؤونه، فالتفت بحيرا لأبي طالب قائلاً له: "ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْتَغُنَّهُ شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم"^(٢).

وأما بعد نبوته فقد كانت اليهود تعادي الإسلام حتى من قبل أن يدوس رسول الله ﷺ أرض المدينة، وكانت تخفي علمها عنه، بل إنهم حاولوا في مرات عديدة خداعه، وبث المكائد في طريقه، ويلقون عليه أحياناً عن طريق إخوانهم - من المشركين- أسئلة محرجة عن الروح وبعض الألفاظ التاريخية، وأحياناً ينكرون نصوصاً أكد رسول الله ﷺ وجودها في كتبهم، ولا يعترفون بها إلا بعد تحديهم، وإثبات غشهم^(٣)

وكذلك واقع النصارى يرد دعوى تولدكه أنهم كانوا مصدرأ شفهيأ للنبي ﷺ^(٤):

١- يشك بعض الكتاب المسيحيون بأن يكون النبي محمد ﷺ قد دخل في الأراضي المسيحية الحقيقية؟

٢- الكنيسة الشرقية والغربية لم تكن إحداهما أحسن حالاً من الأخرى فقد كانت أطماع رجال الكنيسة وخطاياتهم على أتفه الأسباب، وعمت الانشقاقات والخلافات، وساد الفساد في العقيدة والأخلاق بين رجال الدين و السياسة، ثم إن حال العامة من المسيحيين أنفسهم، فقد كان أسوأ من ذلك بكثير كونهم هم الذين يدفعون ثمن هذه الخلافات والانشقاقات، وكانوا آلة لتنفيذ أطماع الأمراء، فأل بهم الأمر إلى أن يتحفظوا لإرضاء شهواتهم، فانتهوا تقريباً إلى طرد المسيحية ذاتها من الوجود.

٣- ينقل الشيخ دراز عن الكاتب تايلور في كتابه المسيحية القديمة: "إن ما قابله محمد (ﷺ) وأتباعه في كل اتجاه لم يكن إلا خرافات منفرة، ووثنية منحطة ومخجلة، ومذاهب كنسية مغرورة، وطقوساً دينية منحلة وصيبانية"

١ - الندوي، أبو الحسن، ماذا خسر العالم باتحطاط المسلمين، د.ط، مكتبة الإيمان، المنصورة، د.ت، ص ٣٨-٣٩، بتصرف قليل.

٢ - ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٧٤

٣ - دراز، محمد، مدخل إلى القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ١٦٢

٤ - المرجع السابق، ص ١٣٦-١٣٧ باختصار

ثم ينقل عن كاتب آخر اسمه هوارت في كتابه (مصدر جديد للقرآن): "مهما كان إغراء الفكرة التي تقول بأن تفكير المصلح الشاب محمد (ﷺ) قد تأثر بقوة عندما شاهد تطبيق الديانة المسيحية بسوريا فإنه يتحتم استبعادها نظراً لضعف الوثائق والأسس التاريخية الصحيحة"
 ثانياً: على الرغم من أن نولدكه اعتبر أن الروايات التي تجمع محمداً (ﷺ) ببخيرا أو نسطوربيوس فيها شيء من الحقيقة إلا أنه استبعد أن يكون لهذه اللقاءات تأثير بالغ في نبوته، والرواية تؤكد أن النبي لم يلتق ببخيراً إلا صغيراً، ولا توجد رواية تبين أنه قد جالس نسطوربيوس أو سمع منه.
 ثالثاً: أبطل الوحي عقائد اليهود والمسيحيين الفاسدة، فلا يجوز عقلاً أن يكونوا هم الذين علموه هذا، فقد ذكر القرآن مفاصد اليهود مثل ادعائهم أن عزيزاً ابن الله، وصرح الوحي القرآني كذلك بكفر من قال بالتثليث، فلا يجوز في منطق العقلاء أن يكون اليهود والنصارى هم الذين علموا النبي (ﷺ) هذا.
 رابعاً: اشتمل الوحي القرآني على حقائق كونية، وإشارات في الآفاق والأنفس شهد المنصفون من أهل الكتاب المعاصرين بحقيقتها وصدقها، وأنه يحال أن يكون محمد النبي (ﷺ) قد تلقاه من أحد، في حين أن الأمور المذكورة عن الكون في الكتاب المقدس ردها هؤلاء العلماء لمخالفتها لأبسط القواعد العلمية التي قررها العلم الحديث.

ووصل الزعم بنولدكه إلى حد اعتبار إطلاق لفظ الصابئة على المسلمين من قبل المشركين يعني أنهم اعتبروهم على علاقة وثيقة ببعض الفرق المسيحية، بدلالة لجوئهم إلى ملك الحبشة المسيحي^(١)

وما تقدم ذكره من بيان واقع اليهود والنصارى يكشف بطلان هذا الادعاء، وأما لجوء الصحابة إلى ملك الحبشة فلم يكن بسبب شعورهم بأنهم على علاقة مميزة بالمسيحيين، وإنما؛ لأنه كان ملكاً عادلاً لا يظلم عنده أحد، ففروا من اضطهاد قريش ليجدوا الأمان في بلاده، فقد جاء في سيرة ابن هشام أن رسول الله (ﷺ) قال لأصحابه لما رأى ما يصيبهم من البلاء: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه"^(٢)

وذكر نولدكه أمثلة عديدة حاول بها أن يؤكد شبهته وزعمه بوجود اقتباس في القرآن من الكتاب المقدس عند أهل الكتاب، وفيما يأتي الرد عليه في ذلك:

١- القصص: ادعى نولدكه بأن القصص القرآنية المستقاة من العهد الجديد أسطورية الطابع، وتشبه في بعض معالمها ما يسرد في الأناجيل المنحولة، ومثل على ذلك بقصة عيسى عليه السلام.

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩

٢ - ابن هشام، السيرة النبوية، ص ١٢٧

يقول موريس بوكاي: "في العصور المسيحية الأولى كان هناك تداول كثير من الكتابات عن المسيح غير أنه لم يعتد بها ككتابات جديرة بالصحة، كما أوصت الكنيسة بإخفائها، من هنا جاء اسم الأناجيل المزورة. ولقد بقي من هذه النصوص مؤلفات يحتفظ بها جيداً؛ لأنها كانت تتمتع بالتقدير العام، ومن هذه رسالة برنابا، ولكن هناك نصوص أخرى قد استبعدت بشكل أكثر عنفاً، ولم يتبق منها إلا بعض أجزاء؛ ولأنها كانت تعتبر ناقلة للخطأ العام فقد أخفيت عن أنظار المؤمنين"^(١)

هذا كلام أحد أشهر الكتاب الغربيين والذي عقد مقارنة موضوعية بين حقائق القرآن، وما ذكرته التوراة والإنجيل مع معطيات العلم الحديث، فأفصح بأن الكنيسة قد أخفت أناجيل أخرى سميتها بالمنحولة (المزورة) حتى عن أتباعها- وهو ما قصده بلفظه (عن أنظار المؤمنين) فكيف أمكن لرسول الله ﷺ أن يطلع عليها، وهي مخفية عن المسيحيين أنفسهم.

٣- الألفاظ: مثل قرأ^(٢) حيث ادعى بأن: قرآن: تشابه كلمة (مقرا) في اليهودية بمعنى الكتاب السماوي، والمصطلح قرآن لم يتطور داخل اللغة العربية، وهي مأخوذة عن تلك الكلمة السريانية (قريان) على وزن فعلان، وعن فرقان: لا تعني بالفعل كتاباً، بل استخدمت وصفاً للوحي في القرآن، ولكتاب موسى (التوراة)، وهي مأخوذة عن اللغة الآرامية.

وزعم أن لفظة (سورة) مأخوذة عن الكلمة العبرية (شورا) بمعنى سلسلة حيث يمكن انطلاقاً من هذا تفسير كلمة سورة بسهولة أنها سطر من الكتاب السماوي، أو هي من شورا بمعنى خيط القياس، أو من (سذراً) بمعنى مقطع للقراءة.

وفيما يأتي الرد عليه في زعمه حول الألفاظ (قرأ، فرقان، سورة)

أما (قرآن) فإن القاف والراء والحرف المعتل يدل على الجمع، ووضع أي حرف ثالث مع القاف والراء لا يخرج المعنى عن الجمع أيضاً، مما يدل على أصالة الكلمة في اللسان العربي، ثم إن وجود كلمة مشابهة في السريانية لهذه الكلمة لا يعني أن كلمة قرآن مأخوذة منها، فلماذا لا تكون الكلمة السريانية هي المأخوذة عن الكلمة العربية، ومن يدري أي الوضعين أسبق من

^١ - بوكاي، موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)،

مرجع سابق، ص ٩٨- ٩٩

^٢ - انظر ما زعمه عن قرأ وفرقان وسورة، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٣١، وص ٣٢، وهامش رقم (٩٦) ص ٣٢

الأخر^(١)، وهذا ينطبق على فرقان وغيرها من الكلمات التي زعم نولدكه أنها من جذور عبرية أو سريانية أو آرامية.

وأما ما زعمه حول كلمة (فرقان) فإن هذا مردود بالآتي:

١- لا يمكن إثبات الأسبقية للأرامية، التي يزعم أنها غير العربية؟

٢- لم لا يكونان نقلًا من أصل قديم عليهما، فاتفقا في النقل؟

٢- الاشتقاق وكثرة الاستعمال أصلاً معتمدان في ثبوت اللفظة من جهة لغة العرب، ولو كانت مما استعارته العربية من غيرها، فإنه لا يحصل لها اشتقاق، ولا يكثر فيها الاستعمال ويتعدد من جهة الاشتقاق^(٢)

وأما كلمة سورة فقد بحث العلماء في أصلها اللغوي، ودلالة التسمية بها لسور القرآن الكريم، فقال الزركشي: "السورة تهمز ولا تهمز، فمن همزها جعلها من أسارت أي أفضلت من السور وهو ما بقي من الشراب في الإناء كأنها قطعة من القرآن، ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهل همزتها، ومنهم من شبهها بسور البناء أي القطعة منه أي منزلة بعد منزلة، وقيل: من سور المدينة؛ لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور ومنه السوار؛ لإحاطته بالسور وعلى هذا فالواو أصلية، ويحتمل أن تكون من السورة بمعنى المرتبة؛ لأن الآيات مرتبة في كل سورة ترتيباً مناسباً وفي ذلك حجة لمن تتبع الآيات بالمناسبات"^(٣)

وعلى ذلك فالمعنى الذي ساقه حول سورة بالعبرية غير صحيح؛ لأن سياق الآيات التي وردت فيها كلمة سورة لا تدل على المعنى الذي زعمه، وإنما تدل على أنها قطعة من القرآن وهو المعنى الذي ذكره الزركشي^(٤).

وأما المصدر الشفهي الآخر للنبي محمد (ﷺ) في زعم نولدكه فهم الأحناف، حيث يؤيد نظرية شبرنغر في أن محمداً (ﷺ) قد تلقى من زيد بن عمرو بن نفيل^(١) ما دفعه للتفكير في الدين،

١ - عباس، فضل حسن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ط١، دار الفتح، عمان، ٢٠٠٠، ص ٢٩-٣٠

بتصرف قليل

٢ - الطيار، مساعد بن سليمان، الدخيل من اللغات القديمة على القرآن من خلال كتابات بعض المستشرقين، عرض ونقد، ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، البحث ١٨، ص ٢٥-٢٦، بتصرف.

٣ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٦٣-٢٦٤

٤ - انظر في هذا، بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ص ٤٥

وأنَّ محمداً (ﷺ) مع حفظه لخطب زيد غيباً، فقد قام بإدخالها حرفياً في القرآن، وما وصل من أقواله يشبه القرآن كثيراً، بل إن رسول الله لم يستعر تعاليمه فقط، بل اقتبس تعابيره^(٢)

وما يدعو للتعجب أن الرجلين لم يأتيا ولو بمثال واحد على أن رسول الله ﷺ قد تأثر به في القرآن الكريم، فإطلاق الكلام من غير أدلة ولا براهين ضرب من الإسقاط الذي يأباه المنطق العلمي، وهو نقيض المنهج الذي اختطه نولده لنفسه في أنه لا يقدم أحكاماً إلا بدليل، ويرفض الأدلة الثقيلة التي لا ترقى إلى الصحة، وكذا كان يعلم تلاميذه.

وكون نولده جعل سيرة ابن هشام من مصادره في دراسة الوحي القرآني فهو ملزم بعدم الانتقائية والاجتزاء في التعامل مع الروايات، فقد جاء في سيرة زيد بن عمرو بن نفيل ما يدل على أنه كان يجهل كيف كان يعبد الله تعالى فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً مسنداً ظهره إلى الكعبة، وهو يقول: يا معشر قريش، والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري، ثم يقول اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به، ولكني لا أعلمه، ثم يسجد على راحلته^(٣)

وعدة تساؤلات تطرح نفسها في هذا الموقف:

لو كانت خطب زيد وأشعاره هي التي أهلت رسول الله ﷺ لمرتبة النبوة، وتلقي الوحي ألم يكن من الأولى أن يكون المعلم هو النبي لا التلميذ؟
ألم يكن بعبيد الله بن جحش يوم أن هاجر إلى الحبشة، ثم تنصر أن يُصرح بأن محمداً (ﷺ) قد تعلم من الأحناف ومنهم زيد؟

١ - زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي والد سعيد بن زيد ؓ، وهو أحد الأحناف، كان على دين إبراهيم ؑ، وكان يكره عبادة الأوثان، ولا يأكل مما ذبح عليها، ويعيب على قريش ذبحهم لغير الله تعالى، توفي قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنين. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ج ١، ص ٣٩٦

٢ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٧

٣ - ابن هشام، السيرة النبوية، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٤، وأخرج البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، حدث رقم ٣٨٢٨: وقال الليث: كتب إلي هشام عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيري...، قال ابن حجر: قوله: وقال الليث: كتب إلي هشام: أي ابن عروة، وهذا التعليق روينا موصولاً في حديث زغبة من رواية أبي بكر بن أبي داود عن عيسى بن حماد وهو المعروف بزغبة عن الليث فتح الباري، ج ٧، ص ٥٢٨

ألم يكن يزيد أن يصارح ابنه سعيد ﷺ أن هذا الذي يدعى نزول الوحي عليه قد تعلم منه^(١)؟
ومن مصادر محمد (ﷺ) - في زعم نولدكه - بالإضافة إلى المصادر الشفهية المتمثلة بأهل
الكتاب، وزيد بن عمرو بن نفيل من الأحناف - المصدر البيئي أي ما أخذه محمد (ﷺ) من
الاعتقادات الدينية التي اعتنقها قومه، معللاً رأيه بأنه ما من مصلح يمكن أن يتصل تماماً من
المعتقدات التي تربي عليها، فبقي لديه بعض الأساطير القديمة مثل الجن، وبعض الآراء الدينية التي
كانت سائدة في الجاهلية كالحج، وبعض الأساطير العربية القديمة مثل عاد وثمود وسيل العرم^(٢)

ويجاب عليه حول زعمه عن المصدر البيئي بما يأتي:

لو أصاب رسول الله (ﷺ) شيء مما كانت عليه الجاهلية من مفاصد، فهل كانت قريش
لتسكت عنه، ثم إن أعداءه لم يجدوا له مثلاً واحداً يذكرونه به، ولو أراد نولدكه ما يدل على ذلك،
فليقرأ نص الحوار الذي دار بين هرقل وأبي سفيان يوم أن التقاه، وسأله عن شأن النبي ﷺ، ثم قال
له: وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن لينذر
الكذب على الناس، ويكذب على الله، ثم قال له: وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما
تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أنني أعلم
أنني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه^(٣)

وموضع الشاهد من هذه الرواية التي أن صحيح البخاري من مصادر نولدكه في كتابه
(تاريخ القرآن) فكان لزاماً عليه من باب الموضوعية في البحث ألا يغض الطرف عن الشهادة التي
تضمنتها لرجل ليس من المسلمين، فخير الشهادة ما شهد به الأعداء.

ويرد عليه بما يتعلق بالجن، بأن وجودهم من الحقائق التي أجمعت عليها الكتب السماوية،
فالتوراة والإنجيل - على التحريف الذي وقع لهما - تضمنتا العديد من الأخبار على حقيقة وجود
الجن، ففي العهد القديم من (الكتاب المقدس) في سفر زكريا: "وأراني يهوشع الكاهن العظيم قائماً

١ - انظر، عوض، إبراهيم، مصدر القرآن، مرجع سابق، ص ٣٠ وما بعدها، وينظر كذلك جولة في كتاب تاريخ

القرآن لأحمد الزاوي، مرجع سابق، ص ٦٩

٢ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٨، باختصار.

٣ - أخرجه البخاري، في كتاب بدء الوحي، باب ٦، حديث رقم ٧

قدّام ملاك الرب والشيطان قائم يمينه ليقاومه، فقال الرب للشيطان: لينتهرك الرب يا شيطان، لينتهرك الرب الذي اختار أورشليم، أفليس هذا شعلة منتشلة من النار»^(١)

وفي العهد الجديد من إنجيل مرقس: "وكان في مجمعهم رجل به روح نجس، فصرخ قائلاً: "آه ما لنا ولك يا يسوع الناصري، أتيت لتهلكنا أنا أعرفك من أنت قدوس الله انتهره يسوع قائلاً: اخرج منه فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم، وخرج منه"^(٢)، وفي إنجيل لوقا ورد ذكر الشياطين "ودعا تلاميذه الاثني عشر، وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء أمراض..."^(٣)

ويلاحظ على ذكر الجن في العهدين القديم والجديد ارتباطه بوصف الشر، وهذا على خلاف تماماً من ورود ذكرهم في القرآن الكريم، حيث فصل القرآن الكريم القول فيهم من حيث الخلق، ومن حيث إيمانهم وكفرهم، فأبان أن فيهم المطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، بل سمى الوحي أحد سور القرآن باسمهم، وهي سورة الجن.

وأما ما يتعلق بالحج فقد أبطل الإسلام كل ما ابتدعه المشركون على حج إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فألقى النبي ﷺ الامتيازات التي كانت قريش تخص نفسها بالحج من دون العرب فقد أخرج مسلم عن عروة أن العرب كانت تطوف بالبيت عراة إلا الحمس. والحمس قريش وما ولدت. إلا أن تعطيهم الحمس ثياباً. فيعطي الرجال الرجال والنساء النساء، وكانت الحمس لا يخرجون من المزدلفة. وكان الناس كلهم يبلغون عرفات. وعن عائشة قالت: "ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ" (البقرة: الآية ١٩٩)، قالت: كان الناس يفيضون من عرفات. وكان الحمس يفيضون من مزدلفة يقولون: لا نفيض إلا من الحرم. فلما نزلت: أفيضوا من حيث أفاض الناس، رجعوا إلى عرفات^(٤).

ومنع رسول الله ﷺ الطواف بالبيت لمشرك أو عريان، فأمر رسول الله ﷺ أن يؤذن في الناس في الحجة التي أمر عليها أبا بكر ﷺ " ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان"^(٥)

١ - الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر زكريا، الإصحاح ٣، الفقرة ١

٢ - المصدر السابق، العهد الجديد، إنجيل مرقس، الإصحاح ١، الفقرة ٢٢

٣ - المصدر السابق، العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح ٩، الفقرة ١

٤ - أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب في الوقوف، وقوله تعالى: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، حديث رقم

١٢١٩

٥ - أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك، حديث رقم ١٦٢٢

وصحح الوحي ما هو متعلق بالسعي بين الصفا والمروة لأناس من غير قريش، فقد أخرج مسلم أن أهل المدينة في الجاهلية كانوا إذا أهلوا، أهلوا لمناة، فلا يحل لهم أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما قدموا مع النبي ﷺ للحج ذكروا له ذلك^(١)، فأنزل الله تعالى "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ" الآية، (البقرة: ١٥٨).

فكون رسول الله ﷺ فعل ذلك في أمر الحج هو دلالة أكيدة على أن الوحي الخاص بالحج الذي تنزل على إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام صدر من مصدر واحد، فكانت أصول تعظيم بيت الله الحرام وفق الوحي الرباني فاستقام أمر العرب على ذلك لما وجدت أنه الهدى.

وأما ما يتعلق بعاد وشمود وسيل العرم فإن نولده قد عدّها من الأساطير والخيالات؛ لأنها لم تذكر في التوراة والإنجيل، ولذلك لا تعجب حينما يقول: "إن النبي صالح (عليه السلام) هو من اختراع محمد^(٢) (ﷺ)، مع أن التاريخ يثبت وجود أمثال قوم عاد وشمود، وكان حرياً بنولده الذي له اهتماماته بالنقوش الأثرية أن يكون هذا الموضوع محل اهتمامه، فقصة عاد وشمود لم تذكر في التوراة، وهذا ما جعل نولده وأمثاله من المستشرقين ينكرون قصتهما، على الرغم مما أصابهم، فقصتهما مشهورة عند العرب في الجاهلية.

وقد ذكرت قصتهما في تاريخ بطليموس، وورد قوم عاد باسم إرم في كتب اليونان^(٣)، وجاء ذكر شمود كقبيلة عربية في الحوليات الآشورية من فترة حكم سرجون حوالي (٧٢٤ - ٧٠٥ ق.م) بصيغة Tamud في معرض السيطرة الآشورية على المناطق العربية^(٤)

وأما سيل العرم فقد دلت النقوش السبئية على وجوده، فقد وجد أن الرومانيين استغلوا فترة الحرب بين الملك السبئي شعراوتر (٦٥-٥٥ ق.م)، وبين ملك حضرموت العزيط، فأغاروا على سد مأرب بغية إيقاع الخسائر به، غير أن قبيلة حملان التي عهد إليها بحماية السد نجحت في صد هجومهم، ولكن السد تعرض لعدة تصدعات، وحصل له ترميم بين الحين والآخر، ويذهب بعض

١ - أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به، حديث رقم ٢٦٠،

٢ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، هامش ص ١٨

٣ - مهران، محمد بيومي، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨٠م، ص ٢٤١ وما بعدها باختصار

٤- Lucken bill ,D.D, Ancient Records Of Assyria and Babyloia, ١٩٢٧, vol-٢ , ٧:٦٠

الباحثين إلى أن التهمم الأخير المذكور في القرآن هو الأخير، وأنه ربما حصل بين ٥٤٢-٥٧٠م، وأن السد لم يصلح هذه المرة، فاضطر الناس لترك مزارعهم، والهجرة منها، وقيل: إن التصدع الأخير كان عام ٥٧٥م بعد مولد الرسول ﷺ^(١)

وخلص الأمر أن استبعاد نولدكه لبعض المصادر التي اعتمدها مستشرقون آخرون للوحي القرآني لا يدل أبداً على موضوعية نولدكه في البحث، وإنصافه للوحي القرآني؛ وإنما فعل ذلك خشية أن ينتقد عليها إذا اعتمدها.

كان لزاماً على نولدكه أن يسير في هذا النقد للمصادر المزعومة للوحي القرآني كلها، ولو فعل -بموضوعية، وتحديد للعواطف- لظهر له تهافت المصادر التي اعتمدها كتهافت التي استبعدها، فباحث مثل نولدكه أفاد من كم كبير من المصادر والمراجع، وهو بالإضافة على ذلك رجل التاريخ، غير أن نولدكه أدار ظهره لهذا كله، وللموضوعية في الزعم بمصادر اللوحي القرآني تخالف منطق الأشياء، والحقائق التي تنطق بها الوقائع وسياقات الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، وأحداث السيرة النبوية، وكل ذلك يؤكد ألا مصدر لوحي القرآن إلا الله ﷻ.

^١ - مهراڻ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٣٢٥ وما بعدها باختصار.

المطلب الرابع نقد آراء نولدكه في كفيات الوحي

الكفيات التي تناولها نولدكه عديدة، وتتركز مصادره فيها على مرويات عائشة رضي الله عنها^(١) التي ذكرها السيوطي^(٢) وصاحب المواهب اللدنية^(٣) الذي كانت دراسته محط نظر نولدكه في رد هذه الكفيات.

يقول نولدكه: "إن تقسيم أنواع الوحي في الإسلام قد جرى وفق نسق مصطنع انطلاقاً من وجهة نظر عقائدية، قامت وفق روايات أضافها العلماء المسلمون لا سيما المتأخرون منهم، فكثير من هذه الكفيات نشأ عن مرويات أو آيات قرآنية أسيء فهمها"^(٤).

ويقول عن الكيفية المتعلقة بتلقي الوحي مباشرة من الله تعالى أنه يجب إسقاطها؛ لأن المسلمين قد اختلفوا منذ القدم فيما إذا كان محمد (ﷺ) شاهد الله (ﷻ)، أو تلقى الوحي منه مباشرة، وهذه يجب إسقاطها؛ لأنها تفسير خاطئ لبعض المواضع من سورتي التكوير والنجم^(٥).

ويقول عن الكيفية المتعلقة بنزول جبريل بصورة دحية أنه يجب إسقاطها أيضاً؛ لأن هذا الرأي لم ينشأ إلا بعد حدث وقع في السنة الخامسة للهجرة^(٦).

١- لا يُوثق بروايات السيدة عائشة رضي الله عنها في نظر نولدكه!، انظر تاريخ القرآن ج ١ ص ٧٢
٢- الكفيات التي نقلها من الإتقان هي: ١- الوحي في مثل صلصلة الجرس ٢- بواسطة ما ينفثه روح القدس في روع محمد ٣- بواسطة جبريل على هيئة رجل ٤- أن يكلمه الله كما في اليقظة، كما في ليلة الإسراء، أو في النوم. انظر تاريخ القرآن ج ١، ص ٢١، والإتقان للسيوطي ج ١، ص ٢٠٣ وما بعدها
٣- الكفيات التي نقلها عنه هي: ١- الحلم، وعند صاحب المواهب التعبير بـ (الرؤيا) ٢- وحي جبريل في روع النبي ٣- جبريل في صورة دحية بن خليفة الكلابي ٤- في صلصلة... الخ ٥- جبريل في صورته الحقيقية التي ظهر فيها مرتين ٦- الوحي في السماء كما في ترتيب الصلوات اليومية الخمس ٧- الله نفسه ﷻ، لكن "من وراء حجاب" ٨- الله مباشرة كاشفاً عن ذاته من دون حجاب (انظر المواهب اللدنية، ج ١، ص ١٠٨ وما بعدها، وقد نقلها القسطلاني عن ابن القيم)

٤- تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢١

٥- المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢

٦- المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢

وأما الكيفية المتعلقة برؤية جبريل في صورته الحقيقية فيقول إنها مرتبطة بتفسير آخر لسورتي التكوير والنجم^(١).

وأما الكيفية التي نتحدث عن أن النبي محمد (ﷺ) تلقى الوحي مباشرة من الله فيقول إنها متعلقة بقصة المعراج^(٢).

ويقول عن الكيفية المتعلقة بـ (صلصلة الجرس) أنها أكثر كيفية ورد حولها معلومات من كفيات الوحي، وهي التي تبين ما كان يعتري النبي (ﷺ) من نوبات شديدة لدى تقبله للوحي^(٣).

والجواب عن شبهاته حول كفيات الوحي في الآتي:

أما بالنسبة للكيفية الأولى المتعلقة بتلقي النبي الوحي مباشرة من الله تعالى، فصحيح أن المسلمين قد اختلفوا في رؤية الله تعالى في مبحث طويل بين أهل النقل والعقل، ولكنهم لم يختلفوا في تكليم الله تعالى للرسول ﷺ ليلة الإسراء والمعراج من وراء حجاب، وأنه تلقى الوحي منه مباشرة، "فكما أن منزلة الخلة الثابتة لإبراهيم - عليه السلام - قد شاركه فيها نبينا ﷺ، كذلك فإن منزلة التكليم الثابتة لموسى - عليه السلام - قد شاركه فيها نبينا ﷺ"^(٤)

لا ندري ما العلاقة التي تربط موضوع الرؤية بالتكليم ليرفض نولدكه قضية تكليم الله تعالى لمحمد ﷺ، وقد تواترت الأحاديث بشأنها^(٥)، ثم إن نولدكه لم يجرؤ على التطرق لتكليم الله لموسى عليه السلام والتي يؤمن بها أهل السنة، والتي كانت مثار خلاف كبير بينهم وبين المعتزلة على وجه الخصوص.

لقد كان حرياً بنولدكه عندما أرجع قضية النسق العقدي المصطنع لأنواع الوحي ألا ينسى أن كفيات الوحي يشترك فيها محمد ﷺ وإخوانه من الأنبياء ﷺ كما قال تعالى: "إِنَّا أُزْحِتْنَا بِإِيكَ كَمَا أُزْحِتْنَا إِلَى نُوحٍ وَآلِيهِ مِنْ بَعْدِهِ" (النساء: ١٦٣)، وقوله ﷺ: "كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ"

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٢-٢٣

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣

٤ - ابن أبي العز، علي بن علي (٧٩٢ هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، حققه عبدالرحمن عميرة، ط ١، مصر، ج ١، ص ٣٠٦

٥ - سيأتي الحديث عن تواتر الأحاديث في حادثة الإسراء والمعراج التي كلم محمد ﷺ فيها ربه ﷻ.

الْحَكِيمِ" (الشورى: ٣)، وقوله: "وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخِيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِيَاذِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِحَكِيمٍ" (الشورى: ٥١)

فالآيات الثلاث تضمنت الثمالية في الوحي مع جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، فلا وجه إذن - كما زعم تولدكه - لتخصيص بعضهم به دون الآخرين.

يبقى أن نتساءل إذا جاز لتولدكه أن يرجع قضية رفض أن يكون محمد ﷺ قد كلم ربه لأمر عقدي خلط فيه بين الرؤية والتكليم؛ لأن من المسلمات عند أهل النقل أن التكليم قد جرى بينه وبين الله تعالى من وراء حجاب كالتكليم الذي صار بين موسى وربه - فالتساؤل ما الرابط بين الكيفيات وأنواع الوحي الأخرى مع النسق العقدي الذي سطر به بحثه لهذا الموضوع بالذات؟ ثم يستدل برفض الكيفية المتعلقة بتلقي الوحي مباشرة من الله ﷻ بأن ذلك نتج عن تفسير خاطئ لقوله تعالى في سورة النجم "وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى" (النجم : ١١)، وقوله تعالى في سورة التكوير: " وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ " (التكوير: ٢٣)، ثم زعم بأن الكيفية المتعلقة برؤية جبريل بصورته الحقيقية هو تفسير آخر لهذين الموضعين.

وقد حقق المسألة الإمام ابن كثير فبين أن الرؤية الواردة في سورة التكوير هي الرؤية الأولى التي كانت بأجساد، وهي عينها المذكورة في سورة النجم في قوله تعالى: " ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى " (النجم: الآيتان: ٦-٧)، وأما الرؤية الثانية فهي التي كانت ليلة الإسراء والواردة في قوله تعالى: "وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى" مدلاً على أن التكوير قد نزلت قبل سورة الإسراء؛ لأنه لم يذكر في التكوير إلا الرؤية الأولى، وأما النجم التي ورد فيها الرؤية الثانية فقد نزلت بعد الإسراء^(١)

ليس في سورتي التكوير والنجم أي تطرق لموضوع الرؤية لله تعالى، فالضمير في "وقد رآه بالأفق المبين" عائد إلى "إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ" (التكوير: ١٩)، وما بعده دال على أنه جبريل عليه السلام.

وأما النجم فإن الضمير كذلك في " وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى"، (النجم: الآيتان: ١٣-١٤)، راجع إلى ما قبله وهو جبريل عليه السلام، فلو كانت الرؤية متعلقة بالله

^١ - ابن كثير، محمد بن إسماعيل (٧٧٤هـ-)، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الكتب الثقافية، ط٥، بيروت، ١٩٩٦م، ج٤، ص ٤٨١

تعالى لم يكن ليقال: "لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى" (النجم: ١٨)، بل كان الأولى من صاحب الوحي لو أنه هو الذي صاغه بيده أن يقول: "لقد رأيت ربي".

هب أن فلاناً دعي للمثول بين يدي أحد الملوك فلما سئل عما أخذ بلبه وفؤاده فالأولى أن يقول لقد رأيت الملك، ثم يعدد بعد ذلك بعض ما بهره من سلطانه، وأما أن يأخذ بوصف لما في السلطان دون أن يأتي بذكر لرؤيته للملك، فلغائل أن يقول إنه لم ير الملك.

وأما ما ادعاه نولدكه بأن بعض المفسرين حاول أن يخفف من فظاظة القول القائل بروية الله تعالى، فاستتجوا من سورة النجم أن النبي ﷺ رأى الله بقلبه أو بفؤاده^(١)، فإن جمهور المفسرين على أن الذي يعود إليه الضمير في (ما رأى) و(لقد رأى) هو جبريل عليه السلام في المرتين في الأرض، وعند سدره المنتهى ليلة الإسراء، وليس الله تعالى^(٢)

كان من مقتضيات البحث العلمي أن يذكر نولدكه الراجح عند المفسرين في تحديد هذه الرؤية، دون التعلق بالمرجوح على الراجح منها، وبالضعيف من القول على القوي منه.

وأما الكيفية المتعلقة بمجيء جبريل بصورة دحية بن خليفة الكلبى ﷺ فإنه يُصدر بحثه فيها مباشرة "أنه يجب إسقاطها بالرغم من أنها مروية عند المحدثين^(٣)؛ لأنه يرى أن هذا الأمر لم ينشأ إلا بعد حدث وقع في السنة الخامسة للهجرة حيث ظن الجيش أن دحية الذي تقدمه متعجلاً كان جبريل^(٤).

ويرد عليه بأن الرواية التي اعتمدها عوضاً عن رواية الصحيح نصتها كالاتي: "مر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصوّرين - موضع قرب المدينة - قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال: هل مر بكم من أحد؟ قالوا: يا رسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبى على بغلة بيضاء عليها رحالة بيضاء عليها قطيفة ديباج، فقال رسول الله: ذلك جبريل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم"^(٥)، فأين ما يدل في الرواية على أن الجيش قد عرف أن ذلك الراكب هو جبريل، وإنما ذكروا أنه دحية، ولو عرفوا أنه جبريل لصرحوا بذلك.

^١ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢

^٢ - ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٥، ص ١٨٥.

^٣ - أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، حديث رقم ٤١١٧

^٤ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٢-٢٣

^٥ - ابن هشام، السيرة النبوية، مصدر سابق، ص ٣٩٦

فنولدكه يتجاهل متعمداً الرواية الصحيحة بشأن مجيء الوحي بصورة دحية؛ لأنه لا يثق بالروايات الإسلامية على العموم، فلا يقبل منها إلا ما يرى في تأويله دليلاً على آرائه بل يصرح قائلاً: "إنك قد تجد في الحديث الموضوع بعض الحقيقة"^(١)

وهو على أساس رواية ابن هشام المتقدمة يفترض أن مجيء جبريل بصورة دحية ﷺ لم يحدث إلا في السنة الخامسة للهجرة، وتحديدًا في غزوة بني قريظة مع أن دحية قد أسلم مبكراً، وشهد المشاهد من بعد بدر مع رسول الله ﷺ^(٢)

ثم يجعل نولدكه الكيفية المتعطفة بتلقي النبي ﷺ الوحي في السماء من الله تعالى كما في ترتيب الصلوات اليومية الخمس مرتبطة برواية المعراج، ونولدكه ينفي حقيقة الإسراء والمعراج ويعتبر هذه الحادثة مجرد حلم، بل إنه يزيد على ذلك:

١- عدّ الإسراء معجزة لا يتوافق مع كون النبي ﷺ رفض اقتراح المعجزات في مواضع كثيرة من القرآن مثل قوله تعالى: "وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ"، (الرعد: ٧) و " أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ..إلى قوله... قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا"، (الإسراء: ٩٣) و " قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ" (الفرقان: ٦)، و " ائْتِ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ"، (العنكبوت: ٤٥) معلناً أنه بشير ونذير فقط، لهذا ينبغي أن نفترض أن محمداً ﷺ أراد أن يروي حلاً وحسب، فهو لم يعتبر الحلم خدعة حسية، بل جزءاً فعلياً من خبرة عاشها، فمخيلته تشابه مخيلة الشعوب البدائية الساذجة، وبحس الحالم أنه يستقبل أشخاصاً يرونه، أو يذهب هو إليهم^(٣).

ونولدكه جانب الحق في الاستدلال بهذه الآيات، فلماذا النظرة الجزئية، وتعتمد عدم الإشارة إلى أن الآية الأولى من الرعد تدل على تنزل الوحي بالحق على النبي ﷺ، إذ قال تعالى: " المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق"، وأما آية الإسراء فقد جاءت حكاية على لسان الكفار، وليست رفضاً من رسول الله ﷺ للمعجزة كما ادعى نولدكه.

١ - انظر تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٥

٢ - انظر، ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي البجاوي، ط ١، دار الجليل، بيروت، ج ٢، ص ٣٨٤

٣ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٢١

وأما آية الفرقان فجاءت رداً على "وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَبَهَا فِيهِ نَمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا"، في حين أن آية العنكبوت صريحة في تنزيل الوحي عليه من لدن الله تعالى، فأين وجه الدلالة فيما ذهب إليه في قضية المعجزة؟!

ثم يستدل نولده بآية الإسراء "وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا" زاعماً أن السياق يدل على رؤيا أظهرت للنبي (ﷺ) أموراً من الآخرة، والرؤيا لا تقتصر على الحلم وحسب، بل الرؤيا اليقظة في الدنيا^(١).

ولو أراد نولده الحق لوجده في الصحيح عند البخاري، إذ أخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به، وليست برؤيا منام^(٢).
والرؤيا الواردة في الآية الكريمة هي ما رآه رسول الله ﷺ من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس، وبيت المقدس ليلة أسري به^(٣).

أراد نولده أن يؤكد أن الوحي المحمدي ليس إلا حلاً فقط، بدليل أنه عندما تناول الكيفيات التي درسها من رواية صاحب المواهب اللدنية حرّف الكلم عن مواضعه فلم يجعل الكيفية الأولى باسمها الوارد، وهي الرؤيا الصادقة في المنام^(٤) بل سماها حلاً، ولم يتطرق إلى أنه يجب إسقاط هذه الكيفية كأخواتها؛ لأنه أراد أن يتكئ على الترجمة المحرفة في إقرار زعمه أن ما كان يتنزل على الرسول ﷺ من الوحي إنما هو خيالات ورؤى.

بل إن المعراج ذاته يجعله نولده ضرباً من الخرافة ابتدعتها أتباع محمد ﷺ بعد موته؛ لأنه يرى أن عدم ذكرها في الآية الأولى من الإسراء أمر لا يسهل فهمه، وأنها لم تذكر في أي موضع قرآني آخر^(٥).

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٢١

٢ - أخرجه البخاري، في كتاب التفسير، باب "وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس"، حديث رقم ٤٧١٦

٣ - الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج ١٧، ص ٤٨٣

٤ - القسطلاني، أحمد بن محمد (٩٢٣هـ)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، شرحه مأمون الجنان، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ص ١٠٩

٥ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٢١، هذه مشكلة نولده التي تتكرر دائماً لتعمده غض الطرف عن دراسة العلاقة التي تربط بين السور ودلالات السياق القرآني، فلو تجرد للحقيقة لعلم أن سورة النجم تتحدث عن هذه المعجزة وإن لم تذكرها بصريح العبارة، ولكن فيها ما يكفي للاستدلال عليها، أفلا يكفي مثلاً أن تذكر "سفرة المنتهى" وما رأى عندها

لقد تواترت روايات أحاديث الإسراء حتى زاد عدد الصحابة الذين رووها عن عشرين صحابياً^(١)، ثم إن "حصول معجزة الإسراء والمعراج لمحمد ﷺ بالجسد والروح معاً وفي اليقظة لا استحالة فيه عقلاً ولا نقلاً، وأما عقلاً: فلأن الله تعالى خالق العالم، وهو على كل شيء قدير، وحصول الحركة البالغة السرعة في جسد محمد ﷺ أمر يسير على الله تعالى، وغاية ما فيه أنه خلاف العادة، وهكذا المعجزات كلها تكون خلاف العادة.

وأما نقلاً: فلأن صعود الجسم إلى السماوات ليس بممتنع عند أهل الكتاب لما يلي:

أ - ورد في سفر التكوين: "وسار أخنوخ (إدريس عليه السلام) مع الله، ولم يوجد؛ لأن الله أخذه"، فهذا نص على أن النبي أخنوخ رفع إلى السماء حياً، ودخل بجسده ملكوت السماء"^(٢).

ب - ورد في سفر الملوك الثاني: "وكان عند إصعاد الرب إيليا في العاصفة على السماء أن إيليا واليشع ذهبا من الجلجال، وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء"، وهذا نص على أن النبي إيليا رفع إلى السماء بجسده حياً"^(٣).

وهذان النصان مسلمان عند القسيسين، وهم يعتقدون أن المسيح عليه السلام بعدما مات ودفن في القبر قام حياً وصعد بجسده إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، فلا مجال لهم أن يعترضوا على معراج محمد ﷺ لا عقلاً ولا نقلاً"^(٤).

وفي إنجيل برنابا ما يؤكد مسألة الرفع إلى السماء، إذ جاء في شأن عيسى عليه السلام: "ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دنو جم غفير فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر نياماً فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل

من جلال الله وسلطانه، ثم إن المعضلة الأخرى عند تولدكه أنه يفصل بين الحديث والقرآن، فلقد تواترت قصة المعراج في السنة المطهرة، ولكن لا يحلو له إلا أن يرفض من السنة ما لا يوافق هواه، ولا يقدر على إفساد دلالته بغير إنكاره، ثم إذا وجد نصاً يمكنه أن يلوي عنقه تمسك به، ولقد مر بنا كيف أنه لا يتق بشيء مما ترويه عائشة الصديقة رضي الله عنها، ولكنه يتمسك بروايتها عن كيفية الوحي بنواجذه ليرتب عليها رأيه في الوحي.

١ - انظر، تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٣، ص ٢٤، وانظر ص ٣ وما بعدها حيث ذكر الروايات الواردة في هذه الحادثة.

٢ - الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح ٥، الفقرة ٢٤

٣ - المصدر السابق، سفر الملوك الثاني، الإصحاح ٢، الفقرة ١

٤ - الكيرواني الهندي، رحمة الله، مختصر إظهار الحق، تحقيق محمد ملكاوي، ط ١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ، ص ١٩٥-١٩٦

سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد^(١)

وهذا النص صريح في رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وبهذا يتضح أن رفع النبي ﷺ إلى لسماء ليس بمستغرب ولا مستبعد فقد حصل له كما حصل لغيره من رسل الله تعالى.

وأما الكيفية التي جعلها نولده خاتمة البحث عن الكيفيات هي الكيفية الرابعة، والتي لم يتطرق لقضية الإسقاط والحذف لها لا من قريب ولا بعيد، ويبين أنه قد وصلت معلومات كثيرة عنها.

يقول نولده: "إن ما كان ينتاب رسول الله ﷺ من البرحاء عند تنزل الوحي عليه بالكيفية السابقة إنما هو أشبه بالصرع، ثم يقول: "وحيث إن فقدان الذاكرة هو أحد عوارض داء الصرع الفعلي فمن الضروري أن نصف ما كان يغشاها بحالة من الاضطراب النفسي الشديد"^(٢)

وما كان يغشى محمد ﷺ من هذه العوارض كانت العرب إحدى الأمم التي كانت تعد أن من يحصل له مثلها مجنوناً^{(٣)(٤)}

وليستدل على زعمه أن النبي ﷺ كان يصاب بالنوبات الصرعية، فإنه يقسم أدلته إلى قسمين حسبما يفهم من كلامه: ما قبل الهجرة وما بعدها، فمن القسم الأول يحتج بالنص القرآني من سورة الشرح "أَلَمْ كُشِّرْ لَكَ صَدْرُكَ"، (الشرح: ١) حيث يدعي أنه بسبب تفسير حرفي خاطئ لسورة الشرح مرتبط بما يروي عن نوبات الصرع التي كانت تعترى محمداً في طفولته نشأت الخرافة التي نجدها لدى ابن هشام - يقصد (حادثة شق الصدر)^(٥)

١ - إنجيل برنابا، الفصل الخامس بعد الممتنين، الفقرة ١

٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٤

٣ - المصدر السابق ج ١، ص ٢٤

٤ - يلزم بذلك إلى وصف قريش له بهذا الوصف في مناسبات عديدة عند دعوته إياهم إلى الإيمان بما يوحي إليه. ومن ذلك قوله تعالى عنهم: "وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ" (الحجر: ٦).

وانظر كيف عقب على ادعاء قريش على رسول الله ﷺ بأنه شاعر مهووس ومتنبئ مخالف للجن أو مجنون، فيقول: وهو نفسه لم يكن خالياً في البدء من آخرها - يقصد الجنون، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٧٠

٥ - انظر، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤، وانظر، هامش رقم ٢٩٠، ج ١، ص ٨٤، ولم أجد عند ابن هشام أنه ربط سورة الشرح بحادثة شق الصدر، انظر القصة لديه ص ١٦٥.

وأما حادثة شق الصدر التي عدّها خرافة فهي دليل آخر يضاف إلى البراهين التي تؤكد عدم موضوعية نولدكه، ومنهجه الانتقائي، فقد مرّ كيف أنه يقتبس من سيرة ابن هشام روايات في الوحي، ولكن إذا كانت الرواية على غير هواه اعتبرها خرافة!

وأما ما يتعلق بسورة الشرح، وتحديداً في الآية الأولى منها، فقد غاب عن نولدكه الآتي:

- ٢- أن المقصود بالشرح هنا الأمر المعنوي^(١) وليس الحسي المادي.
- ٣- أن العرب تستخدم للتعبير عن معنى البسط لفظ الشرح، "وقد يكون البسط مادياً كبسط اللحم، وقد يكون معنوياً كشرح الصدر بما يلقي الله به من سكينه ونور"^(٢).

فليس من الضروري أن يكون دائماً بالمعنى الحسي، ولو كان هذا مراداً لاستخدم مثلاً لفظ الشق، الذي هو الحزم الواقع في الشيء^(٣).

ولو سلمنا لنولدكه جدلاً بأن الشرح هنا بالمعنى المادي، فأبي رجل هذا الذي دفعته - كما يقولون أو هام نفسه - لتغيير بيئة قومه، وليقود أمة من الناس لا يجد ما يفتح سيرته به إلا بإخبارهم بأنه يعاني من الصرع منذ صغره.

ثم كيف لنولدكه أن يوفق بين المعنى الحسي الذي اختاره لمعنى الشرح، ومعنى ما تلاها "وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣)"، فهل يحمل معناهما على الحس أيضاً، وإلا فما تخريج ذلك عنده، وهو بالطبع لم يتطرق لذلك البتة.

ونعود لقضية أن العرب كانت تعرف هذا المرض - كدليل تاريخي له من قبل الهجرة - فهذا مما لا يختلف عليه اثنان، وإلا كيف سُمي الصرع بالمرض المقدس، وفي السنة النبوية أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ وأخبرته بأنها تصرع (الحديث)^(٤)، فمجيء المرأة حجة له ﷺ لا عليه، فلو كان مبتلى بالصرع فكيف للمرأة أن تأتي إليه وهل يُطلب البُراء من العليل؟

١ - انظر، جامع البيان، ج ٢٤، ص ٤٩٣، ومدارك التنزيل، ج ٤، ص ٣٦٥، ومعالم التنزيل، ج ٤، ص ٥٠١، والكشاف، ج ٤، ص ٧٧٥.

٢ - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ص ٢٥٨.

٣ - المصدر السابق، ص ٢٦٤.

٤ - أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب من يصرع من الريح، حديث رقم ٥٢٢٠.

ومعرفة قريش بالمرض ليس دليلاً على أن رسول الله ﷺ كان مصاباً به؛ لأن قريشاً أطلقت أكثر من تهمة على رسول الله ﷺ في محاولاتها العديدة لإبطال دعوته، فقريش كانت تعرف السحر مثلاً، وأطلقت عليه الساحر، فهل مارس الرسول ﷺ السحر، وقريش عرفت الكهانة، وأطلقت عليه تهمة الكاهن، وبرأه الوليد بن المغيرة منها، فهل من الضروري أنها إذا أطلقت عليه تهمة المجنون أنه كان مجنوناً بصرع؟

ولكن الذي ينبغي الوقوف عنده هل المجنون والمصروع سواء، أم أن التشخيص الطبي يجعلهما متباينين، وإذا كان الأمر الثاني فلماذا كانت العرب تصفه بالمجنون دون المصروع - وهي التي كانت تفخر بفصاحتها - إلا إذا كانت تعرف الفرق بين المرضين، ولو تشابها في بعض العوارض فليس من الحكمة جعلهما سواء، ولو كان ذلك لوجدنا قريشاً تصفه ولو لمرة واحدة بالمصروع، وهذا ما لم يثبت عند واحد من المؤرخين ماعدا من جاء من المُحَدِّثِينَ من المستشرقين كأمثال نولدكه.

قيل في تعريف الصرع بأنه أي خلل يتمثل في نوبات (تشنجات) متكررة، والنوبة هي عبارة عن خلل عابر في وظيفة قشرة الدماغ بسبب شحنات عصبية غير طبيعية في الدماغ دون سابق إنذار^(١)

وأما أمراض الجنون فهي "مجموعة من المتلازمات التي تظهر على شكل انفصال كبير جداً في التفكير، والمزاج، والتصرف بشكل عام، وكذلك على شكل تنقية سينة للمحفزات - أي أن المثير لا يقابل بالاستجابة الطبيعية"^(٢)

وحول موضوع "التناظر (المصير) فإن الأعراض السلبية مثل (الاجتماعيات) أي الاختلاط مع البشر فهذا من الصعب علاجها، وهي السبب الرئيسي أن المرضى لا يستطيعون تحصيل الوظيفة الطبيعية من الاندماج مع البشر في حياتهم بسبب الانعزال والانطواء"^(٣)

وهكذا نلاحظ أن الطب نفسه يفرق بين المرضين، ومن ثم نلاحظ لماذا كانت قريش تركز على وصف النبي ﷺ بالجنون دون الصرع؛ لأنها تدرك أن الجنون عبارة عن مرض دائم لا تنفك

^١-Lawrence M. Tierney and Stephen, Mcphee and Maxine A. Papadakis, **CURRENT MEDICAL Diagnosis and Treatment**. Fortieth edition. ٢٠٠١.p:٩٧٥

^٢- THE PERVIOUS REFERENCE :P:١٠٤٧

^٣ - THE PERVIOUS REFERENCE :P ١٠٥٤

أعراضه عن المريض بخلاف المصروع؛ فإنه بمجرد ارتفاع النبوة الصرعية فإنه يعود إلى وعيه، وبذلك يتضح خطأ قياس الصرع على الجنون.

ثم لو سلم لنولدكه جدلاً بأن ما قاله صحيح حول دلالة الجنون على الصرع فكيف يجيب على ما قاله عتبة بن ربيعة للرسول ﷺ: "إن كان هذا الذي يأتيك رؤياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الدواء، وبذلنا لك الأطباء، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه..."^(١)، فهل كان كلام عتبة لرسول الله ﷺ تقريراً لحالته، أو استفهاماً منه عنه في هذا الأمر وغيره من الأمور المذكورة في القصة المشهورة بدلالة أنه لم يخاطبه بصيغة التحقيق، وإنما بالافتراض والتشكيك (إن)، ثم هل يجوز في حق البليغ عتبة - وهو سفير قريش لهذا اللقاء المصيري- أن يكون يعرف بحالة محمد ﷺ ثم يستفهم منه، وهل هو وقريش كانوا بحاجة لهذه السفارة والمفاوضة أصلاً، فلو عرفوا ذلك وفعلوه لم يكونوا بأهل للبلاغة، ولكانت حقيقةً بغيرهم.

بل إن تدقيق النظر في كلام نولدكه حول موقف العرب من هذا المرض، وهو "وبما أن العرب شأنهم في ذلك شأن كل الشعوب القديمة، كانوا يعتبرون من كانت تعتربه حالات كهذه - يقصد أعراض الوحي في الكيفية الرابعة- مجنوناً"^(٢)

إنّ المعهود عن أن يقرر عن العرب أصلاً في البلاغة أو النحو وغيره أن يأتي بشواهد من شعرهم أو نثرهم، والأصل أن نولدكه فعل ذلك لو كان ما ذكره حقاً، ثم هل ما كانت تعتبره الشعوب القديمة يصلح لأن يكون قانوناً لا يخالف، فكم من أشياء اعتبرت الشعوب القديمة، ولكن العلم بعد ذلك اعتبرها أسطورة أو خطأ.

وأما بعد الهجرة، فيقول إن حالات الصرع اعترته كذلك، ويستدل بفقدان النبي (ﷺ) وعيه أثناء وقعة بدر^(٣)، وهذه مغالطة تاريخية؛ لأن رسول الله ﷺ لم يقاتل في بدر، ولم يحصل له إغماء، وإنما حصل السقوط دون إغماء أو غيره في إحدى الحفر التي أقامها أحد الكفار في غزوة أحد، وليس بسبب حصول تنزل للوحي عليه^(٤).

١ - ابن هشام، السيرة النبوية، ص ١١٤

٢ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٤

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٤، وهامش رقم ٦٢

٤ - ابن هشام، السيرة النبوية، مصدر سابق، ص ٣٣٢

ويزعم أن الرسول ﷺ كثيراً ما اعترته نوبة شديدة لدى تقبله الوحي^(١)، وهذا الزعم عليه ما

يأتي:

١- لم يأت ذكر الشدة في الوحي على رسول الله ﷺ في مجيء جبريل بصورة دحية، أو الرويا الصادقة، أو النفث في الروح.

٢- عند الرجوع إلى مناسبة الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها نجد أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ: فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه لينفصد عرقاً^(٢)

في رواية البخاري هذه "كان الوعي ملازماً لتنزل الوحي فإذا كان كصلصة الجرس فلا ينفك الوحي عنه إلا وقد وعى ما تنزل، وإذا جاءه في صورة رجل فإنه يعي ما يوحى إليه فالوعي ملازمه قبل وأثناء وبعد الوحي"^(٣).

والدراسات الطبية لمرض الصرع تبين أن ما كان يحصل للنبي ﷺ عند تنزل الوحي عليه يختلف تماماً عن الأعراض العصبية، "المصروع يصيبه أثناء صرعه الصراخ، ويقع في حالة من التشنج، والانقباض العضلي، مع فقدان الوعي، مع احتمال إصابته إصابة بالغة أثناء وقوعه"^(٤)

ويرد على نولدكه أيضاً في زعمه بالصرع بأن أصحاب النبي ﷺ لاحظوا شحوباً مفاجئاً يتبعه احتقان في وجه النبي ﷺ يحصل عند تنزل الوحي عليه، ولذا كان يأمرهم بأن يلقوا على وجهه سترأ^(٥) كلما حصلت هذه الظاهرة، وهذا يدل على أن نزول الوحي كانت ظاهرة مستقلة عن إرادة النبي ﷺ حتى أنه يصبح عاجزاً عن أن يغطي وجهه بنفسه، ثم إنه في حالة النبي ﷺ كان وجهه هو الذي يحتقن بينما كان يتمتع بحالة عادية، وبحرية عقلية ملحوظة من الوجهة النفسية بحيث يستخدم ذاكرته استخداماً كاملاً خلال نزول الوحي، على حين يمحي وعي المتشنج وذاكرته خلال الأزمة،

١- نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٣

٢- أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، حديث رقم ٢

٣ - انظر، الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٨

٤ - عكاشة، أحمد، الطب النفسي المعاصر، مكتبة الإنجلو المصرية، دط، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٥١٩-٥٢٠ باختصار

٥ - كتاب العمرة في صحيح البخاري، باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج، حديث رقم ١٦٩٧.

فالحالة بناء على هذه الملاحظات ليست حالة مرض كالتشنج، ثم إن الأعراض الجسمية التي رويت لا تظهر إلا في اللحظة التي تعتربه فيها الظاهرة القرآنية وحدها - أي في لحظة تنزل الوحي^(١)

وأما العوارض التي ادعى نولدكه أنها كانت تصيب النبي ﷺ عند نزول الوحي فلم ترد في رواية من الروايات، فقد زعم أنه كان:

- ١- الزبد يطفو على فمه.
- ٢- يخفض رأسه، ويشحب وجهه، أو يشتد احمراره.
- ٣- يصرخ كالفصيل.

ويستطيع القارئ أن يلح محاولة نولدكه تفسير الأحوال على أنها آثار لمرض عصبي متمثل بالصرع، ويتكرر لأوصاف الرواة من الصحابة لرسول ﷺ الله كنزول العرق كحبات الجمان^(٢)

ثم إنه يحشد هذه الأوصاف ضمن أوصاف ذكرتها بعض الروايات، وقد كان بإمكانه أن يستقرئ الأوصاف كما وردت دون التدخل في الصياغة بتعابير توحى بغير الحقيقة الواردة، فالحالات الثلاث الأولى تصدق على رجل مصروع تماماً، فأين هذه الروايات التي ذكرت هذه الأوصاف؟

وقد وردت الأحاديث الصحيحة التي تبين حال النبي ﷺ عند نزول الوحي عليه، حيث كان إذا نزل عليه الوحي كُرباً لذلك وتَرَبَّدَ وجهه^(٣)، وكان يَغِطُ^(٤)، وتصيبه البُرْحَاءُ^(٥)؛ وذلك بسبب ثقل الوحي وشدته عليه.

^١ - بن نبي، مالك، الظاهرة القرآنية، مرجع سابق، ص ١٤٩

^٢ - أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهم بعضاً، حديث رقم ٢٥١٨

^٣ - أخرجه مسلم في كتاب الحدود، باب حد الزنا، حديث رقم ٤٥١١. قال النووي: تبرد وجهه: علته غبرة، والربد تغير البياض إلى السواد. صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١١، ص ١٩٠

^٤ - أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب غسل الخلق ثلاث مرات من الثياب، حديث رقم ١٤٦٣، قال ابن حجر: يغط أي ينفخ، والغطيط صوت النفس المتردد من النائم أو المغنى، وسبب ذلك شدة ثقل الوحي. فتح الباري، ج ٤، ص ١٧٣

^٥ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير - سورة النور، باب "لولا إذ سمعتموه...". حديث رقم ٤٤٧٣، قال ابن حجر: هي شدة الحمى، وقيل: شدة الكرب، وقيل: شدة الحر، ج ٩، ص ٤١٧

ورود عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: "لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه" قال: كان النبي ﷺ يعاني من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفثيه^(١) فأنزل الله تعالى: "لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه" (القيامة: ١٦-١٧)

وهذه الأوصاف متعلقة فقط بوجه النبي ﷺ فقط عند نزول الوحي عليه دون أن يفقد وعيه أثناء تنزل جبريل عليه السلام بالقرآن، بل يكون في كامل وعيه حتى إذا انفصم الوحي عنه تلا ما قرأه عليه جبريل عليه السلام على أصحابه، ثم دعا كتبة الوحي لوضع الآيات في موضعها من السورة. وفي (الكتاب المقدس) ورد ما يدل على أن الرسل الآخرين قد أصابتهم شدة عند نزول الوحي عليهم، إذ ورد عن إرميا أنه قال: "انسحق قلبي في وسطي، وارثخت عظامي، صرت كإنسان سكران ومثل رجل غلبته الخمر من أجل الرب، ومن أجل كلام قدسه"^(٢)، فأى الأوصاف كانت أشد أهو الذي يتفصد جبينه عرفاً أم من صار كالسكران وغلبته الخمر، وهل من كانت كادت فخذ زيد بن ثابت عليه السلام أن ترض من وطأة الوحي^(٣) كمن ارتخت عظامه وانسحق قلبه!

وفي الرد على نولدكه في آرائه في كفيات الوحي ظهر للعيان كيف أن نولدكه يرفضها جميعها، ويتعلق برواية صلصلة الجرس ظاناً أنها حجة له على أن النبي (حاشاه ﷺ) كان يعاني من نوبات صرعية، ولكنه في الوقت نفسه يرفض رواية البخاري الأخرى التي يصرح فيها بأن جبريل عليه السلام أتى لرسول الله ﷺ بصورة دحية، حيث يمثل نولدكه اللنتقائية والاجتزاء في التعامل مع الروايات.

ثم إنه قد ظهر تعمده مخالفة ما وردت به الروايات الصحيحة، من أن النبي ﷺ كان في أتم صحة جسمية ونفسية، وأن الوعي كان يلزمه قبل وأثناء وبعد الوحي.

١ - أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب ٤، حديث رقم ٥

٢ - الكتاب المقدس، العهد القديم، الإصحاح الثالث والعشرون، سفر إرميا، ص ١١٠٩، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٨٨

٣ - أخرجه البخاري، باب قوله تعالى: "لا يستوي القاعدون من أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم..." ج ٣، ص ١٠٤٢، حديث رقم ٢٦٧٧

المبحث الثاني

منهج نولدكه في ترتيب سور القرآن الكريم

المطلب الأول

نقد آراء نولدكه في ترتيب سور القرآن الكريم

النظرة الاستشراقية لنولدكه نحو القرآن بأنه جهد إنساني منسوب إلى محمد ﷺ أدت به إلى أن يفتتح دراسته لهذه القضية بأن الترتيب الحالي^(١) ضرب من الخيال والخرافة^(٢).

ولكي يؤكد نولدكه زعمه أن كون القرآن من عند الله تعالى خرافة - كما يدعي - فلا بد له من أن يقرر أنه لم يكن ثمة ترتيب له، وهذا أحوجه إلى أن يعرض أموراً ثلاثة هي:

أولاً: قضية تدوينه.

ثانياً: عدم وجود ترتيب مصحفي حقيقي في التلاوة.

ثالثاً: عدم رغبة الرسول ﷺ بجمعه في مصحف واحد.

وليؤكد نولدكه أيضاً بأن هذا الترتيب خرافي فإنه شكك في أن يكون النبي (ﷺ) قد أمر بتدوين ما نزل به الوحي، أو أنه لقي منه اهتماماً، فيقول: "من المشكوك به أن يكون محمد (ﷺ) قد أمر منذ البدء بتدوين كل ما أنزل عليه من الكتاب السماوي، إذ من المحتمل أن يكون في السنوات الأولى من رسالته - حيث لم يكن له أتباع بعد من قريش - في أن يكون قد نسي بعضاً مما أنزل عليه قبل أن يطلع عليه أحد، وأن يكون صحابته قد حفظوا البعض الآخر في الذاكرة، وكثيراً ما ينقل بأن محمداً (ﷺ) تلا على صحابته مقاطع من القرآن حتى حفظوها غيباً، ولعله أملى قبل الهجرة بسنوات عديدة على أحد الكتاب سوراً - أجل سوراً بكاملها لا آيات مفردة فقط كما يروي المسلمون"^(٣)

^١ - لا يوجد ترتيب حالي وترتيب ماضي، فالذي نؤمن ونتعبد الله تعالى به أن الترتيب الموجود في المصحف الذي

بين أيدينا هو ما أنزله الله من لده على رسوله محمد ﷺ

^٢ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٤٢

^٣ - المصدر السابق، ج، ص ٤٢

ويؤكد هذا الادعاء بالافتراض بأن التدوين للوحي ولو كان في نية الرسول (ﷺ) ذلك منذ البداية إلا أنه كان مجرد مشروع فقط حيث كان يحفظ كل شيء في الذاكرة التي كانت تخون النبي ﷺ في بعض الأحيان^(١)

وأما الأمر الثاني بقضية ترتيب المصحف، فإنه ادعى أن النبي (ﷺ) لم يهتم بترتيب السور ترتيباً محكماً بحسب زمنها أو مضمونها، وأن مصير من خلفه قد شغله أكثر من مصير القرآن^(٢) وأما حول الأمر الثالث المتعلق بقضية جمع القرآن فإنه قد نفى أن يكون النبي ﷺ قد رغب بجمع ما كان ينزل به الوحي في مصحف واحد، فيقول: "لم يكن ممكناً لمؤلف القرآن أن يقوم بجمعه كاملاً"^(٣)

ويرد عليه في الأمر الأول المتعلق بقضية تدوين القرآن الكريم بأننا نجد في أوائل ما نزل به الوحي القرآني "اقرأ باسم ربك الذي خلق"، (العلق: ١)، و "الذي علم بالقلم"، (العلق: ٤)، فـ (اقرأ والقلم) يرشدان إلى أداتي الحفظ وهما القراءة التي محلها الصدور، والكتابة التي محلها السطور، فلا يمكن عقلاً أن يرشد القرآن إليهما، ويكون هو محروماً ذاته منهما. ويرد عليه بالآيات التي جاء فيها تسمية القرآن بـ (كتاب) مثل قوله تعالى: "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين"، (البقرة: ٢)، وقوله تعالى: "إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يحسه إلا المطهرون" (الواقعة: ٧٧-٧٩).

وقد اتبع النبي ﷺ منهجية الحفظ في الصدور والسطور، حيث إنه كان يتلو ما ينزل عليه من الوحي على أصحابه فيحفظوه، ثم يملي الوحي النازل على كتبة الوحي، ويرشداهم بأن موضع الآية هو كذا من سورة كذا، فلازمت التلاوة والقراءة التدوين، فقد ورد عن عثمان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ينزل عليه السورة ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا^(٤)، وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره، ثم صوبه، ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٣٩

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٤٤

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ٤٤

٤ - أخرجه أحمد في مسنده، في مسند عثمان بن عفان رضي الله عنه، حديث رقم ٣٩٩، والترمذي في سننه، كتاب التفسير، سورة التوبة، حديث رقم ٣٠٨٦

أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة^(١) "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ" (النحل: ٩٠). فالملاحظ أن الذي كان يبادر إلى الأمر بالتدوين لما ينزل من الوحي المنلو هو الرسول ﷺ، فيسارع كتابة الوحي إلى كتابة الآية أو الآيات في موضعها من السورة التي أمروا بوضعها فيها من غير تدخل منهم في نظم الآية أو موضعها.

ولئن تيسر الحفظ؛ لأن العرب في ذلك الوقت كانت صدورهم دواوينهم، فقد تيسرت أدوات الكتابة كالرقاع واللخف والأكتاف، فقريش كان عصب حياتها قائماً على التجارة، ومثل ذلك يحتاج للتدوين، ولأناس يعرفون القراءة والكتابة والحساب، فكان من أصحاب الرسول ﷺ من كان يتقن ذلك قبل إسلامه بحكم أنهم مارسوا التجارة كأبي بكر وعثمان رضي الله عنهما.

كانت منهجية الرسول ﷺ في التدوين منهجية صارمة في الإملاء والمراجعة بعده^(٢) فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وهو يملئ عليّ، فإذا فرغت قال: اقرأه، فأقرأه، فإن كان فيه سقط - أي في التدوين - أقامه ثم أخرج به إلى الناس^(٣)

وما أشكل على نولده حصل لغيره من المستشرقين في الظن بأن التدوين إنما حصل في فترة متأخرة على بدء نزول الوحي، فنشط في المدينة بعد فترة طويلة من التنزل مما أدى إلى ضياع بعضه، ونسيان بعضه الآخر، فحصل به التعديل أكثر من مرة^(٤)

ورد أن جبريل عليه السلام كان يراجع النبي ﷺ القرآن كاملاً في كل عام، فيراجع كل ما كان نزل من قبل مكه ومدنيه، حتى إذا كان العام الذي قبض فيه راجعه مرتين^(٥).

قد يكون صحيحاً بأن الكتابة قد اشتهرت في المدينة أكثر منها في مكة، وأن الذين كانوا يحسنون الكتابة من الأنصار كانوا أكثر من المهاجرين، ولعل ذلك يرجع إلى أن المدينة قد غدت بعد الهجرة إليها موطن استقرار المسلمين، ولكن ذلك لم يعن أن الكتابة قد أصبحت مقتصرة على القرآن المدني، بل شملت كذلك الوحي المكي^(٦)

- ١ - أخرجه أحمد في مسنده في حديث عثمان بن أبي العاص عن النبي ﷺ، حديث رقم ١٨٤٠٢
- ٢ - انظر، في عناية النبي ﷺ بحفظ القرآن صدرأً وسطرأً. الدليمي، أكرم، جمع القرآن، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٢٣ وما بعدها.
- ٣ - أخرجه الطبراني، في المعجم الأوسط، حديث رقم ١٩٤٣، وقال الهيثمي في الزوائد: رواه الطبراني ورجاله موثقون.
- ٤ - سيأتي بيان ذلك في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى في محله هناك.
- ٥ - أخرجه البخاري، في كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، حديث رقم ٤٧١٢
- ٦ - انظر، عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، ط١، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٦، ج ١، ص ١٩٦

ولو افترضنا جدلاً صحة الرواية، فإن هذا الأمر يقودنا للحديث عن الموافقات في الوحي فـ:
١- لماذا لا يكون هذا اختباراً؛ ليمحص الله الذين آمنوا ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة.

٢- "لماذا الاعتقاد بأن الوحي لا بد وأن يخالف كل فكرة أو اقتراح بشري، فالبشر ليسوا شياطين، بل هم نفخة من روح الله - كما يقول القرآن - فموافقة بعض الصحابة للوحي لا غرابة فيه البتة"^(١)

وأما بالنسبة للأمر الثاني المتعلق بقضية ترتيب القرآن وهي أن عدم اهتمام الرسول (ﷺ) بالترتيب المحكم للقرآن بحسب النزول أو المضمون راجع إلى كثرة التعديلات التي كان يدخلها على النص القرآني، ثم انشغاله بمصير من يخلفه أكثر من مصير القرآن نفسه، وهذا كله أدى به إلى استحالة قدرته على جمع القرآن^(٢)

ثم زعم أيضاً: "لا بد وأن محمداً (ﷺ) منح المقاطع القرآنية شكلها النهائي الذي احتفظت به، من خلال تلاوته إياها من أجل أن تحفظ أو تدون"^(٣)

وأما زعمه بأن النبي ﷺ قد اهتم بمصير من يخلفه أكثر من اهتمامه بمصير القرآن، فإن نولده قد خالف الحقائق، وجانب الصواب، فهل يستطيع أن يأتي برواية واحدة تصرح بأن النبي ﷺ صرح باسم الخليفة من بعده.

في موضع سابق من كتابه أشار إلى أن عائشة رضي الله عنها نصت على أن النبي ﷺ أراد أن يسمي أبا بكر خليفة له^(٤)

ونص الرواية أن عائشة رضي الله عنها سئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا^(٥)

والحديث حجة على نولده لاله على ما ادعى، قال الحديث فيه دلالة لأهل السنة أن خلافة أبي بكر ليست بنص من النبي ﷺ على خلافته صريحاً، بل أجمعت الصحابة على عقد الخلافة له،

١ - عوض، إبراهيم، مصدر القرآن ص ١٤٠ بتصرف قليل.

٢ - تاريخ القرآن ج ١، ص ٤٣ - ص ٤٤ باختصار

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ٤٣

٤ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٣

٥ - أخرجه مسلم، في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر، حديث رقم ٦٣٢٩

وتقديمه لفضيلته، ولو كان هناك نص عليه أو على غيره لم تقع المنازعة من الأتصار وغيرهم أولاً؛ ولذا حافظ النص ما معه، ولرجعوا إليه لكن تنازعوا أولاً، ولم يكن هناك نص، ثم انفقوا على أبي بكر واستقر الأمر^(١).

وأما حول زعمه أن النبي ﷺ لم يهتم بمصير القرآن فإن قصد مصير ما ينزل عليه، فإن القرآن نفسه ينقض ذلك، فالنبي ﷺ كان حريصاً على حفظ ما ينزل عليه، فيحرك به لسانه حتى لا ينفلت منه شيء^(٢)، حتى طمأنه الوحي بأن ما ينزل عليه سيثبت الله في قلبه، وهو في قوله تعالى: "لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَازِلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ" (القيامة: ١٦-١٧)، ثم إن النبي ﷺ كان يقوم بإبلاغ ما ينزل على صحابته فيقرأه عليهم، ثم يدعو من يكتب الوحي فيقول ضعوا كذا في مكان كذا.

وأما ما قاله حول الترتيب المصحفي وهي زعمه عدم الترتيب المصحفي للقرآن من النبي ﷺ في تلاوته، فقد كان نولدكه مضطراً لعرض مثل هذا الإدعاء؛ لأنه كان يتوقع الاعتراض بأنه وإن لم يوجد الترتيب المدون في مصحف واحد، فقد كان القرآن مرتب الآيات والسور في صدور الصحابة، ونولدكه على يقين بأنه كان بحاجة للخروج من ورطته هذه بالإدعاء أن النبي ﷺ إنما أعطى الشكل النهائي للآيات في تلاوته بمعنى أن الآية أو الآيات قد اتخذت أشكالاً عديدة، قبل أن يستقر شكلها في وضع نهائي.

ويستدل نولدكه على زعمه: "ولا بدّ من أن محمداً (ﷺ) قد منح المقاطع القرآنية شكلها النهائي الذي احتفظت به، من خلال تلاوته إياها من أجل أن تحفظ أو تدون" بقصة عبدالله بن أبي السرح^(٣)، وهذه القصة رواها الواقدي في مغازيه، ونص هذه الرواية أن عبدالله بن أبي السرح دعاه النبي ﷺ فأملى عليه، فلما انتهى إلى قوله: "ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ"، (المؤمنون: ١٤)، عجب عبدالله في تفصيل خلق الإنسان، فقال: "تبارك الله أحسن الخالقين"، فقال رسول الله: "هكذا أنزلت عليّ"، فشك عبدالله، وقال: "لئن كان محمد صادقاً لقد أوحى إليّ كما أوحى إليه، ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال"^(٤).

١ - صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٤، ص ١٥٤

٢ - انظر، ابن حجر، فتح الباري، ج ١، ص ٤٤

٣ - انظر، نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٤٣

٤ - الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ٨٥٦

والواقدي ممن أجمع العلماء على تضعيفه في الحديث، وترك الرواية عنه، فقد قال عنه البخاري: متروك الحديث، وبمثل ذلك قال النسائي، وعن علي بن المديني أنه قال: عند الواقدي عشرون ألف حديث لم يسمع بها، وقال عنه: ليس بموضع للرواية، ولا يروى عنه، وأما يحيى بن معين فقال عنه: ليس بشيء، وعند الإمام أحمد بن حنبل أنه قال عنه: كذاب^(١)

وأما (الشكل النهائي) للآية فقد اتخذته في اللحظة التي وقعت فيها وحياً في قلب الرسول ﷺ، وبلغها كتبة الوحي، ومن بعدهم الناس، ودليل ذلك هو حرص النبي ﷺ على الاستيثاق من حفظ ما ينتزل عليه من الوحي حتى كان يحرك به لسانه، فنزل الوحي مطمئناً إياه بأن الله تعالى قد كفل له الجمع والحفظ للوحي المتلو في صدره "لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْعَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ" (سورة القيامة: ١٦-١٩)، فلا يعقل أن يكون الجمع الرباني الذي تكفل الله عز وجل به لرسوله ﷺ مقتصراً على مجرد أن يجمعه في صدره فقط دون العناية بأمر التنظيم والترتيب لهذا المجموع، وعلى ذلك يبدو واضحاً أن الله تعالى لم ينزل الوحي فقط، بل أنزل معه تنظيمه وجمعه^(٢)

وأما حول الأمر الثالث المتعلق بمزاعمه حول قضية جمع القرآن فلقد كان من العدالة والموضوعية في البحث أن يقرر نولدكه المقصود بالجمع قبل أن يقرر عجز الرسول (ﷺ) عن القيام به، فهل قصد بالجمع جمعه بين دفتي مصحف واحد، أم قصد بالجمع حفظه مرتبب الآيات في سورها كما نطق الوحي بذلك في صدور الرجال، ثم تدوين ذلك في أدوات الكتابة المتيسرة آنذاك دون تناقض قيد أنملة بين المحفوظ صدراً، والمكتوب سطرأ.

من المسلم به عندنا نحن المسلمين أن الرسول ﷺ لم يلتحق بالرفيق الأعلى إلا والقرآن مجموع كله في صدور المؤمنين، ومكتوب كله مفزقاً عند كتاب الوحي وغيرهم^(٣) من بعض الصحابة ؓ، وإنما كان جمعه بين دفتي مصحف واحد في زمن أبي بكر الصديق ؓ من غير

١ - انظر، الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (٤٦٣هـ-)، تاريخ بغداد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، ج٣، ص٢١٢

٢ - خليفة، محمد، الاستشراق والقرآن العظيم، ترجمة مسروان عبدالصبور شاهين، د.ط، دار الاعتصام، مصر، ١٩٩٤، ص٩٠

٣ - اتخذت الكتابة في عهد النبوة طابعين: الكتابة الرسمية لدى كتاب الوحي، والكتابة الشخصية الخاصة التي كان يكتبها بعض الصحابة لأنفسهم. انظر إتقان البرهان ج١، ١٩٩

تدارك لخلاف حصل في حرفيته^(١) - كما ادعى نولدكه- وإنما كان هذا الجمع الثاني بمشورة من الفاروق عمر بعد استشهاد سبعين من قراء الصحابة وحفظه القرآن في معركة اليمامة مع المرتدين، ثم كان الجمع الثالث زمن عثمان ؓ بعد أن دخل الأعاجم في الإسلام، وبإشارة من حذيفة بن اليمان ؓ.

وأما عدم جمعه ﷺ القرآن بين دفتي مصحف واحد مرتب الآيات والسور في عهد النبي ﷺ، فذلك يعود إلى الأسباب الآتية:

أولاً: "كان القرآن متدرج النزول ينزل نزولاً متفرقاً، فلو جمع القرآن؛ لأحوج ذلك إلى تجدد الجمع مرات عديدة، وفي ذلك من المشقة ما لا يخفى"^(٢).

ثانياً: "أن القرآن كان يتجدد نزوله حسب الوقائع والأحداث، ولم يكن له ترتيب وفق النزول، ثم إن النبي ﷺ لم يعلم بوقت أجله"^(٣).

ثالثاً: قال الخطابي: "إنما لم يجمع ﷺ القرآن في المصحف؛ لما كان يترقبه من ورود ناسخ"^(٤) لبعض أحكامه، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك، وفاء بوعد الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر"^(٥).

ثم يدعي نولدكه أنه لم يكن ممكناً لمؤلف القرآن وهو لم ينس- هذا بحسب رواية المسلمين- وبحسب شهادة القرآن نفسه- بعض المقاطع وحسب-، بل قام أيضاً بتعديل بعضها عن قصد، وأنه كان يقوم بإضافات إلى ما كان مكتوباً^(٦).

قد ورد أن ما كان يطراً على الرسول (ﷺ) من النسيان البشري أثناء تلاوته للقرآن في إمامته للمسلمين في الصلاة- كان الصحابة يراجعونه في ذلك مستفهمين أنسخ هو أم ماذا؟ أو يصححونه

١ - يقول نولدكه: "فهل كان للنبي (ﷺ) فعلاً أن يتوقع كما يزعم فايل أن الخلاف سينشب بعد وقت قصير من وفاته حول حرفية ما نزل عليه... تاريخ القرآن، ج ١، ص ٤٤

٢ - انظر، عباس، فضل، إتقان البرهان، مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٨

٣- المجالي، محمد خازر، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، ط ٤، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ٢٠٠٨م، ص ١٢٥

٤ - اعترض البعض على أن يكون النسخ أحد أسباب عدم جمع القرآن في مصحف واحد في عهد النبي ﷺ، انظر هامش إتقان البرهان ج ١، ص ١٩٨، ولعل لذلك ما يسوغه نظراً لأن آيات النسخ إنما هي آيات معدودات فلا يحمل الكثير على القليل.

٥ - السيوطي، إتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٦٩

٦ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٤٤

في تلاوته إذا نسي، فقد روي أن الرسول ﷺ نسي آية في الصلاة فذكره بها بعض الصحابة عند قراءته لها^(١)، وقد روي أيضاً أنه ﷺ أسقط آية في قراءته في الصلاة، وكانت صلاة الفجر فحسب أبي أنها نسخت، فسأله عليه الصلاة والسلام فقال: نُسِيَتْهَا^(٢).

وهذا النسيان هو النسيان الذي هو آفة في البشر، والنبي معصوم عنه قبل التبليغ، وأما بعد التبليغ وحفظ الناس له فجائز^(٣).

وأما دعواه بأن النبي ﷺ كان يضيف إلى ما يكتبه كتبة الوحي، فإن سبب ادعائه هذا هو عدم اعترافه بأن ما ورد في قصة ابن أم مكتوم هو سبب نزول هذه الآية، فتنزل الوحي بالإجابة على سؤالهما.

فمن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالساً في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله ﷺ أملى عليه: " لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " (النساء: ٩٥)، قال فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها علي، فقال: يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فتقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سري عنه، فأنزل الله عز و جل: "غير أولي الضرر"^(٤)

يدعي نولدكه أيضاً أن قضية الأحرف السبعة تدل على أن بعض القطع قد تلاها النبي (ﷺ) على أناس مختلفين بصيغ مختلفة؛ إما لأنه أراد أن يحسنها، أو وهذا أكثر حدوثاً؛ لأن ذاكرته عجزت عن حفظها من دون تعديل^(٥)

يرد على نولدكه بأن "الأحرف السبعة هي سبع لغات متفرقة متفقة من حيث المعنى، مختلفة من حيث اللفظ، وهي ليست كلها مما كان النبي ﷺ يمليه على كتاب الوحي، فكان يقرئ الصحابة على هذه الأحرف، فيقرئ بعضهم حرفاً، وبعضهم حرفاً آخر، واتخذ الصحابة مصاحف خاصة، ثم

١ - أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، حديث رقم ٢٦٥٥

٢ - أخرجه النسائي في السنن الكبرى، حديث رقم ٨٢٤٠، ج ٥، ص ٦٧

٣ - عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٧

٤ - أخرجه البخاري، في كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: " لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي

الضرر والمجاهدين... "، حديث رقم ٢٦٧٧

٥ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٤٤

توزعوا في الأمصار، وكان كل واحد يعلم على الحرف الذي أقرأه عليه رسول الله ﷺ، فتعددت قراءاتهم، ثم حصل الاختلاف بينهم بعد ذلك، حتى جمعهم عثمان رضي الله عنه على مصحف واحد^(١)

ثم هل يعقل أن تكون السور مجالاً للتعديل (بالحذف والإضافة والزيادة والنقصان) دون أن يتبته لذلك المنافقون وأهل الكتاب الذين حرصوا على أن يجدوا له مثلاً يبيّنون فيه للناس نقص رسالته.

أمر آخر يدل على أنه لا تتقاض بين المدون والمحفوظ صدراً ما كان يسمعه الصحابة من الرسول ﷺ هو ما ورد في شأن الكلاله لما سأل عمر عنها فقد قال له: ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر النساء^(٢)، فدقة التعبير عند رسول الله ﷺ لم تكن فقط في الإخبار عن زمن تنزل الآية، بل في الإخبار عن موضعها من السورة، وسكوت عمر بعد هذا البيان دل على أنه يعرف الموضع تماماً بدليل أنه لم يكن يسأل عن الموضع لآية الكلاله، وإنما عن بيان لها، فلما أخبر بذلك علم، ولو لم تكن له معرفة بالآية المشار لها في آخر النساء لاستفهم عمر رضي الله عنه من رسول الله ﷺ عنها، فدل عن أن الآية التي كان يسمعا في تلاوة رسول الله ﷺ، والمدونة في المصحف هي نفسها.

ومما يشهد بأن الرسول ﷺ كان يهتم بترتيب التلاوة أن قراءته للقرآن لم تكن على مسمع الصحابة في الصلاة فحسب، فعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته أو جملة، وهي تسير به، وهو يقرأ سورة الفتح، أو من سورة الفتح قراءة لينة يقرأ، وهو يرجع^(٣)

ضمن الله تعالى لنبيه ﷺ حفظ القرآن في صدره، واعتنى أصحابه ﷺ بحفظه في صدورهم كذلك، مع تيسر تدوينه وكتابه أيضاً بوجود بعض الصحابة الذين يتقنون القراءة والكتابة، وتوافر أدوات الكتابة التي يكتب عليها يومئذ، فكانت كتابته - كما ورد في الروايات - تماثل المحفوظ في الصدور.

فالترتيب الذي كان للآيات في سورها التي كتبها كتاب الوحي إنما كان بأمر النبي ﷺ، وهو نفسه الترتيب الذي حفظ به النبي ﷺ وأصحابه ﷺ هذه السور، فكان المحفوظ في الصدور هو عينه المكتوب في السطور، فتوافق الصدر والسطر في حفظ كتاب الله تعالى.

١ - عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ١١٩ وما بعدها باختصار

٢ - أخرجه مسلم في كتاب الفرائض، باب ميراث الكلاله، حديث رقم ١٦١٧

٣ - أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب أين ركز رسول الله ﷺ الراية يوم الفتح، حديث رقم ٤٢٨١

المطلب الثاني

رأي نولدكه في ترتيب المستشرقين لسور القرآن

لم يستوعب نولدكه جميع الدراسات الاستشراقية التي تناولت الترتيب النزولي لسور القرآن الكريم، بل اختار ثلاثاً من الدراسات إحداها لمستشرق إنجليزي، والأخريان لمستشرقين ألمانيين.

تعرض لدراسة المستشرق وليام موير^(١) لترتيب النزول لسور القرآن الكريم في كتابه حياة محمد، حيث يرى نولدكه أنه قد التقى مع موير في أهم النقاط، حيث يوزع السور المكية على خمس مراحل متتبعاً تاريخياً ينقصه أي رسوخ^(٢) وال مراحل الزمنية الخمس للسور المكية هي:

١- سور نزلت قبل سورة العلق، أي قبل البعثة

٢- أقدم السور حتى جهر محمد بدعوته

٣- حتى العام السادس بعد البعثة

٤- حتى العام العاشر بعد البعثة

٥- حتى الهجرة

الفرق الأساسي بين (نولدكه وموير) هو: أن موير يجعل مجموعة نولدكه الثانية، هي مجموعته الرابعة التي تبدأ باكراً، وتبقى فقط ست سور بعدها موير ضمن هذه المجموعة بينما يضمها نولدكه إلى المجموعة الأخيرة، فكانت غلطته الأساسية -كما يرى نولدكه- أنه جعل

١ - سير وليام موير كان أول عالم غربي أعد قائمة حسب الترتيب التنزيلي، وقام بإصدار هذه القائمة في كتابه (حياة محمد) فقام باستخدام خياله بشكل مفرط مستعيناً من التقارير الضعيفة والمفتركة لإعداد قائمته التنزيلية، فوجهة نظره غير بريئة والمتمثلة في أن السور الأوائل لم يتم حفظها، ولا حتى رأيه فيما يتعلق بأن النصوص الأولى للتنزيل كانت لورقة بن نوفل وعلي وخديجة أم المؤمنين، فورقة كان كفيفاً، وعلي كان صغيراً في السن (حوالي ١٢ سنة) في ذلك الوقت من التنزيل، وخديجة لم تعمل ككاتبة للوحي على الإطلاق.

وفي كتابه أكد وليام موير على خمس فترات متعلقة بالقرآن والتي تضم ١٨ سورة في الفترة الأولى، ويظهر هنا أن هذه السور كانت على شكل أغانٍ، لو أنها أجزاء غير متصلة بالنثر، والتي يمكن أن يكون الرسول قد كتبها قبل التفكير بالنبوة، ولا يوجد أي جزء منها على شكل رسالة إلهية، وعلى أساس إدعائه يجعل موير ١٨ سورة لا علاقة لها بالنص القرآني، والشئ نفسه

ينطبق على ٢١ سورة لم يبين الترتيب الزمني لها. Ulm- ul- Quran An Introduction to the Science of the Quran(How to Study and Understand the Quran: Hasanuddin Ahmad, NetNavigate Systems ٢٣/٦/٢٠٠٨

٢ - انظر تاريخ القرآن، ج ١، ص ٦٦

الأهمية لطول السورة بدلاً من الاهتمام بطول الآيات، ثم يسعى إلى ترتيب السور واحدة واحدة وترتيباً زمنياً، بدلاً من الاهتمام الكافي لتقسيم السور المؤلفة من أجزاء مختلفة^(١)

المستشرق الألماني غريمه^(٢) يتبع نولده كما تماماً فيما يتعلق بالسور المدنية، وأما الفترة المكية الأولى فإنها تنقص عن نولده السور ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ١٠٩، ١١٢، وينسب السور الخمس الأولى إلى فترته الثانية، والسور الأربع الأخيرة إلى فترته الثالثة، وما عدا ذلك يضم إلى فترته الثانية السورة ١٤ فقط ما عدا الآيات (٣٥/٣٨-٤١) المدنية، و٥٤ و٥٥ و٥٦، ويضم السورة ٧٦ إلى الفترة الأولى، وسائر السور إلى الفترة الثالثة^(٣)

دراسة غريمه لترتيب سور القرآن على فترات الوحي التي تنزل فيها جاءت بعد محاولة نولده في كتابه محمد، "وقد اعتمد على فكرة تطور القضايا أو المواضيع الدينية (التوحيد، البعث، القيامة...) حيث ركز اهتمامه على الحقبة المكية، وسائر نولده في ترتيبه لها فقسمها إلى ثلاث فترات، لكن ترتيبه اختلف نوعاً ما عن ترتيب نولده"^(٤)

هيرشفيلد^(٥) هو المستشرق الثالث الذي درس نولده ترتيبه، وهو من وجهة نظر نولده اتبع نهجاً مختلفاً تماماً للمنهج الذي سار عليه موير وفيل الألماني، فهو يرفض مبادئهما في تقسيم السور المكية، والمجموعات التي يصنفها يجعلها تتعلق بالصيغة والإعلان الأول، والسور التوكيدية،

١ - نولده، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٦٧

٢ - غريمه أيضاً حاول ترتيب السور العديدة وفقاً لترتيبها الزمني، والذي قرر على أساس محتواها، و(فليتشر) في مقاله (الدين المحمدي)، والذي نشر في الموسوعة البريطانية أخرج القائمة التي أعدها غريمه فمن الواضح من خلالها أنه حاول ترتيب السور وفقاً لموضوعاتها، لكن غريمه رتب السور المدنية على أساس المرجعية الزمانية، وهو - إلى حد كبير - اتبع نولده فاعتمد على التقارير الموثوقة، والأخرى غير الموثوقة. Ulm- ul- Quran An Introduction to the Science of the Quran(How to Study and Understand the Quran: Hasanuddin Ahmad, NetNavigate Systems ٢٣/٦/٢٠٠٨

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٦٧

٤ - بدوي، عبدالرحمن، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، مرجع سابق، ص ١٢٢ - ص ١٢٣

٥ - كتاب هيرشفيلد بحوث جديدة في ترتيب القرآن وتفسيره هو عبارة عن مجموعة من مقالاته، فهو لم يحاول ترتيب السور فقط، وإنما الآيات وفقاً لترتيبها الزمني (في خمس مراحل)، ولكنه لاحظ (لماذا لم اعترف منذ البداية أن الأمل كان ضئيلاً في الحصول على نتائج ذات مصداقية لهذا الترتيب، ورغم الترتيب الحكيم للمواضيع في القرآن كان من الممكن فهم المحتوى المهم للقرآن). في موقع آخر يقول هيرشفيلد: "يجب أن نقول وداعاً لترتيب السور وفقاً لترتيبها التاريخي، ولكن كان من الممكن ترتيب القرآن وفقاً للمواضيع لمعرفة معنى الرسالة التي تشكل مضمون القرآن Ulm- ul- Quran An Introduction to the Science of the Quran(How to Study and Understand the Quran: Hasanuddin Ahmad, NetNavigate Systems ٢٣/٦/٢٠٠٨

والواعظة، والقصصية، والوصفية، والتشريعية) وعند تولدكه فإن هذا ليس إلا تعديلاً للمبادئ التي اتبعتها، ولكن ثمة نقاط اختلاف والتقاء بينهما لخصها في الآتي:

١- هناك توافق تام بينهما في تحديد السور المدنية باستثناء السورة ٩٨.
٢- تضم مجموعاته الثلاث الأولى باستثناء السور ٥١ و٥٥ و١١٣ و١١٤ السور التي عند تولدكه في الفترة المكية الأولى مضافاً إليها السور ٢٦ و٧٦ و٧٢ من فترته المكية الثانية، والسورة ٩٨ من الفترة المدنية

٣- مجموعاته الثلاث الأخيرة مخلوطة من الفترتين الزمنيتين الثانية والثالثة بحسب توزيع تولدكه^(١)

تلاحظ الاختلافات الآتية في الدراسات الاستشرافية السابقة في الترتيب النزولي للسور القرآنية: أولاً: عدد المراحل - خاصة المكية - أو الفترات الزمنية التي ترتب السور فيها على فترات الوحي، حيث لوحظ أن هناك زيادة ونقصاناً في عدد الفترات ففي حين يجعلها موير ستاً للحقبة المكية، يختصرها تولدكه وغريمه إلى ثلاث، وهيرشفيلد يجعلها أربعاً.

ثانياً: الزيادة والنقصان في عدد السور التي تتبع كل فترة من الفترات التي قسمت السور إليها ثالثاً: التقديم والتأخير في سور كل فترة زمنية

رابعاً: وجود اتفاق في قضية السور المدنية في عدم تقسيمها إلى فترات، والشيء نفسه في تقسيم السور المكية مع الاختلاف في عددها.

خامساً: على الرغم من أن تولدكه يلزم الإتقان للسيوطي، إلا أنه لم يتنبه إلى ما ذكره صاحب البرهان الإمام الزركشي عن أبي القاسم حبيب بن محمد النيسابوري حول مسألة ترتيب النزول للوحي على الرسول محمد ﷺ حيث ذكر عنه قوله في كتابه التنبه على فضل علوم القرآن: "من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً ووسطاً وانتهاءً، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك، ثم ما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكّي"^(٢)

"فتقسيم القرآن إلى مراحل زمنية لم تكن بدعة بحثية من المستشرقين في تقسيم السور المكية والمدنية، وترتيبها نزولياً، فلقد سبقوا بذلك من أمثال أبي القاسم النيسابوري في تقسيم المراحل إلى: ثلاث في مكة ابتداءً وتوسطاً وختاماً، وثلاث في المدينة بدايةً وتوسطاً وختاماً، فمثل هذا التقسيم هو

١ - تولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٦٨

٢ - الزركشي، محمد بن بهادر (٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ، ج ١، ص ١٩٢

لا ضرر فيه لذاته، غير أن الضرر إنما يتجسد عند التجافي عن الروايات الصحيحة، والأخذ بالرأي المرتجل^(١)

الرأي الارتجالي في ترتيب السور على فترات الوحي التي تنزل بها القرآن الكريم هو ما يميز عمل المستشرقين، حيث لم يكن اعتمادهم على الروايات الصحيحة المعتمدة في أسباب النزول، ومعرفة المكي والمدني، ولذلك شكل السند للأحاديث النبوية العقدة النفسية لنولده ومن سبقه في قضية الترتيب، فكان تجاوزه واعتماد التخيلات والافتراضات الذهنية هو الحل المناسب عوضاً عنه، وكان مشكلة انعدام السند لنصوص الكتاب المقدس جعلتهم يغضون الطرف عن الأسانيد ذات الصلة بالمكي والمدني، والتي بلغ بعضها حد التواتر.

وعلى الرغم من أن غريمه "اعتمد على الروايات والأسانيد الإسلامية في ترتيب سور القرآن، فإنه يؤخذ عليه أمران: أما أحدهما فعدم تمحيصه صحيح تلك الروايات من سقيمها، وعجزه كسائر المستشرقين عن هذا التمحيص؛ ولذلك لم يبال بترتيب القرآن على أساس واه من الأسانيد الضعيفة والباطلة أحياناً، وأما الآخر فهو تخليه عن المنهج الذي اشترطه على نفسه من احترام الروايات ليصدر في نهاية المطاف - في مواطن مختلفة - عن رأي المستشرق نولده في وصف المراحل المتعاقبة على الوحي القرآني^(٢)

والشيء نفسه يقال عن وليام موير الذي "اعتمد إلى حد غير قليل على سيرة الرسول ﷺ وأسانيدها بعد دراستها دراسة نقدية حشد لها الكثير من معلوماته التاريخية، لكنه وقع مع ذلك في أخطاء عديدة، وأخذ بروايات واهية، والمقارنة في هذا المجال بينه وبين غريمه سنتظل ممكنة ميسورة^(٣)

ويبقى التساؤل وهو لماذا اقتصر نولده على هؤلاء الثلاثة من المستشرقين، مع أنه ليس هناك ثمة إجماع في الرأي بينهم في الترتيب النزولي للوحي، ولا حتى اتفاق في المنهج لهذا الترتيب؟ ألم يكن أفضل لنولده لو أتى بدراسات استشرافية تقارب ولو إلى حد ما المنهج الذي اتبعه، وسار عليه في دراسته بدلاً من ذكر دراسات مختلفة؟

^١ - الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص ١٦٩ بتصرف قليل

^٢ - المرجع السابق، ص ١٧٥-١٧٦

^٣ - المرجع السابق، ص ١٧٦

يبدو أن نولدكه كان قاصداً لذكر هذه الدراسات المتباينة في المنهج والنتائج؛ لأنه في خاتمة العرض علق قائلاً: «كلما طالت دراستي للقرآن وتعمقت، تجلّى لي بوضوح أكبر أن من بين السور المكية مجموعات متفرقة يمكن الفصل بينها، وذلك مع انعدام إمكانية القيام بأي ترتيب تاريخي دقيق للسور، وكم من دليل وجدته من قبل مناسباً لهذا الغرض بدا لي لاحقاً غير موثوق به، وكم من زعم أبديته قبلاً بقدر كبير من الثقة بدا لي من بعد فحص متكرر وأدق أنه زعم غير أكيد»^(١)

وعلى الرغم من أن الترتيب الزمني للسور القرآنية لم يرد به نص صحيح عن النبي ﷺ أو أحد أصحابه، وما روي جاء بطرق ضعيفة نبت عليها السيوطي وغيره، إلا أن المستشرقين مثل غريه وموير وهيرشفيلد وغيرهم أصروا على الاتجاه في البحث متكئين على هذه الروايات الضعيفة، وضاربين بعرض الحائط ما ورد في الروايات الصحيحة التي بينت ما تتعلق بشأن بعض السور من حيث زمن النزول.

وعلى الرغم من اقتناع نولدكه أنه لا توجد روايات تبين زمن النزول لكل الآيات والسور، إلا أنه تابع المستشرقين في منهجيتهم، وأصر على إجراء مثل هذا الترتيب، وتوسع فيه، فكانت دراسته في موضوع الترتيب الزمني للسور القرآنية على فترات الوحي ومنهجيته التي وصفت بـ (الخطيرة) أخطر الدراسات الاستشراقية في هذا الجانب، حيث علق عليها أخطر النتائج في عالم الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم.

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٦٨

المطلب الثالث

رأي نولدكه في ترتيب السور عند العلماء المسلمين ونقده

- لعل نولدكه قصد في دراسات العلماء المسلمين للترتيب الزمني للسور القرآنية ما يلي:
- ١- أن فكرة الترتيب الزمني لها ما يؤيدها في الشريعة الإسلامية، خاصة إذا كانت من العصور الأولى للإسلام.
 - ٢- ظاهرة الاختلاف في الترتيب ظاهرة عادية إذ مؤدى ذلك في النهاية هو الاجتهاد، وإعمال الرأي، وأن ترتيب السور ليس توقيفياً، والذي عليه جمهور العلماء.
- يبدو أن نولدكه كان قاصداً لأن يذكر دراسات عدة في الترتيب الزمني للسور القرآنية، ثم يعقب بما عليها من اختلاف في الزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير، والدراسات التي تناولها أخذها من المصادر الآتية:

أولاً: عمر بن محمد عبدالكافي^(١) (وكتابه مخطوط)

ثانياً: كتاب المباني^(٢)

ثالثاً: تأريخ الخميس في سيرة أنفـس نفيس^(٣)

رابعاً: تاريخ اليعقوبي^(٤)

خامساً: الفهرست لابن النديم^(٥)

١ - لم أعر على ترجمة لحياته في كتب التراجم والتأريخ، غير أن فؤاد سزكين ذكر أن أبا القاسم عمر بن محمد بن عبدالكافي كان تلميذاً لأبي علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧هـ، وأنه عاش حوالي سنة ٤٠٠هـ، انظر، تاريخ التراث العربي، ج ١، ص ٤٩، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٩٩١م.

٢ - كتاب المباني في نظم المعاني هو كتاب في تفسير القرآن الكريم، وينسبـه البعض إلى الشيخ أبي محمد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام المتوفى بعد سنة ٤٢٥هـ. قال ذلك غانم قدوري الحمد في بحث له نشره في مجلة الرسالة الإسلامية، العراق، بغداد، في عـدين متتاليين هما (١٦٤ و ١٦٥ عام ١٤٠٤هـ). تحت عنوان (مؤلف التفسير المسمى: كتاب المباني لنظم المعاني) WWW.TAFSIR.COM

٣ - انظر، الديار بكري، حسين بن محمد، تأريخ الخميس في سيرة أنفـس نفيس، د.ط، مؤسسة شعبان، بيروت، د.ت، ج ١، ص ١٠-١١

٤ - بن أبي يعقوب، أحمد (٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٣٣-٣٤ في ترتيب السور المكية، و ج ٢، ص ٤٣ في ترتيب السور المدنية.

٥ - ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (٣٨٥هـ)، الفهرست، د.ط، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨، ج ١، ص ٣٧

سادساً: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

تمثل منهجه في أنه يعلق على كل دراسة ببيان ما في كل واحدة من تقديم وتأخير، أو زيادة ونقصان، أو الاختلاف في مكيبته أو مدنيته عن دراسة عمر بن محمد عبدالكافي^(١).

ويعلق على محاولات المسلمين في الترتيب بأنها قد راعت بدايات التنزيل للسور القرآنية فقط، ولم تنتبه للآيات التي أضيفت لاحقاً^(٢)

وعلق نولدكه على الاختلافات بين الروايات بأن التراث ولو كان قديماً، أو يعود لابن عباس (رضي الله عنهما)، فهي محاولة غير ناضجة لوضع تسلسل زمني للسور القرآنية بواسطة استخدام بعض الروايات الجيدة، وذلك بحسب مبادئ نقدية ضعيفة جداً، ومحض الخيال^(٣) من المبادئ النقدية الضعيفة التي اتكأ عليها المسلمون في تفحصهم للسور، والتمييز بين المكي والمدني عند نولدكه:

- ١- استخدام الملاحظة البسيطة المتعلقة بجعل المقاطع التي يرد فيها (يا أيها الذين آمنوا) مقاطع مدنية، والمقاطع التي يرد فيها (يا أيها الناس) مقاطع مكية
- ٢- وقف النقل، واعتماد الاجتهاد العقلي في بعض الأحيان كما حصل في آية "وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ" (الرعد: ٤٣)

مماثلة المسلمين - كما يقول نولدكه- في الاتكال على ما نقله الأقدمون لن يوصل لنتيجة راسخة، وإنما البديل هو ما يقترحه نولدكه في ترك المنهج الروائي، والاعتماد على مراقبة معنى القرآن ولغته^(٤)

يتكلم نولدكه بسخرية تخرج به عن حدود الأدب البحثي عندما يقول في هذا الموضع: "هل من أحد يود الافتراض أن محمداً (ﷺ) كان لديه أرشيف، رتب فيه السور بحسب تسلسلها الزمني؟ لو كان هذا موجوداً لكان قطعة جانبية جميلة إلى جانب الجوارير التي نصبها فايل بسخرية للسور المفردة، ليدخل فيها الآيات التي أضيفت إلى هذه لاحقاً"^(٥)

١ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٥٥-٥٦

٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٥٥

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ٥٧

٤ - انظر، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٨

٥ - المصدر السابق، ج ١، ص ٥٧-٥٨

وعندنا في مقابل ما ذكره نولدكه قضيتان رئيستان في ترتيب العلماء المسلمين للسور حسب النزول، وهما:

أولاً: الروايات الواردة في شأن الترتيب
ثانياً: منهج المسلمين في التمييز بين السور المكية والمدنية

فأما بالنسبة للقضية الأولى فإن الروايات الواردة في شأن الترتيب الزمني للسور القرآنية لم تخرج عن المجيء برواية الواو أو بـ (ثم) وهما عند السيوطي، أو بـ (ثم) فقط كما عند صاحب الفهرست^(١)

عند السيوطي في الإتيان جاءت رواية البيهقي بحرف الواو، وسقط منها في الترتيب ثلاث سور^(٢)، ونولدكه نفسه لاحظ ذلك^(٣)

تعمد نولدكه وهو يذكر الروايات الواردة عند السيوطي بشأن ترتيب النزول ألا يذكر رواية أبي جعفر النحاس^(٤)، وهو قطعاً فعل ذلك؛ لأن هذه الرواية والتي حكم السيوطي عليها بـ (إسناده جيد، ورجاله كلهم ثقات من علماء العربية) لا تروق لنولدكه؛ لأنها ترتب السور القرآنية على الترتيب المصحفي الذي بين أيدينا، والذي رتب النبي ﷺ، والرواية جاءت بحرف العطف الواو.

" فهذا الحديث الصحيح الموصول السند هو ما ينبغي أن يكون على مضمونه المعول، وأن يكون التحاكم إلى مثل هذا المضمون، أي أن الحديث عن الترتيب يجب أن يكون قصراً على الترتيب المصحفي، ولو كان هناك ترتيب يصح الحديث عنه وراء هذا لذكره ابن عباس في مثل هذا المقام^(٥)

١- ابن النديم، الفهرست، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٧

٢- السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٨

٣- تاريخ القرآن، ج ١، ص ٥٥

٤- انظر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٤ - ٣٦

٥- خليفة، إبراهيم عبدالرحمن، "حول ترتيب السور القرآنية"، دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى العلامة الأستاذ فضل حسن عباس بمناسبة بلوغه السبعين، جمال أبو حسان، ط ١، دار الرازي، عمان، ٢٠٠٣م، ص ١٠١

الرواية التي جاءت عن جابر بن زيد، والتي يتر نولدكه كلام السيوطي في الحكم عليها بأنها سياق غريب^(١)، وتام قول السيوطي (سياق غريب فيه نظر)^(٢)، وهذه الرواية جاء الترتيب فيها بـ (ثم).

وأما الرواية التي قال نولدكه عند السيوطي أنها أهملت ذكر بعض السور^(٣)، فهي المنسوبة إلى عكرمة والحسن بن أبي الحسن والتي أخرجها البيهقي في دلائله، وذكرها السيوطي كلها^(٤)

وعند السيوطي روايتان أخريان في الترتيب النزولي لا يعرف لماذا لم يذكرهما نولدكه، وهما رواية ابن الضريس في فضائل القرآن، وأبي عبيد في فضائل القرآن كذلك^(٥)، والأولى بالحرف العاطف (ثم)، والثانية بالواو.

الحرف العاطف للسور في الحديث الذي أخرجه أبو جعفر النحاس^(٦) على بعضها البعض هو الواو التي وضعت عند العرب لمطلق الجمع بمعزل عن إفادة كل من المعية، والترتيب الزمني بنوعيه التعاقبي والتراخي^(٧).

"والآثار المعاكسة لرواية أبي جعفر النحاس لا تنهض أساساً لترتيب السور القرآنية حسب النزول، لعدة أسباب:

١- أن فيها اضطراباً من حيث التقديم والتأخير، والزيادة والنقصان، ومن حيث الوصف بالمكية والمدنية.

٢- استحالة الجمع بين هذه الروايات المتناقضة بالحمل على تكرار النزول.

٣- الزيادة في الروايات ليست رواية ثقة، بل هي زيادة ضعيف فلا يقبل مثلها حتى فضلاً عن أن يجبر^(٨)

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٥٧

٢ - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ١١٣

٣ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٥٥

٤ - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٦ وما بعدها.

٥ - انظر، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩ وما بعدها.

٦ - النحاس، أحمد بن محمد (٣٣٨هـ)، الناسخ والمنسوخ، تحقيق محمد عبدالسلام، د. ط، مكتبة الفلاح، الكويت،

١٤٠٨هـ، ج ٢، ص ٣١٦

٧ - خليفة، إبراهيم عبدالرحمن، "حول ترتيب السور القرآنية"، مرجع سابق، ص ١٠١

وأما الآثار الواردة بحرف العطف (ثم) فهما روايتا ابن الضريس، وأبي عبيد، وكلاهما
أثران ضعيفان^(١)

ما سبق بيانه جاء للتأكيد على أن المرويات التي استدل بها تولدكه على وجود ترتيب زمني
للقرآني قد خضعت للبحث والتفتيش، وأنه لا يقوى منها حجة على هذا الترتيب، وأن المعتمد هو
الرواية التي أخرجها أبو جعفر النحاس بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، والتي تذكر السور
القرآنية بترتيبها المصحفي.

أمر آخر ينبغي التوقف عنده، وهو أن رواية ابن عباس رضي الله عنهما، أو الروايات
الأخرى لم تسلك مسلك المستشرقين في تقسيم السور المكية إلى فترات ثلاث أو أربع، أو أقل أو
أكثر من ذلك، بل التقسيم إلى السور المكية، والسور المدنية.

ومما ينبغي أن يلفت النظر إليه أن الدراسة البحثية كانت تستلزم من تولدكه أن يبين أن
للمسلمين في شأن الترتيب للسور القرآنية آراء ثلاثة، فقد قيل: إنه توقيفي، وقيل، هو باجتهاد
الصحابة، والثالث على أن كثيراً من السور قد علم ترتيبها في حياته ﷺ، وما سوى ذلك فقد فوض
إلى الأمة من بعده^(٢).

وأما القضية الثانية التي انتقد فيها العلماء المسلمين، وهي المتعلقة بمنهجيتهم في التمييز في
المكي والمدني، فيجاء عنها بأن تولدكه كان ملازماً للإتقان في دراسته حول ترتيب السور القرآنية،
وكان مطالباً بأن يكون ذا أناة في الحكم حتى يفهم مقاصد العلماء قبل الحكم عليهم، فلقد كانت لهم
ضوابط في التمييز بين الوحيين المكي والمدني، والتي قامت في مجملها على طريقتين: أحدهما
سمعي، والآخر قياسي، وهما مما لم تعرف البشرية في بحثها نظيراً لهما، قالسماعي ما وصل إلينا
نزوله بأحدهما - أي بمكة أو بالمدينة- ، والقياسي كل سورة فيها "يا أيها الناس" فقط، أو "كلا"، أو
أولها حرف تهج، سوى الزهراوين، والرعد، أو قصة آدم وإبليس سوى البقرة فهي مكية، وكل
سورة فيها قصص الأنبياء، والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حدٌ فهي مدنية^(٣)

١ - المرجع السابق، ص ١٠٢ باختصار

٢ - المرجع السابق، ص ١٠٣ وما بعدها

٣ - انظر، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٩١ وما بعدها.

٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٧٣

فإن قال نولدكه وقومه لنا: كيف تفسرون إذا قولكم بأن كل سورة فيها "يا أيها الناس" فهي مكية: وكل سورة فيها "يا أيها الذين آمنوا" فهي مدنية، واستقراء السور المكية والمدنية يكشف أن سوراً من الوحيين المكي والمدني فيها من الأسلوبين؟ فإن قيل ذلك، قلنا: إن التقيد السابق خرج مخرج الغالب في الاستخدام.

فالقول بأن التعبير بـ (يا أيها الناس) يدل على أن السورة المستخدم فيها هي سورة مكية- هو قول فيه نظر، فإن سورة البقرة مدنية، وفيها: "يا أيها الناس اعبدوا ربكم" (البقرة: ٢١)، و"يا أيها الناس كلوا مما في الأرض" (البقرة: ١٦٨)، وسورة النساء مدنية، وأولها "يا أيها الناس" (١)

وأما القضية الأخرى التي انتقد فيها العلماء المسلمين وهي أنهم قد يرفضون النقل في التفسير بناء على العقل، بآية "وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ" (الرعد: ٤٣)، حيث يذكر رفض بعض المفسرين في أن تكون هذه الآية متعلقة بـ(عبد الله بن سلام رضي الله عنه)^(٢)؛ لأن السورة مكية، وابن سلام إنما أسلم بعد الهجرة في المدينة.

فهذه الآية التي تعلل بها نولدكه وأشباهها من الآيات تدخل في موضوع الاستثناء لآيات مدنية في بعض السور المكية، "وما استثنى في السور المكية من آيات مدنية يظهر فيه الغلو والتكلف في كثير من الأحيان، وهذا الاستثناء يكون في أغلب الأحوال لأسباب واهية، إما لرواية ضعيفة، وإما ذكر كلمة وهم أنها ليست مما ينزل في مكة، وإما حمل بعض الكلمات على تفسير معين"^(٣)

وتبقى المشكلة تراوح مكانها عند نولدكه وغيره من المستشرقين في إغفال الحقائق التي تنطق بها الروايات الصحيحة، وإهمال دلالة السياق، والتعلق بما هو واه من الروايات.

١ - الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٧٢، بتصريف قليل.

٢ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٩

٣ - عباس، فضل حسن، إتيان البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٨٠، وانظر المرجع نفسه ج ١، ص ٣٨٥ حول أن سياق الآية في الرعد هو سياق مكي.

المطلب الرابع

نقد منهج نولدكه في الترتيب الزمني للسور القرآنية على فترات الوحي

من المصطلحات التي اعتمدها نولدكه "يبدو، قد يكون، ربما، لعل، والتعبير أحياناً بـ (من المحتمل، من الممكن) فكانت المنهج الافتراضي هو الطابع المميز الذي غلب عليه في محاولته التي قام بها في ترتيب السور القرآنية المكية والمدنية زمنياً على فترات الوحي طول مدة البعثة النبوية لمحمد ﷺ.

لقد حدد نولدكه منهجه الذي سار عليه بمسارين:

الأول: يتصل بذات القرآن أي بداخله ويتعلق بالمراقبة لمعنى القرآن ولغته ومضمونه، وأسلوبه، أو بما يسميه التطور التدريجي للأفكار والأسلوب.

فهو يعد أن النظرة العامة في القرآن المكي تدور في إطار بيان العلاقة مع الوثنيين العرب، وتفصيل الكلام في الجزاء والحساب والقيامة، فيما اختلف القرآن المدني من حيث العلاقة التي سادت بعد ذلك مع اليهود - تحديداً من أهل الكتاب- والمنافقين، والتشريعات التي نزلت في الجهاد بعد أن وجد الكيان السياسي للمسلمين.

الثاني: يتعلق بالخارج من جهة القرآن من حيث النقل التاريخي، والروايات المتعلقة بأسباب النزول، والروايات التفسيرية^(١)

ويؤكد أنه لا غنى له عن الحديث والقرآن نفسه، ونقاط الاستناد التاريخية- كما سماها- إذا أراد أن يرتب السور القرآنية على فترات الوحي بشكل دقيق^(٢).

ويؤكد أيضاً عند ترتيب السور المدنية على هذا المنهج، مع بيان أن الترتيب هنا أيسر من الترتيب للسور المكية، فيقول: "عند تحديد زمن نشوء الآيات فالمضمون والصلة بظروف أو أحداث معروفة، والارتباط الوثيق بنمو الكيان السياسي الجديد عوامل قادرة على الترتيب"^(٣)

١ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٥٨، وينظر دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبدالرحمن بدوي، ص ١١٧-١١٨.

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٦٠، وانظر كذلك ص ٦٤

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٤-١٥٥

واعترف بأنه قد واجه صعوبات في هذا الترتيب خاصة في ترتيب السور المكية، حيث لم يكن في مكة أحداث كبرى كالتى كانت في المدينة^(١)

وتعترضه صعوبات أخرى تتمثل في ترتيب سور الفترة الثالثة من السور المكية، حيث أقر بأنه نظراً لاختفاء التطور تقريباً في سورها، تضعف إمكانية القيام بترتيب تاريخي عما كانت تسمح به الفترتان الأولى والثانية^(٢)

ولم يبين نولدكه مفهوم الحدث التاريخي الذي أراد أن يعتمد أساساً له في الترتيب، فهل عدم الوحي المكي من أحداث رئيسة تنزل بشأنها، ولكن كيف يكون في مكة أحداث رئيسة- في نظر نولدكه بالطبع- قبل الهجرة وهو يعد الإسراء رؤيا وحلماً، والمعراج خرافة أحدثها الصحابة من بعد نبيهم، ثم كيف يكون انشقاق القمر كذلك مادام هو والمعراج في الحكم سواء، ثم كيف يعد نولدكه الجهر بالدعوة حدثاً مهماً ما دام أن سورة المسد التي تنزلت بسبب ما صدر من أبي لهب كانت مجرد مزحة، لم يرد أبو لهب من ذلك سوى مزاح ابن أخيه على مسمع من بني هاشم.

والأدهى من ذلك كله أنه لا ينسب ببنت شفة لحادثة الهجرة، وما نزل في شأنها بسورتي الأنفال والتوبة، وهي الزمن الذي صرنا نفرق على أساسه من بين المكي والمدني. وهو يعد من السهولة بمكان إجراء الترتيب للسور في الفترة المدنية معللاً ذلك بأن الأحداث المكية نقلتها دائرة صغيرة من الأشخاص^(٣) من دون تسلسل تاريخي أكيد، مع كثير من الحكايات الخرافية.

وأما بعد الهجرة فإن التاريخ هو الأساس^(٤)، ومع ذلك فإن نولدكه لن يغادر الأمر دون أن يقر أن ثمة مشكلات تعترضه في الترتيب المدني أيضاً، ولكن وطأتها أخف من أختها في الفترة المكية؛ ذلك لأنه يلقي باللائمة هذه المرة على الرسول (ﷺ)، فإذا وجدت مقاطع استعصى بيان

١ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٥٨

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٩

٣ - اهتم الصحابة بنقل كل ما يتعلق بسيرة الرسول (ﷺ)، وما صدر عنه من سنته العطرة ولم يكن النقل حكراً على بعض دون بعض، وإن تميز أحدهم به عن الآخر، ولكن ماذا فعل لنولدكه إذا كان يرفض رواية عائشة مثلاً؛ لأنها كانت صغيرة، أو؛ لأن كل ما نقل في أسباب النزول يعده في الأساطير والخرافات، أو لأنه لا يعرف مدلول الحديث المرسل، وهل لقيت شخصية في التاريخ مثلما لقيت شخصية النبي (ﷺ) ١٩

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٥

وتحديد زمن نشأتها إلا على وجه التقريب فذلك؛ "لأن كثيراً من المقاطع القرآنية بعد الهجرة قد اختفت مباشرة، أو أتلفها النبي (ﷺ) بنفسه"^(١)

ويذعي نولدكه "أن المسلمين ينقلون الكثير من المعلومات عن فترات مختلفة من حياة محمد (ﷺ). لكن هذه المعلومات يختلف بعضها عن البعض الآخر. وكثيراً ما يلحظ أن أصحابها لا يعترفون طوعاً بجهلهم بعض الأمور، بل يتحزرون حولها، متمسكين بمبادئ غير ثابتة"^(٢)

ويسوق نولدكه مزاعمه الآتية على ما ادعاه:

الأول: حول أن يوم الإثنين من شهر ربيع الأول هو تاريخ ولادة النبي ﷺ وبعثته وهجرته ووفاته. وهنا تتجسد المنهجية الروائية الانتقائية وعدم الموضوعية في البحث عند نولدكه، فهو لم ينفك يرجع إلى ابن هشام في الرويات عنده، فلماذا لا يعترف هذه المرة بما ورد أيضاً حول هذا الموضوع، فقد ذكر ابن هشام أن ولادة النبي ﷺ كانت في يوم الإثنين في الثاني عشر من ربيع الأول، وكذلك كانت يوم هجرته، ويوم وفاته^(٣).

وأخرج مسلم أن النبي ﷺ قال في يوم الإثنين: "نلك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت، ويوم أنزل علي"^(٤)

الثاني: حول مدة نزول الوحي على رسول الله ﷺ في مكة والمدينة.

الثالث: حول اختلاف الروايات في عمر النبي ﷺ عند البعثة، هل هو أربعين أم غير ذلك، فيصل الأمر بنولدكه إلى حد الزعم بأنه يمكن الوثوق ببيت الشعر الذي ينسب إلى حسان بن ثابت ؓ أكثر من عشرين رواية^(٥)

^٣ - انظر، نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٥٥، وسيأتي مناقشته حول ما ادعاه من ضياع وسقط لنصوص قرآنية في الفصل الثالث بإذن الله تعالى.

^٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٦١

^٣ - انظر، سيرة ابن هشام، ص ٦٦، و ص ١٩٧، و ص ٥٧٦

^٤ - أخرجه مسلم في كتاب الصوم، باب استحباب صيام ثلاث أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة، حديث رقم ١٩٧٧

^٥ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٦٢-٦٣، وبيت الشعر هو ثوى في قريش بضع حجة ينكر لو يلقى صديقاً موافياً وقد ذكر هذا البيت ابن هشام في السيرة النبوية، ص ٢٠٦.

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة، ثم أمر بالهجرة، مهاجر إلى المدينة، فمكث بها عشر سنين، ثم توفي ﷺ^(١).

وهنا تظهر الانتقائية عند تولدك مرة أخرى، ففي الأمر المتعلق بيوم الإثنين وتاريخ ولادة النبي ﷺ وهجرته ووفاته لا يروق لتولدك ما يذكره ابن هشام، وعندما تأتي رواية في البخاري تحدد مدة نزل الوحي في مكة والمدينة بغض تولدك الطرف عنها ليقدم بيتاً من الشعر عليها.

"إنه ما من ريب في أن إثارة الشبهات حول عمر النبي ﷺ في بدء الوحي إنما هو محاولة أولية للتشكيك في منطلق الدعوة الإسلامية بمكة تتلوها محاولات أخرى للغرض من قيمة المعلومات الماثورة المتعلقة بمراحل الوحي المتعاقبة في مكة، ثم في المدينة"^(٢)

إن ما ادعاه تولدك حول ما نقله المسلمون عن حياة النبي ﷺ لا يعدو أن يكون إلا من قبيل التعتت، والإضراب عن الحقيقة، وما رواه البخاري في عمر النبي ﷺ عند البعثة، ومدتها خير دليل على أن تولدك لو أراد الحق لوجده.

ويدعي تولدك أيضاً أنه لا يوثق بأسباب النزول، فيزعم أنه "تارة يجعل الحدث الواقع بعد الهجرة سبباً لنزول آية مكية، هناك أسباب مختلفة تجعل لأيتين وثيقتي الاتصال، وليست هناك دراسة منتظمة لروايات أسباب النزول"^(٣).

وما زعمه مردود بالآتي:

أولاً: إن منهج المحدثين إنما هو ميزان الصِّرف في الحكم على الحديث سنداً وممتناً، ولهذه أخضعت روايات أسباب النزول للدراسة النقدية؛ لبيان ما يقبل منها مما صحَّ سنده وكان مقبولاً، مما روي بغير سند، أو بسند مردود.

ثانياً: تعمد تولدك ألا يذكر تعديدات علماء علوم القرآن في أسباب النزول:

يقول الزركشي: "قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السبب في نزولها، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع"^(٤)

١ - أخرجه البخاري، في كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي ﷺ، حديث رقم ٣٨٥١

٢ - الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، ص ١٦٦

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٥٣

٤ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٣١-٣٢

وأما السيوطي الذي يكثر تولدكه من اعتماد كتابه، فيقول: "والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه"^(١)

ثالثاً: للعلماء ضوابط موزونة في الترجيح في تعدد روايات أسباب النزول للآية الواحدة، ومنها^(٢):

- ١- "إذا ذكر المفسرون لنزول الآية أسباباً متعددة، فطريق الاعتماد في ذلك أن ينظر إلى العبارة الواقعة فإن عيّر أحدهم بقوله: نزلت في كذا والآخر نزلت في كذا وذكر أمراً آخر فهذا يراد به التفسير، لا ذكر سبب النزول، فلا منافاة بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولهما"
- ٢- وإن ذكر واحد سبباً، وآخر سبباً غيره، فإن كان إسناد أحدهما صحيحاً دون الآخر، فهو المعتمد.

٣- أنه إذا نزلت الآية أو الآيات في سبب، ثم وقع ما يشبهه في زمن غير بعيد عنه، فتكون هذه الآية أو الآيات قد نزلت في الشائنين معاً، مثل قصة هلال بن أمية، وعويمر في آيات اللعان.

وأما فترات الوحي التي رتب تولدكه سور القرآن الكريم زمنياً عليها، فإن تولدكه قسم السور على فترات ثلاث للسور المكية، وفترة واحدة للسور المدنية دون إعطاء تسميات لكل فترة كما فعل المستشرق وليام موير.

فالفترة الثالثة المكية يكتفي بتسميتها بالأولى والثانية والثالثة، ويجعل سورها كالاتي:

سور الفترة المكية الأولى وعددها ٤٨ وترتيبها حسب النزول كالاتي: ٩٦، ٧٤، ١١١، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٢، ١٠٥، ٩٢، ٩٠، ٩٤، ٩٣، ٩٧، ٨٦، ٩١، ٨٠، ٦٨، ٨٧، ٩٥، ١٠٣، ٨٥، ٧٣، ١٠١، ٩٩، ٨٢، ٨١، ٥٣، ٨٤، ١٠٠، ٧٩، ٧٧، ٧٨، ٨٨، ٨٩، ٧٥، ٨٣، ٦٩، ٥١، ٥٢، ٥٦، ٧٠، ٥٥، ١١٢، ١٠٩، ١١٣، ١١٤، ١.

وأما سور الفترة الثانية فعددها ٢١ سورة وترتيبها حسب النزول كالاتي عند تولدكه:

٥٤، ٣٧، ٧١، ٢٠، ٥٠، ٤٤، ٧٦، ٢٦، ١٥، ١٩، ٣٨، ٣٦، ٤٣، ٧٢، ٦٧، ٢٣، ٢١، ٢٥، ١٧، ٢٧، ١٨.

^١ - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٤١

^٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٤٢ وما بعدها

وأما سور الفترة الثالثة فعددها ٢١ سورة أيضاً وترتيبها نزولاً كالآتي:
٣٢، ٤٥، ٤١، ١٦، ٣٠، ١١، ١٤، ١٢، ٤٠، ٢٨، ٣٩، ٢٩، ٣١، ٤٢، ١٠، ٣٤، ٣٥، ٧، ٤٦،
١٣، ٦.

وأما فيما يتعلق بالسور المدنية فقد بلغت ٢٤ سورة رتبها نزولاً حسب الآتي: ٢، ٩٨، ٦٤،
٦، ٨، ٤٧، ٣، ٦١، ٥٧، ٤، ٦٥، ٥٩، ٣٣، ٦٣، ٢٤، ٥٨، ٢٢، ٤٨، ٦٦، ٦٠، ١١٠، ٤٩، ٩،
٥.

وَيُنْتَقَدُ نَوْلِدْكَ فِي مِنْهَجِ النَّزُولِي فِي الْأُمُورِ النَّالِيَةِ:
أولاً: مع الانتقائية التي تعامل بها نولدك مع الروايات، فقد تميز منهجه أيضاً بعدم الموضوعية،
وتعمد إغفال الحقائق.

فمثلاً يزعم نولدك أن الآيات ١٩-٢٤ من سورة الحج تشير لمنازلة علي وبعض الصحابة
لقرشيين في بدر، ثم ينسب القول بذلك إلى الرازي.

وعند تحقيق المسألة نجد أن الرأي الذي ذكره الرازي هو الوجه الثالث في تفسير الآية، ثم
قال عن الوجه الأول: هو الأقرب، والمراد طائفة المؤمنين وجماعتهم، وطائفة الكفار وجماعتهم^(١)
وفي الآيات ٢٨-٢٩ من سورة إبراهيم يزعم أن مفسرين كثيرين يعزون الآيتين خطأ إلى
القرشيين الذين شهدوا بدرًا.

وقد قول نولدك المفسرين ما لم يرجحوه فإنهم ذكروا أن المقصود بدار البوار هي دار
الهلاك، وأنها جهنم، فالآية "جهنم يصلونها" مفسرة لـ "دار البوار"، ثم ذكروا بعد ذلك قول من
قال: إن هذا الهلاك إنما كان في بدر، ولكن ليس أنه الراجح بدلالة أنهم لم يذكروه في البداية أو
يقرروا ترجيحه، ثم ما ذكر من القحط سبع سنين أو الأسر والقتل في بدر، فكل ذلك إنما هو تمثيل
على هذا الهلاك^(٢)

ثانياً: اعتمد نولدك على الاعتقاد بأحداث لم تقع متكناً في ذلك على أسانيد موضوعة مثل قصة
الغرائيق حيث استند عليها في جعله سورة النجم من سور الفترة الأولى بعد الجهر بالدعوة.

١ - انظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٣، ص ٢٢

٢ - انظر في ذلك جامع البيان، ج ١٧، ص ٥، والزمخشري، محمود بن عمر، (٥٣٨هـ)، الكشف عن حقائق
التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبدالرزاق المهدي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت،
٢٠٠١م، ج ٢، ص ٥٢١

وفسر الحادثة انطلاقاً من الخوف الذي اعتري النبي (ﷺ) الذي فتش عن حل وسط مع الدين القديم باعترافه بتلك الآلهة ككائنات جيدة خاضعة لله، ويساق موير وشبرنغر بأنها كانت خديعة من محمد (ﷺ)^(١)

ويجد نفسه مضطراً لرد رأي ليوني كتاني في كون سند هذه القصة موضوع بالأساس، فيدعي بأن هذا الرأي جاء بتأثير من العلماء المسلمين مدفوعين بأسباب عقائدية، وأن الرسول (ﷺ) كان معترفاً ضمناً بتعدد الآلهة؛ لأن رسالته الأولى ركزت في بدايتها على البعث والحساب، وليس التوحيد الخالص، فهو لم يحارب الثالوث الذي يوحى في السمع بتعدد الآلهة^(٢)

وإزاء هذا يدعي بأنه لم يبق إلا الاعتراف بذلك الحدث كحدث تاريخي بحسب مضمونه الجوهري؛ لأن المسلمين يحال أن يخلقوا قصة تثير شكوكاً من هذا النوع حول نبيهم، ولو كانت هذه القصة مختلفة فمن المحال أن تجد طريقها إلى التراث الإسلامي السني^(٣).

"هذه القصة فاسدة من جهتي النقل والعقل، فهي لم تأت في كتب السنة المعتمد بها بإسناد صحيح، ولا عبرة بنقل القصص، وبعض المفسرين الذين يولعون بنقل الغرائب، ثم إن هذا لو كان صحيحاً فهل كان المشركون يدعون هذه الفرصة للنيل من الوحي والقرآن، كما أن شخصية النبي ﷺ كانت شخصية متوازنة خاصة في الوحي، وقد عرضت له حوادث لم يقطع فيها حتى نزل عليه الوحي، وإذا اجتهد نزل عليه الوحي ليبين له وجهة الحق"^(٤)

وثمة ما يلزم نولده أن يجيب عنه:

كيف يعترف النبي محمد (ﷺ) بالأسنام هنا، وينكرها في مواطن أخرى من القرآن، ألم يكن لزاماً بأن يحذف إنكارها وإبطالها من المواطن الأخرى بعد الاعتراف بها لو كان الأمر كما ادعى؟

١ - انظر تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٠

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٩٠-٩١

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٠-٩١ بتصرف قليل

٤ - عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته، ط ١، مكتبة دنديس، عمان، ٢٠٠٧م، ص ٣٨٦-٣٨٧

باختصار

ثم لماذا غاب عن تولدكه التدبر في مقدمة السورة "فكيف له أن يصف آلهتهم بالغرانيق العلاء، وأن شفاعتهن لترتجى" والسورة نفسها استهلكت بدايتها بأنه ليس للرسول ﷺ بأن يغير أي جزء من القرآن، وأن يضيف إليه شيئاً، أو أن يحذف منه وفق ما يرى"^(١)

ثانياً: يخلق تولدكه في الخيال حتى يهيا لنفسه أحداثاً يجعل السورة نازلة فيها، فمثلاً يقول عن سورة الطارق بسبب بدايتها: "فيبدو أن السورة في آياتها الثلاث الأولى تشير إلى أنها نشأت ليلاً تحت تأثير نجم ساطع"^(٢)

ثم انظر إلى زعمه موافقاً للمستشرق الهولندي هورجرونيه حول آية "وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ"، (البقرة: ١٩٦)، في أنها أضيفت زمن حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة، والتي قام بها محمد (ﷺ) أثناءها بالعمرة إلى جانب الحج، واستغل انتهاءه من العمرة ليخلع عنه الإحرام، ويروي غليله من النساء، ولكن وجهاء الصحابة خاصة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) استأثروا من الوضع، فاضطر الله إلى أن يبرئ رسوله بأية جديدة"^(٣)

والأدهى من ذلك أنه يوثق ذلك محبلاً إلى البخاري في صحيحه في كتاب الحج، ولدى مراجعة الباب المذكور فإن ما يطالعك هو (باب التمتع والإقران والإفراد ونسخ الحج لمن لم يكن معه هدي) وليس في الباب ذكر لعمر (رضي الله عنه)^(٤) والراجع عند العلماء أن النبي ﷺ قد حج قارناً لبضعة وعشرين حديثاً صحيحاً صريحاً في ذلك^(٥)

ويزعم أيضاً أن الرسول (ﷺ) فشل في فتح مكة لما خرج معتمراً في السنة السادسة للهجرة؛ لأن حلفاءه البدو خيبره^(٦)

١ - الاستشراق والقرآن العظيم، مرجع سابق، ص ١٧٩

٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٥

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٣

٤ - صحيح البخاري، كتاب الحج، باب التمتع والإقران والإفراد.

٥ - انظر، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرععي (٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، ط ٣٠، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧، ج ٢، ص ١٠٢

٦ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٩٤

ثم انظر إليه وهو يرتب السور حسب الأحداث كيف يزور وقائعها، فلقد ألزم نفسه بالنقل التاريخي، فكان لزاماً عليه أن يأتي بالحدث كما جاء دون تصرف يحرف المعنى، فمع أن سورة النور برأت السيدة الصديقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، إلا أن نولدكه لا يرق له هذا الوضع، فيعبر قائلاً: "الآيات من ١- ٢٢ نزلت في غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة للهجرة، وأن النقل أجمع على أن المقصود بالآيات هو مغامرة عائشة التي حصلت أثناء الحملة على بني المصطلق، وأشاعت الشك في أن زوجة النبي (ﷺ) زنت مع رجل غريب"^(١)

فيلاحظ أنه لم يأت بنكر للمنافقين، وخاصة عبدالله بن أبي بن سلول؛ لأنه في مقدمة الحديث عن السور المدنية يرى به رجلاً كان النبي (ﷺ) يحسب له كل حساب^(٢)، ثم إن النقل في كتب السنة لم يُسم هذه مغامرة، وإنما سماها كالقرآن حادثة إفك تولى كبرها من كان عنه نولدكه مادحاً ومحامياً.

ثالثاً: ألم يكن حرياً بالرجل الذي رتب القرآن على النزول ألا يغض طرفه عن أحداث رئيسة حصلت في زمن النزول، وتحدث الوحي في القرآن عنها لماذا يرفض أن يذكر ما تحدثت عنه سورة الأحزاب حول بني قريظة، وما تحدثت سورة الحشر حول بني النضير.

في سورة الحشر يقول: "تتعلق في معظمها بإخضاع بني النضير اليهودية، وطردها في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة"^(٣)

لاحظ التعبير بقضية (الإخضاع) وكان القوم بريئون، ولا تهمة لهم البتة إلا أنهم يخالفون النبي محمد (ﷺ)، ويرفضون الخضوع لإملاءاته، التي يرفضها بأسهم* - كما زعم-، فهل كان الأمر أمر إخضاع، أم أمر تأديب على غدرهم، ولماذا لم يأت بقصة عمرو بن جحاش أم هي عادة نولدكه وطبعه في أنه ينتقي ما يريد من الروايات، فالأصل في ترتيبه كما ادعى أن يلقي الضوء الحقيقي على الأحداث، فأين الحقيقة هنا؟!

١ - تاريخ القرآن ، ج ١، ص ١٨٩

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٥١

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٥

* - ألم يصورهم في أول الحديث عن السور المدنية بذوي البأس، وأنهم تصدروا له بعزم له أقوى من المنافقين!، انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٥٢

بعد ذلك مباشرة تحدث عن سورة الأحزاب إذ يقول: "نشأت بالتأكيد في السنة الخامسة للهجرة من بعد أن تخلى الحلفاء الأقوياء قريش وغطفان قريظة عن حصار يثرب التي كان يحميها خندق، وقضى محمد (ﷺ) بعد ذلك مباشرة على بني قريظة اليهود"^(١)

الوازع الديني والتعاطف مع اليهود دفعاه ليمنع الحقيقة عن المنقف الأوروبي حول ما فعلناه القبيلتان حتى تمت عقوبتهما.

رابعاً: من الملحوظات على منهجيته في الترتيب الزمني هو تناقضه بين التعميد والتطبيق، فمثلاً حينما ذكر أن سورة التغابن تشبه السور المكية، ولهذا السبب تعد منها، ثم عاد فقال: "وثمة ما يؤيد كون السورة كلها مدنية، واعتقد أن هذا يصح بالإجمال على كل المسبحات - أي السور التي تبدأ بـ (سبّح، يسبّح)^(٢)

ثم يقول عن سورة الصف: "تعتبر سورة الصف أحياناً مكية، شأنها شأن أكثر من سورة مدنية"^(٣)، وعن سورة الحديد: "كثيراً ما تعتبر سورة الحديد كاملة مكية، أو على الأقل الجزء الأول أو الأخير منها"^(٤)

خامساً: إشكالية الترتيب بسبب التشابه اعتمد نولدكه مبدأ التشابه في البدايات أساساً في بيان الترتيب للعديد من السور القرآنية، وجعلها في فترة واحدة بناء على التشابه في الشكل، فالمزمل تعتبر من أقدم السور بسبب التشابه بين بدايتها وبداية سورة المدثر، والانشقاق تلحق بسبب مطلعها بسورة الانفطار فيجعلهما في سور الفترة الأولى^(٥)

ولو كان الأمر كذلك فلم يعمم هذا الأمر على الذاريات والمرسلات والنازعات وقد جعلهن كلهن في سور الفترة الأولى، وهل يصح التشابه بين السور في مطالعها بكلمة أو بأسلوب أن يجعل هذا مبدأ للترتيب؟ فلو جاز ذلك على سور للزم أن يحدد الترتيب الزمني الواحد في فترة واحدة لكل سور تشابهن في مطالعها، وهذا ما لم يقل به أحد، وأتى له بذلك.

١ - تاريخ القرآن ، ج ١، ص ١٨٦

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٧

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٤

٤ - المصدر السابق ج ١، ص ١٧٥

٥ - المصدر السابق، ج ١، ص ٨٧

فمثلاً خذ سور الفاتحة، والكهف، وسبأ، وفاطر كلها ابتدأت بكلمة الحمد، ومع ذلك جعل نولده الفاتحة وسبأ في الفترة الأولى من السور المكية، في حين جعل الكهف من سور الفترة الثانية، وجعل فاطر في سور الفترة الثالثة.

سادساً: موقفه من سبب النزول

سبب النزول هو "ما نزلت الآية أو الآيات أيام وقوعه متضمنة له، أو مبينة لحكمه، ومعنى ذلك أن أسباب النزول هي الأحداث التي حصلت في زمن النبوة"^(١)

ونولده ألزم نفسه بأنه في منهجيته سيعود إلى الرواية في الحديث، وإنما يؤخذ سبب النزول من الرواية، ومع ذلك فاجأنا نولده بأن اعتبر أسباب النزول قصصاً خرافية، وغير جديرة بالاحترام، فيرفض سبب نزول سورة القمر معتبراً إياه خرافة سخيفة نتجت بسبب التفسير الخاطيء للآية "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَالشَّقُّ الْقَمَرُ"، (القمر: ١)، ثم يقول: لكن كثيراً من المفسرين المسلمين يرى بحق في الموضوع إشارة إلى اليوم الآخر^(٢)

إن سبب النزول الذي رفضه المستشرق الألماني نولده مروى في البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: رأيت القمر منشقاً شقين بمكة قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: سحر القمر فنزلت، "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَالشَّقُّ الْقَمَرُ"^(٣)

ولو انتبه كل عاقل ومنصف لمنهج نولده فيما يتعلق بالاحتجاج بالرواية خصوصاً، لعلم أن الرجل يجعل مُطالع كتبه في حيرة من أمره، ففي مرة يحيل على البخاري؛ لأنه يريد الاستدلال على نهم الرسول - حاشاه صلى الله عليه وسلم - بالنساء، وهذه المرة سبب النزول خرافة غير جديرة بالاحترام!!!

ثم كيف له أن يدع سبب النزول الصريح الدال على زمن السورة، ويرتبها بمجرد الظن، فسبب نزول سورة الفلق والناس صريح في أنهما نزلتا بعد الهجرة في المدينة المنورة، وما فعله ليبد

١ - عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٥٤

٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٠٨

٣ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير حديث رقم ٤٥٨٤، ومسلم في صفة القيامة، حديث رقم ٢٨٠٠

ابن الأعصم اليهودي^(١) من سحر للنبي ﷺ، ومع ذلك يجعلهما نولده من السور المكية وفي الفترة الأولى تحديداً^(٢)

ولنولده منهج غاية في الغرابة والانتقائية في معالجته لأسباب النزول في الترتيب الزمني للسور القرآنية، ففي الغالب هي خرافات سخيفة، ولكن الأمر إذا تعلق بشخص الرسول ﷺ، أو بأحد من آل بيته وجدت العجاب من نولده.

يقول عن سبب النزول لآية التحريم "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، الآية (التحريم: ١): يُربط التراث بين الآيات الأولى من سورة التحريم وفضيحة حصلت في بيت النبي (ﷺ)، ثم يقول: "ولا بد أن غلطة قائدهم قد سببت بين المسلمين اضطراباً شديداً، وإلا لما اضطر إلى تبرير موقفه بوحى خاص، وتحمل هذه الرواية ضماناً تاريخيتها في ذاتها، فقصة من هذا النوع تصف سلوك محمد (ﷺ) بشكل سيئ إلى هذه الدرجة لم يختلقها المسلمون، أو يتخذوها عن ثرثرة الكفار"، ثم يصف الرواية الأخرى المتعلقة بالعلس: "وكثيراً ما تساق هذه القصة السخيفة تفسيراً للآيات الأولى، لكنها لم تستطع أن تكبت الرأي الآخر"^(٣)

يلاحظ رفض نولده للرواية المتعلقة بالعلس مع أنها صحيحة الإسناد، فقد أخرج البخاري أن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، ويمكن عندها فواطأت أنا وحفصة عن أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير إني أجد منك ريح مغافير، قال: لا، ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش، فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً"^(٤)

وأما الروايات المتعلقة بأن النبي ﷺ قد وطأ جاريته ماريًا في بيت حفصة فهي في الأصل روايات ضعيفة، وقد علق على مجموعها ابن حجر بعد أن ساقها، فقال: "وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً، فيحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معاً"^(٥)

١ - أخرجه البخاري في كتاب الطب، حديث رقم ٥٤٣٠، وليس في الرواية ذكر لنزول السورتين وإنما ورد ذكرهما في الدر المنثور للسيوطي، مصدر سابق، ج ٨، ص ٦٨٨.

٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٤، وانظر كذلك ما فعله في سورة الضحى التي لم يأت لسبب نزولها بنبت شفة

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٥

٤ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب "يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك.."، حديث رقم ٤٩١٢

٥ - ابن حجر، فتح الباري، ج ٩، ص ٦٥٥

سابعاً: المغالطات التاريخية

قد يعذر المرء بجهله بحدث تاريخي في الزمان الغابر، لكن لا يعذر رجل - جعل التاريخ منهجه في إيجاد ترتيب لكتاب سماوي موحى به- في مغالطات لا يقبلها التاريخ، فهل يجوز لنولدكه إذا كان ينطلق من دوافع دينية أن يسمح لنفسه أن يقفز عن حدود الموضوعية في التأريخ للآيات، فكيف يجوز أن يجعل الآيات من سورة التوبة (١٠٧-١١٠) موجهة ضد أفراد من بني سالم في المدينة، كانوا يتبعون الحنيف أبا عامر، وبنوا لهم بيتاً للعبادة، في مكان غير بعيد عن المدينة^(١)

هذا البناء الذي قصده نولدكه هو مسجد الضرار الذي بناه المنافقون أثناء حملته ﷺ في تبوك، ثم هدمه الرسول ﷺ بعد عودته، ولا ندري لماذا يكتّم الأحناف دعوتهم، ثم إن نولدكه نفسه جعل الأحناف مصدرأ من مصادر محمد (ﷺ) في القرآن، فلا ندري هل بطل دور الأحناف في وحي محمد ﷺ، وبالتالي يكون نولدكه قد تناقض مع نفسه، أم أن لهم دوراً حسب رأيه ويكون كلامه هنا مغالطة تاريخية.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الأمر بل انظر ما قاله حول الآيات من السورة نفسها ٢٨-٣٥ عندما أكد أن الآيات تدعو لمحاربة النصارى حتى يدفعوا الجزية، ويمكن أن تفهم هذه الآيات أنها نشأت في الوقت عينه، وما يؤيد ذلك هو أن المسلمين كانوا قد اشتبكوا بالأبدي مع جنود مسيحيين في وقعة مؤتة في جمادى من السنة الثامنة^(٢)

وسورة التوبة لم تتحدث البتة عن غزوة مؤتة، بل إنها نزلت في السنة التاسعة للهجرة، والآيات التي تحدث نولدكه بشأنها ليست خاصة بالنصارى فقط، وإنما عامة في أهل الكتاب "فالآية ٢٨ هي الآية الأولى التي أمرت بقتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكان ذلك في سنة تسع، ولهذا تجهز رسول الله ﷺ لقتال الروم في تبوك"^(٣)

ثامناً: ادعى نولدكه أن العلماء المسلمين اعتمدوا في منهج التمييز بين المكي والمدني على مبادئ نقدية ضعيفة، غير أنه لم يتتبع بدقة إلى تفهيماتهم، ومع ذلك بحسن بيان ما قام به من تمييز بين الوحيين المكي والمدني متكناً على قواعد واهية.

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٠٢

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٩

٣ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٣١

فمثلاً يعتبر أنه إذا ذكر القرآن (أهل الكتاب)، و (في قلوبهم مرض) فهذا دلالة على أن هذه إضافة مدنية في سورة مكية كسورة المدثر، فيعتبر أن "وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً..."، (المدثر: ٣١)، حصلت في المدينة وقام بها النبي محمد (ﷺ) بنفسه^(١)

إذا كان القرآن قد فصل في الأحكام المتعلقة بأهل الكتاب في الوحي المدني، فإن هذا لا يمنع أن يكون في الوحي المكي "إشارات ولمحات لبعض القضايا الكبرى التي فصل فيها القول التام في القرآن المكي"^(٢)

ثم من قال إن التعبير بـ (في قلوبهم مرض) ينسحب دائماً على المنافقين، فهذا التعبير ليس مطرداً في الحديث عن أهل النفاق، فالقرآن نفسه يوصي أمهات المؤمنين بـ " يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَقْبَلْنَ إِلَّا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ "، (الأحزاب: ٣٢)، فيحال أن يكون المقصود بهم المنافقون خصوصاً، وإلا لجاز ذلك في مفهوم المخالفة مع غيرهم، فهذا تعبير عام كما يقع على المنافقين قد يقع على غيرهم ممن في قلبه ضعف إيمان، أو شبهة أو شك، وإن كان دخول المنافقين فيه ابتداءً؛ لأنهم أخطر أولئك.

يقول أبو السعود عن معنى "في قلبه مرض": "مرض أي فجور وريبة"^(٣) ويقول الألويسي: "وليقول الذين في قلوبهم مرض" أي شك أو نفاق، فيكون بناء على أن السورة بتمامها مكية، والنفاق إنما حدث بالمدينة إخباراً عما سيحدث من المغيبات بعد الهجرة"^(٤)

ومثال آخر على أن تولدكه يعتبر الناحية الشكلية (الطول والقصر)، أو التعبير الخاص في الترتيب الزمني، والذي يسميه هو ما طرأ على الآيات في تاريخية النص القرآني من تدخل.

يقول عن سورتي التين والعصر: "وربما كان الشكل الذي وصلتنا فيه السورتان المذكورتان قد أجريت عليهما بعض التحسينات، وأظن أن الآية السادسة من سورة التين قد أضيفت لاحقاً- يقصد "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ" (التين: ٦)؛ لأن طولها يفوق طول أي من الآيات الأخرى، معناها يضعف الانطباع الذي يولده السياق؛ ولأن عبارة "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٧٩

٢ - عباس، إتيان البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٧٠

٣ - العمادي، محمد بن محمد أبو السعود (٩٥١هـ-)، إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، د. ط، بيروت، د.ت، ج ٧، ص ١٢٠

٤ - الألويسي، أبو الفضل محمود (١٢٧٠هـ-)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، د. ط، بيروت، د.ت، ج ٢٩، ص ١٢٧

الصالحات" لا تستعمل إلا لاحقاً في الفترة المكية المتأخرة، وينطبق السببان الأول والثاني أيضاً على الشكل الحالي للآية الثالثة من سورة العصر^(١)

وهنا كان على نولدكه الانتباه جيداً إلى تعديلات العلماء في التمييز بين المكي والمدني، فهم لم يقولوا إن كل آية جاء فيها " يا أيها الناس هي مكية، أو إن كل آية جاء فيها " يا أيها الذين آمنوا مننية"، أو إن كل آية طويلة هي مدنية، وكل آية قصيرة هي مكية، بل إن الأمر على الاطراد وعدمه، ومعنى ذلك أن التعبير بـ (أيها الناس) مع قصر الآيات يغلب في السور المكية لا فيها كلها بدلالة أن سورة الأنعام ذات آيات طوال، وهي من السور المكية، وكذلك جعلها نولدكه في سور الفترة المكية الثالثة.

وفي السياق نفسه فإن التعبير بـ (يا أيها الذين آمنوا) مع طول الآيات يطرد ويغلب في السور المدنية، ولكن ليس فيها كلها، فالفلق والناس مدنيتان ومع ذلك فإن آياتهما قصيرة، وهنا يظهر أنه كان على نولدكه التفريق بين "العلامات المطردة على الدوام، وغير المطردة"^(٢).

ليس من مقصد لنولدكه في منهجه الذي اتبعه في شقيه التاريخي والأسلوبي سوى إثبات أن لا حصانة للوحي من التأثير بالأحداث المحيطة في بيئة محمد ﷺ؛ لإثبات دعواه بالمصدرية البشرية له، وهي الشنشنة التي دأب عليها من سبقه، ومن تبعه من المستشرقين.

كنا نتمنى من نولدكه أن يختم دراسته التطبيقية في ترتيب السور القرآنية على زمن النزول بخلصة، ولكنه أعقبها بعنوان يدل على مقصده كله من الدراسة وهو (ما لا يتضمنه القرآن مما أوحى إلى محمد ﷺ)، ويبدو أنه كان قاصداً لذلك؛ لأن الدراسة التطبيقية ركزت على ما في الآيات - حسب ادعاء نولدكه - من إضافات في مكة والمدينة، ومن سقط لنصوص الوحي، فيكون هذا العنوان تأكيداً من نولدكه على ما سطره في دراسته السابقة.

^١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٧

^٢ - انظر، محيسن، محمد سالم، تاريخ القرآن الكريم، سلسلة دعوة الحق، السنة ٢، ١٤٠٢هـ، رابطة العالم الإسلامي، ص ٥٦

المطلب الخامس

شبهات نولدكه على أسلوب الوحي في نزول السور القرآنية

يمتاز أسلوب الوحي بالبراعة في النظم، والبداعة في المعانين والأصالة في السياق الدال على المقصود منه.

ولكن لما كان المستشرقون ينظرون إلى القرآن نظرة إنسانية تخلع عنه أوصافه الجمالية والكمالية، فإنهم كانوا شديدي الحرص على الطعن فيما تنزل به الوحي سواء أكان ذلك قبل الهجرة أم بعدها.

ونولدكه واحد من المستشرقين الذين لم يخرجوا عن خط الطعن في أسلوب الوحي في الخطاب؛ لأن مسوغهم يدور حول إثبات أن هذا الأسلوب من الكلام - حسب زعمهم - لو كان ربانياً لما كان يمثل هذا الضعف

ادعى نولدكه أن أسلوب القرآن كان ي. ختلف تبعاً لأوقات التأليف المختلفة، فجعل حديثه عن الميزات والخصائص (الشبهات) التي صار أسلوب الوحي يمتاز بها، - والتي هي نتيجة منطقية عند نولدكه بسبب ما ترتب على تدرج حصول الوحي من الثوران النفسي الشديد إلى الضعف والهدوء - عند الحديث عن فترات نشوئه، أي عند الحديث عن ترتيب السور تاريخياً حسب نزول الوحي، حيث كان يقوم بذكر هذه الخصائص مجملة، وما يكون في ثنايا الدراسة التطبيقية تدليل عليها.

يقسم نولدكه السور المكية تبعاً إلى اختلاف أسلوب الوحي فيها إلى ثلاثة أقسام:

- ١- السور جياشة المشاعر.
- ٢- السور المتأخرة التي كثيراً ما تقارب في أسلوبها السور المدنية.
- ٣- حلقة وصل بين سور تتحدر تدريجياً من الأولى إلى الثالثة^(١).

وأما خصائص سور كل فترة من الفترات الثلاثة المكية فهي كالآتي عند نولدكه:

يدعي على سور الفترة المكية الأولى:

أولاً: الله يملأها متكلماً، والكلام فيه مفعم بالصور الصارخة والنبيرة الخطابية التي تحتفظ بلونها الشعرية، والآيات القصيرة زاخرة بالقوة وذات إيقاع وجرس، وكما أخذ محمد (ﷺ) أسلوب السجع عن الكهان، فقد أخذ أسلوب القسم عنهم أيضاً^(١).

^١ - انظر، نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٦

السور التي يهاجم فيها محمد (ﷺ) أعداءه وخصومه نشأت في الوقت الذي تأكد فيه يوحى إليه، وأنه نبي الله، وهذه السور هي:

١- سورة العصر في الآية ٢

٢- سورة الانفطار في الآية ٩

٣- سورة الليل في الآية ١٦

٤- سورة الفجر في الآية ٦

لما تلا محمد (ﷺ) آيات هذه السور على قومه جامدي المشاعر، رماه معظمهم بالجنون أو الكذب، فدعي شاعراً مهووساً ومتنبئاً محالفاً للجن أو مجنوناً.

وأما سور الفترة الثانية، فيدعي تولدكه على أسلوبها:

ليس لها أي طابع مشترك، فبعضها يشبه سوراً في الفترة الأولى، بينما البعض الآخر يشبه سوراً في الفترة الثالثة، حيث يتم الانتقال في هذه السور من الحماس العظيم إلى قدر أكبر من السكينة في السور المتأخرة التي يغلب عليها الطابع النثري، حتى يعطل محمد (ﷺ) الشك بأنه ساحر أو كاهن، فهذا الانتقال تم عن وعي وتدرج، ولم يحصل فجأة.

التكرار المستمر للأفكار يؤثر سلباً على الشكل الفني للعرض، ثم يحل التأمل الهادئ محل الخيال العنيف، ويحاول محمد (ﷺ) بواسطة أمثلة كثيرة مأخوذة من الطبيعة والتاريخ يكسبها فوق بعضها البعض أكثر مما يرتبها منطقياً، فيجتاح إلى الإطناب، ويصبح مملأً مرتبكاً. يصل محمد (ﷺ) إلى النتائج بطريقة ضعيفة، وما يستنتج لا يقنع الخصوم.

تضعف الروح الشعرية في سور هذه الفترة، والهدوء الذي يلحظ في هذه السور يعرف بطول الآيات والسور المتزايدة، ثم إن الأفكار تقفز بجرأة خاصة في القصص.

تغير الأسلوب يحتم استخدام أساليب خطاب جديدة فتختفي الأقسام المعقدة التي تميز الفترة القديمة، مع أنه توجد بعض الأقسام القصيرة، وتصدر العديد من السور بعناوين شكلية للمصادقة على مصدرها السماوي، بمعنى " هذا وحي الله" (٢) وأطلق محمد على إلهه في هذه الفترة اسم الرحمن، ولعله أراد بذلك مواجهة الشك بأنه يكرم إلهين: الله، والرحمن.

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٦٥

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٥

وأما سور الفترة الثالثة، فيدعي عليها:

اللغة نثرية، مطبنة، واهية، والتكرار لا نهاية له، والبراهين تفتقر إلى الوضوح ولا تقنع، والقصاص لا تنوع فيه، وطول الآيات له علاقة وثيقة بالأسلوب الذي يصبح أكثر نثرية، ولا يبقى من القالب الشعري إلا الفاصلة، وعلى الرغم من أنها تعطي انطباعاً مؤثراً إلا أنها مشوشة في كثير من الأحيان.

يلحظ في سور هذه الفترة الخطاب بـ "يا أيها الناس"؛ لأن السور المبكرة المحركة شعرياً أو بالأحرى خطابياً لا تقبل هذه الصيغة^(١).

وأما موضوع السور المكية عند تولدكها فهي تسعى إلى الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالبعث والحساب وقيامه الأموات، ولكن تركيز الرسالة المحمدية كان على موضوع القيامة أكثر من موضوع التوحيد، ثم إن هذه السور تفتقر للبرهان المنطقي لإقناع السامعين، وأكثر ما تعتمد عليه هو العرض الخطابي^(٢)

وأما السور المدنية فهي تقترب من صفات سور الفترة المكية المتأخرة خاصة من حيث الخطاب النثري، ولكن الاهتمامات التي دخلت في دائرة اهتمامات النبي (ﷺ) سببت اختلافات عنها، فالتعابير والمصطلحات الجديدة تستخدم فقط في الشرائع خصوصاً، ويبقى النظم نثرياً بأسلوب مشوش، ويكثر النداء بـ (يا أيها الذين آمنوا)؛ لأن النبي يتوجه بالخطاب هنا للناس عموماً، ويندر النداء بـ (يا أيها الناس)، و(يا أيها اليهود) و(يا أيها المنافقون)^(٣)

لا يتعرض القرآن - في سور هذه الفترة - للمشركين الذين أعلنت عليهم الحرب في الفترة المدنية إلا نادراً، مع كثير من اللطف باللوم على بعض معتقداتهم الدينية، وكثيراً ما يهاجم محمد (ﷺ) اليهود، ويوبخ المنافقين بشدة، وإذا استلزم الأمر أن يراعيهم في تصرفاته فقد محمد (ﷺ) أطلق العنان لعواطفه دون ذكر الأسماء، ويكاد النبي (ﷺ) لا يلتفت إلا إلى المنافقين الفعلين في المدينة. من النادر أن تخاطب هذه السور المسلمين بتعاليم عقائدية أو أخلاقية، وقد عرفتهم بها بصورة وافية السور المكية، ويكلم محمد (ﷺ) أتباعه في ميدان القتال كقائد، أو أمرٍ أو مشروع، والآيات التشريعية بعضها يسري لوقت محدد، وبعضها الآخر ساري المفعول دائماً.

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٢٨

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٦٥، و ص ٩١

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٤

ومن الخصائص الأسلوبية العامة للخطاب القرآني عند نولده هو "قفزه على العموم كثيراً من موضوع إلى آخر، وعدم التناسب بين الآيات والمقاطع، إلى درجة أن ترابط المعاني بعضها ببعض لا يتجلى دائماً للعيان"^(١)

مناقشة شبهات نولده حول أسلوب الوحي في السور المكية والمدنية
أولاً: زعمه: بأن الله (ﷻ) يملأ سور هذه الفترة متكلاً

بداية فإن الله تعالى هو المتكلم سواء أكان بالضمائر أم بغيرها؛ لأن القرآن الكريم كلامه، وإن زعم نولده أن السور تدل على التكليم المباشر من الله للنبي فهذا غير صحيح، إذ أن القرآن قد تنزل على النبي بوساطة جبريل عليه السلام، وإنما حصل التكليم للنبي ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج التي ردها نولده إلى الحلم، ولعل نولده فعل ذلك تائراً بما هو موجود في العهد القديم من وجود صيغة التكليم المباشر دائماً.

في السور التي جعلها نولده في الفترة الأولى استخدم القرآن صيغاً مثل: اقرأ، سنلقي، أنزلنا، سنقرئك، وهي لا تدل بحال من الأحوال على التكليم المباشر من الله تعالى للرسول ﷺ^(٢) ويحاول نولده بهذا التعبير إلغاء دور جبريل عليه السلام في الوحي القرآني، ففي موضع آخر من كتابه زعم أن النبي (ﷺ) هو الذي أعلن أنه يتلقى الوحي من الروح القدس، وأنه اعتبره ملكاً، وسماه في السور المدنية جبريل^(٣).

والذي أعلن أن محمداً ﷺ يتلقى القرآن من الله تعالى بوساطة جبريل هو الله ﷻ، وليس النبي ﷺ، ثم إن الله تعالى قد حكا عن دور جبريل ﷺ في الوحي في أكثر من موضع مثل: "إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين" (التكوير: ١٩-٢١)، وفي قوله تعالى: "علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى" (النجم: ٥-١٠)، وفي الشعراء التي جعلها نولده في الفترة المكية الثانية نجد قول الله تعالى عن جبريل: "وإنه لتوحيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين" (الشعراء: ١٩٢-١٩٤)

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٨

٢ - انظر، السعيد، محمد جمال الدين، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، ندوة مجمع الملك فهد (القرآن الكريم في الدراسات الاستشرافية)، البحث ١، ص ٢٦.

٣ - نولده، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ١٨

وأما قضية التسمية فإن ذكر جبريل بأوصافه كانت تغني عن ذكره باسمه، " فكون الاسم لم يرد في القرآن إلا في أوائل الفترة المدنية لا يعني أن الله تعالى هو الذي كان يوحي إلى النبي ﷺ مباشرة"^(١).

ثانياً: شبهته حول الأسلوب الشعري والنثري

مثل هذه الشبهة ردها نولدكه - مراراً - ومن ذلك زعمه: "أن القرآن قد نشأ في أرفع درجات الوجد"^(٢)، وأنه عندما ضعف الثوران النفسي الهائل صارت السور أكثر هدوءاً، ففي البداية كانت تحرك السور طاقة شعرية معينة فأضحت لاحقاً وبشكل تدريجي أقوال معلم ومشروع لا غير"^(٣).

ومثل هذا الزعم على أسلوب القرآن المكي هو محاولة من نولدكه لبيان أثر البيئة على أسلوب الوحي "فهو في مكة ذو أسلوب يتفق مع لغة القوم، وثقافتهم وسليقتهم اللغوية، وسجاياهم في الشعر والنثر، ولكنه في المدينة كان متأثراً بأهل الكتاب من اليهود تحديداً، وبالتالي فقد كان الوحي خاضعاً لمزجة مختلفة، وثقافات متغيرة"^(٤).

وما يؤكد حقيقة قصد تأثير البيئة في أسلوب الوحي عند نولدكه ادعاؤه أن أهل المدينة كانوا مطلعين على أهم تعاليم الإسلام بواسطة اليهود الذين تواجدوا هناك بكثرة، والقبائل المسيحية التي كانت تقيم بجوار المدينة، ولها معها أواصر قرى"^(٥).

ويجاب عليه فيما زعم ما ادعاء الأسلوب الشعري والنثري، في أن "طبيعة الموضوعات التي تحدث عنها القرآن المكي، والقرآن المدني هي التي حددت الأسلوب الذي يقدم به الموضوع، فالوحي المكي أراد تثبيت العقيدة والأخلاق فاستخدم القصص، والوحي المدني تحدث عن التشريع

^١ - السعيد، محمد جمال الدين، الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم في دائرتي المعارف الإسلامية والبريطانية، مرجع سابق، البحث ١، ص ٢٨

^٢ - كان متقدمو الصوفية يطلقونه على السماع على فهم يقع لأحدهم بغتة يكون عنده وجد وغيبة سواء كان ذلك في نظم أو نثر أو غيرهما، ثم صار بعد ذلك فيما كان فيه غناء وآلات العزف. انظر، كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي (٦٥٦هـ)، طبعة دار الرياض، ١٩٩١م، ص ٤٤.

^٣ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٥ بتصرف قليل

^٤ - عباس، فضل حسن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص ٤٣، بتصرف قليل

^٥ - انظر، نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٤٩

من بعد أن أصبح للمسلمين مجتمعهم ، فكان لا بد من تنظيم علاقة الإنسان مع الله تعالى، ثم مع نفسه، ومن بعد ذلك مع الناس، فافتضى هذا أن يختلف أسلوبه عن الأسلوب في الفترة المكية نظراً لاختلاف الموضوع، وهذا يحسب للوحي براعة وبداعة في أسلوب العرض، لا مطعناً ومغمزاً، إذ قد اختلف الأسلوب لاختلاف الموضوع، ولكن دون أن يختلفا في جودة العرض، وحسن الصياغة^(١) ثم إنه يحق لنا أن نضع أمام نولدكه التساؤلات الآتية، والتي يفترض أن يجيب عنها هو ومدرسته فيما كتب:

أولاً: كانت الحاجة - لو كان زعمه صحيحاً- إلى السكرة النبوية في الوحي في المدينة وليس في مكة، لأن النبي ﷺ قد أصبح بين أعداء ثلاثة، فقریش كانت تتابع خبره، والمنافقون وهم من العرب كانوا ممن يعرفون العربية ولسانها، ثم اليهود الذين كانوا أحرص الناس على أن يجدوا مطعناً فيه وملمزاً.

ثانياً: هل من المفروض أن تزداد الحاجة إلى قوة السكرة والثوران النفسي- على حد زعمه- كلما تزيد الشبهات أم عندما تقل؟ فهل تراجعت الشبهات من معسكر الأعداء من يهود و منافقين ومشركين بعد الهجرة عما كانت عليه قبل الهجرة؟

ثالثاً: هل كان أهل يثرب دون العرب فصاحة وبلاغة حتى اختلف أسلوب القرآن بسبب تراجع حدة الوحي في الفترة المكية، ثم كيف نفسر وجود شعراء وخطباء من أهل يثرب (المدينة المنورة) كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وثابت بن قيس رضي الله عنه، وإذا لم يكن الأمر كذلك، فكيف فهموا الوحي المنزل قبل الهجرة.

ويدعي نولدكه أيضاً أن سبب قصر السور والآيات قد يكون راجعاً إلى أن محمداً (ﷺ) كان يتلقى كل آيات القرآن تحت نوبات الصرع التي كانت تعتريه والتي لم تدم طويلاً، ويؤكد زعمه بتعبير آخر، فيقول: "قصر السور يعود إلى الوجد الشديد (السكرة النبوية) الذي انبعث منه ولم يكن في وسعه أن يدوم طويلاً، حيث لم يكن في وسعه أن يستمع إلى سور كاملة، بل إلى أجزاء مفردة" ويرد على نولدكه على زعمه هذا بالآتي:

أولاً: لما ثبت بطلان شبهة الصرع بالأدلة اليقينية، بطل كل ما يترتب على هذه الشبهة. ثانياً: "ظاهرة قصر كثير من السور المكية مع تميزها بالجزالة في تقرير القواعد، وعرض الأحداث من المشاهد كان فيه مراعاة لسليقة القوم، وسلامة فطرتهم اللغوية، ونبذهم لكل ما هو

^١ - انظر، عباس، فضل، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، مرجع سابق، ص ٤٣-٤٤ مع الاختصار.

جديد، غير أنه قد جاءت سور مكية طويلة كالأنعام والأعراف؛ لما فيهما من كثرة الحجج كأولى،
والقصص كالثانية^(١)

ثالثاً: السور القصيرة مظهر من مظاهر إعجاز هذا الكتاب الخالد، فكان التحدي بأقصر سورة منه
أشد على المعارضين من السور الطويلة^(٢)

ثالثاً: القسم في السور المكية

يُعد القسم أحد مظاهر الإعجاز في القرآن المجيد، فمع التنوع في أقسام القرآن الكريم إلا أنه
كان لها حكماً وعبراً، ودلالة في سياقات السور التي جاءت فيها.

إلا أن نولدكه نظر إليها نظرة سلبية، فادعى قائلاً: "أخذ نولدكه عن الكهان عادة تقديم
أقوالهم بأقسام احتفالية مستدعين كشهود عليها أقل مرتبة من الآلهة مختلف الظواهر الطبيعية"^(٣)

والجواب على شبهته حول القسم بالآتي:

في استقراء للسور المكية التي جعلها نولدكه في الفترة المكية الأولى نجد ما يأتي:

- ١- عدد السور التي بدأت بالقسم هو ١٥ سورة من أصل ٤٨ سورة هو مجموع عدد سور
الفترة المكية الأولى، وهذه السور هي (الليل، البلد، الضحى، الطارق، الشمس، التين،
العصر، البروج، النجم، العاديات، المرسلات، الفجر، القيامة، الذاريات، الطور)
- ٢- ١٣ سورة كان القسم بها بالواو، واثنان فقط بـ (لا أقسم) وهما البلد، والقيامة.
- ٣- جاء القسم في أربعة عشر موضعاً من بدايات السور بمحسوسات، وقسم واحد بمعنوي وهو
القسم بالقيامة.

والقرآن الكريم في أسلوب كلامه جاء بأساليب العرب في كلامها، وبدء الكلام بالقسم بالواو
مما عرفته العرب، وقد كان له حكمة في القسم بهذه الأقسام والقيود التي قيدت بها، والوقفة
المتأنية الكتدبرة تترك التناسب والصلة مثلاً بين " والعاديات"، وبين قوله تعالى: "إن الإنسان
لربه لكنود"، وبين قوله: " والتن والزيتون" وقوله: " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"^(٤)

١ - عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٧٦، بتصريف قليل.

٢ - الرفاعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تحقيق عبدالله المنشاوي، ط ١، مكتبة الإيمان، القاهرة، ص ١٧٠-
ص ١٧١، بتصريف قليل.

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٦٩

٤ - عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته، مرجع سابق، ص ٣٥٧ باختصار

لو تدبر نولدكه في هذه الأقسام لوجد في نعت الوحي للأنظار إليها دلالة وهدفاً، ولا تخرج هذه الدعوة لمنكري التوحيد، ولرسالة الإسلام عن أن تكون هذه الأقسام "شيئاً غفل الناس عن فائدته، وحكمة الخلق فيه، فيكون القسم به تقريراً لوجوده، أو تفخيماً لشأنه"^(١)

وأما القسم في السور - التي جعلها نولدكه في الفترة الثانية، فقد جاء في سورتي الصافات وسورة ص، "واختلاف المفسرين ليس سواء في هذه الأقسام، فبعضها كثر فيه الاختلاف، وبعضها لا يكاد يوجد فيه اختلاف، وبعضها يبين بيقين، ويرجع ذلك إلى أن بعضها روي في تفسيرها آثار مقبولة، وبعضها الآخر لا يحتمل وجوهاً متعددة في اللغة، أما ما كثر فيه الاختلاف؛ فلأنه لم يشتهر في تفسيره أثر ما، وفيه مجال واسع مما تحتمله اللغة"^(٢)

رابعاً: السجع

الفواصل من مظاهر إعجاز القرآن التي جمعت الحُسنيين، حسن الشكل، وحسن المعنى، فإذا كان المستشرقون - كما نجد ذلك مثلاً في دائرة المعارف البريطانية - قد اتخذوا موقفاً سلبياً من فواصل الآي القرآنية وإعجازها وجمالها البياني، فإن نولدكه سار معهم جنباً إلى جنب، واتخذ الموقف نفسه، وزاد عليه مزاعم أخرى.

ناقش نولدكه قضية الفاصلة فادعى قائلاً: "ويبدو أن محمداً قد قرض مرة واحدة في حياته بيتاً من الشعر على أبسط الأوزان، ولم يتلفظ إلا نادراً بأبيات نظمها آخرون. إن الطريقة التي قدم النبي (ﷺ) ما أتاه من الوحي وهي السجع، كانت تعبر آنذاك نمطاً شعرياً، بحيث إن خصوم محمد (ﷺ) أطلقوا عليه لقب (شاعر)، وهو الأسلوب الذي هيمن على أقوال الكهان القدماء استعمله محمد (ﷺ) أيضاً بكل حرية أسلوبية يسمح له بها السجع"^(٣)

ثم يدعي أيضاً: "من الندرة أن تنقطع الفاصلة في السور المتأخرة؛ لأنه لا يتناسب مع الندرة النثرية، وهي تعتبر قديماً ثقيلاً لا يزين الكلام"^(٤)، ويزعم أيضاً: "تماثل الفواصل في السورة ليس دليلاً على وحدتها؛ لاحتمال أن يكون محمد (ﷺ) نفسه، أو من قام بتحرير النص قد جمع مقاطع متفرقة لها الفاصلة نفسها"^(٥)

١ - عبده، محمد، تفسير جزء عم، د.ط، دار ومكتبة هلال، مصر، ١٩٨٥م، ص ١٣، باختصار.

٢ - عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته، مرجع سابق، ص ٣٠٩ - ٣١٠

٣ - انظر، نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٣ وما بعدها.

٤ - المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧

٥ - المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨

ويجاب عن شبهة تولدكته حول (السجع في القرآن) بما يأتي:

بداية لا بد من نقض شبهته بخصوص أن النبي ﷺ قد قال الشعر من خلال القرآن الكريم نفسه، فالقرآن نفسه نفى عنه الشعر في أكثر من موضع، مثل: قوله تعالى: "وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين" (يس: ٦٩)، وقوله ﷺ: "وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون" (الحاقة: ٤١)، ونفى عنه الكهانة فقال: "فَذَكِّرْ لِمَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْتُونٍ" (الطور: ٢٩)، وقال أيضاً: "ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون" (الحاقة: ٤٢).

يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: "وما ينبغي له": "وما يصح له، ولا يتطلب لو طلبه، أي جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له، ولم يتسهل له، كما جعلناه أمياً لا يتهدى للخطأ، ولا يحسنه، لتكون الحجة أثبت، والشبهة أدهض" (١).

ويعلق الفخر الرازي على علة ختم آية الحاقة التي تنفي الشعر عن القرآن الكريم بـ "قليلاً ما تؤمنون" بأن الغرض من هذه الفاصلة إثبات كذب المشركين في الذي ادعوه على رسول الله ﷺ؛ لأنهم لو تدبروا لعلموا أن ما أوحى إليه من القرآن مابين لصنوف الشعر، ولعلموا كذب قولهم: إنه شاعر (٢).

يقول ابن عاشور حول نفي الكهانة عن النبي ﷺ: "قد اكتفي في إبطال كونه كاهناً أو مجنوناً بمجرد النفي دون استدلال عليه؛ لأن مجرد التأمل في حال النبي ﷺ كافٍ في تحقق انتفاء ذينك الوصفين عنه فلا يحتاج في إبطال اتصافه بهما إلى أكثر من الإخبار بنفيهما؛ لأن دليله المشاهدة" (٣)، كما أنه يحال أن يكون القرآن من كلام الكهان أو على أسلوب كلامهم "فما كان لشياطين الكهان أن يفيضوا على نفوس أوليائهم مثل هذا القرآن، فالكهانة من كذب الكهان وتمويههم، وأخبار الكهان كلها أقاصيص وسعها الناقلون" (٤).

فالشعر والكهانة منفيان عن القرآن الكريم ويشهد بذلك حال النبي ﷺ حيث لم يتعاط الشعر أو الكهانة في حياته، وما جاء على ألسنة المشركين لا يخرج عن كونه جاء على سبيل التعنت، والبحث عن أي تهمة تدفع الناس عن الحق الذي أوحى به إلى رسوله محمد ﷺ.

١ - الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢٩

٢ - الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج ٣١، ص ٧

٣ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٩، ص ١٩٩

٤ - المرجع السابق، ج ٢٧، ص ٨٠

ثم لا بد من إلقاء نظرة حول الفرق بين السجع والفاصلة، "فالفاصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني؛ ولذلك كانت الفواصل بلاغة والأسجاع عيباً؛ لأن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الفواصل فالمعاني تابعة لها، وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة"^(١)

يقول الباقلاني: "ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلام العرب، ولو كان داخلياً فيها لم يقع إعجازاً، ولو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا: شعر معجز، وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفسي الشعر؛ لأن الكهانة تنافي النبوات، وليس كذلك الشعر"^(٢)

وثمة أمران يدفعان ما ادعاه:

الأول: كيف يذم النبي ﷺ من استخدم السجع في كلامه، ثم يطلق لنفسه العنان في استخدامه - على حد زعمه - كيفما أراد في وحي الله، فلو كان كذلك لما سكت عليه حتى أولئك الذين ذم أسلوبهم في الكلام، حيث روي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن امرأة قتلت ضررتها بعمود فسطاق، فأتي فيه رسول الله ﷺ فقضى على عاقلتها بالدية، وكانت حاملاً فقضى في الجنين بغرة، فقال بعض عصبتها: أندي من لا طعم، ولا شرب، ولا صاح فاستهل، ومثل ذلك يطل^(٣)، قال: فقال: سجع كسجع الأعراب^(٤).

الثاني: أرادت قريش أن تتخذ من الكهانة أسلوباً للطعن في نبوة محمد ﷺ فقالوا عنه: إنه كاهن، فدفع الله تعالى تهمتهم قائلاً: "وَلَا يَقُولِ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ" (الحاقة: ٤٢).

فلو كان مما يتعاطى الكهنة وأساليبهم في الكلام فهل لرجل مثل الوليد بن المغيرة - وهو الخبير بالكلام كما قال عن نفسه - أن يدفع عنه التهمة؛ ليستبدلها بتهمة أخرى وهي السحر، عندما خاطب قومه قائلاً: هل تزعمون أن محمداً كذاب، فهل رأيتموه كذبكم قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: فتزعمون أنه مجنون فهل رأيتموه خرفكم قط - أي أتى بالخرافات من القول؟ قالوا: لا، قال:

^١ - الرماني (٢٩٦هـ)، (النكت في إعجاز القرآن)، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨، ص ٩٧

^٢ - الباقلاني، محمد بن الطيب (٤٠٣هـ)، إعجاز القرآن، علق عليه وخرّج أحاديثه صلاح عويضة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ص ٤٩

^٣ - بغرة: أي بعدد أو أمة، ويطل: أي يهدر ويلغى ولا يضمن، انظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١١، ص ١٧٥، و ص ١٧٨

^٤ - أخرجه مسلم في كتاب القسامة، باب دية الجنين، حديث رقم ١٦٨٢

ترجمون أنه كاهن فهل سمعتموه يخبر بما تخبر به الكهنة؟ قالوا: لا، فعند ذلك قالت له قريش: فما هو يا أبا المغيرة؟ فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر^(١)

من الفواصل القرآنية التي أثارها نولده معترضاً عليها الفاصلة في سورة مريم في قوله تعالى: "ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ" (مريم: ٣٤)

يقول نولده عن فاصلة هذه الآية: "وقد يكون محمد قد أضاف الآيات ٣٤-٤٠ لاحقاً في مطلع الفترة الثالثة أو في نهاية الفترة الثانية تقريباً وذلك كنتمة عقائدية أو تهجيمية للآيات التي تتناول عيسى (عليه السلام)، والتي تختلف عما حولها في اللغة والفاصلة"^(٢)

الآيات الستة التي ظن نولده أنها غريبة عن سياق السورة وبالتالي فهي مضافة في فترة أخرى نظراً لاختلاف فواصلها عن فواصل أخواتها من الآيات في السورة نظراً؛ لأن فواصل هذه الآيات تنتهي بـ (ون)، و (يم)، فيما آيات السورة تنتهي فواصلها بـ (ياً).

لقد كان في تغير فواصل الآيات - التي رآها نولده مقحمة على نص سورة مريم - إعجازاً غفل عنه؛ لأنه لم يتدقق، ولو ذاقه لعرف سر مجيء هذه الفواصل هنا تحديداً، " فنظام الفاصلة كان لغاية إصدار الحكم، ولحظة إصداره تستلزم لهجة وإيقاعاً غير أسلوب القصة وإيقاعها، ولهذا فإنه بمجرد حصول ذلك عادت الفاصلة كما كانت؛ لأنه تمت العودة إلى قصص جديد"^(٣)

ادعى نولده أن الفاصلة القرآنية في السور المتأخرة قيد لا يزين الكلام، فقد جاءت الفاصلة القرآنية متسقة ومتناسبة كل التناسب مع معنى الآية وموضوعها وسياقها الذي تتحدث فيه، وغرضها الذي جاءت من أجله..، وبعض الفواصل القرآنية لا يحتاج الأمر فيها إلى بيان وكثير فكر وكبير عناء، بل يمكن للقارئ أن يدرك الأصالة من السياق نفسه...، وهناك نوع آخر يحتاج إلى نوع من الفكر"^(٤)

ولا يخرج زعم نولده على الفواصل القرآنية أن يكون هذا قد جاء تعنتاً على سبيل المشركين، فاستقراء دراسته التطبيقية لسور الفترة المدنية يكشف عن عدم وجود دراسة موسعة له حول فواصل هذه السور.

^١ - الحلبي، علي بن برهان الدين (١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبية، د.ط، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ج٣، ص ٣٤٥

^٢ - نولده، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج١، ص ١١٦

^٣ - قطب، سيد، التصوير الفني، ط٦، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ١٩٨٠، ص ٩٠، بتصرف.

^٤ - عباس، فضل حسن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، مرجع سابق، ص ٨٢، و ص ٨٥.

وهذه مجموعة مواضع من القرآن الكريم تمثل فيها الفاصلة القرآنية أحد المظاهر الإعجازية، وفي السور المدنية تحديداً، وهي السور التي ادعى نولده على فاصلتها هذا الإدعاء:

١- قوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ" (البقرة: ١١-١٣)

٢- قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَخِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ" (النور: ٤١)

٣- قوله تعالى: "فَمَنْ لَمْ يَجِدْ لَصِيَامِ شَهْرَيْنِ مُتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ لِإِطْعَامِ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ" (المجادلة: ٤-٥)^(١)

وأما زعمه بأن تماثل الفواصل في السورة ليس دليلاً على وحدتها؛ لاحتمال أن يكون محمد(ﷺ) نفسه، أو من قام بتحرير النص قد جمع مقاطع متفرقة لها الفاصلة نفسها، فإن النبي ﷺ كان يأمر - كما تقدم - بأن يضعوا ما ينزل به الوحي في مكان كذا، فالأمر توقيفي لا اجتهاد فيه من النبي، أو أحد من الصحابة.

أمر آخر هو أن الوحدة الموضوعية من مظاهر إعجاز هذا الكتاب المبين، فالسورة وإن اختلفت فواصلها فكانها نزلت جملة واحدة.

ونولده نفسه أقر بذلك في أكثر من موضع، فوصف السورة بالوحدة بالرغم من اختلاف الفواصل كما نجد عنده في سورتي الصافات وفصلت^(٢)، وبناء على ذلك يكون كلامه تعنتاً، وإسقاطاً للمزاعم بلا براهين أو أدلة.

ويدعي نولده أنه بسبب الفاصلة قد يتغير شكل الكلمات المعتاد^(٣)، ويستدل على ذلك بقوله تعالى: "سلام على إيل ياسين" وقوله: "وطور سينين"^(٤)، فيقول إن الكلام صار "إل ياسين" بدلاً من إلياس، وفي التين، صار سينين بدلاً من سيناء.

١ - عباس، فضل حسن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ص ٨٥ وما بعدها، وللاستزادة حول أمثلة على فواصل قرآنية من سور مدنية تحتاج إلى إطالة فكر ينظر هذا المرجع ص ٨٥ وما بعدها.

٢ - انظر تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٠، و ص ١٣٠

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧

٤ - المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧ وهامش رقم ١٢٠

أما فاصلة الصافات (إل ياسين)، فيقال ميكال، وميكائيل، وميكالين، فكذا هنا إلياس وإلياسين، وقيل هو جمع أراد به إلياس وأتباعه من المؤمنين^(١)

قال الزمخشري: "إل ياسين" وإدراسين، وإدرسين لغات في إلياس وإدريس^(٢) وعلق الطبري على من قال إن سيدنا إلياس كان له اسمان: إلياس الذي اشتهر به، وإلياسين مثل إبراهيم وإبراهيم فقال: "يُستشهد على ذلك كذلك بأن جميع ما في السورة من قوله (سَلَامٌ)، فإنه سلام على النبي الذي ذكر دون آله، فكذلك إلياسين، إنما هو سلام على إلياس دون آله"^(٣) وأما فاصلة التين "وطور سينين" فقد رجح الطبري قول من قال: طور سينين: جبل معروف؛ لأن الطور هو الجبل ذو النبات، فإضافته إلى سينين تعريف له، ولو كان نعتاً للطور كما قال من قال معناه حسن أو مبارك، لكان الطور منوناً، وذلك أن الشيء لا يُضاف إلى نعته، لغير علة تدعو إلى ذلك^(٤).

وتأتي الفواصل في القرآن الكريم على شاكلتين: الحروف المتجانسة، والحروف المتقاربة^(٥) ف (سينين) جاءت على الحروف المتجانسة وقد جمعت بين حسن الشكل في أنها جاءت على فاصلة أخواتها، مع تمام المعنى في الدلالة على مكان جبل الطور.

وزعم آخر افتراه نولدكه على الفاصلة القرآنية عندما ادعى أن فواصل الآيات في السور المكية في الفترة الثالثة قد جاءت مشوشة^(٦)، وفي استقراء كل ما كتب يكتشف القارئ أن ما قاله نولدكه هو مجرد زعم وافتراء، فلا يستطيع أن يبرهن على زعمه ولو بمثال واحد. والمواضع التي تكلم عنها عن الفاصلة القرآنية في هذه سور هذه الفترة محصورة في سورة فصلت حيث اعترف أنه لا يجوز تفكيك السورة، وإن تعددت الفواصل فيها، وفي سورة شافر يكتفي بالقول بتتبع فواصلها، وفي سورة العنكبوت عند الآيات (١٩-٢٣) اكتفى بالقول إنها متجانسة^(٧)، وفي سورة فاطر اكتفى بالقول إن الآية (٣٩) ذات فاصلة مختلفة عن آيات السورة.

١ - الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٢، ص ١٦٢

٢ - الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٦٢

٣ - الطبري، جامع البيان، ج ٢١، ص ١٠١

٤ - المصدر السابق، ج ٢٤، ص ٥٠٥

٥ - انظر التكت في إعجاز القرآن للرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٩٨

٦ - انظر، نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٢٨

٧ - أخطأ نولدكه هنا إذ فواصل هذه الآيات متقاربة، وليست متجانسة.

خامساً: التكرار

يقول نولدكه عن التكرار في القرآن الكريم: "التكرار المستمر للأفكار التي كانت تسقط مرة غير مرة على أرض غير خصبة أثر سلباً على الشكل الفني للعرض"^(١)

والجواب على ما زعمه حول التكرار بالآتي:

لقد جاء الوحي القرآني في أسلوب خطابه للناس بالأساليب التي كانت العرب تستخدمها في كلامها، وتفتخر بها في شعرها ونثرها، فـ " التكرار مذهب للعرب معروف، ولكنهم لا يذهبون إليه إلا في ضروب من خطابهم للتحويل والتوكيد والتخويف والتفجع، وما يجري مجراها من الأمور العظيمة. وكل ذلك مأثور عنهم منصوص عليه في كثير من كتب الأدب والبلاغة"^(٢)

فالتكرار من سنن العرب في كلامهم، ولو كان عيباً لعابوه، ولكنهم وجدوا فيه النظم العجيب الذي أسفله مغدق وأعلاه مثمر، ومن هنا فإن القرآن في استخدام هذا الأسلوب في الوحي المنزل كانت له أهدافه وأغراضه، ولم يكن لغواً من القول.

وقد أثار نولدكه الشبهات حول نوعين من التكرار في القرآن، وفي كليهما اعتبره غير هادف فتكرار الجمل ممل، وتكرار القصص لا تنوع فيه.

الأول: تكرار بعض الجمل مثل اعتراضه على الآية التي تكررت في سورة المرسلات، وهي قوله تعالى "وَيَلْ يَوْمَنَدٍ لِلْمُكَذِّبِينَ" حيث يقول: "السورة جديرة بالملاحظة بسبب تكرار إحدى آياتها كلازمة"^(٣)

وإنما حصل التكرار في هذه الآية لذكر أحوال يوم القيامة، فقدم الوعيد، وجدد القول عند ذكر كل حال؛ لتكون أبلغ في القرآن، وأؤكد لإقامة الحجة والإعذار"^(٤)

ويعترض أيضاً على تكرار آية "لَبِئْسَ آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" في سورة الرحمن حيث يصف أسلوبها بالأسلوب شبه اللاهني، ويسمي هذه الآية باللازمة، ثم يتساءل: "من الصعب أن نفهم لماذا لم تستخدم اللازمة أيضاً في الآيات من (٢-١١)^(٥)، حتى أنه في موضع آخر يصف تكرار هذه الآية

^١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٠٥

^٢ - الرفاعي، مصطفى، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مرجع سابق، ص ١٦٦

^٣ - انظر، نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٣

^٤ - الخطابي، حمد بن محمد (٣٨٨هـ-)، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص ٥٣

^٥ - انظر، نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٩٥-٩٦

في السورة بالمبالغة، حيث يقول: "يبالغ بتكرار اللازمة ابتداء من الآية ١٣ تعاد الكلمات "فبأي آلاء ربكمما تكذبان" ٣١ مرة (١)

وأما عن حكمة التكرار في آية الرحمن، فإن فيها "تجديداً لذكر النعم في هذه السورة، واقتضاء الشكر عليها، ونعمته تعالى فيما أنذر به ليجتنب، فهي بإزاء نعمه على ما وعد من ثوابه ليطاع، فالوعد والوعيد وإن تقابلا في ذواتهما، فإنهما متوازيان في موضع النعم بالتوفيق على مأل أمرهما، والإبانة عن عواقب مصيرهم" (٢).

الثاني: التكرار في القصص، فيزعم نولدكه أن القصص في الفترة المكية الثانية مكررة ومكدسة، بينما لا تأتي إلا بالقليل من التنوع في الفترة الثالثة (٣).

أما حول تكرار القصص في سور الفترة الثانية، فإن أكثر سورة تضمنت قصصاً قرآنيها هي سورة الشعراء، وكان حرياً بنولدكه أن يستشهد بما قاله الزمخشري في كشافه، خاصة أن الكشاف من مصادر نولدكه في كتابه، ولكنه سار على عادته في الانتقاء والاجتزاء حسب هواه. يقول الزمخشري حول التكرار في سورة الشعراء: "كل قصة منها كنتزيل برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تنلي بحق في أن تفتح بما افتتحت به صاحبها، وأن تختتم بما اختتمت به؛ ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور، ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان؛ ولأن هذه القصص طرقت بها أذان وقر عن الإنصات للحق، وقلوب غلف عن تدبره، فكُوثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنًا، أو يفتق ذهنًا، أو يصقل عقلاً طال عهده بالصقل، أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدأ" (٤).

وأما سور الفترة الثالثة فقد تضمنت - حسب ترتيب نولدكه - ٢١ سورة، وفيها العديد من السور التي تكررت القصة فيها أكثر من مرة، ومن هذه السور (الأعراف، يونس، هود، القصص، العنكبوت، غافر).

١ - المصدر السابق، ج ١، ص ٣٩

٢ - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص ٥٣ - ص ٤٥ بتصرف قليل

٣ - انظر تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٢٨

٤ - الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ١٢٧

فلو أخذنا مثلاً قصة موسى عليه السلام، وهي أكثر قصة تكررت في القرآن، لوجدنا أنه في سور هذه الفترة تحديداً تكررت القصة أكثر من مرة، ولكنها في كل مرة كانت تأتي بجديد يضاف إلى حلقات القصة.

١- في سورة غافر ذكرت السورة قصة مؤمن آل فرعون الذي دافع عن موسى عليه السلام في وجه فرعون (الآيات من ٢٨-٤٥)

٢- في سورة يونس نجد حلقة أخرى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام وهي قصة إنجاء بدن فرعون بعد غرقه. (الآية ٩٢)

٣- في سورة القصص نجد حلقتين جديدتين من قصة موسى عليه السلام، وهما قتله للرجل من قوم فرعون، ثم قصته في مدين (الآيات من ١٥-٢٨)

إذاً، فما قاله نولدكه بجانب للواقع حتى من السور التي ادعى فيها أن القصص القرآني الوارد فيها غير منوع، ففي هذه السور نجد مثلاً قصة يوسف عليه السلام كاملة، وذكر لقصة سبأ أيضاً، ولكننا نجد تكراراً للقصة الواحدة، ولكنها تأتي كل مرة بجديد.

"التكرار في القصة القرآنية نسق معجز، إذ يكون كل جزء مكوناً لقصة ذات عبرة مستقلة في ذاتها، فهي قصة واحدة الموضوع، في قصص متعددة العبر"^(١)

سادساً: المناسبات بين الآيات

ادعى نولدكه أن "قراءة السور تكشف عن أن خطاب القرآن يقفز على العموم من موضوع إلى آخر إلى درجة أن ترابط المعاني لا يتجلى دائماً للعيان"^(٢).

المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة من أوجه البراعة في نظم القرآن، وإحدى ميزات أسلوب الوحي المكي والمدني على السواء، فالآيات تتجاور، وتأخذ بحجز بعضها البعض في السورة الواحدة حتى ليخيل للقارئ أنها لم تنزل على نجوم متفرقة، وإنما نزلت دفعة واحدة.

"ثمرة موضوع علم المناسبات هي الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء (المقطع) بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه"^(١)

١ - أبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٢٤

٢ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٨

استقراء كتاب تاريخ القرآن لنولدكه يكشف أنه يدعي انعدام وجود التناسب في القرآن بين:
أولاً: الآيات فيما بينها في السورة الواحدة.
ثانياً: الوحدة الموضوعية للسورة.

فمن القسم الأول يتحدث نولدكه عن الآيات من (١٦-١٩) من سورة القيامة " لا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانِكَ لِتَعَجَّلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ "، حيث يقول: "لا علاقة للآيات بما يجاورها من الآيات، ولا بسائر السورة، ولا يسعنا القول كيف أن هذه الآيات حلت في موضعها"^(٢)

وقد لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا إن نولدكه تلقف هذه الآية من الإتقان للسيوطي - دون أن يصرح بذلك - كون الإتقان من المصادر الرئيسية في كتاب نولدكه، حيث اعتبر السيوطي^(٣) آية القيامة " لا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانِكَ لِتَعَجَّلَ بِهِ " من الآيات المشككة، ثم ذكر أوجه إزالة هذا الإشكال، وبالطبع لم ينقل ذلك نولدكه.

هذه الآيات هي قوله تعالى: " لا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانِكَ لِتَعَجَّلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ "، ولو رجع نولدكه إلى كتب التفسير التي اهتمت بالمناسبات لوجد أن المفسرين قد اجتهدوا في بيان علاقة هذه الآيات بما قبلها، وأنها قد جاءت في محلها، وأنه لا يسد غيرها مسدّها.

وقد ذكر الإمام الفخر الرازي ستة وجوه في التناسب بين هذه الآيات وما سبقها، غير أنه قبل أن يشرع في ذكر وجوه التناسب لفت الأنظار إلى أن قوماً من قدماء الروافض احتجوا بأن القرآن قد غير وبدل وزيد فيه، واحتجوا بأنه لا مناسبة بين هذه الآية " لا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانِكَ لِتَعَجَّلَ بِهِ " وما قبلها، ولو كان هذا الترتيب من الله لما كان الأمر كذلك^(٤)

^١ - البقاعي، إبراهيم بن عمر (٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مقدمة التفسير، خرّج أحاديثه عبدالرزاق المهدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥، ج١، ص٥

^٢ - انظر، نولدكه، تاريخ القرآن، ج١، ص٩٣.

^٣ - انظر، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج٤، ص١٥ وما بعدها.

^٤ - انظر، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣٠، ص٢٢٢

* هل يمكن أن يكون نولدكه قد اطلع على هذا الرأي، ولكنه لم ينسبه لهم، وجعله لنفسه ابتداء خاصة أنه كان يحيل مرات عديدة على تفسير الفخر الرازي؟ هذا إذا كان لم يطلع على الآيات في إتقان السيوطي، وربما اطلع على المصدرين ولكنه سكت عن ذلك.

من وجوه التناسب التي ذكرها الرازي وجهين أقوى من غيرهما وهما الأول والثاني، ولعله كان يقصد ذلك حيث ذكرهما في بداية ذكر وجوه التناسب وهما:

أولاً: أن يكون الاستعجال المنهي عنه إنما انفق للرسول عليه السلام عند نزول هذه الآيات، فلا جرم أنه نهي عن ذلك الاستعجال في هذا الوقت.

ثانياً: لما نقل تعالى عن الكفار أنهم يحبون السعادة العاجلة وذلك هو قوله "بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ" (القيامة: ٥)، ثم بين أن التعجيل مذموم مطلقاً حتى التعجيل في أمور الدين فقال: "لا تحرك به لسانك"، وقال في آخر الآية^(١) "كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ"، (القيامة: ٢٠).

وأما القسم الثاني المتعلق بالوحدة الموضوعية للسورة، فإن نولدكه -- على سبيل المثال -- يجعل سورة الأعراف خمسة مقاطع، ثم يلخص الأمر بأنه لا صلوات وثيقة بين هذه المقاطع^(٢).

ولو استقرأ نولدكه أول السورة وخاتمتها، وما بين كل مقطع ما له علاقة بالآخر، لتبين له اللحمة والرباط الوثيق الذي يجمع الآيات بعضها ببعض في وحدة موضوعية واحدة.

بداية السورة كانت عن "كِتَابٍ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ تُسَبِّرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ، اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ" "وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ"، (الأعراف: ٢-٣)، وخاتمتها كانت عن "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" (٢٠٤) "وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ" (٢٠٥) "إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ" (٢٠٦)، (الأعراف: ٢٠٤-٢٠٦)، "فقد رجع آخر السورة في الأمر بإتباع القرآن على أولها أحسن رجوع، ومن وصف المقربين بعدم الاستكبار، والمواظبة على وظائف الخضوع إلى وصف إبليس بعصيان أوامر الله في السجود لأدم عليه السلام، بل شرع في رد المقطع على المطلع حين أتم قصص الأنبياء"^(٣)

وأما ما ادعاه من أن النبي ﷺ لما تلا السور على قومه جامدي المشاعر رماه معظمهم بالجنون والكذب فإن نولدكه أراد أن ينفي تأثير أسلوب القرآن في النفوس، وهذه مخالف لما جاءت به الروايات فهل يستطيع نولدكه إنكار قول الوليد بن المغيرة في وصف القرآن: "والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر"^(٤)

١ - انظر، الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٢، ص ٢٢٣

٢ - انظر، نولدكه، تاريخ القرآن، ص ١٤٣

٣ - البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٨٠

٤ - الصالحي، الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٥٤

وهل يمكنه أن يدير ظهره لاستراق رؤوس الكفر في قريش لاستماع تلاوة النبي ﷺ للقرآن الكريم في القصة المشهورة المتعلقة بأبي سفيان وأبي جهل والأخنس بن شريق^(١) سابقاً: براهين القرآن:

يقصد تولدكه بالبراهين: الأدلة التي استخدمها القرآن الكريم في التدليل على قضايا الوحي والنبوة ومسائل العقيدة، فيزعم أن "البراهين التي يستخدمها محمد (ﷺ) في سور الفترتين الثانية والثالثة لا تقنع الخصوم، وتفنقر إلى الوضوح"^(٢).

ويجاب على شبهته هذه بما يأتي:

أولاً: إن النبي ﷺ لم يأت بها من عنده، بل أوحاها الله تعالى إليه.

ثانياً: تنوعت البراهين والأدلة التي نزل بها الوحي تقريراً لموضوعات القرآن الكريم كالتوحيد والبعث وصدق النبوة والوحي، وتثبيتاً لها في نفوس المؤمنين، وإلزام المعاندين الحجة. ثالثاً: اشتمل القرآن على جميع أنواع البراهين والأدلة، ولذا فإن القرآن نفسه لفت الأنظار إلى تنوع أدلته^(٣).

ففي سورة فصلت بين الله تعالى أن من آياته ما جعله ميثوقاً في صفحات الكون، ومنها ما قائم في النفس الإنسانية، فقال: "سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَلِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ" (فصلت: ٥٣)

وكثيرة هي الأدلة العقلية والحجج الساطعة التي يخاطب القرآن بها العقول؛ ولذا كثر في القرآن "لقوم يعقلون" و "لقوم يذكرون" و "لقوم يوقنون"، وأنتى على أصحاب هذه العقول الذين يهتدون بآيات الله، فوصفهم بأولي الأبواب، وأولي النهى.

ونعا في المقابل على من غفل عن دلائل هذه البراهين، فوصفهم بـ: "لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" (الأعراف: ١٧٩).

وحتى نلزم تولدكه الحجة، فهذه بعض حجج وبراهين القرآن على موضوعات التوحيد والبعث وصدق النبوة، ومن السور التي زعم أن براهينها لا تقنع الخصوم؛ لتقرير أن ما ذهب إليه تولدكه ليس إلا تعنتاً.

١ - سيرة ابن هشام، ص ١٢٤

٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص

٣ - انظر في ذلك، الإتقان في علوم القرآن، ج ٤، ص ١١٩

أولاً: براهين على التوحيد^(١)

الاستدلال من خلال أن صانع العالم واحد بدلالة التمانع "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" (الأنبياء: ٢٢)، ومن خلال مجازاة الخصم ليعثر، مثل قوله تعالى: "قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ نُصَدِّقَوكَ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ" (إبراهيم: ١٠-١١)

ثانياً: براهين على البعث

١- قياس الإعادة على الابتداء، مثل قوله تعالى: "أَلَعَيْنَا بِالْمَخْلُوقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَيْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ" (ق: ١٥)

٢- قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى: "أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ" (يس: ٨١)

٣- قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات: "يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ" (الروم: ١٩)

ثالثاً: براهين على النبوة

ومن البراهين الساطعة ما جاء في سورة الروم: "إِنَّمَا عَلَّمَتِ الرَّؤْمُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ" (الروم: ١-٤)، فإن هذه الآيات كانت برهاناً على صدق النبوة وما نطق به الوحي من أخبار مستقبلية ستقع قبل بضع سنين من حصولها؛ "فما نطقت به هذه الآيات من مغيبات وقعت وسمع المشركون بوقوعها، وسلموا بذلك - هي من معجزات القرآن، ومن دلائل كونه منزلاً من عند الله على النبي محمد ﷺ"^(٢)

وأما ما زعمه من تكديس الأمثلة في سور الفترة الثانية، فإن عدد ما ذكرته السور من أمثلة هو عشرة فقط، ثم إن "العبرة ليست بالكثرة أو القلة، أو بالقضية الشكلية للمثل القرآني بقدر ما هي بإدراك سر رسالته في القرآن، فالأمثال القرآنية تساق للتوضيح والإقناع، مع ما تحتويه من حقائق كونية وعلمية، وهي في الوقت ذاته وسيلة لإمتاع العقل والعاطفة معاً"^(٣)

١ - ينظر أنواع البراهين، والتمثيل عليها من الآيات المتعلقة بالتوحيد والبعث، الإتيان في علوم القرآن ج ٤، الصفحات ١٢١ وما بعدها

٢ - انظر، ابن عاشور، الطاهر محمد، التحرير والتنوير، د.ط، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧ ج ١١، ص ٣٦-٣٧

٣ - انظر، عباس، فضل حسن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، مرجع سابق، ص ١٣٧

ثامناً: زعمه بأن السور القرآنية التي جعلها في الفترة الثانية ليس لها طابع مشترك، فهذا من تعنّات نولدكه، فالسور المكية التي نزل بها الوحي في المرحلتين السرية والجهرية تجمعها الوحدة في الأسلوب والموضوع.

"قالغالب على سور وآيات هذه السور القصر والجزالة، وإن وجدت سور آياتها طويلة كالأنعام، وأما موضوعاتها فإنها تلتقي في الدعوة إلى التوحيد، وبيان أصول العقيدة، وردّ الشبهات والمطاعن، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، وتطهير النفوس من أخلاق الجاهلية"^(١)

وأما زعمه أيضاً بأن النبي ﷺ أراد أن يعطل الشك بأنه ساحر أو كاهن في هذه السور، فإن خير شهادة للمرء ما يشهد به الأعداء له، فمشركو مكة احتاروا ماذا يقولون في رسول الله ﷺ لوفود العرب عليهم في موسم الحج إذا عرفت بشأن رسالته، فكانوا إذا قالوا: إنه شاعر أو كاهن أو ساحر ردّ ذلك الوليد بن المغيرة قائلاً: وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وعشيرته^(٢)، وهذه الرواية رواها ابن هشام في سيرته، ولكن نولدكه تحاشاها تمشياً مع منهجه الروائي الانتقائي.

وادعى نولدكه على هذه السور استخدامها لعناوين شكلية؛ للتصديق على أنها وحي الله إلى نبيه محمد ﷺ.

ويجاب عليه بأن من عادة القرآن أن يتبع ذكر الحروف المقطعة (القرآن أو الكتاب) أو كليهما معاً، ولهذا حكمة جليلة تظهر في أن هذه الأحرف هي من أسرار القرآن الإعجازية التي تحدى الله تعالى بها المشركين، فقد جاء في سورة الحجر ذكر "الكتاب" مقدماً على "قرآن" في قوله تعالى: "الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ" (الحجر: ١)، وأما النمل فقد حصل العكس، حيث قدم لفظ "القرآن" على "الكتاب" في قوله تعالى: "طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ" (النمل: ١).

فأما تقديم الكتاب على القرآن في الذكر في آية الحجر؛ فلأن السياق فيه توبيخ وتحسير للكافرين، فناسب أن يبتدئ الكلام باسم الكتاب دون القرآن؛ لأنهم لما جادلوا ما جادلوا إلا في كتاب؛

^١ - عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٧٥ - ٣٧٦ باختصار

^٢ - ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٢٦٩

ولأنهم بمعزل عن قراءته، وأما آية النمل فإن المقام هو مقام تنويه بالمؤمنين فناسب تقديم (القرآن)؛ لأن القراءة تتناسب حال المؤمنين والمنقبلين لآياته^(١)

وأما ما ادعاه حول اسم الله تعالى (الرحمن) فإنه بذلك يشابه كفار مكة بما ادعوه لما سمعوا النبي ﷺ ذات يوم يدعو: يا الله يا رحمن، فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو مثنى مثنى، فأنزل الله " قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى " ^(٢) فالآية جاءت رداً على المشركين الذين أنكروا دعاء الرحمن: بأنكم بأي اسم دعوتكم ربكم فإنما تدعون واحداً له^(٣)، "فالكلام ردّ وتعليم بأن تعدد الأسماء لا يقتضي تعدد المسمى"^(٤)

تاسعاً: الادعاء بأن النبي ﷺ كان يهاجم خصومه

ادعى نولده أن النبي (ﷺ) قد هاجم خصومه بصورة شخصية في السور التالية، فقال: " السور التي يتكلم فيها محمد (ﷺ) ضد أعداء الدين والخصوم الذين يكذبون به، رافعاً من شأن المؤمنين لا يمكن أن تكون قد نشأت في وقت لم يكن فيه على بينة من أمره، ولم يتأكد بعد من أنه نبي، ويدع إلى الدين الجديد"^(٥)

وفيما يأتي الجواب على شبهته هذه في السور^(٦) التي زعم أن أن النبي ﷺ هاجم المشركين فيها بصورة شخصية

أولاً: في سورة العصر:

المراد من الإنسان في قوله تعالى: "إن الإنسان لفي خسر" (العصر: ٢) هو جنس الإنسان، وليس المقصود به شخصاً معيناً^(٧)

ثانياً: سورة الانفطار في قوله تعالى: "يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم" (الانفطار: ٩)

١ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ٨، وج ١٩، ص ٢١٨، باختصار

٢ - لباب النقول في أسباب النزول، ص ١٤٢، وذكر الرواية ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج ١٧، ص ٥٨٠

٣ - الطبري، جامع البيان، ج ١٧، ص ٥٨٠

٤ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ٢٣٦

٥ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٧٠-٧١

٦ - المصدر السابق، ج ١، ص ٧١

٧ - انظر في ذلك: الزمخشري: الكشاف ج ٤، ص ٨٠٠، الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٢، ص ٨٦، وابن عاشور في التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٥٣٠، وما فعله نولده كعادته أنه قفز عن الرأي الأول عند الرازي حول أن الإنسان مراد به جنس الإنسان إلى الرأي الثاني وهو أنه مراد به شخص معين كالوليد بن المغيرة، وهذا وغيره من رؤوس الشرك داخلين في معنى الآية.

وسبب النزول الوارد أن هذه الآية نزلت في أبي خلف حديث ضعيف^(١)

فالمراد بـ (الإنسان) هو أنه مراد به جنس الإنسان^(٢)

ثالثاً: سورة الليل في قوله تعالى: "الذي كذب وتولى" (الليل: ١٦)

سياق الآية وارد مورد المقارنة بين حالتي عظيم من المشركين، وعظيم من المؤمنين^(٣)، وذكر الرازي أن ابن عباس رضي الله عنهما - قال: نزلت في أمية بن خلف وأمثاله الذين كذبوا محمداً ﷺ والأنبياء قبله^(٤)

رابعاً: سورة الفجر في قوله تعالى: "لم تر كيف فعل ربك بعاد" (الفجر: ٦)

الخطاب للنبي ﷺ تثبيناً له ووعداً بالنصر، وتعريضاً للمعاندين بالإنذار بمثلته فإن ما فعل بهذه الأمم الثلاث موعظة وإنذار للقوم الذين فعلوا مثل فعلهم من تكذيب رسل الله قصد منه تقريب وقوع ذلك وتوقع حلوله^(٥)

عاشراً: يدعي نولده أن من خصائص الفترة الثالثة المخاطبة بقول: "يا أيها الناس" فكما أن العربي يستخدم عادة المنادى حين يخاطب جمعاً كذلك يفعل محمداً ﷺ حيث كلامه نثري، فيما أن السور المبكرة المحركة شعرياً أو بالأحرى خطابياً لا تتقبل هذه الصيغة^(٦).

والجواب على هذه الشبهة بالآتي:

أسلوب النداء استخدم في أكثر من سورة من السور التي نزلت مبكراً:

١- استخدم هذا الأسلوب في بدايتي المدثر والمزمل، "يا أيها المدثر"، و"يا أيها المزمل"

٢- استخدم هذا الأسلوب في سور جعلها نولده من سور الفترة المكية الأولى، في أول السورة مثل سورة الكافرون في قوله تعالى: "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ"، (الكافرون: ١)، وفي وسط السورة، مثل سورة

١ - أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ج ١٠، ص ٣٤٠٨، وهو حديث مرسل، انظر، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (٩١١هـ-)، لباب النقول في أسباب النزول، تحقيق محمد صلاح، ط ١، مكتبة الرحاب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٢٣٥.

٢ - انظر، الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٧١٦

٣ - المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٦٨

٤ - الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ٢٠٣

٥ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٢٠، ص ٣١٧

٦ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٢٩

الانفطار في قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ "، (الانفطار: ٦)، واستخدم النداء نفسه في سورة الانشقاق أيضاً " يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ " (الانشقاق: ٦).

وأما شبهات تولدته حول أهداف الوحي في السور المكية والمدنية في الموضوعات التي تحدث عنها، ففيما يلي مناقشته والرد عليه:

أولاً: السور المكية:

ادعى تولدته أن السور المكية تسعى إلى الدعوة إلى الإله الواحد الحق، والإيمان بالبعث والقيامة، غير أن التركيز كان منصباً على قيامة الأموات والبعث أكثر من التوحيد، ثم إن هذه السور لم تستخدم البراهين المنطقية، وإنما استخدمت العرض الخطابي المؤثر على مخيلة البسطاء الذين ليس لهم معرفة لاهوتية^(١)

ومناقشة دعوى تولدته ستكون من المحورين التاليين:

المحور الأول: الادعاء بأن السور المكية لم تهتم بالتوحيد مبكراً وكثيراً كاهتمامها بأمر القيامة. لن نقوم بحصر آيات التوحيد في جميع السور القرآنية، وإنما ستكون مهمتنا استقرار السور التي جعلها تولدته في الفترة المكية الأولى للاستدلال من هذه السور على أن العناية بالتوحيد قد بدأت مع بدء نزول الوحي، ومن هذه السور والآيات:

- ١- سورة الإخلاص.
- ٢- سورة الكافرون، فقوله تعالى: " لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَلْتُمُ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) "، (الكافرون: ٢-٣)، لا يمكن أن يكون المقصود منه إلا أن النبي ﷺ لم يقبل ما هم عليه لما هو عليه من التوحيد الذي دعاهم إليه، وهم لم يقبلوا دعوته؛ لأن التوحيد الذي دعاهم إليه هو نقيض الشرك الذي هم عليه.
- ٣- قوله تعالى في سورة الناس: " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) " فكلمتي (رب، وإله) وإضافتهما إلى الناس دلالة على التوحيد، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، ولعل التقديم لـ (ربب الناس) على (إله الناس) في هذه السورة دال على ذلك.
- ٤- قول تعالى في سورة الأعلى " سُبْحَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ "، وهل التسبيح إلا تنزيه الله تعالى عن كل ما يليق به، وفي أول ذلك الند والشريك، ولذلك فإن ما بعد هذه الآية جاء تعليلاً للأمر بهذا التنزيه.

^١ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٦٥، وص ١٤٨

ما سبق هي مواضع معدودات من سور معلومات حول عناية الوحي المكي مبكراً بأمر التوحيد، وفيما يلي مناقشة المحور الثاني المتعلق بقضية البراهين المنطقية في السور من الفترة المكية الأولى أيضاً.

لقد استخدم الوحي نوعين من البراهين في هذه السور وهما: براهين من النفس الإنسانية، وبراهين من الآفاق.

فمن النوع الأول ما قاله الله تعالى في سورة القيامة: "أَيُحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخْبِيَ الْمَوْتَى (٤٠)"

ومن النوع الثاني قوله تعالى في سورة الغاشية "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)" وقد يستخدم الوحي البراهين من النوعين في الاستدلال مثل ما وقع في سورة الواقعة، حيث يقول تعالى: "أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩)"، ثم انتقل لذكر البراهين من الآفاق حيث قال: "أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣)" وقوله "أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨)" وقوله: "أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١)"

وأما زعمه بأن الوحي في الفترة الأولى قد أثر بعرضه الخطابي على البسطاء من القوم والطبقة الاجتماعية الدنيا:

أما قضية العرض الخطابي الخالي من البراهين فقد تم الرد عليها آنفاً فقد رُدَّتْ ببعض المواضع، ومن سور الفترة الأولى فقط دون أن نأخذ كافة المواضع من الفترات الثلاث.

وأما دعوى التأثير خصوصاً على البسطاء من الناس، فنحن لا ننكر أن أكثر الذين آمنوا بالنبى هم من الفقراء، ولكن منهج نولدكه التاريخي لم يدفعه إلى أن يذكر أن من بين الذين آمنوا بالوحي في بدايته كان بعضهم من أشراف القوم كأبي بكر وعثمان وأبي عبيدة رضي الله عنهم.

وقد غاب عن نولدكه أن من بين البسطاء الذين تعلق رأيه بهم كانوا متقدي الذكاء كابن مسعود رضي الله عنه الذي أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن عنه، فقال: "خذوا القرآن من أربعة من عبد الله ابن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب"^(١)

^١ - أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٤٧١٣

ثانياً: السور المدنية:

يُرد على ما زعمه نولدكه حول موضوعات السور المدنية التي أوحى بها بعد الهجرة بما

يأتي:

أولاً: "سيُتحد النبي والقائد في المرحلة المدنية؛ لأن ظروف هذه المرحلة تستلزم مثل هذا الاتحاد، فإذا كان العهد المكي يمثل عهد الداعية، فإن المرحلة المدنية ستكون دعوة وقيادة للمجتمع الإسلامي، وسيكون الشغل الشاغل للنبي ﷺ إقرار السلام في المدينة، وتخليصها من خصوماتها الداخلية؛ لتنظيم دفاع فعال ضد الأعداء في الخارج، ثم سيحمل النبي القائد السلاح؛ لأنه يعلم أن مكة لن تلقيه، فكان عليه أن يختار بين أن يحطمها، أو يتحطم"^(١)

ثانياً: أما حول ما ادعاه من قلة مخاطبة القرآن بالعقائد والتعاليم الأخلاقية بعد الهجرة، فلأن "القرآن اعتنى بتربية المؤمنين تربية إيمانية، وتثبيت العقيدة في نفوسهم، وتطهيرها من أدران الجاهلية وعاداتها، فلما تم ذلك في المرحلة المكية، وانتقل المسلمون إلى عهد جديد كانوا أحوج ما يكونوا فيه إلى ما ينظم شؤون حياتهم - نزل الوحي بالأحكام التفصيلية التي تكفل لهم ذلك بعد تكون دولتهم، ونشأة مجتمعهم الفتي"^(٢)

وأما دعواه أن النداء بـ "يا أيها الذين آمنوا" كان أكثر من النداء بـ "يا أيها الناس" فلأن طبيعة المرحلة أيضاً تستلزم ذلك، فالنداء بـ "يا أيها الذين آمنوا" وقع خطاباً لأهل المدينة الذين آمنوا وهاجروا تمييزاً لهم عن أهل مكة، وأما "يا أيها الناس" فهي لأهل مكة، وحكمة ذلك أنه يأتي بعد "يا أيها الناس" الأمر بأصل الإيمان، ويأتي بعد "يا أيها الذين آمنوا" الأمر بتفاصيل الشريعة^(٣)

وأما ما قاله حول النداء بـ "يا أيها اليهود" و "يا أيها المنافقون"، فإن القرآن لم يستخدم هذين الأسلوبين، وإنما كان التعبير بـ "قل يا أيها الذين هادوا"، وأما المنافقون فلم يستخدم معهم القرآن أسلوب النداء لا في (الأسلوب) الذي زعمه، ولا في غيره.

ثالثاً: وأما زعمه أن الوحي بعد الهجرة صار يتحدث عن المشركين بشيء من اللطف، فهذا كلام من لم يراجع القرآن، ولم يتدبر سوره المدنية، فصحيح أن القرآن المدني لم يتوسع في الحديث عن الكفار كما كان الأمر في القرآن المكي، وذلك؛ لأن السور المكية أبطلت عقائدهم، ورتت على شبهاتهم حول التوحيد والنبوة، والوحي والبعث والرسالة.

^١ - بن نبي، مالك، الظاهرة القرآنية، مرجع سابق، ص ١٣٤ بتصرف.

^٢ - انظر، عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٧٦ - ٣٧٧

^٣ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ بتصرف قليل.

وفي العديد من السور المدنية حديث عن الكفار بأسلوب ليس فيه ملاطفة لهم كما ادعى،
 ففي البقرة " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ
 وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" وفي آل عمران " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا
 أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
 وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْجَانٌ وَخِزْيَانٌ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسُومُونَ الْمِهَادَ، وأما التوبة ففيها الشدة عليهم
 "وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ
 تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ"، وفيها "إِنَّمَا التَّسْبِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ
 الَّذِينَ كَفَرُوا"، وفي سورة المائدة حديث عن مفسدهم حتى في الأنعام "مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ
 وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ".

رابعاً: وأما ادعاؤه بأن النبي ﷺ كان يهاجم المنافقين واليهود ويوبخهم؛ فهذا زعم من لم يفهم منهج
 القرآن، إذ هو المنهج الذي لا يعرف المحاباة في الحق، فكان الوحي ينزل ببيان ما فيه كشف
 لحقيقة اليهود والمنافقين، وفساد ما هم عليه في عقيدتهم وأخلاقهم تحذيراً للمسلمين من شرورهم
 ومكرهم.

فأما المنافقون فقد خذلوا المسلمين يوم أحد، وفي الخندق قالوا: "إن بيوتنا عورة"، فكذبهم
 الوحي: "وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً"، وفي تبوك رضوا بأن يكونوا مع الخولاف، بل إن
 المنافقين قبلوا أن يكونوا مع إخوانهم من أهل الكتاب (اليهود) يقولون لهم: "لئن أخرجتم لنخرجن
 معكم ولا نطبع فيكم أحداً أبداً ولئن قوتلتكم لنصرنكم".

لقد صلى النبي (١) ﷺ على عبدالله بن أبي بن سلول - وهو الذي كان رأس النفاق-، ثم نزل
 الوحي بعد ذلك ينهيه أن يصلي على أحد من المنافقين بعد ذلك، فهل يجوز بعد ذلك الزعم بأن النبي
 ﷺ كان على خصومة شخصية مع ابن سلول.

قال الله تعالى: " وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ
 فَاسِقُونَ" وقال: " استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كَفَرُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"

^١ -أخرجه البخاري، في كتاب الجنائز، باب الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف...، حديث رقم ١٢١٠.

وأما اليهود فهم الذين خانوا العهد، وأرادوا الغدر برسول الله ﷺ، ونقضوا الميثاق يوم الخندق حتى بلغت القلوب الحناجر.

ثم هم الذين قالوا: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ " ، وهم كذلك الذين زعموا " إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ " ، وافترخوا كذباً " وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ " .

ثم كيف يدعي نولده بعد ذلك أن اليهود كانوا موضع رجاء محمد (ﷺ)؛ لأنهم كانوا يعرفون الوحي، لكنهم لم يقبلوا أن يتخلوا عن آرائهم القديمة^(١)

فليات - لو استطاع- بمثال واحد يذكر فيه أن النبي ﷺ سأل اليهود عن أمر من أمور الرسالة مستفهماً؟

أما اليهود فإن الروايات عديدة في الأسئلة التي كانوا يسألون بها رسول الله ﷺ ، فقد سأله عن الروح، وسأل عبدالله بن سلام ﷺ النبي ﷺ بعد مقدمه المدينة عن أول أشراف الساعة، وأول طعام يأكله أهل الجنة، وعن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه أو أمه، فلما أجابه رسول الله، قال: أشهد إنك رسول الله^(٢)

ثم ألم يحتكم اليهود إلى النبي ﷺ في أمر من زنا منهم، فأمر بهما فرجما^(٣)، ثم ألم يكن النبي ﷺ هو الأمر بمخالفتهم، فكيف يدعي بعد ذلك أنه كان يرى فيهم مرجعاً في الوحي.

بقي أمر متعلق بالقرآن وهو (الإعجاز) إذ يدعي نولده: أولاً: لم يتحد محمد (ﷺ) خصومه بأن يأتوا بما يضاهي القرآن من ناحية شعرية أو خطابية، بل بما يضاهيه من حيث الجوهر.

وهنا يرد على نولده أن الذي تحداهم هو الله تعالى بعد أن أنكروا أن يكون القرآن هو كلامه، وأنه وحي أوحاه إلى رسوله.

ثم إن نولده لم يتطرق لآيات التحدي لا من قريب ولا من بعيد، وأغلب الظن أنه لم يفهم المقصود منها، ففيها ورد التحدي بالقرآن كله ثم بعشر سور، ثم بسورة واحدة.

١ - نولده، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ١٥٢

٢ - أخرجه البخاري، في كتاب التفسير، سورة البقرة، حديث رقم ٤٢١٠

٣ - أخرجه البخاري، في كتاب الجنائز، باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد، حديث رقم ١٢٦٤

فالذي تحداهم الله تعالى به هو أن يأتوا بكلام يماثله في حسن البيان والنظم، وليس في سداد معانيه، وإن كان مفترى من عند أنفسهم، فهم عرب فصحاء مثل رسول الله لا يعجزون -لو كان القرآن منه كما زعموا- أن يأتوا بمثل ما قدر عليه^(١)

ثانياً: زعم أن أقوال مسيلمة فيها الكثير من الأصالة في التعبير لا سيما في المقارنات إلى درجة أن ما يزعم له من مضاهاة القرآن لا يبدو أمراً مستبعداً، وأنه لولا نجاح الإسلام لكان لهذه الأقوال شأن آخر.

لقد كان من الأولى أن يطلع نولدكه على أصول المعارضات في الكلام عند العرب، فالأصل بمن أراد أن يعارض آخر في خطبة أو شعر أن ينشئ له كلاماً جديداً، ويُحدث له معنىً بدعيّاً، فيجاريه في لفظه، ويباريه في معناه، وليس بأن يتحين من أطراف كلام خصمه، فينسف منه، ثم يبدل كلمة مكان كلمة، فيصل بعضه ببعض وصل ترقيع وتلفيق، ثم يزعم أنه قد وافقه موقف المعارضين^(٢)

وقد جاء الخطابى على المزعوم من معارضات مسيلمة كـ " الفيل ما الفيل " و" ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى " وغيرها مما حاكى فيها مسيلمة أسلوب القرآن فنقضها، وأبان عورها، وتهافت أسلوبها أمام الأسلوب القرآني^(٣)

وأما ادعاؤه بأن الإسلام لما قويت شوكته حال بين هذه المعارضات ونجاحها، فهذا ادعاء ساقط أيضاً، فإن أمثال هذه الأمور لو حصلت لكان مما لا يخفى أمرها، ولتأقطنها الأخبار، ولتحدث الناس بها^(٤)

ثم إن أولئك الذين ادعوا النبوة ونزول الوحي عليهم أمثال مسيلمة الكذاب وطلحة بن خويلد والأسود العنسي لم يتورعوا عن ادعاء ذلك لمن استخفوا بعقولهم، فقد روي أن عمرو بن العاص رضي الله عنه مرّ على مسيلمة الكذاب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه الأمان، وصدف أن جاءه

١ - ينظر، الكشاف، ج ٢، ص ٣٦٣، والتحرير والتنوير، ج ١٢، ص ٢٠

٢ - الخطابى، (البيان في إعجاز القرآن) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص ٥٧

٣ - المصدر السابق، ص ٦٦ وما بعدها.

٤ - المصدر السابق، ص ٥٥، باختصار.

مختصمون، وعمرو عنده، فقال عمرو: فتسجى مسيلمة بقطيفة، ثم كشف رأسه، فقال: والليل الأدهم والذئب الأسحم..، ثم قضى بقضائه بين المتخاصمين، قال عمرو: والله إنك لتعلم، وإنا لنعلم أنك من الكاذبين^(١)

وبذلك يظهر بطلان ما ادعاه نولكه لأقوال مسيلمة، وما زعمه من أن الإسلام هو الذي حال بينها وبين الظهور، وصدق الله تعالى إذ يقول: "فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ" (الرعد: ١٧)

^١ - ابن عساکر، علی بن الحسن (٥٧١هـ)، تاریخ دمشق، تحقیق عمر بن غرامة، دار الفكر، بیروت، ١٩٩٥، ج٤٦، ص١٥٤

المبحث الثالث

نقد دراسة نولدكه التطبيقية لسور القرآن

المطلب الأول

نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المكية الأولى

بعد نقد نولدكه على ما ادعاه من شبهات ومطاعن على أسلوب الوحي في المرحلتين المكية والمدنية، يحسن الرد عليه في الشبهات التي أثارها على السور القرآنية؛ ذلك أن نولدكه كان يتبع (الخصائص) - أي الشبهات - التي يوردها على سور كل فترة بدراسة هذه السور دراسة تحليلية.

وعدد السور التي قام نولدكه بدراستها بشكل تحليلي في الفترة المكية الأولى هي ٤٨ سورة، وبدأ بسورة العلق، وانتهى بسورة الفاتحة.

وفيما يأتي الرد عليه في الشبهات التي أثارها على هذه السور حسب الترتيب الذي رتبها، والبداية في الرد عليه في سورة العلق:
سورة العلق: يقول نولدكه:

"لا يمكن القطع بأن أول ما نزل من القرآن هي سورة العلق حتى لو نسب لهذه الآيات أهمية أساسية في قصة الوحي، بسبب حثها الشديد على القراءة، وليس في النص ما يدعم التقديم التاريخي، فربما قيلت هذه الكلمات في أي وقت، وليس في بداية الوحي للأسباب التالية:
١- الأسلوب الكثيف والإيقاع القصير الأجزاء.

٢- الجزء الثاني من السورة موجه إلى عدو للإيمان بمنع عبد مؤمن عن صلاة الجماعة المسلمة الفتنية.

٣- ليس هناك ترابط بين الآية الخامسة والآية السادسة.

تُرد ما روته عائشة في بدء نزول الوحي بأن سورة العلق هي أقدم السور تنزلاً؛ لأنه لا يوثق بها كثيراً، فهي كانت صغيرة وقت ذلك، ولم يروها الرسول (ﷺ) ذلك إلا بعد زمن طويل، وما روته بنزول بالوحي بقطة في غار حراء؛ للرواية في بعض كتب السيرة بأن هذا الوحي كان مناماً وحلماً^(١).

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٧٥

الرد:

على الرغم من اختلاف العلماء في أول ما نزل من القرآن، إلا أن الصحيح والراجح عند جمهور العلماء أن أول ما نزل به الوحي من القرآن هو "اقرأ باسم ربك الذي خلق" (العلق: ١)^(١)، لما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، ثم حدثت بمجيء جبريل له في غار حراء وطلبه منه أن يقرأ، وبعد الثالثة، قرأ عليه "اقرأ باسم ربك الذي خلق" حتى بلغ "ما لم يعلم" فرجع بها رسول الله ترجف بوادره^(٢)

وأما زعم تولدكه بأن أسلوب السورة وإيقاعها يردان أن تكون أول ما نزل، فمن المقرر أن أكثر سور الوحي المكّي وآياته جاءت قصيرة، وشبيهة بأسلوب سورة العلق، فلو قيل: إن أول ما نزل من الوحي هو سورة كذا، فإن تولدكه سيحتج بالكلام عينه، فالأمر لا يعدو إذاً أن يكون تعنتاً لا أكثر، إذ الأصل في تحديد أول ما نزل أو زمن نزول السورة أو الآيات هو الرواية والنقل الصحيح. وأما زعمه بأن الآيات بعد "ما لم يعلم" موجهة ضد عدو للإيمان، فإن العلماء لم يقولوا: إن أول ما نزل به الوحي هو سورة العلق، وإنما حددوا ذلك بالآيات الخمس الأولى، وهذا ما تدل عليه رواية السيدة عائشة بشكل بيّن.

ثم إن سورة العلق لم تنزل دفعة واحدة، فالآيات الخمس الأولى هي أول ما نزل به الوحي، وأسباب النزول تدل على أن ما نزل به الوحي بعد الآيات الخمس قد نزل بعد الجهر بالدعوة^(٣) وأما دعوى تولدكه بأن لا يوجد مناسبة بين القسم الأول من السورة ١-٥، والآيات التي تلتها، فهذا زعم من لم يدرك دقائق علم المناسبات بين الآيات والسور.

"بداية السورة من قوله تعالى اشتملت على ما امتن الله تعالى به على الإنسان من نعمة الخلق والتعليم، فلما قال: (كلا) كان ردعاً للإنسان الذي قابل تلك النعم الجلائل بالكفران والطغيان"^(٤)

١ - انظر، السيوطي، الإتحاف في علوم القرآن، ج ١، ص ١٠٥

٢ - أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب ٣، حديث رقم ٣

٣ - أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي فجاءه أبو جهل فنهاه، فأنزل الله "أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى" إلى قوله: "كائبة خاطئة"، لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ص ٢٤٠، وقال المحقق: صحيح، وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلي فجاء أبو جهل فقال: ألم أنك عن هذا؟ فزجره النبي ﷺ، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني فأنزل الله "فليدع ناديه، سندع الزبانية"، (كتاب التفسير، باب ومن سورة اقرأ باسم ربك، حديث رقم ٣٢٧٢، وقال عنه: هذا حديث حسن غريب صحيح.

٤ - الألويسي، روح المعاني، ج ٢٣، ص ٤٣، بتصريف قليل.

وأما ادعاؤه بأن رواية السيدة عائشة رضي الله عنها لا يوثق بها؛ لأنها كانت صغيرة يومئذ، فهذا من جهل نولدكه بمصطلح مرسل الصحابي في علم الحديث

سورة المدثر^(١): يقول نولدكه: "انتهاء الحالة المليئة بالخوف في فترة الوحي نقله حديث مشهور رواه أبو سلمة عن جابر بن عبد الله"

وربط السورة التي تبدأ بـ "يا أيها المدثر" بهذا الحديث نشأ على الأرجح بسبب كلمة نثروني، لكن محمداً (ﷺ) تم تذييره دوماً بالثياب حين كانت النوبات تغشاه، ولا ترجع هذه العادة إلى سبب صحي، بل إلى خوف خرافي".

كلمات السورة تبدي أنها نزلت في أوائل البعثة، وهذا يصح بالنسبة، إذ إن الآيات اللاحقة التي ترد على خصم بارز للآيات من ٧-١ أو ١٠-١ فقط هي أحدث منها عهداً حتى لو كانت قديمة.

أدخل إلى هذا القسم مقطع خاص يعود إلى فترة لاحقة وهو الآيات ٣١-٣٤، وهذه الإضافة مدنية، وربما قام النبي (ﷺ) بها نفسه.

الآيات ٣٨ وما بعدها نشأت لاحقاً، لكن في الفترة الأولى، وللدلالة على أنها متعلقة بما سبقها يمكن الإشارة إلى كلمة "سقر" في الآية ٤٢ التي ترد أيضاً في الجزء الأول من هذه السورة مرتين، ولا ترد سوى ذلك إلا مرة واحدة في القرآن كله، ولعل كلمة (سقر) تسربت سهواً إلى الآية ٤٢ من الموضعين المذكورين الأنفين، وهي تحل محل كلمة "جحيم" الأقدم عهداً حيث النظم يتطلب فاصلة تنتهي بياء ميم.

الرد:

أولاً: لم تنزل هذه السورة في حالة الخوف عند الرسول ﷺ، فقد ثبت بطلان ما ادعاه نولدكه ومن سار في فلكه في شبهة الوحي النفسي، وهو ما تم شرحه والرد عليه سابقاً.

ثانياً: لم يكن تغطية رسول الله الحاصلة بالقصة بسبب خوف خرافي كما ادعى، وإنما بسبب الرعب الذي حصل له لما رأى جبريل عليه السلام^(٢)

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٧٨

٢ - ابن حجر، فتح الباري، ج ١، ص ٣٠

ثالثاً: تغطية النبي ﷺ وجهه لم يكن بسبب النوبات الصرعية التي ادعاها، فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يستر وجهه عندما ينزل عليه الوحي^(١)، ولكنه يكون في كامل وعيه فيعي ويحفظ ما ينزل عليه، ثم يبلغه لأصحابه وهو في كامل وعيه، دون أن تحصل عليه أي آثار لمرض عصبي أو غيره.

وكلام نولكده حجة عليه لما قال: (فيغطي وجهه) فالأحوال التي كانت تنتاب النبي ﷺ عند نزول الوحي إنما كانت تحصل لوجهه فقط، بينما يتمتع باقي جسمه بكل صحته بعكس الذي نصيبه التشنجات العصبية، فإن آثارها تشل الجسد كله، وتفقد صاحبها الوعي.

رابعاً: الآيات من ٧-١ نزلت بعد العلق لما دلت عليه الرواية، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: 'بيننا أنا أمشي، إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاعني بحراء جالس بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني، فأنزل الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ - إلى قوله- وَالرُّجْزَ فَاهْبِطْ"^(٢)، وأما التي بعدها فهي في مرحلة الجهر بالدعوة إذ هي نازلة في شأن الوليد بن المغيرة^(٣)

خامساً: وأما الآيات من ٣١-٣٤ فإن ذكر المنافقين وأهل الكتاب يغلب في السور المدنية، ولكن هذا لا يعني أن وروده في السور المكية دلالة على مدنيته^(٤)

سادساً: تكررت كلمة سقر في القرآن أربع مرات، منها ثلاث مرات في هذه السورة، حيث جاءت اثنتان منها في آيتين متتاليتين هما ٢٦ و ٢٧، والثالثة في الآية ٢٧، بعد المرة الأولى "سأصليه سقر"، وفي الثانية كان التهويل بأسلوب "وما أدراك ما سقر"، فكان في ذكرها مرة أخرى للتأكيد، فادعاؤه أنها تسربت محل (جحيم) التي ترد في السور الأقدم عهداً باطل؛ لأن (جحيم) لا ترد في

١ - أخرج البخاري، في كتاب الحج، باب يفعل في العمرة ما يفعل بالحج، حديث رقم ١٦٦٤، عن بعل بن أمية عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ وهو بالجعرانة وعليه جبة وعليه أثر الخلق أو قال صفة فقال: كيف تأمرني أن أصنع في عمرتي؟ فأنزل الله على النبي ﷺ، فسفر بثوب ووددت أني قد رأيت النبي ﷺ وقد أنزل عليه الوحي فقال عمر: تعال أيسرك أن تنظر إلى النبي وقد أنزل الله عليه الوحي قلت: نعم فرفع طرف الثوب فنظرت إليه له غطيط وأحسبه قال: كخطيط البكر فلما سري عنه، قال: أين السائل عن العمرة اخلع عنك الجبة، واغسل أثر الخلق عنك، وأنق الصفرة، واصنع في عمرك كما تصنع في حجك.

٢ - أخرجه البخاري، في كتاب بدء الوحي، باب ٣، حديث رقم ٤

٣ - أخرج ذلك الحاكم في مستدركه، في كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر، حديث رقم ٣٨٣١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه.

٤ - تم الرد عليه بخصوص ذلك في نقد منهجه الزماني في ترتيب السور والآيات على فترات الوحي

السور التي نزلت مبكرة إلا في المزمّل في قوله تعالى: "إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا" والمدثر متقدمة في النزول على المزمّل.

سورة المسد: يقول نولدكه: "لم يكن أبولهب يرد بـ * تَبَا لَكَ أَلْهَذَا جَمَعْتَنَا سَوْءًا، وَلَكِنْ مُحَمَّدًا (ﷺ) قَذَفَ أَبَا لَهَبٍ وَكُلَّ أَهْلِ بَيْتِهِ بِكَلِمَاتِ سُورَةِ الْمَسَدِ بَلْعَنَةً عَظِيمَةً جَاهِلًا مِنْهُ أَلَدُ أَعْدَائِهِ"^(١)، والرأي المألوف الذي يعتبر أن أبا لهب يُلْعَن بهذه الكلمات هو غير صحيح، فهنا صيحة إنسان غاضب دعي إلى أمر عظيم فلم يجد إلا سخافات، وليس في هذه العبارة معنى سيئ، و الروايات الواردة حول إيذاء أبي لهب وزوجته للنبي محمد (ﷺ) لا يجوز الوثوق بها^(٢).

الرد:

لو أراد أبولهب المزاح كما يقول نولدكه فلماذا لم يفصح عن هذا بعد نزول الوحي بسورة المسد؟، ثم إن هذه السورة دليل واضح على صدق النبوة، وإعجاز القرآن الكريم، فقد أخبر الله تعالى أن أبا لهب وزوجته سيصليان النار، فبقيا على الكفر إلى أن ماتا، حيث لم يقبض الله تعالى لهما الإيمان، أو لأحد منهما، فماتا على الكفر كما أخبرت السورة، فكان خبرها عنهما آية على إعجاز هذا الكتاب، وصدق ما أخبر عنه الوحي القرآني^(٣)

والعرب تستخدم (تَبَا) في الخسران والهلاك، فيقال: تَبَا لِفُلَانٍ: أي ألزمه الله خسراناً وهلاكاً^(٤)، وقد استخدم القرآن ما يدل على معنى (تَبَا) في مرتين أيضاً، مرة في قوله تعالى: "وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ" (غافر: ٣٧)، وأخرى في قوله تعالى: "وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبَابٍ" (هود: ١٠١)، وفي المرتين فإن مراد السياق واضح في أن المراد بأصل الكلمتين (تَبَاب، وتَتْبَاب) هو الخسران والهلاك.

وأما حول الروايات الواردة في إيذاء أبي لهب وزوجته للنبي عليه الصلاة والسلام فقد جاء في تفسير "تب" في كتاب التفسير عند الإمام البخاري رحمه الله تعالى، تباب خسران، تتببب تكثير^(٥)

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٠

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٨١، وهامش رقم (٢٧١)

٣ - انظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج ٤، ص ٥٧٠

٤ - ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢٦

٥ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، تفسير "سورة تبت يدا أبي لهب وتب"، حديث رقم ٤٩٧١

وفي كتاب ابن اسحق الذي يعده نولده أفضل كتب السيرة التي وصلت حيث جعل عنواناً
حول إيذاء أبي لهب للنبي ﷺ^(١)

سورة قريش: يقول نولده: تحث القرشيين على شكر رب الكعبة؛ لاستطاعته أن يرسلوا سنوياً
قافلتين تجاريتين، وجو الرضى في السورة يدل على أنها نشأت قبل بدء النزاع مع القبيلة^(٢)

الرد: سياق الآيات فيه تذكير لقريش بما امتن الله تعالى عليها من نعمتي الأمن والرزق؛
ليستحيوا مما هم فيه من عبادة غير الله معه، ولعل في ترتيبها في المصحف بعد سورة الفيل ما يدل
على أنها كانت في مرحلة الجهر بالدعوة، فإذا كانت الفيل قد أنذرتهم بما حصل في قصة أصحاب
الفيل، فهذه جاءت تذكرهم بنعمة الله عليهم وهم بجوار بيت الله الحرام^(٣)، فليس الأمر إذن كما
ادعى نولده أنها كانت قبل النزاع مع قريش، إذ أن قريشاً عادت النبي ﷺ والقرآن بعد أن عرفت
بشأن الدعوة بعد الجهر بها.

سورة الكوثر: يقول نولده: "من أقدم السور التي تهدف إلى مناهضة أحد الخصوم سواء أكان على
الأغلب العاص بن وائل أو غيره، والرأي القائل بأنها مدنية رأي لا يستحق أي تفنيد جدي، وكما في
السور التي تبدأ بكلمة "إنا" وهي الفتح، ونوح، والقدر) فلعل مطلع هذه السورة قد ضاع أيضاً^(٤)

الرد: بالنسبة إلى الأمر الأول فإن ما ورد في صحيح مسلم يدل على أن السورة مدنية، وليست مكية
من أقدم السور كما زعم، فقد أخرج مسلم عن أنس ؓ أن النبي ﷺ أغفى إغفاءة، فرفع رأسه
مبتسماً، فقال: إنه أنزل عليّ أنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم "إِنَّا أُعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ
وَاحْزَنْ إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ"^(٥)، وقد رجح الإمامان النووي والسيوطي مدنيتهما في ضوء هذا الحديث^(٦).

١ - انظر، سيرة ابن اسحق، (المبتدأ والمبعث والمغازي)، ص ١٥٤ وما بعدها.

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٨٢

٣ - قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٩٨٣، مرجع سابق، بتصريف في العبارة.

٤ - نولده، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٢-٨٣

٥ - أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسمة آية في كل سورة سوى براءة، حديث رقم ٩٢١

٦ - انظر، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦، ص ٨٦، والإتقان في علوم القرآن ج ١، ص ٥٦

ثم إن سياق الآيات يدل على ترجيح الرأي أنها مدنية أكثر من القول بمكيتها للأمر
الآتية: (١)

أولاً: لو كان المراد بالأبتر الذي لا عقب له، فالنبي ﷺ كان في الأربعينات من عمره، وقد يولد
للإنسان وهو في مثل هذا العمر أو الخمسينات أو الستينات.

ثانياً: تفسير الأبتر بالذي لا عقب له أيضاً في " إن شانك هو الأبتر" يؤدي إلى معاني مغلوطة، فلو
كان النازل من الوحي يريد توبيخ العاص بن وائل أو أبي جهل أو عقبة بن أبي معيط فهؤلاء كلهم
كان من عقبهم من دخل في الإسلام مثل عمرو بن العاص وابنه عبدالله، وعكرمة بن أبي جهل،
وابنة عقبة بن أبي معيط رضي الله عنهم .

ثالثاً: تفسير الأبتر بالذي لا خير فيه هو الذي يتفق مع السياق والمنطق، وليس كذلك التفسير الأول
المراد به (الذي لا عقب له).

فراجع في السورة أنها مدنية لظاهر حديث أنس ؓ في صحيح مسلم، ثم للقرائن السابقة
التي تؤكد هذا، وبذلك يبطل قول نولدكه أن سورة الكوثر من أقدم السور التي نزل بها الوحي
مهاجماً خصوم النبي محمد (ﷺ) رداً على إهانات وجهوها إليه.

وأما ادعاؤه بأن مطلع السورة ضائع؛ لبدايتها بـ (إنا) شأنها في ذلك شأن باقي السور التي
بدأت بهذا الأسلوب، فهذا يرد عليه بالآتي:

أولاً: نبه الإمام عبدالقاهر الجرجاني على خصائص (إن) فنذكر أن من أخص خصائص هذا
الحرف أنه يدل على التأكيد، فيقول: ثم إن الأصل الذي ينبغي عليه البناء هو الذي دون في
الكتب من أنها للتأكيد. وإنما يحتاج إليها إذا كان للمخاطب ظن في الخلاف، وعقد قلب على نفي
ما تثبت أو بإثبات ما تنفي، ولذلك تراها تزداد حسناً إذا كان الخبر بأمر يبعد مثله في الظن،
ولشيء قد جرت عادة الناس بخلافه^(٢)

ثانياً: وزعمه أيضاً حول بدايتها يرد عليه من أساليب العرب في كلامهم، ففي الشعر العربي ما
يؤكد أن العرب قد تبدأ كلامها بـ(إنا)، ولم يقل أحد من النقاد بأن مطلع هذا الشعر ضائع.

١ - ينظر في ذلك، إتقان البرهان في علوم القرآن في علوم القرآن، ج ١، ص ٤٠٢ وما بعدها.

٢ - الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط ٣، مطبعة المدني، جدة، ١٩٩٢، ص ٣٢٥

يقول النابغة الذبياني:

إنّا أناس للاحقون بأرضنا فالحق بأرضك خارج بن سنان
لا أعرفن شيخاً يجرب برجله بين الكئيب وأبرق الجنان^(١)
ويقول كذلك: إنّا نقدم للغمار ثلاثة هَرِمًا وَعَوَاقًا عَمَّه وسنانا^(٢)
ومما يؤكد أنه أسلوب للعرب في كلامها ابتدائها بـ (إنّ) في القول ومن ذلك قول الأعشى:
إنّ محلاً وإنّ مرتحلاً وإنّ في السفر إذ مضى مهلاً
استأثر الله بالوفاء وبالعدّ دل وولى الملامة الرجل^(٣)
وكذلك قول عمرو بن كلثوم:
إنّ الله علينا نعماً ولا يديننا على الناس نعم^(٤)
وقول امرئ القيس: إنّي امرؤ من خيرة كنب سدة لست من أشرارها^(٥)

سورة الهمزة: يقول نولدكه: اعتبرها البعض مدنية^(٦)، وفيها يتعرض أثرياء متكبرون للهجوم^(٧).

الرد: السورة بدأت بـ "يَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٌ"، وقد اختلفت الآراء في المراد بذلك، هل هو عام أم مقصود به أحد أو فئة ما من المشركين، فالطبري بعد عرض الأقوال قال: والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله عمّ بالقول كلّ همزة لمزة، كلّ من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها، سبيله سبيله كائناً من كان من الناس^(٨)

ومقصد السورة وغرضها الرئيس قائم على التهديد والترهيب للمعاندين، كما يظهر من أسلوب (ويل)، وليس كما ادعى نولدكه أن فيها تهجماً بصورة شخصية على أثرياء متكبرين، بل المراد تهديدهم لردهم للحق والهدى، والترهيب هو أحد وسائل التربية، ولذلك فإن وعيد السورة إنما

١ - ديوان النابغة الذبياني، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٩٨.

٢ - المصدر السابق ص ٢٠٩.

٣ - ديوان الأعشى: شرحه يوسف فرحات، دار الجيل، د.ط، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٢٥٤، ودار صادر ص ١٧٠، وخزانة الأدب ج ١٠، ص ٤٥٢.

٤ - ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق أميل يعقوب، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٩٩١، ص ٦٠.

٥ - ديوان امرؤ القيس، حققه حنا فاخوري، دار الجيل، د.ط، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٢٧٦.

٦ - السورة معدودة في السور المكية، انظر الإتيان للسيوطي ج ١، ص ٥٦، بأسلوب السورة وسياق موضوعاتها يدل على ذلك.

٧ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٣.

٨ - الطبري، جامع البيان، ج ٢٤، ص ٥٩٥ ما بعدها.

هو متوجه "جماعة من المشركين جعلوا همز المسلمين ولمزهم ضرباً من ضروب أذاهم طمعاً في أن يلجئهم الملل من أصناف الذي إلى الانصراف عن الإسلام والرجوع إلى الشرك"^(١)

سورة الماعون: يقول نولده: "تنطق بالويل تجاه من يتم واجباته الدينية، ويبقى قاسياً تجاه الفقراء، وبالنظر إلى أن هذه الكلمات تنطبق إلى حد ما على المنافقين في المدينة يعتبر بعض المفسرين السورة كلها أو فقط الآيات ٤-٧ من الأجزاء مدنية"^(٢).

الرد: سياق الآيات متعلق بحال المكذبين بالجزاء، وما أورثهم التكبذب من سوء الصنيع، وما تفرع عليه من دغ اليتيم، وعدم الحض على طعام المسكين، وما جاء بعد ذلك من قوله تعالى "فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ.." متعلق بحال أولئك المكذبين للجزاء، كأنه قيل: فويل له على سهوه عن الصلاة، وعلى الرياء، وعلى منع الماعون..."^(٣)، فالسياق ونظم الآيات الكريمة غير متعلق بما ذهب إليه نولده، بل هو في التحذير من صفة التكبذب بالبعث والجزاء؛ لما يترتب عليه من خصال ذميمة سواء أكانت في علاقة العبد مع خالقه أم في علاقة المخلوق مع الآخرين.

والزمخشري الذي نسب إليه نولده القول بمدنية بعض آياتها ذكر القول الأول أنها مكية، ثم قال: وقيل: مدنية^(٤)

سورة التكاثر: يقول نولده: تتناول بحسب أحد الآراء يهود المدينة^(٥)

الرد: ذكر هذا الواحدي في أسباب النزول عن قتادة قال: نزلت في اليهود^(٦)، وأغفل نولده متعمداً ذكر الواحدي للرأي الأول في أنها نزلت في حنين من قريش من بني عبد مناف وبني سهم.

١ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٥٣٥-٥٣٦، بتصرف قليل.

٢ - نولده، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٣

٣ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٥٦٤ وما بعدها.

٤ - انظر، الزمخشري، الكشاف ج ٤، ص ٨٠٨

٥ - نولده، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٣

٦ - الواحدي، علي بن أحمد (٤٦٨هـ-)، أسباب نزول القرآن، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨، ص ٣٠٥

قال ابن عطية عن السورة: مكية عند الجمهور، لا أعلم فيها خلافاً^(١)، وفي الإتقان أن الأشهر أنها مكية، وذكر في مدنيتهما^(٢) حديث أبي بن كعب: كنا نرى - يقصد حديث " لو كان لابن آدم واديان من مال.."^(٣) أن هذا من القرآن حتى نزلت ألهاكم التكاثر.

وقال ابن عاشور: وليس في كلام أبي دليل ناهض لاحتمال أنه أراد بـ (نحن) المسلمين أي كان من سبق منهم يعد ذلك من القرآن حتى نزلت سورة التكاثر وبين لهم النبي ﷺ أن ما كانوا يقولونه أنه ليس بقرآن^(٤)

سورة الفيل: يقول نولدكه: أول سورة يبين فيها للخصوم بحسب مثل من تاريخ مكة كيف أن الله عاقب أمثال مشركي مكة، والسورة لها علاقة بزحف الجيش الحبشي إلى حرم مكة، وقد قضى وباء الجدري على الجنود^(٥)

الرد: لعل تأويله السورة بالجدري راجع إلى تأويله للمراد من "طيراً أبابيل" فأبابل هي الجماعات، والقرآن خاطب العرب بما يفهمونه، ولو غاب معنى هذا التركيب عن أفهام القرشيين لقالوا: إن محمداً ﷺ يخاطبنا بما لا نفهمه.

قال الطبري: "وأرسل عليهم ربك طيراً متفرقة، يتبع بعضها بعضاً من نواح شتى، وهي جماع لا واحد لها"^(٦)

ولعل الإمام محمد عبده قد تأثر بنولدكه في تفسير (أبابل) بمرض الجدري حيث نجد هذا الرأي عنده، فيقول في تفسير (طيراً أبابيل) "وقد بينت هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة قد نشأت من حجارة يابسة سقطت من السماء على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح، فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله

١ - المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٥١٨

٢ - الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٥٥

٣ - أخرجه البخاري في كتاب الرقائق، باب ما يتقى من فتنة المال، حديث رقم ٦٠٧٢

٤ - التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٥١٧

٥ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٤، وهامش رقم (٢٨٧)

٦ - الطبري، جامع البيان، ج ٢٤، ص ٦٠٥، وانظر أنوار التنزيل للبيضاوي "أبابل جماعات جمع إبالة وهي الحزمة الكبيرة، شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها، ج ٢، ص ٦٢٣.

الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه فاثار فيه القروح التي تنتهي بإفساد الجسم، وتساقت لحمه^(١)

ومثل هذا التفسير مخالفة لما يدل عليه السياق، ولما تقرر في اللغة، فالأصل أن يحمل الكلام على ظاهره، وما تعارفت عليه العرب في لسانها إلا أن يصرف عن ذلك صارف ظاهر.

سورة البلد: يقول نولده: "نشأت في وقت متأخر نسبياً، أما الرأي غير الشائع القائل إنها مدنية فقد تبين عدم صحته، ولا يقل عن ذلك خطأ من يعتبر الآيات الأربع الأولى أو الآيتين الأوليين فقط اللتين يتضمنان بحسب هذا الرأي وصف مكة، مكية، وجملة "وما أدراك ما العقبة" تدل على أن الآية ١٢ وما حولها مكية^(٢).

الرد: قال ابن عطية: هي مكية في قول جمهور المفسرين، وقال قوم هي مدنية^(٣) وهي مكية عند الزمخشري وقال: إن السورة بالاتفاق مكية^(٤)، وكذلك قال القرطبي عنها^(٥)

لقد كان من الأولى أن يستدل نولده بافتتاحية السورة "لا أقسم" على أن السورة مكية، ثم بأسلوبها وقصر آياتها بدلاً من أن يقصر الاستدلال بآية "وما أدراك ما العقبة" على مكية الآية ١٢.

ثم يقول نولده بعد دراسته للسور السابقة: السور التالية ذات مضمون مختلط، لكنها تتفق فيما بينها على أن غرضها الأساسي ليس محاربة الخصوم، بل وصف الآخرة^(٦).

من هذه السور سور الشرح والقدر والشمس وغيرها من السور التي لا تعلق لآياتها بالحديث عن الآخرة، وأما سورة عبس فنجد حديثاً في خاتمتها، في حين أن السور تشترك فيما بينها بالحديث عن العديد من دلائل القدرة الربانية الدالة على التوحيد.

١ - عبده، محمد، تفسير جزء عم، مرجع سابق، ص ١٦٢

٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٤، وهامش رقم (٢٨٩)، وانظر الإتيان للسيوطي، ج ١، ص ٥٤، وفي موضع آخر قال السيوطي عن السورة: "وقيل مدنية إلا أربع آيات من أولها" ولم يعقب على هذا القول. انظر الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٧٠

٣ - المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٤٨٣

٤ - الكشاف، ج ٤، ص ٧٥٨

٥ - الجامع لأحكام القرآن، ج ٢٠، ص ٦٢

٦ - المصدر السابق، ج ١، ص ٨٤

فـ (عبس) تتحدث بإيجاز عن خلق الإنسان، ثم عن بعض نعم الله تعالى في الأرض، وسورة كالتاريخ تتحدث أيضاً عن خلق الإنسان مع إشارة لإسباغ الله نعمه في المطر والنبات.

ولكن نولدكه تعمد أن يقول ذلك حتى لا يناقض نفسه عندما تحدث في مواطن أخرى من كتابه عن أن السور المبكرة التي نزل بها الوحي لم تنطق بالتوحيد، ولم تعتن به بقدر اهتمامها بالحديث عن قيامة الأموات^(١).

سورة الشرح: يقول نولدكه: "بسبب تفسير خاطئ لها مرتبط بما يروى عن نوبات الصرع التي كانت تعترى محمداً (ﷺ) في طفولته، نشأت الخرافة المتعلقة بحادثة شق الصدر"^(٢)

الرد: قد سبق نقض كلام نولدكه في استدلاله على زعمه أن رسول الله ﷺ كان يعاني من مرض الصرع بحادثة شق الصدر^(٣)، وبيان أن المراد من الشرح هنا هو المعنى المعنوي، وليس الحسي وأنه لا يعقل أن يكون النبي ﷺ الذي بعث للعالمين لا يجد ما يفتح سيرته - حسب زعمهم - أنه كان يصرع في صغره^(٤)

سورة الضحى: يقول نولدكه:

"سورة الضحى متأخرة في النزول عن سورة الشرح، وفيها يحاول الله تعزية النبي (ﷺ) عن وضعه الراهن بتذكيره أنه أنقذه في الماضي من البؤس الذي كان فيه، ولا بد من أنه قد تعرض لحالات

١ - انظر، تاريخ القرآن ج ١، ص ٦٥، و ص ٩١

٢ - المصدر السابق، ج ١، هامش ص ٨٤، رقم (٢٩٠)

٣ - انظر الرد عليه ص ١٩٩ وما بعدها.

٤ - اختلف المفسرون في المراد من الشرح، فابن عطية ذكر الرأي الأول المتعلق بتتوير صدر النبي ﷺ بالحكمة، وتوسيعه لتلقي ما يوحى إليه، ثم ذكر الرأي الثاني الذي يشير إلى حادثة شق الصدر في صغره، وفي وقت الإسراء (المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٤٩٦)، وأما البيضاوي فنكر الرأي الأول المتعلق بالمعنوي، وذكر الثاني بصيغة التمرير (أنوار التنزيل، ج ٢، ص ٦٠٥)، وأما الرازي فنكر الرأي الأول وجعله في حادثة شق الصدر، ثم ذكر الرأي الثاني وهو ما يرجع إلى المعرفة والطاعة (مفاتيح الغيب، ج ٣٢، ص ٢)، أما المسفي فقد اقتصر على الجانب المعنوي من (شرح) وهو: "فسخاه بما أودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة، ودعوة التقلين" (مدارك التنزيل، ج ٤، ص ٣٦٥)، وأما ابن عاشور فقال عن الأخبار التي تربط (شرح) بحادثة شق الصدر: "وليس في شيء من هذه الأخبار على اختلاف مراتبها ما يدل على أنه الشرح المراد من الآية وهو ما نراه أبو بكر بن العربي في الأحكام (أحكام القرآن ج ٤، ص ٣١١ تحقيق عبدالرزاق المهدي، طبعة دار الكتاب العربي، ٢٠٠٠م)، ثم خلص إلى النتيجة: وعليه يكون الصدر قد أطلق على حقيقته وهو البطن الحاروي للقلب" التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٤٠٩

كثيرة استدعت المواساة الإلهية في حين لم يكن بعد قد آمن بتعاليمه إلا أناس قليلون معظمهم من الطبقة السفلى، وحين كان رجاؤه بنجاح رسالته بعد ضعيفاً^(١).

الرد: يلاحظ كيف أن نولدكه يسيء الأدب مع الله تعالى، فيتحدث عن الله بتعبيره "يحاول الله"، قرب العزة له صفات الكمال، وهو منزه عن صفات النقص والعجز، ثم إن سبب النزول يكشف الحدث الحقيقي الذي نزلت السورة بسببه، فالأمر ليس له علاقة لا بيؤس ولا حرمان.

ثم إن هذا التأويل المنحرف لسورة الضحى نتج عند نولدكه بسبب إهماله لسبب نزول السورة الذي لم يتطرق إليه ببنت شفة، حيث يكشف هذا السبب عن الحثييات التي نزلت السورة متحدثاً بشأنها، فقد أخرج الشيخان البخاري ومسلم عن جندب بن سفيان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فلم يقم ليلتين أم ثلاثة، فجاءت امرأة، فقالت: يا محمد: ما أرى شيطانك إلا تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثة، فأنزل الله عز وجل: والضحى...^(٢)، فسبب النزول يدل على أنها نزلت بعد الجهر بالدعوة، فالتعليل الذي ساقه هو على الخلاف تماماً مما يذكره سبب النزول

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم كان متيقناً من نجاح الدعوة، وتأييد الله تعالى لها، فهو القائل لقريش في أصعب الظروف التي مر بها وأصحابه، لما قالت له قريش: فيه فقالوا إن ابن أخيك يقع في آلهتنا، قال: ما شأن قومك بشكونك، قال: يا عم أريدكم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب، وتؤدي العجم إليهم الجزية، قال ما هي قال "لا إله إلا الله"، فقاموا فقالوا: "اجعل الآلهة لها واحداً"، قال: ونزل "ص والقرآن ذى الذكر"، فقرأ حتى بلغ "إن هذا لشيء عجاب"^(٣)

سورة القدر: يقول نولدكه: "هي سورة مكية، ونص الآية الأولى يغذي الشك بأن مطلع السورة الفعلي قد ضاع"^(٤)

الرد: قد سبق بيان أن ابتداء الكلام بـ (إن) إنما يدل على التأكيد، وأن الابتداء بهذا الأسلوب إنما عرفته العرب في لسانها كما يظهر من شعر فصحاء العرب وبلغائهم، ولم يقل أحد إن الكلام إذا بدأ بهذا الأسلوب كان مقطعه ضائعاً.

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٤

٢ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة والضحى (باب ١)، حديث رقم ٥٠٠١

٣ - أخرجه أحمد في مسنده، ج ٥، ص ٦٤، حديث رقم ٢٠٣٨

٤ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٥، وقد سبق الرد على مثل هذا القول من نولدكه عند الحديث عن سورة الكوثر.

سورة الطارق: يقول نولدكه: "يبدو أن آياتها الثلاث الأولى تشير إلى أنها نشأت ليلاً تحت تأثير نجم ساطع، وكلماتها نزلت حين ذعر أبوطالب أثناء تناول الطعام لمنظر شهاب ساقط"^(١)

الرد: قد غاب عن نولدكه أن افتتاحية السورة هي قسم بالنجم ليس أكثر، وأما الرواية التي ذكرها حول قصة أبي طالب فقد ذكرها الواحدي في أسباب النزول بدون سند^(٢)

ولو تأمل نولدكه جيداً في سورة الطارق لعلم أنها تحمل في ثناياها صدق الوحي والنبوة، فهي في أول تسع آيات منها تحدثت عن قضيتين لا يمكن للنبي محمد ﷺ أن يصل إليهما بالتجليات الروحية- لو كان الأمر وحياً نفسياً كما زعم-، فهما قضيتان: علمية متعلقة بخلق الإنسان، ثم غيبية متعلقة بالقيامة.

قال ابن عطية: هي مكية لا خلاف بين المفسرين في ذلك^(٣)

وقد روى الإمام أحمد بشأن السورة حديثاً عن عبد الرحمن بن خالد بن جبل عن أبيه قال: أبصرت رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصا حين أتاهم بيتغي عندهم النصر فسمعته يقرأ (والسما والطارق) حتى ختمها، فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها وأنا في الإسلام، فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم أن ما يقول حق لاتبعناه^(٤)

سورة الشمس: يقول نولدكه: "فيها عدد كبير من الأقسام، ثم يضع النبي ﷺ خطبته النموديين أمام عين معاصريه، وقد اتهم النموديون نبياً أرسله الله إليهم بالخداع وقتلوه فعوقبوا بالاندثار"^(٥)

الرد: تضمنت السورة القسم بأشياء أرضية وعلوية دعوة لتدبر هذه الآيات التي وقع القسم بها، ولفناً لأنظار المعاندين على عظم قدرة الخالق الدالة على ألوهيته ووحدانيته.

قال الفخر الرازي عن هذه الأقسام: "واعلم أنه تعالى ينبه عباده دائماً بأن يذكر في القسم أنواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتى يتأمل المكلف فيها ويشكر عليها؛ لأن الذي يقسم الله تعالى به يحصل له وقع في القلب، فتكون الدواعي إلى تأمله أقوى"^(٦).

١ - المصدر السابق، ج ١، ص ٨٥ وهامش الصفحة رقم (٢٩٦)

٢ - الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٩٩

٣ - المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٤٦٤

٤ - أخرجه أحمد في مسنده، ج ١٨، ص ٤٢٤، حديث رقم ١٨١٩٠

٥ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٥

وقد وقع تولدكه في خطأ تاريخي عندما ظن أن قوم صالح عليه السلام وهم قوم ثمود هم أنفسهم أصحاب الرس الذين ورد ذكرهم في سورتي الفرقان وق.

ولعله أخذ من الرأي القائل أن أصحاب الرس من ثمود، فظن أنهم هم قوم ثمود أنفسهم، وهذا يدفعه أن الله تعالى قد ذكرهم مرتين مع قوم ثمود، الأولى تقدم ذكر ثمود عليهم في آية الفرقان "وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا" (الفرقان: ٣٨)، والثانية تقدم ذكرهم على ثمود في آية سورة ق "كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود"، فدل ذلك على أنهم غير قوم ثمود. قال الطبري في المراد من أصحاب الرس: "والصواب من القول في ذلك، قول من قال: هم قوم كانوا على بئر، وذلك أن الرّسّ في كلام العرب: كلّ محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك"^(٢)

سورة عبس: يقول تولدكه: "يلوم الله النبي (ﷺ) الذي فضل أن يدع رجلاً غنياً، وتولى عن أعمى فقير جاءه سعياً وراء الإيمان، فمحمد (ﷺ) يلقي باللانمة على نفسه بسبب ضعفه؛ لأنه قدم أصحاب النفوذ في مدينته على سواهم أكثر مما يستحقون، و مما يميز هذا الذين السماوي الذي يتصف بأنه الدين الأكثر إنسانية بين أديان الوحي، أن تضم هذه الكلمات إلى القرآن، وسياق السورة فيه تقطع فالآية ١١ قطعة جديدة متأخرة نسبياً، والقسم الثاني المبدوء بالآية ١٧ لا علاقة له بالجزء الأول من السورة"^(٣).

الرد:

أولاً: دعوة رسول الله ﷺ العديد من ضعفاء مكة وفقرائهم إلى الإسلام في أول مراحل الدعوة يكذب زعم تولدكه المتعلق بأن النبي ﷺ كان يقدم أصحاب النفوذ في مكة على الضعفاء من المسلمين! ثانياً: لم يستجب النبي ﷺ لدعوات المشركين في طرد الضعفاء من الصحابة استجابة لقوله تعالى: "وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ" (الأنعام: ٥٢).

ثم إن الآيات قد نزلت بشأن ابن أم مكتوم، حيث روت السيدة عائشة رضي الله عنها، أنه لما أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء

١ - الرازي، مقاتب الغيوب، ج ١٤، ص ٧٠، ونظر في ذلك أيضاً سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٩١٦-٣٩١٧

٢ - الطبري، جامع البيان، ج ١٩، ص ٢٧٠، وانظر الأقوال الواردة في المراد من أصحاب الرس ص ٢٦٩ وما بعدها.

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٥

المشركين، جعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول أنرى بما أقول بأساً فيقول:
لا، ففي هذا أنزل^(١)

ثانياً: وأما حول شبهة أنه كيف يمكن أن تضم هذه الكلمات "عبس وتولى..."، فإن العتاب الحاصل من الله تعالى فيه دلالة أن الوحي قد تنزل بهذه الكلمات على رسول الله ﷺ، فلو كانت هذه الكلمات من عند النبي ﷺ فهل يمكن أن يلوم نفسه؟، ثم إن النبي ﷺ لم يكن يقصد البتة الإعراض عن ابن مكتوم رفضاً لتعليمه إلا لأنه جاءه في موقف يعلم فيه آخرين يرجو إسلامهم، فصار النبي ﷺ بين خيارين فاختر أن يبقى في الدعوة مع مشركي قريش، والنبي ﷺ "كان إذا ترجح بين أمرين، ولم يجد فيهما يوماً مخالفاً لربهما إلا اختار أقربهما إلى رحمة أهله وهداية قومه وتأليف خصمه، وأبعدهما عن الغلظة والجفاء، وعن إثارة الشبه في دين الله، فلم يكن بين يديه نص فخالفه كفاحاً، أو جاوزه خطأ ونسياناً"^(٢)

وأما حول الآية ١١، فإن مناسبتها ظاهرة لما قبلها، وهو قوله تعالى: "كلا إنها تذكرة". يقول البقاعي: "ولما كان العتاب الذي هو من شأن الأحباب ملوحاً بالنهي عن الإعراض عن وقع العتاب عليه، وكل من كان حاله كحال والتشاغل عن راغب، صرح به فقال: "كلا"^(٣)

وأما الآية ١٧ فإنها أيضاً متعلقة بما قبلها، فإنه لما جاء وصف القرآن بأنه تذكرة لمن شاء أن يتذكر، وإذ قد كان أكبر دواعيهم على التكذيب بالقرآن أنه أخبر عن البعث وطالبهم بالإيمان به كان الاستدلال على وقوع البعث أهم ما يعتنى به في هذا التنكير^(٤)

سورة القلم: يقول نولنكه:

"يعتبرها البعض من أقدم السور، وربما نشأ هذا الرأي بسبب الربط بين كلمتي القلم والعلق الواردتين في مقدمتي السورتين"^(٥)

الرد: قال ابن عطية عن السورة: مكية ولا خلاف بين أحد من أهل التأويل في ذلك^(١)

١ - أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، ومن سورة عبس، حديث رقم ٣٢٥٤

٢ - دراز، محمد، النبا العظيم، مرجع سابق، ص ٢٦

٣ - البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ٨، ص ٣٢٦

٤ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ١٢٠

٥ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٦

٦ - المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٣٤٥

ولم يرد عند أحد من المفسرين من ربط بين القلم والعلق، ولكن اختلف المفسرون في تحديد المراد منه، فالإمام القرطبي يقول في ذلك: "أقسم بالقلم لما فيه من البيان كاللسان، وهو واقع على كل قلم مما يكتب به من في السماء ومن في الأرض"^(١)

وموضوع السورة يدل على أنها نزلت بعد الجهر بالدعوة، والقرطبي جعل السورة متعلقة بشأني الوليد بن المغيرة وأبي جهل^(٢)

ثم إن الرواية التي تقول بأن السورة نزلت مبكراً مروية عن جابر بن زيد الذي عدّ السور

ثانية السور نزولاً وقد حكم السيوطي على هذه الرواية بأنه فيها نظر^(٣)

ثم إن تحديد متى نزلت السورة، وهل هي من أول ما نزل، أو من آخر ما نزل لا يرجع فيه

إلى أمر الربط بين المفردات بل إلى الرواية، وما افترضه لا رواية تدل عليه.

سورة الأعلى: يقول نولدكه: "هي مثال على الاستخفاف عند المفسرين القدماء الذي أدى بهم إلى استخلاص النتائج في تفاسيرهم، فقد وجد بعضهم في الدعوة إلى تسبيح الله إشارة إلى الصلوات اليومية التي فرضت قبل الهجرة بوقت قصير فجعلوا السورة كلها مدنية"^(٤).

الرد: اتهم نولدكه نفسه عمله في كتابه تاريخ القرآن بأنه:

١- غير ناضج

٢- فيه آثار الوقاحة الصيبانية

٣- العمل الذي كشف بعد سنين على تأليفه أن فيه قضايا عليه إعادة النظر فيها مرة أخرى لانعدام ثقته بها، فهل يجوز له إطلاق التهم على غيره، ووصف عملهم بمثل هذه الأوصاف؟

السورة مكية، وما ذهب إليه بعض المفسرين من أن المراد بـ "قد أفلح من تزكى" وذكر اسم ربه فصلى "زكاة الفطر، وصلاة العيد هو استنتاج بعيد، فالتركي مقصود به هنا تطهير النفس وتزكيتها، وليس دفع الزكاة"^(٥)

وأما عن ادعائه بأن المفسرين قد حكموا بأن السورة كلها مدنية، فقد أحال في الهامش على

البيضاوي فقط^(٦)

١ - الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨، ص ٢١٦

٢ - المصدر السابق، ج ١٨، ص ٢٢٠

٣ - الإيقان في علوم القرآن، ج ١، ص ١١٢

٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٦

٥ - عباس، فضل حسن، إيقان البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٩٩ بتصرف قليل

٦ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٦، هامش رقم ٣٠٥

وعند مراجعة تفسير الإمام البيضاوي نجد خلاف ما ادعاه نولدكه حيث قال البيضاوي عن
السورة إنها مكية^(١)

سورتا التين والعصر:

يقول نولدكه: "ربما كان الشكل الذي وصلت فيه السورتان قد أجريت عليه بعض التحسينات، فالآية
٦ من التين أضيفت لاحقاً؛ لأن طولها يفوق طول أي من الآيات الأخرى، ومعناها يضعف الانطباع
الذي يولده السياق؛ ولأن عبارة "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات" لا تستعمل إلا في الفترة المكية
المتأخرة، وينطبق السببان الأول والثالث على الآية الثالثة من سورة العصر"^(٢)

الرد:

أما ما يتعلق بالطول، فإن العلماء لم يقولوا بأن المكي لا تأت آياته إلا قصيرة، ولكن المطرد
والغالب فيه أن تكون آياته قصيرة، وإلا فقد جاءت سورة الأنعام ذات آيات طوال، وهي من السور
المكية.

ثم إنه لا يوجد تحسينات في نص السورتين، بل الجملة في كل واحدة منهما جاءت في
موقعها، والبحث في سر موقعها بين آيات قصار يبين دلالة التعبير بها، فالنسبة لآية التين، فإن قوله
تعالى: "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ" "استثناء متصل من عموم الإنسان، فلما
أخبر عنه بأنه ردّ أسفل سافلين، استثنى من عمومهم الذين آمنوا، فبقي غير المؤمنين في أسفل
سافلين"^(٣)، وأما بالنسبة لآية العصر، فإنه لما وقع الحكم في قوله تعالى: "إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَفِي خُسْرٍ" على
جنس الإنسان؛ لأن من طبائعه الميل إلى المعصية، وكان فيهم وحفظه عن الميل إلى ذلك، فاستثناهم
الله تعالى تنصيماً عليهم؛ لأنهم قليل جداً بالنسبة إلى أهل الخسر^(٤)

سورة البروج: يقول نولدكه: "لعل الآيات ٨-١١ إضافة متأخرة ربما قام بها محمد(ﷺ) نفسه، إذ
هي تختلف عن الآيات الأخرى المتصلة بها من حيث الطول والخطاب المستفيض والفاصلة
المختلفة"^(٥).

١ - البيضاوي، أنوار التنزيل، ج ٢، ص ٥٩٤

٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٦

٣ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٤٢٩ باختصار

٤ - البقاعي، نظم الدرر، ج ٨، ص ٥٢٣ بتصرف

٥ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٧

الرد:

أولاً: استخدام الأسلوب الافتراضي (ربما) ليس بغريب عن نولدكه، فقد دأب على ذلك في منهجه الزمني في ترتيب الآيات القرآنية، والافتراض والظن والتخمين لا يؤدي إلى الحق - إن الظن لا يعني من الحق شيئاً، (النجم: ٢٨) فالآيات هي وحي الله تعالى لرسوله ﷺ الذي بلغه لأصحابه، ثم أمر كتابة الوحي بوضعها في موضعها هذا.

ثانياً: وضع هذه الآيات شبيه من حيث الفاصلة بوضع الآيات (٣٤-٤٠) من سورة مريم التي اختلفت فاصلتها عن الآيات التي قبلها وبعدها، فيكون في هذا التغير ثم معاودة أسلوب الكلام لما كان سابقاً للفت الأنظار إلى هذا الحدث الذي قصت السورة قصته، إذ المقصود من هذا المقطع التعجيب ومحله أن أهل اليمن كانوا متهودين فهم يؤمنون بالله وحده ولا يشركون به فكيف يعذبون قوماً آمنوا بالله وحده مثلهم؟، فالكلام من تأكيد الشيء بما يشبه ضده أي ما نعموا منهم شيئاً ينقم بل لأنهم آمنوا بالله وحده، كما آمن به الذين عذبهم^(١)

ثالثاً: من أغراض السورة ضرب المثل للذين فتنوا المسلمين بمكة بأن أسلافهم المشركين المشركين قد فعلوا مع المؤمنين بالله أشد من ذلك، فلم يصددهم هذا عن الإيمان، وفي المثل أيضاً تصبير للمؤمنين الذين لحقهم عذاب المشركين أن يصبروا كأولئك الذين جرى ذكرهم في السورة^(٢)

سورة المزمّل: يقول نولدكه:

"تعتبر من أقدم السور بسبب التشابه بين بدايتها وبداية سورة المدثر، والآية ٢٠ تعود إلى زمن تمت فيه محاربة المشركين؛ ونظراً لتشابه مضمونها مع الآيات الأولى من السورة فقد قام محمد (ﷺ) أو أحد أصحابه بإلحاقها بالآيات الأخرى"^(٣).

الرد: سورة المدثر متقدمة في النزول على سورة المزمّل، وتشابه المطلع لا يدل على أنهما كانت معاً في النزول في فترة واحدة "وما روي من أن المزمّل أول سورة نزلت، فهو مروى عن عطاء الخراساني، وعطاء ضعيف، وروايته معضلة؛ لأنه لم يثبت لقاءه لصحابي معين، وظاهر الروايات الصحيحة تأخر المزمّل؛ لأن فيها ذكر قيام الليل، وغير ذلك مما تراخى عن ابتداء نزول الوحي بخلاف المدثر، فإن فيها "قم فأنذر"^(٤)

١ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٣٠، ص ٢٤٤

٢ - انظر، المرجع السابق، ج ٣٠، ص ٢٣٨

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٧

٤ - ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١٠، ص ٦٨٤

وأما بالنسبة للآية ٢٠ فليس في أسباب النزول ما ذكره من أنها نزلت في وقت كان فيه حرب بين المسلمين والمشركين، وهو نفسه لم يذكر ذلك عن أحد من المفسرين^(١)، وعدّ السيوطي السورة مكية باستثناء هذه الآية^(٢)

وأما عن علاقة آخر السورة بأولها، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام نبي الله ﷺ - وأصحابه حولاً وأمسك الله خاتمها اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة^(٣)

ثم قال نولدكه: "السورة التي نلي هذه السور من سور الفترة الأولى تتضمن وصف الكوارث الطبيعية التي سترافق قيام الساعة، أو الرسم بألوان فاقعة أفرح السماء، ومرهبات الجحيم، وما من سور القرآن سور تضاهي هذه السور روعة في إبراز الانفعال الشديد الذي كان يعتري النبي (ﷺ)، وهناك سور أكثر هدوءاً ونثرية، وهي تعتبر بالإجمال متأخرة عنها زمنياً".
الرد:

أولاً: هذه السور تتحدث عن أهوال القيامة بأساليب متنوعة، وفي كل مرة يسأني السياق بجديد، فالأوصاف التي نزل بها الوحي للقيامة لها دلالاتها، فمرة توصف بالقارعة، وأخرى بالزلزلة، وحيناً بالغاشية، وحيناً آخر بالواقعة.

ثانياً: الإخبار عن نعيم الجنة، وعذاب النار دليل قاطع، وبرهان ساطع على صدق الوحي، إذ يستحيل أن ما جاء عنهما نابع من الانفعالات النفسية، ثم إنه لم يكن لرسول الله ﷺ علم بها من قبل حتى يخبر بها من نفسه.

سورة القارعة: يقول نولدكه:

"الآيتان ١٠-١١ ليستا إضافة متأخرة، ولكن يجب الاعتراف بإمكانية إدخال مقاطع في القرآن في وقت لاحق^(٤)، ولا يوجد ثغرة بين الآيتين ١٠ و ١٠، وتشبه سورة القارعة سورتي الانفطار والتكوير^(٥)."

١ - انظر، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٨٨

٢ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٥

٣ - أخرجه مسلم، في كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، حديث رقم ١٧٧٣

٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٨، وانظر هامش رقم ٣١٥ في الصفحة نفسها.

٥ - المصدر السابق، ج ١، ص ٨٨

الرد: لا يوجد في القرآن الذي أوحاه إلى نبيه محمد ﷺ مقاطع أدخلت فيما بعد، فالذي بسين دفتي المصحف هو الوحي القرآني النازل على النبي ﷺ.

وأما التشابه بين القارعة والانفطار والتكوير فإن المشركين لم ينفكوا عن التكذيب بالقيامة والبعث، فكان تكرار الحديث عنها تقريراً لحقيقتها، وتثبيتاً لها في نفوس المؤمنين.

والآيات من ٦-١١ هي تفصيل لما في قوله تعالى: "يوم يكون الناس كالفراش المبثوث" من إجمال حال الناس حينئذ، فذلك هو المقصود بذكر اسم الناس الشامل لأهل السعادة والشقاء، فلذلك كان تفصيله بحالين: حال حسن، وحال فظيع^(١)

سورة الزلزلة: يقول نولدكه: "الآية السابعة" "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ" تدل على انتصار أرضي للمسلمين على الكفار^(٢)

الرد:

قال ابن عطية: "السورة مكية قاله ابن عباس وغيره، وقال قتادة ومقاتل: هي مدنية؛ لأن آخرها كان بسبب رجلين كانا في المدينة^(٣)، واقتصر البغوي على أنها مدنية^(٤) ونكرها السيوطي في عداد السور المدنية، ثم ذكرها في السور المختلف فيها، فقال: فيها قولان، ثم رجح مدنيتهما^(٥)

سياق الآية لا يدل على انتصار حربي، وإنما معنى الآية "فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير، يرى ثوابه هنالك"^(٦).

والآيتان ٧-٨ تفريع على قوله تعالى: "يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم" -للتربيع والترهيب بعد إثبات البعث والجزاء^(٧)

١ - التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٥١٥

٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨٨

٣ - المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٥١٠

٤ - معالم التنزيل، ج ٤، ص ٥١٥

٥ - الإيقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٦

٦ - الطبري، جامع البيان، ج ٢٤، ص ٥٤٩

٧ - التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٤٩٤

سورتا التكوير والنجم^(١): يقول نولدكه:

تجمع بين سورتي التكوير والنجم علاقة مضمونية إذ يرد في كليهما حديث عن ظهور الملك، إذ تتحدث سورة التكوير عن رؤيا واحدة فقط، فيما تتحدث سورة النجم عن اثنتين.

عن طريق جمع هذه الرؤى بالحلم اللاحق عن الإسراء إلى القدس نشأت بعد وفاة محمد (ﷺ) أسطورة المعراج، وقد اعتمد المسلمون في وصفهم لها بشكل خاص على نص سورة النجم.

تفسر قصة الغرانيق انطلاقاً من الخوف الذي اعترى في ذلك الحين محمداً (ﷺ) الذي فتش عن حل وسط مع الدين القويم باعترافه بتلك الآلهة ككائنات جيدة خاضعة لله.

الرد: سبق الرد على نولدكه الرد في أن النبي ﷺ قد تلقى الوحي من الله تعالى مباشرة ليلة الإسراء والمعراج من غير أن يراه، وأن التحقيق يدل على أن الضمائر الواردة في شأن الرؤيا في "ولقد رآه

نزلة أخرى" (النجم: ١٣)، و " ولقد رآه بالأفق المبين" (التكوير: ٢٣) أن الضمير عائد إلى رؤية جبريل الكريمة وليس إلى رب العزة تبارك وتعالى.

وأما في ادعائه بقصة الغرانيق فقد سبق أيضاً بيان فساد هذه القصة من جهتي النقل والعقل^(٢)، وأما المعراج فقد ثبتت هذه الحادثة بالأسانيد المتواترة، ثم إن العقل لا يحيل حصول مثل

هذه الحادثة للنبي محمد ﷺ فقد روي في الكتاب المقدس وإنجيل برنابا روايات في رفع بعض أنبياء بني إسرائيل إلى السماء، فكان رفع النبي محمد ﷺ غير مستغرب ولا مستبعد.

سورة الانشقاق: يقول نولدكه:

"تلحق بسبب مطلعها بسورة الانفطار، والآية ٢٥ ترد حرفياً في سورة التين"^(٣).

الرد: قصة ردّ السور بسبب تشابه مطلعها إلى فترة زمنية واحدة افتراض لا برهان عليه، إذ يستلزم من ذلك جعل كل السور التي تبدأ بافتتاحية متشابهة أن تكون قد نزلت في فترة زمنية واحدة، ولا

يوجد قائل بذلك، وهو نفسه لم يجعل كل السور التي تتشابه في مطلعها في فترة واحدة، والأهم من ذلك كله أن مرد بيان ما نزل قبل الآخر راجع إلى الرواية^(٤).

^١ - تم الرد بخصوصهما على ما زعمه في شبهاته حول كيفيات الوحي

^٢ - سبق بيان بطلان هذه القصة في نقد منهج نولدكه الزماني الذي رتب السور عليه، ص ١٥٢

^٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٢

^٤ - ينظر، عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٧٦

وأما موقع الآية فلاين معنى الاستثناء "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات..". أي إلا من تاب منهم، وإن كانوا في الحال كفاراً إلا أنهم متى تابوا فلهم أجر، أو أنه استثناء من ضمير الجمع في (فبشرهم) والمعنى إلا الذين يؤمنون من الذين هم مشركون^(١).

وأما دعوى نولدكه إن الآية ٢٥ ترد حرفياً كما هي في التين، فهذا زعم من يعوزه فهم المتشابه اللفظي في القرآن، فأية الانشقاق "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون" وأما آية التين فهي "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون" يقول البقاعي: "وسبب ذلك أنه لما علم أنه ليس للأعمال دخل في الأجر، وأن المدار على التغمذ بالرحمة حتى في تسمية النعيم أجراً أسقط الفاء المؤنثة بالسبب تنبيهاً على ذلك بخلاف ما في سورة التين لاقتضاء سياقها للفاء"^(٢)

سورة العاديات: يقول نولدكه:

"تعتبر خطأ مدنية للاعتقاد أنها تشير إلى الخيل التي استعملها محمد (ﷺ) في الحرب"^(٣).
الرد: روى الواحدي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً فأسهبت شهراً لم يأتها منها خبر، فنزلت (والعاديات ضبحاً) ضبحت بمناخرها إلى آخر السورة، ومعنى أسهبت: أمعنت في السهوب، وهي الأرض^(٤)، وقال عنه ابن كثير إنه حديث غريب جداً^(٥)
وقد نسب نولدكه هذا الرأي إلى الزمخشري وغيره، وقد قال الزمخشري: فإن صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل^(٦)، وقال ابن حجر في تخریج هذا الحديث: موقوف، وقال الذهبي عنه: الخبر منكر^(٧).

سورة النازعات: يقول نولدكه:

"تتكون من ثلاثة أجزاء، والجزء الأخير ٢٧-٤٦ أحدث قليلاً من الجزأين السابقين"^(٨).

١ - ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣١، ص١١٣، والتحرير والتنوير، ج٣٠، ص٢٣٤

٢ - البقاعي، نظم الدرر، ج٨، ص٣٧٤-٣٧٥

٣ - تاريخ القرآن، ج١، ص٩٢

٤ - أسباب النزول، ص٣٠٥

٥ - تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٥٤٥

٦ - انظر، الكشاف، ج٤، ص٧٩٤ والكاف الشاف في تخریج أحاديث الكشاف، على هامش الكشاف، ج٤، ص٧٩٤

٧ - الحاكم، المستدرک، ج٢، ص١١٥

٨ - تاريخ القرآن، ج١، ص٩٣

الرد: بدأت السورة بالحديث عن يوم القيامة، وانتهت بالحديث عنه، وسأقت فرعون كمثال على من كذب به، ومن ثم ذكرت بعض الأدلة المشاهدة الدالة على إمكانية البعث، ثم حالي الفريقين من الناس يوم القيامة، فكانت السورة لحمة واحدة لا انفصام بين أوامرهما، ولا انفصال بين آياتها^(١).

وأما بالنسبة لموقع الآيات "يسألونك عن الساعة ... إلى آخر السورة"، فإن الله تعالى بعد أن أكد إمكانية القيامة بالبرهان العقلي، ثم أخبر عن وقوعها، وأحوالها العامة، وأحوال الأشقياء والسعداء فيها، قال: "يسألونك عن الساعة.." لبيان التعجب من استهزاء الكفار من شأن القيامة مع كل هذا التفصيل والتوضيح^(٢).

سورة المرسلات: يقول نولدكه:

تشير الآية ٤٨ من غير حق عند البعض إلى بني تقيف الذين أرادوا اعتناق الإسلام في السنوات الأخيرة من حياة النبي ﷺ بشرط إعفائهم من تأدية الصلاة^(٣)، والسورة جديرة بالملاحظة بسبب تكرار إحدى آياتها كلازمة^(٤).

وإنما حصل التكرار في قوله تعالى: "ويل يومئذ للمكذبين" بسبب ذكر أحوال يوم القيامة، فحصل تكرار الوعيد عند كل حال؛ تأكيداً وتقريراً للحجة، وبلاغة وتأثيراً^(٥).

الرد: هي مكية عند جمهور المفسرين^(٦)، وذلك لظاهر حديث ابن مسعود ؓ "بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى إذ نزلت سورة المرسلات"^(٧).

فدلالة الحديث ظاهرة في مكية السورة، ودفع أن تكون هي أو شيء منها نزل بعد الهجرة، وما قيل إنه قد نزل في أهل تقيف مردود بدلالة هذه الرواية،

١ - انظر، نظم الدرر، ج ٨، ص ٣١٣

٢ - الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج ٣١، ص ٥٢

٣ - نسب ذلك إلى السيوطي في الإتيان، ولم أجده عنده، ولكن السيوطي ذكر قول مجاهد: نزلت في بني تقيف، دون التطرق لما زعمه نولدكه من قضية الإعفاء من الصلاة، وقال المحقق عنه: مرسل، لباب النقول، ص ٢٣٣.

٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٣

٥ - تم مناقشة ذلك في الفصل الثاني في نقد نولدكه في شبهاته على أسلوب الوحي في موضوع التكرار، ص ١٧٤

٦ - انظر، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٤١٨

٧ - أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قوله: "هذا يوم لا ينطقون"، حديث رقم ٤٥٥٣

سورة النبأ: يقول نولدكه: "الآية ١٧ تشترط وجود الآيات ١٢-١٤ من سورة المرسلات، وربما أضيفت الآيات ٣٧ وما يليها في الفترة الثانية بسبب أسلوبها، وفي الآية ١٧ إشارة إلى الهجرة إلى المدينة"^(١).

الرد: أولاً: ليس الأمر متعلق بالاشتراط، بل إن التشابه غرضه التأكيد والتقرير ليوم الفصل، وحصول الحساب رداً على المكذبين بالبعث^(٢)

الدليل على أن نولدكه لم يدرك فقه التناسب بين آيات القرآن هو أن الكلام في الآية ٣٧ وما بعدها متصل بالحديث الذي سبقه في الآية ٣٦، فمن حيث باب الإعراب فإن "رب السموات والأرض" هي بدل من "ربك" في "جزاء من ربك عطاء حساباً".

وأما حول الآية ١٧ وزعمه بأنها تشير إلى الهجرة إلى المدينة، فالسياق يرد ذلك؛ لأنه حديث عن يوم القيامة.

سورة الغاشية: يقول نولدكه: "يعتبر هبة الله -أي المفسر- أنها نزلت في سنة احتلال مكة"^(٣).
الرد: السورة مكية، ولا توجد رواية تدل على ما ذكره لا عند السيوطي ولا غيره.

سورة الفجر: يقول نولدكه: "يعتبرها بعض المفسرين مدنية"^(٤)

الرد: الراجح في السورة أنها مكية عند جمهور المفسرين^(٥)، وسياق السورة الذي بدأ بالقسم بالفجر ثم بالليلي العشر يدل على أن السورة مكية النزول، "فالسورة نزلت في ظرف كان المسلمون يعانون فيه كثيراً من أذى أهل مكة، فكانت السورة بشارة لهم بأن هذا الليل القاسي المذلهم سيعقبه فجر يسطع نوره، ويتنفس صبحة أنفاس العافية"^(٦)

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٣

٢ - انظر في ذلك الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج ٢٤، ص ١٣١، وج ٤٢، ص ١٥٧

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٣

٤ - المصدر السابق، ج ١، ص ٩٣

٥ - انظر، أنوار التنزيل، ج ٢، ص ٥٩٣، ومفاتيح الغيب ٣١، ص ١٦٢ ومدارك التنزيل ج ٤، ص ٣٥٣ ومعالم

التنزيل، ج ٤، ص ٤٨١ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٥

٦ - عباس، فضل حسن، التفسير أساسياته واتجاهاته، مرجع سابق ص ٣٠٤

سورة القيامة: يقول نولدكه:

توجد بعض الآيات (١٦-١٩) التي لا علاقة لها بما يجاورها من الآيات ولا بسائر السورة، ولا يسعنا القول كيف حلت هذه الآيات في موضعه^{(١)(٢)}.

سورة المطففين: يقول نولدكه: 'بسبب تعلق آياتها بأحداث حصلت بالمدينة تعتبر الآيات الست أو الثماني والعشرون الأولى منها مدنية أو السورة كلها مدنية، ويذهب البعض إلى اعتبار هذه السورة آخر سورة مكية أو أول سورة مدنية، وهناك رأي ثالث يتوسط هذين الرأيين يقول: إنها نزلت بين مكة والمدينة'^(٣).

الرد: قال السيوطي:

قيل مكية؛ لذكر الأساطير فيها، وقيل: مدنية لأن أهل المدينة كانوا أشد فساداً في الكيل، وقيل: نزلت بمكة إلا قصة التطيف، وقال قوم: نزلت بين مكة والمدينة^(٤)، وذكر أنه استثنى من آياتها المكية ست آيات من أولها^(٥)، وقال ابن عطية: وهي مكية في قول جماعة من المفسرين، واحتجوا لذكر الأساطير، وهذا يدل على أن هذا تطيف الكيل والوزن كان بمكة حسبما هو في كل أمة لا سيما مع كفرهم^(٦).

سورة الحاقة: يقول نولدكه: 'ينسبها موير إلى الفترة اللاحقة'^(٧).

الرد: من السور المكية بإجماع المفسرين^(٨)

وقد اكتفى نولدكه برأي وليام موير؛ وهو كعادته عندما لا يجد رواية تساعد على تحديد زمن النزول، فإما أن يقر بالعجز، أو يكتفي بفعل ما صنعه هنا.

وأسلوب السورة وموضوعاتها يؤكدان مكيتها، فأياها قصيرة، ثم أنها تحدثت عن صور العذاب والإهلاك للأمة السابقة التي أعرضت عن أدعوة انبيائها، مثل عاد ثمود، ثم تركز حديثها حول يوم

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٣

٢ - تم الرد على نولدكه في هذه الشبهة في موضوع المناسبات بين الآيات في الفصل الثاني، ص ١٧٧

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٤

٤ - الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٥٣، وعلق ابن عاشور على القول بأنها نزلت بين مكة والمدينة بأنه قول

حسن، التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ١٨٧

٥ - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٧٠

٦ - المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٤٤٩

٧ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٤

٨ - المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٣٥٦، وإتيان في علوم القرآن ج ١، ص ٣٥

القيامة، من حيث ذكر بعض أهواله، وبعض نعيم الجنة، وبعض عذاب النار، ثم نفتت الشعر والكهانة عن النبي ﷺ، وأن هذا القرآن هو وحي إلى نبيه ﷺ.

سورة الذاريات: يقول نولده: "الآيات ٢٤ وما بعدها أضيفت في وقت متأخر على الأرجح"^(١). الرد: سكت نولده عند هذا القول دون أن يبرر سبب هذا الزعم إلا التبرير القائم على التخرص، والافتراض بقوله: "على الأرجح" دون أن يعلل ذلك برواية، أو برأي من كتب التفسير.

والآيات مناسبة لما قبلها، فإن الله تعالى أتبع ما أقسم به الوعيد للمذنبين، ثم ذكر بعض صفات المحسنين، وأتبع ذلك بقصة إبراهيم عليه السلام؛ لأنه رأس الإحسان^(٢)

سورة الطور: يقول نولده: "الآية ٢١ تشوش السياق، ويفوق طولها أطول آيات السورة بثلاثة أضعاف، وتضاف إليها الآيات ٢٩ وما بعدها، والتعبير المستخدمة في الآية ٤٣ من أسلوب الفترة اللاحقة مثل "سبحان ربي" و"شرك"^(٣).

الرد:

أولاً: من حيث موقع الآية فلما بدأ الله تعالى يمن هم في أرفع الدرجات وهم المتقون، أتبعه بمن هو أدنى منهم حالاً^(٤).

وأما من حيث مضمون الآيات فقد كان التفصيل في شأن الذين جاء ذكرهم بعد المتقين للأمور الآتية:

أولاً: بيان حال هؤلاء ثم بيان أن ما حصل لهم إنما كان منة من الله تعالى، وليس بسبب عطاء للحسنات من آبائهم لهم.

ثانياً: جملة: كل امرئ بما كسب رهين" جملة تعليلية للجملة التي قبلها أي لا يسلب المتقون شيئاً من أعمالهم الصالحة^(٥)

ثالثاً: عدّه الآية ٤٣ من الفترة اللاحقة بسبب استخدامها لألفاظ من هذه الفترة هي الطريقة نفسها التي اتبعتها نولده، ويعوزه الصواب في ذلك؛ لأنه ليس ثمة رواية تحدد زمن نزول هذه الآية، ويعترض

١- تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٤

٢- نظم الدرر، ج ٧، ص ٢٧٨

٣- تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٤

٤- البقاعي، نظم الدرر، ج ٧، ص ٢٩٨.

٥- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٧، ص ٥١

عليه في استخدام الألفاظ في بيان فتراتها بأن تعبيراً مثل (ملة إبراهيم) ورد في سور مكة ومدنية، ومع ذلك جعل نودلكه الآيات كلها التي تحمل هذا التعبير نازلة في الزمن نفسه!

سورة الواقعة: يقول نودلكه: "تعتبر مدنية عند الحسن البصري - كما ينقل عن عمر بن محمد بن عبدالكافي-، وعند البعض مدنية فقط للآيات ٧٥-٨٢ أو فقط للآية ٨٢ لذكرها للمنافقين في المدينة، وقيل: للآيات ٩٤ وما بعدها، وقيل: للآيات ١-٣ ربما بسبب ما يعتبر فيها إشارة إلى وقعة بدر. ويمكن اعتبار السورة متماسكة بالرغم من أنها تضم قسماً جديداً يبدأ بالآية ٧٥، ولكن المقطع الأخير كان وحياً خاصاً حرره محمد (ﷺ) نظراً إلى الآيات ١-٧٤ وضمه لاحقاً إليها"^(١).

الرد: قال السيوطي عن السورة: مكة واستنتي منها "ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ"، وقوله تعالى: "فلا أقسم بمواقع النجوم.. أفبهذا الحديث أنتم مدهنون" والسورة حسب رواية أبي جعفر النحاس التي يذكرها السيوطي مكة"^(٢).

ولم أجد عند أحد من المفسرين أو من كتب في أسباب النزول من قال إن الآية ٨٣ متعلقة بالمنافقين، أو إن الآيات ١-٣ قد نزلت في بدر.

سورة المعارج: يقول نودلكه: "لعل أحد الكافرين سأل محمداً (ﷺ) بسخرية عن توضيح هذه الآيات فتلقى جواباً قاصفاً، والآيتان ٣-٤ إضافة لاحقة، والآية الأخيرة إضافة هامشية، والآيات ٣٠، ٣٢ و٣٤ موجودة في سورة المؤمنون، والأخيرة إعادة حرفية تقريباً للآية ٢٣ فيجوز اعتبارها متأخرة عنها زمنياً"^(٣).

الرد:

ما قاله هو على الخلاف تماماً مما ورد في أسباب نزول قوله تعالى: "سأل سائل بعذاب واقع" فقد سأل النضر بن الحارث العذاب لما قال: "اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك" فنزل به ما دعا يوم بدر"^(٤)

وأما ما زعمه حول الإعادة الحرفية للآيات ٣٠-٣٤ فإن السورة خصت بأنها عقب ذكر الخصال المذكورة أول سورة المؤمنين زادت "وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ"؛ لأنه وقع عقب قوله:

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٤

٢ - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٥

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٥

٤ - الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٩٤، وذكر الواحدي الرواية بلا سند.

"وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ"، وإقامة الشهادة أمانة يؤديها إذا احتاج إليها صاحبها لإحياء حق فهي إذن من جملة الأمانة، وقد ذكرت الأمانة في سورة المؤمنين وخصت هذه السورة بزيادة بيانها، كما خصت بإعادة ذكر الصلاة حيث قال: "وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ" بعد قوله "إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ"^(١)

وأما الآية الأخيرة، فهي "فذلِكَ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ السُّورَةُ فِي أَوَّلِ أَغْرَاضِهَا وَمُؤَكَّدَةٌ لَجُمْلَةٍ "حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ"، وهي أيضاً رد العجز على الصدر"^(٢)

سورة الرحمن: يقول نولدكه:

"تبدو بأسلوبها شبه اللاهي، وكأنه نتاج متأخر نسبياً، وهذا يدفع إلى احتسابها من الفترة الثانية، ومن خصائص هذه السورة إعادة اللزامة "فبأي آلاء ربكما تكذبان"، وربما ألحقت الفائدة الخلقية في الآيتين ٩ و٨ في وقت متأخر بالآية ٧، والآية ٣٣ تفوق في طولها معدل طول الآيات الأخرى، وتفقد النبوة الإيقاعية"^(٣).

الرد: تعتبر سورة الرحمن من شواهد براعة الأسلوب القرآني، ففيها التقديم والتأخير، والحقيقة والمجاز، والصور البيانية، والتكرار والفواصل من مظاهر بداعة السورة.

وأما حول الآيات ٧-٩ فإنه ليس لها علاقة بقضية الخلق، إذ الحديث فيها عن القسط في الميزان، بينما جاء الحديث عن الخلق في الآيتين ١٤ و١٥.

وأما ما زعمه حول الآية ٣٣ فإنها:

١- قدمت الجن على الإنسان على خلاف مواضع أخرى قدم الإنس فيها على الجن، على الرغم من أن السورة بدأت الحديث عن خلق الإنسان قبل الجن وذلك؛ لأن الآية إنما تتحدث عن القدرة والجن أقدر في ذلك من الإنس

٢- التعبير بالجن والإنس، في حين جاء التعبير في أول السورة، بالإنسان والجان.

ج- التعبير بالإنفاذ وليس بالنفاذ.

د- موقعها بعد آية "سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ"

١ - الكرمانلي، محمود بن حمزة بن نصر، أسرار التكرار في القرآن، تحقيق عبدالقادر عطاء، ط٢، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٦هـ، ص٢٠٨-٢٠٩

٢ - ابن عاشور، التحرير والتوير، مرجع سابق، ج٢٩، ص١٨٤

٣ - تاريخ القرآن، ج١، ص٩٥، وقد سبق الحديث عن "آية فبأي آلاء ربكما فتكذبان"، ص١٧٤

وأما عن تكرار آية " فباي آلاء ربكما تكذبان" فالغاية والحكمة منها التذكير بنعمة الله تعالى؛
ليشكر عليها، والتنبية على ما نهى عنه؛ ليجتنب.

سورة الإخلاص: يقول نولدكه: "ينقل كثيرون السورة إلى المدينة على اعتبار أنها رد للنبي (ﷺ) على
سؤال اليهود هناك عن طبيعة الله"^(١)

الرد: اقتصر نولدكه على رأي واحد فقط في أمر السورة، وهي مختلف فيها، فبعضهم يضعها في
المكي، وآخرون في المدني تبعاً لاختلاف روايات أسباب النزول^(٢).

والسورة مكية على رأي الجمهور، وما ورد من روايات تقول بمدنيتها لم تثبت، ثم إن السورة هي
أساس التوحيد، شأنها في ذلك شأن القرآن المكي^(٣)

سورة الكافرون: يقول نولدكه: "تتضمن رداً على اقتراح المكيين أن يتبعوا النبي (ﷺ) إذا ترك آلهتهم
على ما يليق بها من إكرام، و"لدى معالجة سورة النجم، وسورة قريش رأينا أن محمداً (ﷺ) لم
يرفض دائماً عروضاً من هذا النوع".

"نشأت السورة بعد أن اختلف محمد (ﷺ) وقومه بمدة طويلة، فوضعوا عليه شروطاً كهذه، ومن
الخطأ اعتبارها مدنية، إذ لو كانت كذلك فإن رد محمد (ﷺ) سيكون مختلفاً عما هو عليه"^(٤)
الرد: سبب النزول الذي تمسك نولدكه في ادعائه بأن قريشاً عرضت على النبي ﷺ عبادة الأوثان
سنة، وأن يعبدوا معبوده سنة هو رواية ضعيفة، وقد ذكر الواحدي هذه الرواية في أسباب النول بلا
سند^(٥).

وأما تمسكه بشأن ما حكاه في سورة النجم حول قصة الغرائيق فقد ثبت بطلانها سنداً ومنتأ،
وبالتالي تهافتت دواه فيما ادعاه أن النبي ﷺ لم يرفض عروضاً من هذا النوع.

سورنا الفلق والناس: يقول نولدكه: "من الصعوبة تحديد موقعهما، ومحمد (ﷺ) لم يبتكر تلك السور
تماماً، بل قام بتعديل نموذج قديم متناقل، مانحاً إياه معنى إسلامياً".

١ - المصدر السابق، ج ١، ص ٩٦

٢ - انظر، السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ص ٢٤٥

٣ - عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٣١٣ بتصرف

٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٧ وهامشها رقم (٣٦٠)

٥ - السيوطي، لباب النقول، ص ٢٤٥ (المحقق)، وقد ذكر الواحدي هذه الرواية بلا سند، أسباب النزول، ص ٣٠٧

«الآيات الثلاث الأخيرة من المعوذتين وثنية الطابع، وربما كان تعديلها في وقت مبكر ضرورياً، حيث شارك الإسلام الوثنية الاعتقاد بوجود أرواح شريرة معادية للبشر، لكنه لم يلجأ لطلب العون إلى إله آخر غير الله الواحد، وإذا كان صحيحاً أن بعض السور التي لها علاقة بأقوال السحر ضد سيطرة الإنسان (المؤمنون: ٩٧، النحل: ٩٨، فصلت: ٤١، الأنفال: ٢٠٠) قد نشأت في الفترتين المكيّتين الثانية والثالثة، فمن الجائز اعتبار المعوذتين أقدم منها»^(١).

الرد:

وأما حول زعمه بأنهما مكيتين فيرد عليه بـ:

أولاً: ما ورد في أسباب نزولهما يشهد بأنهما مننيتان^(٢)

ثانياً: لو كان ما زعمه صحيحاً لما سكت أهل مكة على ذلك، واحتجوا به على رسول الله ﷺ.

ثالثاً: لا يوجد في السورتين تعديل البتة لنماذج وثنية قديمة، إذ ما ذكره ظنون وأوهام نفس وافتراضات.

رابعاً: سورتا الفلق والناس تعلمان الاستعاذة بالله من الشرور بشتى أنواعها سواء أكانت حاصلة من الإنس أم من الجن، وليستا متعلقتين بما سماه الأرواح الشريرة، بل قد وقع في القرآن إطلاق لفظ «شياطين» على أهل الشر من الإنس في قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا»، (الأنعام: ١١٢)، فلذلك نكر الإنس مع الجن هنا؛ لأن «بعض الأمم اعتادوا أن يحذرهم المصلحون من وسوسة الشيطان، وربما لا يخطر بالبال أن من الوسواس ما هو شر من وسواس الشياطين، وهو وسوسة أهل نوعهم وهو أشد خطراً وهم بالتعود منهم أجدر، لأنهم منهم أقرب وهو عليهم أخطر، وأنهم في وسائل الضر أدخل وأقدم»^(٣)

خامساً: سياق الآيات يدفع أن تكونا متعلقتين بالجن وحدهم، ففي سورة الفلق ابتداءً الله تعالى بتعليم نبيه الاستعاذة «من شر ما خلق» أي من شر جميع المخلوقات^(٤)

سادساً: لم يسم القرآن الجن أرواحاً شريرة، بل ذكر أهل الشرور منهم بتعبير الشياطين، وامتدح آخرين؛ لإيمانهم، فقال: «وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ»، وقال أيضاً: «قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَلْسُهُ

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٧

٢ - أخرج البخاري الحديث المتعلق بسحر لبيد بن الأعصم اليهودي لرسول الله ﷺ في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث رقم ٣٠٢٨، وفي كتاب الطب، باب السحر، حديث رقم ٥٣٢٣

٣ - التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٦٣٥.

٤ - انظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٥٧٨

اسْتَمَعَ كُفْرٌ مِنَ الْجِنِّ لِقَالِهِمْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ، بل ذكر الجن بلفظ عفریت في معرض بيان الطاعة في قصة سليمان " قال عفریت من الجن: " أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ " .
ولكن نولدكه استخدم المنهج الإسقاطي، إذ المتعارف عليه في (الكتاب المقدس) أن يرد التعبير عن الجن باسم (الأرواح الشريرة)^(١).

وأما حول السور التي ادعى أن آياتها لها علاقة بالسحر، فإن الآية ٩٧ من (سورة المؤمنون) هي " وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ " والآية التي بعدها " وَأَعُوذُ بِكَ رَبُّ أَنْ يَحْضُرُونِ "، والآية من النحل " فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ "، وأما آية فصلت فهي " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ لَكِتَابًا عَزِيزًا "

فالملاحظ أنه ليس في آيتي المؤمنون والنحل تطرق لموضوع السحر، وإنما حديثهما عن التعود من شر الشيطان، وأما آية فصلت فهي حديث عن القرآن الكريم "إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز"، وأما الأنفال فإن آياتها أقل من المائة، فكيف جعل رقم الآية فيها مائتين، وليس في السورة كلها حديث عن السحر!

سورة الفاتحة: يقول نولدكه: "من الخطأ اعتبار هذه السورة بسبب مكانتها المرموقة لدى المسلمين منذ القديم وحتى اليوم، أو بسبب موقعها في قرآننا الحالي، الأقدم على الإطلاق أو إحدى أقدم السور، والسورة على ما يبدو لم تنشأ قبل نهاية الفترة الأولى، فكثير من كلماتها وعباراتها الجديرة بالملاحظة مثل "الحمد لله"، و"الصراط مستقيم" و"الرحمن" لا تستعمل في الفترة الأولى، بل ترد كثيراً في الفترة الثانية، ولكن الفاتحة أقدم من المواضع المماثلة لها في الفترة الثانية خاصة إذا كانت منحدره من أصل يهودي أو مسيحي.

إن أحجية زمن تأليف الفاتحة لكانت تحل فوراً لو أن الكلمات "سبعاً من المثاني" ترتبط بها فعلاً، كما يزعم كثير من المفسرين المسلمين، لكن هنا تكمن المشكلة بالضبط. إن تعبير "سبعاً من المثاني" يشترط وجود مثاني أخرى أيضاً؛ لهذا السبب لا يصيب التراث الإسلامي الذي يوظف صامتا "السبع المثاني" لهذه الغاية"^(٢).

١ - انظر، الكتاب المقدس، سفر الملوك الأول، الإصحاح ٢٢، الفقرة ٢٢، وإنجيل متى، الإصحاح ١٠، الفقرة ١
٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٩٨، وينظر هوامش الصفحات ١٠٠ وما بعدها حيث ذكر نولدكه النصوص التي يزعم أن آيات الفاتحة اقتبست منها.

الرد:

أولاً: قال السيوطي: الأكثرون على أنها مكية، واستدل لذلك بقوله تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ" (الحجر: ٨٧)، وأما من حيث النزول فقد ذهب بعض العلماء إلى أنها أول ما نزل، والصحيح هو أن اقرأ هي أول ما نزل به الوحي من القرآن الكريم^(١).
ثانياً: "سبعاً من المثاني" ترتبط فعلاً بالفاتحة، فالنبي ﷺ نفسه فسر هذه المثاني الواردة في "وسبعاً من المثاني" بأنها سورة الفاتحة^(٢)، وهذا يبطل قوله بأن وجود "سبعاً من المثاني" يستدعي وجود مثاني أخرى.

ثالثاً: أراد نولدكه أن يستدل على زعمه بأن الفاتحة مقتبسة من العهدين القديم والجديد بمقابلة كل جملة من السورة بجملة منهما^(٣)، ولكن مراجعة ما أحال إليه يتبين الآتي:

أ- الجمل التي أحال إليها لا تتشابه مع آيات الفاتحة تمام التشابه في النظم، بل في المعنى فقط.
ب- اتكأ نولدكه على التشابه في معنى الكلمة مثل (الحمد) في الفاتحة، و(مبارك) في العهدين القديم والجديد للحكم على التشابه التام.

ج- قفز نولدكه عن قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين" وقوله عز وجل أيضاً: "غير المغضوب عليهم ولا الضالين" فلم يذكر لهما أصلاً في العهدين؛ لعجزه عن إيجاد جملة تشبه المعنى الوارد في نظم كل واحدة منهما.

د- أن التشابه في معاني بعض الآيات، وبعض الجمل التي تشبه معناها في العهدين القديم والجديد سواء أكان ذلك في الفاتحة تحديداً أم في سور القرآن الكريم - دليل على صدق وحي القرآن في أنه وحي الأنبياء قد صدر من مشكاة واحدة.

١ - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٤٥، وانظر أيضاً ج ١، ص ١٠٧

٢ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب "ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم"، حديث رقم ٤٣٣٤

٣ - سيأتي تفصيل القول فيما ادعاه نولدكه حول الفاتحة في الفصل الثالث - إن شاء الله تعالى - في مبحث الرد على نولدكه في الآيات التي زعم ضياعها من القرآن الكريم.

المطلب الثاني

نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المكية الثانية

تناول نولدكه ٢١ سورة بالدراسة التحليلية في الفترة المكية الثانية، حيث بدأ بسورة القمر، وانتهى بسورة الكهف.

وعُد نولدكه هذه السور حلقة وصل بين سور الفترتين الأولى والثالثة من حيث تدرج أسلوب الوحي في الخطاب - حسب زعمه- من الأسلوب القوي إلى الأسلوب النثري الهادي. وفيما يأتي الرد على نولدكه في الشبهات التي أثارها على هذه السور، والبداية مع سورة القمر:

سورة القمر: يقول نولدكه: "نتيجة تفسير خاطئٍ للآية ١ تألفت خرافة سخيفة- يقصد معجزة انشقاق القمر، والآية ٤٤ يعتبرها البعض تتناول وقعة بدر، ويقال إن الآيات ٤٦-٤٩ تتناول نصارى نجران الذين أتوا إلى محمد(ﷺ)، أو فرقة القدرية، شروط كهذه لا يمكن التمسك بها قادت إلى اعتبار السورة بأسرها مدنية"^(١)

الرد: أما بالنسبة لسبب نزول سورة القمر فقد سبق بيان أن رواية النزول قد وردت في البخاري، وأنه كان لزاماً على نولدكه -كونه جعل صحيح البخاري من مصادره في دراسته - ألا يرفض هذه الرواية، وألا يكون انتقائياً في الاستدلال بالروايات^(٢).

وأما تفسير آية "سيهزم الجمع" فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال وهو في قبة يوم بدر: "اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن نشأ لا تعبد بعد اليوم"، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك وهو يثب في الدرع فخرج يقول: "سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ"^(٣)، فالآية مكية، وما ورد بشأنها هو تفسير بحصول ما أخبرت عنه يوم بدر، لا أنها نزلت في بدر تحديداً.

فقوله تعالى: "سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ" علامة من علامات النبوة؛ لأن هذه الآية نزلت بمكة، وأخبر الله تعالى المشركين أنهم سيهزمون في الحرب، فكان كما قال^(٤)

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٠٨

٢ - تم الرد عليها عند الحديث في نقد منهج نولدكه الزمني في ترتيب السور والآيات على فترات الوحي، وتم بيان أن سبب النزول صحيح، ولكن نولدكه درج على اعتبار أسباب النزول خرافات، ص ١٥٦

٣ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة القمر، باب قوله: "سيهزم الجمع ويولون الدبر"، حديث رقم ٤٨٧٥

٤ - السمرقندي، أبو الليث، نصر بن محمد (٣٧٥هـ)، بحر العلوم، تحقيق علي معوض وآخرين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، ج ٣، ص ٣٠

وأما زعمه على الآيات ٤٦-٤٩ فهذه الآيات لا تتناول ما ذكره حيث لم يرد برواية، أو عن أحد من المفسرين^(١)، ثم إن الآية لا علاقة لها بفرقة القدرية، وإنما حديثها عن القدر.

وأما نصارى نجران فإن ما نزل فيهم هو في سورة آل عمران في قوله تعالى: "فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ" (آل عمران: ٦١)، وليس في سورة القمر، إذ أن قدومهم إلى المدينة كان في السنة العاشرة للهجرة^(٢)، وسورة القمر مكية.

سورة الصافات: يقول نولدكه:

"الآيات ٧٥-١٤٨ يتخذ فيه مثال سبعة أنبياء يهود؛ لإظهار أن كثيراً من معاصريهم قبعوا إلى الكفر أيضاً. (إبراهيم، اسحق، موسى، هارون، إلياس، لوط، يونس (عليهم الصلاة والسلام))
توجد علاقة ضعيفة بين الآيات ١٤٩-١٧٧ التي تتحدث عن شرك المكيين، والآيات الأخرى التي تحيط بها".

"أسلوب السورة والواصل التي فيها يجعل اعتبار السورة كلها وحدة متكاملة أمراً لا ريب فيه"^(٣).
الرد:

أولاً: نفى القرآن الكريم أن يكون إبراهيم يهودياً أو نصرانياً في قوله ﷻ: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (آل عمران: ٦٥-٦٧)

ثانياً: الأنبياء الذين ذكرهم ليسوا كلهم من بني إسرائيل، وذكر نولدكه لإبراهيم عليه السلام تحديداً ترويح وسير على الدعاية اليهودية التي يدعون فيها ارتباطهم بنبي الله إبراهيم ﷺ، وهذا مردود بالأمور التالية:

١- كيف يمكن أن يكون إبراهيم يهودياً، وقد عاش قبل أن يعرف التاريخ جماعة يسمون أنفسهم يهوداً بحوالي ١٣٠٠ عام.

٢- كيف جاء اليهود إلى العراق، كيف اتصلوا بإبراهيم الخليل، ولم يكن لهم وجود بعد؟

١ - انظر في ذلك جامع البيان، ج ٢٢، ص ٦٠٣ وما بعدها، والكشاف ج ٤، ص ٤٤٠-٤٤١، وأنوار التنزيل،

ج ٢، ص ٤٤٩، ومعالم التنزيل، ج ٤، ص ٢٦٤

٢ - ينظر، الصالحى الشامى، سبل الهدى والرشاد، ج ٦، ص ٤١٥

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٠٩

٣- كيف يتزعم إبراهيم الخليل اليهود في رحيله إلى فلسطين، قبل أني يكون قد خلق يهوذا الذي جاءت تسمية يهود منه، أو يكون قد خلق يعقوب (إسرائيل)

٤- العراق حوى اليهود كأسرى، وذلك بعد إبراهيم بأكثر من ١٣٠٠ عام، ولم يكن لهم وجود في عهده؛ لأنهم لم يكونوا قد ظهروا للوجود بعد^(١).

وأما حول الآيات ١٤٩-١٦٦ فإنه لما ذكر الله تعالى قصص الأنبياء عاد إلى شرح مذاهبهم، وبيان قبحها، ومن جملة أقوالهم أنهم أثبتوا الأولاد لله تعالى، ثم زعموا أنها من جنس الإناث^(٢)

سورة نوح: "يجعل محمد (ﷺ) فيها نوحاً الأب الأول يثور على أصنام العرب، وتظهر كأنها قطعة مأخوذة من نص أطول"^(٣).

الرد: تناقض نولدكه مع نفسه عندما تحدث في موضع متقدم بأن السور التي تبدأ بـ (إننا) فإن مطلعها ضائع، فكيف يقول هنا بأنها مأخوذة من نص أطول؟

ثم وقع في خطأ تاريخي آخر عندما اعتبر الأصنام الواردة في الآية "وقالوا لا تدرن آهتكم ولا تدرن وداً ولا سواعاً ولا يعوث ويعوق ونسراً"، (نوح: ٢٣) أصناماً لمشركي العرب، مع أن السياق واضح في أنها أسماء الأصنام التي عبدها قوم نوح، ولكن العرب عبثت هذه الأصنام بعد أن فارقوا دين اسماعيل عليه السلام، وبقي في ذاكرتهم شيء منها^(٤)

سورة الإنسان: يقول نولدكه: "تدور حول الآخرة والحساب، وبسبب رواية غير صحيحة تظهر فيها فاطمة والحسن والحسين يضع بعضهم السورة كلها أو جزءاً منها في زمن ما بعد الهجرة"^(٥)
الرد: يقول ابن الجوزي عن هذا الحديث: "هذا حديث لا يشك في وضعه"^(٦).

١ - سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، مرجع سابق، ص ٥٢٤-٥٢٥

٢ - الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٦، ص ١٦٧

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٠

٤ - ينظر، الآوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وضبط وتصحيح محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، دت، ج ٢، ص ٢٠٢، وينظر كذلك جولة في كتاب تاريخ القرآن، لأحمد الزاوي، مرجع سابق، ص ٢٢٥

٥ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٠

٦ - ابن الجوزي: كتاب الموضوعات، ج ١، ص ٣٩٠

سورة الدخان: يقول نولدكه: "يعتبر بعضهم الآية ١٤ مدنية، ويرى البعض الآخر أن الآية ١٥ فيها إشارة إلى وقعة بدر"^(١).

الرد: لم يقل المفسرون بأن آية "يَوْمَ نَبِطِثُ الْبَطْثَةَ الْكُبْرَى" لا تحتل تفسيراً إلا يوم بدر، بل هذا الرأي معه رواية أخرى بأن المراد بالبطشة الكبرى هي يوم القيامة، ويرد هذا الرأي مقدماً في الذكر عند أغلب المفسرين على الرأي الثاني^(٢)، ومن المفسرين من رجحه على التفسير بيوم بدر^(٣)

سورة ق: يقول نولدكه: "في سورة ق اعتراض على الفكرة الكتابية أن الله (عَزَّ وَجَلَّ) استراح بعد إنهائه عمل الخلق، وإذا فسر هذا تهجماً على اليهود اعتبرت الآية مكية"^(٤).

الرد: الظاهر أن لا تعلق لسياق الآية بالحديث عن شبهة اليهود بأن الله تعالى استراح في اليوم السابع بل الظاهر أن ذلك جاء ردّاً على المشركين والاستدلال بخلق السموات والأرض وما بينهما، فيكون قوله: "وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ" أي ما لقينا بالخلق الأول حتى لا نقدر على الإعادة^(٥) وسياق السورة كلها يرد دعوى نولدكه حيث أن السورة مبنية على الرد على تكذيب مشركي قريش بالبعث، وليس في سياقها ما يشعر بتعرضها للحديث عن أهل الكتاب.

سورة طه: يقول نولدكه: "يقال إن تلاوة عمر للأيات ١٤ أو ١٦ أو ١٧ هي التي دفعته لاعتناق الإسلام، ولو روى كثير هذه الحادثة وذلك بشكل لا يقبل التشكيك على العموم فلا نستطيع تقديم برهان عليها، ويقال إن اعتناق عمر للإسلام كان في نهاية العام السادس للبعثة، مما يعني أن الحدث وقع في هذه السنة"^(٦)

الرد: السورة نزلت قبل إسلام عمر أي في سنة خمس أو أواخر سنة أربع من البعثة، فإسلام عمر كان في الخامسة من البعثة قبيل الهجرة الأولى إلى الحبشة^(٧).

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٠

٢ - ينظر على سبيل المثال: تفسير الكشاف ج ٤، ص ٢٧٧، وتفسير أنوار التنزيل للبيضاوي ج ٢، ص ٣٨٢، والمحمر الوجيز لابن عطية ج ٥، ص ٧٠.

٣ - قال الرازي: "وهذا القول أصح، لأن يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يوصف بهذا الوصف العظيم، ولأن الانتقام التام إنما يحصل يوم القيامة" انتهى. مفاتيح الغيب، ج ١٤، ص ٨

٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٠

٥ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٢٦، ص ٢٧٤

٦ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١١

٧ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ١٨١

أكثر من مرة كرر نولدكه القول بأنه لا يثق برواية إسلام عمر (رضي الله عنه)، ومع ذلك اعتمد السنة السادسة للبعثة- وهي السنة التي أسلم بها عمر- الزمن الذي نزلت به سورة طه، على الرغم من عدم ثقته بالرواية التي فيها أن عمر قرأ آيات من سورة طه.

قصة إسلام عمر حكم عليها علماء الحديث بالضعف، ولكن نولدكه لم يتطرق لذكر ذلك، ولا للتويه بهؤلاء الأعلام^(١) الذين نبهوا على ضعف الرواية، إما أنه تعمد ذلك، أو أنه - وهذا حاله في كل كتابه- لم يعتمد كتب مصطلح الحديث، ومصنفات الجرح والتعديل في نقد الروايات.

سورة الشعراء: يقول نولدكه: "تبدأ السورة بعنوان شكلي للتصديق على طابع الوحي"^(٢)، ويقال إن الآية ١٩٧ فيها إشارة إلى اليهود فتكون قد نزلت في المدينة، الآيات ٢١٤-٢٢٣ تعود إلى الجزء الأقدم من القرآن إذ هي تتضمن أول حث وجه للنبي (ﷺ) لتبشير أهله بالإسلام، لكن هذا الافتراض تستحيل صحته، فأسلوب هذه الآيات الفضايف والأقل قوة يتناسب تماماً وسائر أجزاء القرآن، ما يجعل من المستحيل وضعها في زمن سورتي المسد والمدثر، والآيتان ٢١٥ و٢١٩ تشيران إلى جماعة صغيرة من المؤمنين، ولم تكن هذه الجماعة قد وجدت بعد في ذلك الوقت المبكر، والسورة ليست وحدة متكاملة، فالآيات من ١-١٩١ ألفت بحسب خطة مصطنعة؛ فالمقدمة والمقاطع السبعة اللاحقة التي تتنازل أنبياء قداماء والعقوبات التي حلت بقومهم الكافرين ذات لازمة واحدة^(٣)، ومن المحتمل أن يكون القسم الأخير من السورة (الآيات ١٩٢-٢٢٧) تنزيلاً خاصاً ألحق بالآية ١٩١ في وقت متأخر^(٤).

١ - ذكر هذه الرواية الإمام البيهقي في دلائل النبوة، ج ٢، ص ٩٢ وهذه القصة واهية، وقال الإمام الطبراني عنها: لا تروى عن أنس إلا بهذا الإسناد تفرد بها القاسم (المعجم الأوسط)، ج ٢، ص ٢٤٠، حديث رقم ١٨٦٠، وأورده الإمام الذهبي عن القاسم بن عثمان البصري: قال البخاري: له أحاديث لا يتابع عليه، ثم قال الذهبي: حدث عنه إسحاق الأزرق بقصة إسلام عمر، وهي منكورة جداً، ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٣٧٥

٢ - تم الرد على ذلك في نقد شبهات نولدكه على أسلوب الوحي، ص ١٧٥

٣ - تم ذكر كلام الزمخشري حول حكمة التكرار في هذه الآيات في الفصل الثاني من الرسالة عند نقد شبهات نولدكه على أسلوب الوحي.

٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٢ وما بعدها

الرد:

أما حول ما زعمه عن الآية ١٩٧ وأنها تشير إلى اليهود، فقد ذكر السيوطي أنها مما استثنى من آيات هذه السورة المعدودة في السور المكية^(١).

وأما حول الآية " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " وما يليها، فإن ما روي أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية جهر بالدعوة فقد روي مرسلًا^(٢).

بينما الصحيح هو ما ورد في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت "وأندر عشيرتك الأقربين" ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف يا صباحاه فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد^(٣).

وأما ما زعمه حول الآيتين ٢١٥ و ٢١٩ فإن مقصودهما غير متعلق بمسألة أنهما جماعة كبيرة أو صغيرة، بل الآية ٢١٥ تدعو رسول الله ﷺ إلى لين الجانب مع المؤمنين، والثانية تذكره بأن الله تعالى يراه في قلبه مع الساجدين في صلاتهم معه^(٤).

ولا يستطيع تولدكه أن ينكر وجود أتباع للنبي ﷺ في الدعوة السرية من الإسلام، إذ قد روي ابن هشام وغيره أسماء الذين سبقوا إلى الإسلام قبل غيرهم^(٥).

وأما عن موقع الآيات ١٩٢-٢٢٧ بعد انتهاء القصص التي ذكرتها السورة، فإن هذه الآيات على علاقة وتناسب مع ما سبقها، إذ أن ما سبق من القصص هو من الأدلة على صدق هذا النبي، وعلى إعجاز هذا الكتاب المنزل عليه، فهذه القصص مما لم يقرأه النبي ﷺ من كتاب، ولم يسمعه من عالم، فكان الإخبار عنها دليل على أنها وحي نازل من الله تعالى إليه، فقال الله ﷻ: " وَإِنَّهُ لَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ.. " الآيات^(٦).

١ - السيوطي، الإتحاف في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٥، وانظر كذلك ص ٦٣.

٢ - أخرج هذه الرواية الطبري عن الحسن بن أبي الحسن مرسلًا أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية جهر بدعوته، فبدأ بعشيرته، ثم فخذ قريشاً قبيلة يدعوهم، وينذرهم، جامع البيان، ج ١٩، ص ٤١٠.

٣ - أخرج البخاري، في كتاب تفسير القرآن، باب "وأندر عشيرتك الأقربين"، حديث رقم ٤٨١٧.

٤ - الطبري، جامع البيان، ج ١٩، ص ٤١١، وكذلك ص ٤١٣.

٥ - انظر، سيرة ابن هشام، ص ٩٦ وما بعدها.

٦ - انظر، البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣٩٠-٣٩١.

سورة الحجر: يقول نولدكه: "يجد المفسرون فيها الآيات الغارقة في القدم وتُحدد في الأئتين ٨٩ و٩٤ اللتين تتضمنان مثل سورة الشعراء في الآيات ٢١٤-٢١٦ أول ما تم به حث النبي (ﷺ) إلى الدعوة، لكن هذا الرأي لا يعتمد إلا على لفظي "النذير" و"قاصدع" كما لو أن محمداً (ﷺ) لم يكن في وسعه في وقت متأخر أن يحث نفسه على الدعوة على الإيمان دون خوف، وهذه الآيات وآيات أخرى تستخدم في أسلوبها عبارات لا ترد في الفترة الأقدم، وهي تتناول الخصوم وتحرشاتهم وملاحقاتهم التي عانى منها النبي (ﷺ)"^(١).

الرد:

أولاً: لم يقل المفسرون أن قوله تعالى: "فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ" من أقدم الآيات، فالعلماء لا يستخدمون مثل هذه المصطلحات مع وحي الله تعالى، بل يقولون: أول ما نزل أو آخر ما نزل من الوحي.

ثانياً: استدل العلماء على أن الآية المذكورة قد نزلت عند الجهر بالدعوة من خلال الرواية والنقل، وليس كما زعم مجرد اللفظ^(٢).

وأما قضية الألفاظ التي يقوم نولدكه على أساسها بتحديد زمن الآيات والسور، فإن "يا أيها الناس" وردت في الوحي المكي، وكذلك في بعض السور بعد الهجرة، ولم يقل العلماء إن كل آية ورد فيها هذا التعبير يعد مكياً، بل قالوا: إن المطرد والغالب أن يكون هذا التعبير في الوحي المكي؛ لحكمة تتعلق بالدعوة.

فغاب عن نولدكه ما قرره العلماء المسلمون من البحث في دلالة الألفاظ، وأسرار مجيئها في سياقاتها، وليس الأمر كما زعم من أن زمن السورة يتحدد مع السور التي تضمنت كلمة تشبه كلماتها.

سورة مريم: يقول نولدكه: "قد يكون محمد (ﷺ) قد أضاف الآيات ٣٤-٤٠ لاحقاً في مطلع الفترة الثالثة أو في نهاية الفترة الثانية تقريباً؛ وذلك كتتمة عقائدية أو تهجمية للآيات التي تتناول عيسى والتي تختلف عما حولها سواء في اللغة والفاصلة"^(٣)، وما إذا كان سبب الضم بادياً في الخاتمة

^١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٥

^٢ - ينظر ابن اسحق في السيرة النبوية، ص ٤٦، وص ٧١، وابن هشام كذلك في السيرة النبوية ص ٢٦٢، والشامي

الصالح في سبل الهدى والرشاد، ج ١، ص ١٧

^٣ - سبق الرد عليها في نقد شبهات نولدكه على أسلوب الوحي في موضوع السجع

المتشابهة للآيتين ٧٤ و٩٨، أو كانت الآية ٩٨ قد ألفت مراعاة للآية ٧٤ فهذا ما لا يمكن الإجابة عليه^(١).

الرد:

الآية ٧٥ هي قوله تعالى: وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ " وخاتمتها "هُم أَحْسَنُ أَنَاثًا وَرَبًّا"، وأما الآية الأخرى فلها البداية نفسها غير أنها لا تتشابه معها في خاتمتها، إذ خاتمتها قوله تعالى: " هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً"

سورة مريم ابتدأت بالحديث عن قصة زكريا عليه السلام، ورحمة الله به " ذكر رحمت ربك عبده زكريا" وأخرها " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا"

سورة ص: يقول نولدكه: "يقال: إن الآيات من ١-١١ أو الآية ٦ نشأت حين حاولت قريش حمل أبي طالب على التوقف عن حماية محمد (ﷺ) أو حين كان ملقى على فراش الموت، لكن هذا ليس إلا مجرد استنتاج من العبارة البسيطة "انطلق الملاء"^(٢).

تسبب الآية ٢٩ صعوبة في السياق، تكمن في ما إذا كانت هذه الآية تعود إلى داود، وما يذكر لاحقاً في القرآن عن وحي المزامير، أو كان محمد (ﷺ) هو المقصود بها. الآيات من ٦٧-٨٨ تنتهي بفواصل غير الفواصل التي لباقي آيات السورة مما ينتج عنه افتراض أن جزئي السورة لم يكونا معاً في الأصل"^(٣).

الرد:

أولاً: لم يتحدث القرآن عن شيء اسمه وحي المزامير، وإنما تحدث عن كتاب سماوي اسمه الزبور أنزله الله تعالى على داود عليه السلام.

ثانياً: الآية ٢٩ مقصود بها الحديث عن القرن الكريم ووجه مناسبة قوله تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ... فَإِنَّهُ "عقب الإمعان في تهديد المشركين وتجهيلهم على إعراضهم عن التدبر بحكمة الجزاء ويوم الحساب عليه والاحتجاج عليهم، أعرض الله عن خطابهم ووجه الخطاب إلى النبي (ﷺ) بالثناء على الكتاب المنزل عليه، وكان هذا القرآن قد بين لهم ما فيه لهم مقنع، وحجاجاً

١ - تاريخ القرآن، ج١، ص١١٦

٢ - الواحدي، أسباب النزول، ص٢٤٦، ذكر الرواية بلا إسناد حيث قال: وقال المفسرون: ...

٣ - تاريخ القرآن، ج١، ص١١٧

هو لشبهاتهم مقلع، وأنه إن حَرَمَ المشركون أنفسهم من الانتفاع به فقد انتفع به أولو الأبواب وهم المؤمنون^(١)

وأما حول ما ادعاه على فواصل الآيات من ٦٧-٨٨، فإن هذا الافتراض سار عليه في كثير من المواضع مثل سورة مريم، حيث يفترض أنه يجب أن تكون السورة على فاصلة واحدة حتى تعتبر ذات لحمة واحدة، وهذا مردود بالآتي:

- أ- النبي ﷺ هو الذي كان يحدد للآيات موضعها بوحى من الله تعالى.
- ب- كل آية لها فاصلة تتناسب مع مطلعها، ومع جمال الشكل الذي تؤديه الفاصلة في القرآن الكريم، إلا أن لها أسراراً إعجازية تظهر في محلها الذي جاءت به.
- ج- أما بالنسبة لسورة ص، فإن بدايتها كانت حديثاً عن القرآن، وموقف المشركين من النبي ﷺ، وخاتمة السورة تحدثت أيضاً عن النبي ﷺ، وأنه ليس ببدع من الرسل في أن يوحى إليه كما أوحى إلى من قبله من رسل الله، ثم حديثاً عن القرآن، فإذا كانت البداية قد وصفته بـ (ذي الذكر)، فإن الخاتمة قد وصفته أيضاً بـ "إن هو إلا ذكر للعالمين"

سورة يس: يقول نولدكه: "بعض المفسرين اعتبر الآية ١١ "إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى... فيها إشارة إلى بني سليمة الذين أرادوا الاستيطان غير بعيد عن مسجد المدينة، والآية ٤٧ إذ يرون علاقة بين الدعوة إلى عمل الخير في هذه الآية والزكاة والصدقة التي فرضت على المسلمين بعد الهجرة^(٢)، وربما سقطت من بين الآيتين ٢٤ و ٢٥ بعض الكلمات التي يحكى فيها عن قتل الكفار للمؤمن الوحيد"^(٣)

الرد:

قال ابن عطية: "هذه السورة مكية بإجماع إلا أن فرقة قالت: إن قوله: "وَتَكْتُمُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ" نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم، وينتقلوا إلى جوار مسجد رسول الله، فقال لهم: دياركم تكتب آثاركم..."، وعلى هذا فالآية مدنية وليس الأمر كذلك، إنما نزلت بمكة، ولكنها احتج بها عليهم في المدينة"^(٤)

١ - التحرير والتنوير، ج ٢٣، ص ٢٥١

٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٧، وانظر الإتحاف للسيوطي، ج ١، ص ٦٥

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ١١٧

٤ - ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٤، ص ٤٤٥

وحول الآية ٢٤: جواب للاستفهام الإنكاري، "أنتخذ من دون الله آلهة"، والمعنى: أي إن اتخذت من دون الله آلهة أكن في ضلال مبين^(١).

وأما الآية ٢٥: وجملة "إني آمنت بربكم فاسمعون" فإنها واقعة موقع الغاية من الخطاب والنتيجة من الدليل، وهذا إعلان لإيمانه وتسجيل عليهم بأن الله هو ربهم لا تلك الأصنام .

سورة الزخرف: يقول نولدكه:

"الزعم بأن الآية ٤٥ مدنية يعتمد على الأرجح على فهم غير دقيق للقول الذي يقول بأن الآية نشأت في القدس أو في السماء"^(٢).

أما الآية ٨٨ إذا كان رسمها صحيحاً، فلا بد من أن تكون بعض الكلمات قد سقطت من مطلعها؛ لأن "وقيله" لا يمكن ربطها بسهولة بالآية السابقة حتى ولو عدلنا في التنقيط^(٣)
الرد:

أما حول نزول السورة فقد نقل السيوطي هذا عن ابن العربي، ثم قال حول هذه الآية وغيرها: أما الآيات المتقدمة فلم أفهم على مستند لما ذكره فيها، إلا آخر البقرة...^(٤)

وأما عن قوله تعالى: (وقيله) فإن الطبري بعد أن ذكر أوجه القراءة فيها، ووجهها قال: "فتأويل الكلام إذن: وقال محمد قبله شاكياً إلى ربه تبارك وتعالى قومه الذين كذبوه، وما يلقي منهم: يا رب إن هؤلاء الذين أمرتني بإنذارهم، وأرسلتني إليهم لدعائهم إليك، قوم لا يؤمنون"^(٥)

سورة الجن: يقول نولدكه: "ترد إلى الرويا التي اكتشف فيها محمد (ﷺ) أن الجن تسترق إليه عند تلاوة القرآن، وهو اعتقد بكل جدية أنه كان عليه أيضاً أن يبشر الجن، وفي بعض مواضع القرآن يوجه الكلام مباشرة إلى جماعة الجن"^(٦).

الرد: الأحاديث صريحة في أن استماع الجن لتلاوة القرآن من النبي ﷺ لم يكن مناماً، وإنما كان حقيقة ويقظة^(٧)، ولكن تعمد نولدكه إهمال الروايات ورفضها هو الذي برر له مثل هذا التعنت، والخروج عن المنهج السليم في البحث.

١ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ٣٦٩، بتصريف.

٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٨

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٨

٤ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ١٠٣، ج ١، ص ١٠٣-١٠٤

٥ - الطبري، جامع البيان، ج ٢١، ص ٦٥٥-٦٥٦ باختصار

٦ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٨

سورة الملك: يقول نولدكه: "اعتبر البعض السورة مدنية، وربما كان ذلك بسبب مشابهتها في الطول للسور من الحديد إلى التحريم التي نزلت في المدينة"^(٢)
الرد:

أولاً: هذا الافتراض من نولدكه، وثانياً: لو كان هذا الذي ذكره أساساً في اعتبار المكي من المدني لصلح هذا أن يطلق على سور مثل الشورى وفصلت، فأياتها تشبه في طولها آيات الملك، ولكنها مكية مثلها، ولم يقل أحد بذلك.

ثم إن نولدكه لم يفهم كلام السيوطي عن سورة الملك، فنص عبارته عنها: "فيها قول غريب أنها مدنية"^(٣)، مما يعني أنه يرجح مكيها.

سورة المؤمنون: يقول نولدكه: بسبب تفسير خاطئ تربط الآية بموقعة بدر، وحسبها البعض من دون أن تعرف السبب آخر سورة نزلت في مكة^(٤)^(٥)
سورة الأنبياء: يصف بعضهم الآية ٧ بأنها مدنية^(٦)^(٧).

سورة الفرقان: يقول نولدكه:

الآية ٤٥: نزلت بحسب حديث في الطائف^(٨)

الآيات ٦٨ - ٧٠: كان نزولها المدينة، إذ أنها وآيات أخرى ذات مضمون متشابه هو (الجرم والصفح) وتتضمن إشارة إلى وحشي الحيشي الذي قتل حمزة عم النبي (ﷺ)، لكنه أسلم بعد ذلك^(٩)

- ١ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة قل أوحى إليّ، باب، قال ابن عباس: "بدأ أعواناً"، حديث، رقم ٤٩٢١
- ٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٩
- ٣ - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٥٢
- ٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٩
- ٥ - لا يوجد عند السيوطي أن هذه الآية متعلقة ببدر كما زعم، فكل ما ذكره السيوطي أنه ذكر أنه قد استثنى من السورة الآيات من "حتى إذا أخذنا مترفيهم" إلى قوله: "مبلسون" (٦٤-٧٧)، الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٦٣، وأما القول بأنها آخر سورة نزلت فنقله عن الواحدي في أسباب النزول ص ٨، والرواية مرسلة.
- ٦ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٩
- ٧ - نسب نولدكه هذا الرأي إلى السيوطي في هامش رقم ٤٧٥ ج ١، ص ١١٩، وهو غير موجود عند السيوطي، إذ الموجود هو استثناء الآية رقم ٤٤ "أفلا يرون أنا نأتى الأرض"، انظر الإتيان للسيوطي، ج ١، ص ٦٣
- ٨ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٩، وانظر قول السيوطي عن هذا الرأي، ونصه: "لم أقف له على مستند الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٨٥
- ٩ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١١٩ - ١٢٠ ونقل هذا الرأي عن بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي، ج ٢، ص ٤٦٧

الرد:

السورة أسلوبها وأغراضها يدلان على أنها كلها مكية، ثم إن ما أخرجه البخاري ومسلم^(١) في أسباب نزول هذه الآيات يرد هذا القول، إذ لو صح الخبر في وحشي لأخرجاه. ثم إن سيرة حياة وحشي وفي خبره ما يرد هذا، ذلك أن رسول الله ﷺ قال لو حشي حين أسلم: " غيب وجهك عني يا وحشي لا أراك"^(٢).

سورة الإسراء: يقول نولدكه: "الآية الأولى انتزعت من سياق آخر، ووضعت عمداً في مكانها الحالي، مع ضياع المقدمة الأصلية للسورة، فالآية لا يمكن ربطها بما يليها، حيث إن فاصلتها- أي مقدمة السورة- واحدة وهي (الألف) يثير الشك كون فاصلة الآية الأولى وحدها (ير). لكنه يفسر وضع النص (الحالي) بأنه ربما سقطت بعد الآية الأولى بعض الآيات التي تقود طواعية إلى الآية الثانية، أو أن الآية الأولى قد انتزعت من سياق آخر، ووضعت عمداً في مكانها الحالي؛ لأن الآية "وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرْتَابُكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْفُوفَةَ فِي الْقُرْآنِ وَتُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا" جعلت على علاقة بها، وفي هذه الحالة يمكن الافتراض بضياع المقدمة الأصلية التي سبقت الآيات"^(٣).

ويقول: "تتعلق السورة بإسراء محمد (ﷺ) من مكة إلى بيت المقدس، ويعتبره التفسير التقليدي معجزة؛ ولأن النبي (ﷺ) رفض اجتراح المعجزات في مواضع كثيرة من القرآن فينبغي أن نفترض أن محمداً (ﷺ) أراد أن يروي حلماً وحسب، ولا يمكننا التوفيق بين هذا الافتراض والنص الحرفي للآية الأولى إلا إذا اعتبرنا بأن محمداً (ﷺ) لم يعتبر الحلم خدعة حسية بل خبرة فعلية عاشها"^(٤)(٥).

الآية ٩٣ لا علاقة لها بقضية الإسراء فهي تتحدث عن صعود إلى السماء من ناحية افتراضية فقط، حتى ولو كانت تشير إلى المعراج، كما يظن البعض، فإن ذكر الإسراء لا يأتي إلا

١ - صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله "والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر..." حديث رقم ٤٣٨٩، وصحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقيح الذنوب، وبيان أعظمها، حديث رقم ١٢٥
٢ - ابن عبد البر (٤٦٣هـ-)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي الجاوي، د. ط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٠، ج ١، ص ٤٩٦
٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٢٢
٤ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٠-١٢١
٥ - تم الرد على شبهاته المتعلقة حول معجزة الإسراء في نقد شبهات نولدكه على كليات الوحي، ص ٨٥ وما بعدها.

في الآية الأولى فقط، وبالنظر إلى المعراج فلا يذكر في أي موضع قرآني آخر، فقد تكون القصة الخرافية التي نشأت بعد وفاة محمد (ﷺ)، ولعل ذلك حصل اعتماداً على ما تنقله إلينا المصادر المسيحية القديمة عن بعض من اختطفوا إلى السماء^(١).

يرى البعض في الآية ٧٣ إشارة إلى بني تقيف الذين أوردوا في السنة التاسعة بعد الهجرة اعتناق الإسلام بشروط تتعارض مع الدين وكاد محمد (ﷺ) يستجيب لهم. الآية ٧٦ إشارة إلى اليهود في يثرب، أو إلى الحكاية القائلة إن اليهود دفعوا بالنبي (ﷺ) بحيلة للرحيل إلى فلسطين لكنه سرعان ما عاد، والآية ٨٠ يرجعها البعض إلى فتح مكة، أو نشأت بين مكة والمدينة.

الرد: يرد على ما ادعاه حول الآية الأولى منها بأن هذه الفاصلة كانت كواسطة العقد في مكانها حيث جاءت وعيداً من الله تعالى للكفار في تكذيبهم للنبي ﷺ في شأن الإسراء، حيث كانت إشارة لطيفة إلى ذلك أي "هو السميع بما يقولون، البصير بما يفعلون"^(٢)

كانت هذه الآية ككل الآيات التي اعتنى المفسرون ببيان وجه الاتصال بما بعدها، خاصة علماء المناسبات بين الآيات، فالبقاعي يجعل وجه المناسبة لما بعدها من حيث إن الله تعالى لما أخبر عما حبا به نبيه من الآيات البيّنات في رحلته، أتبع ذلك الحديث عن موسى الذي راجع النبي ﷺ بشأن الصلاة المفروضة على الأمة فكان بركة لها، حيث تحدث الله تعالى عن الكتاب الذي آتاه لنبيه ﷺ موسى عليه الصلاة والسلام عند جبل الطور^(٣)

والوجه الجامع بين الآية الأولى والتي تلتها أنهما متعلقتان بنبيين أوتيا كثيراً من قوميهما، فبعد أن تحدث الله تعالى عن إكرام الله تعالى لنبيه تأنيساً له وتكريماً وتخفيفاً، أعقب ذلك بالحديث عما أكرم به نبيه موسى عليه السلام^(٤)

وقد تتعلق المناسبة بين هذه الآية وما لحقها في أن "كونك- يا محمد- نبياً ليس بدع فقد آتيناك الكتاب والحجج كما آتينا موسى التوراة فلم أقروا بذلك لموسى، وأنكروا أمرك والطريق واحد، وقيل إن الرابط على معنى: أنهم كفروا بموسى كما كفروا بما أخبرتهم به من كرامتك^(١)

١ - سبق الرد على هذه الشبهة في نقد تولدك في كليات الوحي.

٢ - ابن عطية الأندلسي، محمد بن عبدالحق (٥٤٦هـ-)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبدالسلام محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، ج٣، ص٤٣٦

٣ - انظر، البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مصدر سابق، ج٤، ص٣٣٣

٤ - انظر، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج٢٠، ص١٥٤

وفي اختلاف فاصلة هذه الآية نكتة بلاغية تكشف عن السر في أنها لم تأت على شاكلة ما تلاها ولحقها من آيات، فقوله تعالى " إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " جملة مشتملة على صيغة قصر بتعريف المسند باللام، وبضمير الفصل قصراً مؤكداً، وهو قصر موصوف على صفة قصر إضافياً للقلب، أي هو المدرك لما سمعه وأبصره لا الكاذب ولا المتوهم كما زعم المشركون^(٢) وقصر القلب هو أحد أقسام مبحث القصر في علم البلاغة والذي يعني قلب اعتقاد المخالف رأساً على عقب، فإذا علمنا موقف قريش من معجزة الإسراء، وكيف أنها اتهمت النبي ﷺ بالجنون أركنا سر مجيء هذه الفاصلة بأسلوب القصر الذي يفيد القلب^(٣).

وأما ما روي حول الآية ٧٣ وفي أن النبي ﷺ كاد أن يستجيب لطلب تقيف في أن تمتعهم باللات سنة، وتحريم واديهم كما حرم مكة، فهو منكر مردود.

قال ابن الجوزي عن ذلك " وهذا باطل لا يجوز أن يظن برسول الله ﷺ ولا ما ذكرناه عن عطية - أي العوفي - من أنه هم أن ينظرهم سنة، وكل ذلك محال في حقه، وفي حق الصحابة أنهم رووا عنه^(٤)

وأما بالنسبة للآية ٧٦ فإن الطبري قد ذكر هذا الرأي، ولكن رجح عليه أن يكون ما في الآية خبراً عن قريش؛ لأنه قد جرى ذكر لهم من قبل، بخلاف اليهود^(٥) وأما الزمخشري فقد ذكر الرواية التي تقول إنها نزلت في اليهود، ولكنها لا تصح، والسياق يدفع أن تكون فيهم^(٦)

وأما الآية ٨٠، فإن الزمخشري ذكر الرأي الأول: "أدخلني القبر مدخل صدق، أخرجني منه عند البعث إخراجاً مرضياً، ثم ذكر بصيغة التضعيف " وقيل: نزلت حين أمر بالهجرة"^(٧) فتعمد

١ - الطبرسي، الفضل بن الحسن (٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق هاشم الرسولي وفضل الله الطباطبائي، ط١، دار الباز، مكة المكرمة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م، ج٦، ص٦١٢،

٢ - ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج١٥، ص٢٢

٣ - انظر، عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفتاتها (علم المعاني)، ط٩، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠٤، ص٣٧٩

٤ - انظر، ابن الجوزي، (٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٤، ج٥، ص٦٧-٦٨

٥ - انظر، الطبري، جامع البيان، ج١٧، ص٥١١

٦ - قال ابن حجر عن هذا الحديث: لم أجده، والخبر غريب، فإن المراد بالآية كفار مكة، الكاف الشاف في تخرج

أحاديث الكشاف، على هامش الكشاف، ج٢، ص٦٤٠

٧ - الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٦٤٢-٦٤٣

نولدكه إهمال ما ذكره الزمخشري في البداية، وتلقف الثاني ليجعل على أساسه أن الآية قد نزلت عند الهجرة، مع أن السورة مكية.

سورة النمل: يقول نولدكه: "سقطت بعض الكلمات من سورة النمل، فالمفردات التي تتبع "هو" لا يمكن أن تخص إلا سليمان وصحبه، ومن الضروري وجود معبر على هذا. فقبل الآية ٩١ ينبغي من حيث المعنى اعتبار زيادة كلمة "قل" أو اعتبارها حذفاً"^(١).

الرد:

الآيات التي ورد فيها الضمير "هو" في قصة سليمان ورد ثلاث مرات، الأولى في قوله تعالى: "إن هذا لهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ"، والثانية في قوله تعالى: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"، والثالثة في قوله عز وجل: "كَأَنَّهُ هُوَ".

فأما دلالة الضمير في الآية الأولى فهذا من قول سليمان عليه السلام في مجمع من الناس شاكراً لله على ما منحه من ملك ونعمة^(٢)، وأما دلالاته في الآية الثانية، فالجملة جاءت استئنافاً بعد انتهاء كلام الهدهد عن عرش بلقيس، ومجيء جملة: "الله لا إله إلا هو" عقب ذلك استئناف هو بمنزلة النتيجة للصفات التي أجريت على اسم الجلالة وهو المقصود من هذا التذييل، أي ليس لغير الله شبهة إلهية^(٣)، وأما في الثالثة فهو من كلام بلقيس عليها السلام، إذ أبرزت عرشها لما رآته في صورة تشبيهية^(٤) "كأنه هو".

وأما بخصوص الآية ٩١ قال ابن عاشور: "فهذا تلقين للرسول ﷺ والجملة مقول قول محذوف دل عليه ما عطف عليه في هذه الآية مرتين^(٥) وهو "قل إنما أنا من المنذرين وقل الحمد لله".

سورة الكهف: يقول نولدكه:

"لا يمكن الجزم فيما إذا كان المقطعان الغريبان اللذان يرويان كيف تعرّف موسى على ضعفه، وعناية الله به، وكيف جال ذو القرنين العالم كله، وسدّ الباب على يأجوج ومأجوج قد نشأ،

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٢٥

٢ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ١٩، ص ٢٣٦

٣ - المرجع السابق، ج ١٩، ص ٢٥٦

٤ - أبوحيان، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وأخرون، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣، ج ٧، ص ٧٤

٥ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٩، ص ٢٧٣

وما سبقهما من آيات في الوقت نفسه، ولا يتضمن أي من المقاطع الثلاثة المذكورة صلة بالمقطعين الآخرين، والأهم من ذلك أن الأساطير المذكورة هنا هي من صلب الأدب العالمي الذي كان معروفاً في ذلك العصر؛ ولهذا السبب فإن تساوي الفاصلة لم يأت صدفة، بل هو نابع من كون هذه المقاطع محددة منذ البداية لتجمع في سورة واحدة، وربما اتبع محمد (ﷺ) في تسلسل المقاطع الروايات المنقولة^(١).

الرد:

جاء في سبب نزول القصص المتعلقة بأصحاب الكهف، وذي القرنين أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود في المدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجوا حتى أتيا المدينة، فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله، وصفوا لهم أمره، وبعض قوله، فقالوا: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهن، فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول^(٢) ثم أخبروهم بالسؤال عن أصحاب الكهف، وذي القرنين، وعن الروح، فلما رجعوا سألوا النبي ﷺ، فقل: أخبركم غداً، ولم يستثن، وتأخر الوحي خمس عشرة ليلة حتى شق ذلك على رسول الله، ثم جاءه جبريل بسورة أصحاب الكهف، وخبر ما سألوا عن أمر الفتية والرجل الطواف، وقول الله "ويسألونك عن الروح"^(٣)

فسبب النزول هذا يبين أن الأمر قد حدث بعد الجهر بالدعوة، وفي مرحلة كانت قريش تبحث عن أي وسيلة لإجهاض دعوة النبي ﷺ.

ثم إن هذه الرواية تكذب دعواه بأن هذه القصص من أساطير الأدب العالمي، فقد كان علمها عند قومه من أهل الكتاب بديل أنهم اختاروها أسئلة تمتحن بها قريش رسول الله ﷺ.

وأما حول العلاقة التي تربط القصص الثلاث في السورة، فهي قصة الصراع بين الإيمان والمادية، أي بين عقيدة تؤمن بالله، وبالغيب، وعقيدة تؤمن بالمادة وما يتبعها، وشرح لما تتبع كل نظرة من العقيدة، والعمل، والأخلاق، والنتائج والآثار، وتحذير من العقيدة التي تكفر بالله وبالغيب^(٣)

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٢٥

٢ - ابن اسحق، السيرة النبوية، ص ٧١

٣ - الندوي، مدخل إلى الدراسات القرآنية، مرجع سابق، ص ١١٩، بتصريف.

المطلب الثالث

نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المكية الثالثة

بلغ عدد سور هذه الفترة عند نولدكه ٢١ سورة، وهو العدد نفسه لسور الفترة المكية الثانية، وهي كذلك استمرار - حسب زعم نولدكه - في تحول أسلوب الوحي في الخطاب من الأسلوب القوي والإيقاعي القصير، إلى الأسلوب النثري الطويل الهادئ الذي يقترب كثيراً من خصائص سور الفترة المدنية.

وفيما يأتي الرد على نولدكه في الشبهات التي أثارها على سور هذه الفترة، والبداية مع

سورة السجدة:

سورة السجدة: يقول نولدكه:

"الآية ٢٣ أدخلت إلى النص لاحقاً، إذ لا علاقة لها إطلاقاً بسياقه، والآية ١٦ والآيات ١٨-٢٠ تعتبر خطأ مدنية، فالأولى بسبب رواية تربطها بالفقراء من المهاجرين أو الأنصار، والثانية بسبب ربطها بحادثة وقعت قبل وقعة بدر"^(١).

الرد:

حول مناسبة الآية ٢٣ لما قبلها: فلما جرى ذكر إعراض المشركين عن آيات القرآن في الآية ٢٢ استطراد إلى تسليمة النبي ﷺ بأن ما لقي من قومه هو نظير ما لقيه موسى من قوم فرعون الذين أرسل إليهم^(٢)

قال أبوحيان: "لما قرر الأصول الثلاثة الرسالة وبدء الخلق والمعاد عاد إلى الأصل الذي بدأ به وهو الرسالة التي ليست بدعاً في الرسالة، إذ قد سبق قبلك رسل، ذكروا موسى لقرب زمانه، وإلزاماً لمن كان على دينه، ولم يذكر عيسى؛ لأن معظم شريعته مستفادة من التوراة"^(٣)

سورة فصلت: يقول نولدكه:

"السورة أقدم من محاولة محمد (ﷺ) لإقناع عتبة بن ربيعة بالإسلام، ولا يجوز وضع هذه الحادثة بعد تاريخ إسلام حمزة؛ لأنه لا يعلم موعد إسلامه على وجه الدقة، ولا يجوز تفكيك السورة؛ لاختلاف فواصل آياتها"^(٤).

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٢٩

٢ - التحرير والتنوير، ج ٢١، ص ٢٣٤

٣ - أبوحيان، البحر المحيط، ج ٧، ص ١٩٩

٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٢٩

الرد: استخدام لفظ أقدم هو عادة من عادات نولدكه في استخدام الألفاظ التي تسير مع منهجية نقد الكتاب المقدس في وضع تاريخ للقرآن، وإسلام حمزة ؑ كان في السنة السادسة للبعثة، فزعمه أنه إسلامه غير معروف على وجه الدقة تعوزه الصحة^(١)

سورة الجاثية: يقول نولدكه: "الآية ١٤ نشأت عند الزحف إلى بني المصطلق، أو لمناسبة أخرى في المدينة، وورود كلمة يغفر في الآية عائد إلى ظهور رجل من غفار كخصم لعمر (ؑ)"^(٢).
الرد: ذكر الواحدي الرواية التي تقول إنها نزلت في غزوة بني المصطلق، ولكنه ساق هذه الرواية بلا سند^(٣)

وأما أن كلمة (يغفر) قد جاءت بسبب ظهور رجل من غفار، فهذا من توهمات نولدكه، فليس في الرواية التي ساقها الواحدي ذكر لقبيلة غفار، أو لأحد منها.

سورة النحل: يقول نولدكه: "الآية ١٣٣ تقوي الشك بأن محمداً (ؐ) كان مقتنعاً بأن عليه أن يأتي للعرب بما أخذه عن المسيحيون عن عيسى، واليهود عن موسى"^(٤)، والآيات من ١٤ - ٤٣ وما بعدها تناول الهجرة إلى الحبشة، والآية ١١٨ مدنية إذا كان المقصود بها سورة الأنعام في الآية ١٤٦، والآية ١٢٣ تتحدث عن سبب اليهود، والآية ١٢٤ تتحدث عن " ملة إبراهيم" فإن كونها مكية عرضة للشك، والآيات من ١١٠ - ١٢٤ نشأت في الفترة المكية المتأخرة التي اعتري النبي (ؐ) فيها الشك بأن الله لم يرسل إلى بني قومه نذيراً من قبله، والآية ١٠٣ تذكر أن محمداً (ؐ) يتلقى تعليماً من أناس آخرين، والآيات من ١٠١ - ١٠٣ يستدل بها على أن النسخ قد حصل قبل الهجرة من خلال حادثة الغرانيق^(٥)، والآيات من ١٠٦ - ١٠٨ تشير إلى المؤمنين الذين ترددوا عن اتباع قدوة النبي (ؐ)، فلم يولوا ظهورهم لمدينتهم، والآيتان ١٢٦ - ١٢٧ تتضمن منع محمد (ؐ) من أن يثأر من المكيين لموت حمزة وقاء لنذر قطعه على نفسه"^(٦)

١ - الشامي الصالحي، سيل الهدى والرشاد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٧٠

٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٣٠

٣ - الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٥٣

٤ - تم الرد على ذلك في موضوع (المصادر المعتمدة والمستبعدة للوحي عند نولدكه في المصدر المتعلق بالروايات الشفوية من أهل الكتاب. ص ٩٨ وما بعدها.

٥ - يأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى عند الحديث عن زمن النسخ في الفصل الثالث

٦ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٣٠ وما بعدها

الرد:

قد تكون الآيات ٤١-٤٣ نازلة في المهاجرين إلى الحبشة، أو في الذين هاجروا إلى المدينة قبل النبي (ﷺ) وأصحابه، وهذا لا ينافي كون السورة مكية، ولا يقتضي تخصيص أولئك بالوعد^(١) الآية ١١٠ تتحدث بوضوح عن الذين تركوا مكة، وقاتلوا إلى جانب الكفار^(٢)

وهذه الآيات تتشابه مع الآيتين ١١٠-١١١ في حديثها عن الهجرة، فـ " هم المهاجرون إلى الحبشة الذين أذن لهم النبي (ﷺ) بالهجرة إليها للتخلص من أذى المشركين، ولا يستقيم معنى الهجرة هنا إلا لهذه الهجرة إلى أرض الحبشة"^(٣)

والآية ١١٨ مكية، وهي تتناسب مع ما قبلها، فهما لحمة واحدة، إذ "لما شنع الله تعالى على المشركين أنهم حرموا على أنفسهم ما لم يحرمه الله، وحذر المسلمين من تحريم أشياء على أنفسهم جرياً على ما اعتاده قولهم من تحريم ما أحل الله نظراً أولئك، وحذر هؤلاء"^(٤)

وأما الآية ١٢٣ فقد جاءت في سياق الرد على شبهة مشركي قريش في أن إبراهيم منهم، فلما نفاها انتقل بهذه المناسبة إلى ما يشبهها وهي دعوى اليهود بأن ملتهم هي ملة إبراهيم^(٥) وأما الآيات الكريمة ١١٠-١٢٤ فإنها لا تتضمن شيئاً مما ذكره، بل الوارد قوله تعالى " ولقد جاءهم رسول منهم فأخذهم العذاب وهم ظالمون" (النحل: ١١٣) والرسول هو محمد(ﷺ)، وليس نبياً آخر.

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: ولقد جاء أهل هذه القرية التي وصف الله صفتها في هذه الآية التي قبل هذه الآية "رَسُولٌ مِنْهُ"، يقول: رسول الله ﷺ منهم، و"منهم" أي من أنفسهم يعرفون نسبه وصدقته^(٦)

وأما ادعاؤه حول الآية ١٠٣ فما قررته الآية ١٠٣ هو عكس ما زعمه تماماً، فالآية قدمت البرهان الساطع على استحالة أن يكون مصدر القرآن من بشر أعجمي أو غيره، وعللت ذلك بـ "لِسَانَ الَّذِي يُنَادُونَ إِلَيْهِ أُعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ"

١ - التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ٢٥٨

٢ - أغلب الظن أن (المترجم) قد أخطأ هنا، فعلى هذه الترجمة فإن المعنى لا يستقيم.

٣ - التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ٢٩٩

٤ - المرجع السابق، ج ١٤، ص ٣١٢

٥ - المرجع السابق، ج ١٤، ص ٣٢١ باختصار

٦ - الطبري، جامع البيان، ج ١٧، ص ٣١٢

وأما الآيات ١٠٦-١٠٨ فإن سبب النزول الوارد فيها هو غير ما زعمه، فهي نازلة في شأن عمار بن ياسر ؓ عندما آذاه المشركون، وقتلوا والديه رضي الله عنهما، فلما رأهم كذلك أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً فأخبر النبي (ﷺ) بأن عماراً قد كفر فقال: كلا، وأنزل الله تعالى "مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ..."^(١)

وأما ما زعمه عن الآية ١١٠ وأنها تتحدث بوضوح عن الذين تركوا مكة، فليس للآية تعلق البتة بما ذكره، فالآية هي قوله تعالى: "ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد فتوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم"

وأما زعمه حول الآيتين ١٢٦-١٢٧، فإن الرواية التي فيها أن النبي (ﷺ) قال: لئن ظفرت بقريش لأمتن بسبعين رجلاً منهم" رواية ضعيفة^(٢) سورة الروم: يقول نولدكه: "الروايات مشوشة، وغير دقيقة حول علاقة أوائل السورة بهزيمة البيزنطيين؛ لأنه لا توجد أخبار بيزنطية موثوق بها تؤكد هذه الروايات، والآيتان ١٧-١٨ مذبذبة^(٣)؛ لأنهما تتحدثان عن أوقات الصلوات الخمس"^(٤).

الرد: يُكذب زعمه أنه لا توجد أخبار بيزنطية موثقة حول ما أخبرت به السورة في بدايتها ما قاله مؤرخون أوروبيون عن هذه الحادثة، فقد قال المؤرخ (جيبون): "لقد تنبأ محمد في الوقت الذي كانت فيه الفتوحات الإيرانية (الفارسية) في عنفوانها، شدة اكتساحها بأن الرايات سوف تحقق بالفتح والانتصار في بضع سنين، وإنه لم يكن هناك عندما أعلنت هذه النبوءة شيء أبعد في القياس، وأغرب عن العقل من هذه النبوءة؛ لأن الأعوام الإثني عشر الأولى من ولاية هرقل كانت تنذر بالسقوط الوشيك والنهاية الأخيرة للدولة البيزنطية"^(٥)

١ - السيوطي، لباب النقول، ص ١٣٥

٢ - قال الهيثمي: رواها الطبراني (المعجم الكبير ج ١١، ص ٦٢)، حديث رقم ١١٠٥١، وفيها أحمد بن أيوب وهو

ضعيف. انظر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٦، ص ١٧٤

٣ - انظر، الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٤٧٧

٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٣٤

٥ - الندوي، أبو الحسن، المدخل إلى الدراسات القرآنية، دار البشير، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ٢٠٠٤،

ص ٣٠٢، عن Decline And Fall of the Roman Empire

وأما حول الآيتين ١٧-١٨ فإن هذا الاستثناء غير مسلم به؛ لأنه لا ينبغي حمل التسبيح على الصلوات الخمس، إذ التسبيح قد ذكر كثيراً في آيات القرآن، ولم يقتصر معناه على الصلوات الخمس^(١)

سورة هود: يقول نولدكه: "يوجد ارتباط وثيق على العموم بين أجزاء السورة، وتوجد بعض الاختلافات في التأليف فالآيات ٦٩-٨٣ تخرج عن النموذج المتبع عادة، ومن السهل اعتبار الآية ٨٤ تنمة للآية ٦٨"^(٢)

الرد:

أولاً: بداية لا يقبل تعبيره "على العموم" في الحديث عن وحدة السورة، فالوحدة الموضوعية تتجلى في كل سورة من سور القرآن الكريم وكأن نجومها التي نزلت متفرقة -نزلت دفعة واحدة، وهذا ملحوظ لمن تدير بعقله وقلبه.

ثانياً: الآيات ٢٥ وما بعدها في قصة نوح وبدايتها: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه..، والآيات ٥٠ وما بعدها في هود، وبدايتها وإلى عاد أخاهم هوداً..، والآيات ٦١ وما بعدها في ثمود، وبدايتها "وإلى ثمود أخاهم صالحاً"، ثم الآيات ٦٩ وما بعدها في قصة إبراهيم، وبدايتها "ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى"، ثم في الآيات ٨٤ وما بعدها التي تتحدث عن قصة شعيب مع قومه، عادت البداية " وإلى مدين أخاهم شعيباً"

واعترض نولدكه على تغير البداية في قصة إبراهيم عن سائر القصص التي قبلها وقصة شعيب التي جاءت بعدها، والجواب عليه أنه لما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر صنيع الأمم السالفة مع الرسل المرسله إليهم، ولحوق العذاب بهم، ولم يكن جميع قوم إبراهيم عليه السلام من لحق بهم العذاب، بل إنما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الأسلوب المطرد فيما سبق^(٣)

ولذلك فإن القصص بعد قصة شعيب عادت في بدايتها كشأن بداية قصة إبراهيم، حيث جاء في قصة موسى: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ... " (هود: ٩٦)

^١ - عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٣٨٠-٣٨١، بتصريف قليل

^٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٣٥

^٣ - الألويسي، روح المعاني، ج ٨، ص ٢٩٧

وأما عن ادعاء تولدكه بأن ذكر موسى في الآية ١١٠ ملفت للنظر بسبب الآية ٩٦، ومناسبة ذكر موسى عليه السلام هنا أنه لما "نكر إعراض المشركين عن الإتيان مع ما أتى به رسول الله ﷺ من المعجزات وأنزل عليه من الكتاب، سلاه بأخيه عليهما السلام لأن الحال إذا عمّ خفّ، وابتدأ ذكره بحرف التوقع بما دعا إلى توقعه من قرب ذكره مع فرعون مع ذكر كتابه أول السورة"^(١)

وقد فات تولدكه أن غرضها "هو الموعظة بمصير قوم لوط إذ عصوا ربهم، فحل بهم العذاب، ولم تغن عنهم مجادلة إبراهيم، وقدمت قصة إبراهيم لذلك وللتبويه بمقامه عند ربه على وجه الإدماج؛ ولذلك غُيّر أسلوب الحكاية في القصص التي قبلها والتي بعدها نحو "وإلى عاد"^(٢)

سورة إبراهيم: يقول تولدكه: "يعزو مفسرون كثيرون سورة إبراهيم (٢٨-٢٩) خطأ إلى القرشيين الذين شهدوا بدرأ"^(٣)

وتولدكه بهذا الزعم قول المفسرين ما لم يقولوه، فإنهم ذكروا أن المقصود بدار البوار هي دار الهلاك أو جهنم، وإن كان بعضهم قد ذكر مصير ما حصل لقريش في بدر مثلاً على هذا الهلاك"^(٤)

سورة يوسف: يقول تولدكه: تعالج موضوعاً واحداً فقط هو حياة يوسف باستثناء بضع آيات في النهاية لكنها على صلة بالآيات الأخرى، وإذا صححت الرواية بأن محمد (ﷺ) قد أعطى هذه السورة في مكة لأول المؤمنين من يثرب ليأخذوها معهم لدى عودتهم إلى مدينتهم يثرب فتكون قد نشأت قبل وقوع هذا الحدث، لا أنها وضعت لهذا الغرض، وقد حملت السورة من مكة إلى المدينة"^(٥)، والرأي القائل إن الآيات ١-٣ مدنية فيرفضه السيوطي"^(٦)(٧)

١ - البقاعي، نظم الدرر، ج٣، ص ٥٨٣

٢ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢، ص ١١٦

٣ - تاريخ القرآن، ج١، ص ١٣٦

٤ - تم الرد على ذلك في نقد منهج تولدكه الزمني في ترتيب السور والآيات على فترات الوحي، ص ١٥١

٥ - انظر، السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج١، ص ٧٥

٦ - تاريخ القرآن، ج١، ص ١٣٦

٧ - المصدر السابق، ج١، ص ١٣٧، وانظر تعليق السيوطي في الإتيان في علوم القرآن، ج١، ص ٦٠، على هذا

الرأي بأنه "واحد جداً لا يلتفت إليه"

الرد: يُرفض تعبيره الذي استخدمه " (نشأت)، و(وضعت)"; لأن القرآن وحي منزل من لدن الله تعالى نزل به الوحي الأمين جبريل على قلب محمد ﷺ، وليس له أن يضع في وحي الله شيئاً من عنده، أو من عند غيره.

سورة غافر: يقول نولدكه:

جزءا السورة من ١-٥٦ ثم من ٥٧-٨٧ لا تعلق لهما بالآخر من حيث المضمون، وربما شجع على جمعها العبارة المستحبة "جادل في آيات الله"، والآيات ٥٦-٥٨ يظن خطأ أنها مدنية لذكر اليهود^(١).

الرد: هذه السورة تعالج قضية الحق والباطل، قضية الإيمان والكفر، قضية الدعوة والتكذيب وأخيراً قضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس الله الذي يأخذ العالين المتجبرين، وفي ثانيا هذه القضية تلم بموقف المؤمنين المهتدين الطائعين ونصر الله إياهم، واستغفار الملائكة لهم، واستجابة الله لدعائهم، وما ينتظرهم في الآخرة من نعيم^(٢).

وأما الآيات ٥٦-٥٨ فإن سبب النزول الذي جاء فيها أن اليهود جاءت إلى رسول الله ﷺ فذكروا الدجال، فقالوا: يكون فينا في آخر الزمان، فعظموا أمره، وقالوا: يصنع كذا فأنزل الله "إن الذين يجادلون.." فأمر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال، فقال: "لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، قال: من خلق الدجال^(٣)"

وأما ادعاؤه حول جملة "جادل في آيات الله" وعلاقتها بلحمة السورة، فإن تكرار المجادلة في هذه الجملة وغيرها في هذه السورة كان من أوجه بداعة بنائها، " فقد بنيت على إبطال جدل الذين يجادلون في آيات الله جدال التكذيب والتورك كما تقدم في أول السورة إذ كان من أولها قوله: "ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا" ، وتكرر ذلك خمس مرات فنبه على إبطال جدالهم في مناسبات الإبطال كلها، إذ ابتدء بإبطاله على الإجمال عقب الآيات الثلاث، ثم بإبطاله بقوله: "الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا" ، ثم بقوله: "إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ" ، ثم بقوله: "أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ

١ - تاريخ القرآن، ج ١ ص ١٣٧

٢ - قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٣٠٥٦

٣ - ابن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، ج ١٢، ص ١٨٣، ولم أجده مخرجاً في كتب الحديث.

أَلَمْ يُصْرَفُونَ"، وذلك كله إيماء إلى أن الباعث لهم على المجادلة في آيات الله هو ما اشتمل عليه القرآن من إبطال الشرك، فلذلك أعقب كل طريقة من طرائق إبطال شركهم بالإتهام على جدالهم في آيات الله^(١)

سورة القصص: يقول نولدكه:

"من الخطأ اعتبار الآية ٥٢ تشير إلى النصارى الذين قدموا على محمد في المدينة (ﷺ)، وكيف كان في وسع محمد- من بعد تجاربه المريرة مع اليهود- أن يقول: إن الذين أوتوا الكتاب آمنوا بالقرآن. الآيات ٧٦-٨٢ قطعة مضافة في مكان غير مناسب إذ يصعب ضمها إلى ما قبلها وما بعدها على السواء، والآية ٨٣ يمكن ربطها بسهولة بالآية ٧٥"^(٢)

الرد:

أولاً: قد نبه على ضعف ما روي بشأن هذه الآية أئمة المسلمين، فقد قال السيوطي: "أخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه من لا يُعرف عن ابن عباس: أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي ﷺ فشهدوا معه أهدأ، فكانت فيهم جراحات، ولم يقتل منهم أحد، فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة، قالوا: يا رسول الله إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجيء بأموالنا نواسي بها المسلمين فأنزل الله فيهم^(٣) "الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون"

ثانياً: زعمه: "كيف كان وسع محمد (ﷺ) من بعد تجاربه المريرة مع اليهود أن يقول: إن الذين أوتوا الكتاب آمنوا بالقرآن" زعم متهافت بسبب:

١- ما اشتملت عليه الآية هو وحي من الله تعالى منزل على النبي ﷺ، شأنه- أي الوحي- في ذلك شأن القرآن كله، وليس قولاً لرسول الله عليه الصلاة والسلام.

٢- الآية غير متعلقة باليهود بشكل عام أبداً، بل هي حديث عن آمن وصدق بما أوحى إليه من القرآن من بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالنبي كورقة بن نوفل، وعبدالله بن سلام^(٤)

٣- الآية مكية، ولم يكن يومئذ لرسول الله احتكاك باليهود، وأما بعد الهجرة، فقد اتبع رسول الله الحكمة في دعوة اليهود حتى إذا ظهر خبث نياتهم، وانكشفت حقيقتهم، وبان سوء أدبهم مع الله ونبيه

^١ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٤، ص ٢٠٠ باختصار.

^٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٣٨

^٣ - السيوطي، لباب النقول، ص ٢١٠، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ج ٧، ص ٣٣٧

^٤ - انظر، الطبري، جامع البيان، ج ١٩، ص ٥٩٤، الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٤٢٥، وابن عاشور، التحرير

والتنوير، ج ٢٠، ص ١٤٣

والمؤمنين - عاقبهم النبي ﷺ بما هم أهل له، فأجلاهم، وبعد غزوة بني قريظة اقتص من ناكثي العهد منهم.

أما بالنسبة لدعواه حول الآيات ٧٦-٨٢ فإن من أسباب إعراض قريش عن دعوة النبي (ﷺ) والإيمان بما أوحى إليه هو اعتزازهم بأموالهم التي كانت عندهم من أسباب عظمتهم، وطعنهم في المسلمين بأنهم ضعفاء القوم، فتكرر في القرآن توبيخهم أكثر من مرة بضرب الله الأمثال للمشركين في جميع أحوالهم بأمثال نظرائهم من الأمم السابقة، فكان حال قارون مع موسى من الأمثلة التي ضربت لهم هنا^(١).

وأما الآية ٨٣ فهي قوله تعالى: " تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لَجُعَلْنَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا سَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ"، وأما الآية ٧٥ فهي قوله عز جل: " وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ".

سورة الزمر: يقول نولدكه: " سورة الزمر: يقول نولدكه: الآيات ٥٣-٥٦ نزلت بالمدينة في وحشي أو بسبب مجرمين آخرين^(٢)، و الآية ٢٣ يجعلها _ أي المفسرون - عن خلط مدنية، ويجعل السيوطي الآيتين ١٠ و ٢٣ مدنيتين^{(٣)(٤)}

الرد: التحقيق على أن الآيات الثلاث ٥٣-٥٦ هي مكية عند الجمهور، وما زعم أنه مدني نازل في شأن وحشي فسند ضعيف، وقال ابن عاشور عن هذه الآيات: "والأصح أنها نزلت بمكة، وأن ما يخيل أنه مدني فقد نشأ من خلال التمثيل بها فاشتبه الأمر على بعض الرواة بأنه سبب نزول"^(٥)

سورة العنكبوت: يقول نولدكه:

الآيات من ١-١١ يعتبرها الكثيرون مدنية، وآية "ووصينا الإنسان بوالديه حسناً" وما بعدها تتناول أهل المدينة الذين منعهم نووهم من الاشتراك في غزوات النبي (ﷺ)، فالراجح أنها نشأت بعد بدر أو أحد، والآيات الإحدى عشر الأولى من السورة نشأت في المدينة بعد القيام بغزوات عديدة أي بعد

١ - جامع البيان، ج ٢٠، ص ١٧٤-١٧٥ بتصرف قليل

٢ - انظر الإتيان للسيوطي، ج ١، ص ٣٥، وانظر ص ٦٦

٣ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٢٨-١٣٩، وهامشيها.

٤ - الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٦٦

٥ - انظر، التحرير والتنوير، ج ٢٣، ص ٣١٢

بدر وربما أحد، والآية ٤٦ يسمح للمسلمين بمجادلة اليهود بالقوة بدلاً من الحسنى، ولم يكن بمقدور محمد (ﷺ) التلطف بهذا قبل الهجرة، والآية ٦٠ قصتها خرافية^(١)

الرد:

أما الآيتان ١٠ - ١١ فهما في قوم من المكذبين ادعوا الإيمان بالسنتهم، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم بأنهم إذا جاءتهم محنة وفتنة في الدنيا اعتقدوا أن هذا من نعمة الله تعالى فارتدوا عن الإسلام^(٢)

وأما الرواية الصحيحة التي تبين سبب نزول آية "ووصينا الإنسان بوالديه حسناً" فهي عن سعد بن عبد الله ما حلفت أمه ألا تكلمه ابداً، ولا تأكل ولا تشرب حتى يكفر بدينه، فمكثت ثلاثاً حتى غشي عليها، فقام ابن لها فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية "ووصينا الإنسان بوالديه حسناً"^(٣)

ثم يقول: إن المفسرين جعلوا آية "وصينا" في لقمان والأحقاف والعنكبوت في سعد^(٤)، وهذا الكلام نقله من الزمخشري^(٥)

وعند تفسير آية الأحقاف ذكر الزمخشري أنه قد روي أنها نزلت في أبي بكر ﷺ؛ لأنه لم يكن أحد أسلم هو وأبواه من المهاجرين والأنصار سواهما^(٦)، وفي آية لقمان قال الزمخشري: وروي أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمهم^(٧) وأما الطبري فقد ربط آية العنكبوت بسعد^(٨)، دون آية الأحقاف^(٩) وأما آية لقمان فقال: وذكر أنها نزلت في شأن سعد مع أمهم^(١٠)

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٣٩ وما بعدها.

٢ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٣٩١

٣ - أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ، حديث رقم ٤٤٣٢

٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٣٩

٥ - الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٤٦

٦ - المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٠٧

٧ - المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٠١

٨ - انظر، الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ١٢

٩ - المصدر السابق، ج ٢٢، ص ١١٢

١٠ - المصدر السابق، ج ٢٠، ص ١٣٩

وأما التفسير الذي فسر به آية العنكبوت وهو أنها نزلت في الذين منعهم ذرهم من الاشتراك في الغزو مع محمد (ﷺ) فلم أجده عند أحد من أهل التفسير.

وأما زعمه حول الآيات ١٠-١١ فهذا الزعم من نولده لا دليل له عليه، وإنما هي تخريصات وافتراضات سوغتها له نفسه عندما رفض الرواية الصحيحة في سبب النزول، ولجأ إلى ابتداع سبب لا برهان عليه ولا حجة.

وأما ادعاؤه حول الآية ٤٦ فإن كلامه تحريف للمعنى الذي يدل عليه نظم الآية، فهي دعت إلى "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم"

والمراد بـ "إلا بالتي هي أحسن" إلا بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بأياته، والتبسيه على حُججه^(١)، ثم إن الآية جاءت في عموم أهل الكتاب، فما الوجه الذي خصص به نولده الآية باليهود، و "إلا الذين ظلموا منهم" تبين لـ "إلا بالتي هي أحسن" وهو أن يكون المراد: إلا الذين أشركوا منهم بإثبات الولد لله والقول بثالث ثلاثة، فإنهم ضاهوهم في القول المنكر، فهم الظالمون؛ لأن الشرك ظلم عظيم فيجادلون بالأخشن^(٢)

وحول الآية ٤٦ قال الفخر الرازي عن الآية ٤٦: : لما بيّن الله تعالى طريقة إرشاد المشركين، ونفع من انتفع وحصل اليأس ممن امتنع بين طريقة إرشاد أهل الكتاب^(٣)

وأما حول قصة الآية ٦٠ فقد نبّه السيوطي على ضعف سبب النزول الوارد في شأن هذه الآية^(٤)

سورة لقمان: يقول نولده: "يجب إعادة ترتيب الآيتين ١٥ و١٦ خلف الآيتين ١٩ و٢٠ كنقيض لتعاليم لقمان الحكيم، وجزء من النص سقط قبل الآية ١٦، و المقطع المختص بلقمان قد يكون قد أضيف لاحقاً بأمر النبي (ﷺ)، والآيات من ٢٧ - ٢٩ موجهة ضد يهود المدينة"^(٥).

١ - الطبري، جامع البيان، ج ٢٠، ص ٤٦

٢ - المصدر السابق، ج ٢٥، ص ٧٧

٣ - مفاتيح الغيب، ج ٢٥، ص ٧٦

٤ - السيوطي، لباب النقول، ص ١٦٧-١٦٨ والرواية عن ابن عمر قال: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة، فجعل يلتقط من التمر، ويأكل، فقال لي: يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟ قلت: لا أشتهييه قال: لكنني أشتهييه وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاماً ولم أجده ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا لقيت قوماً يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال: فوالله ما برحنا ولا برمنا عنه حتى نزلت "وكأين من دابة"

٥ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٤١

الرد: التماس ظاهر بين الآيات فـ "إذا كان لقمان نبياً فيكون هذا مما أوصى به ابنه، وأما على افتراض أنه ليس بنبي فليس هناك تقطع في السياق، بل تكون الآيتان كلاماً معترضاً بين كلامي لقمان؛ لأن صيغة هذا الكلام مصوغة على أسلوب الإبلاغ والحكاية لقول من أقوال الله، ويكون الغرض من ذلك تأكيد ما جاء في وصية لقمان لابنه، وللتعليم بأن النهي عن الشرك عام في كل الأشخاص والأحوال، وليس خاصاً بابن لقمان فقط"^(١)

وأما شبهته حول أن المقطع المتعلق بلقمان أنه من (وضع محمد) فهذه هي عادة تولدكه في رمي الشبهات افتراء على رسول الله، وتكذيباً بالوحي، فالآيات التي نتحدث عن وصايا لقمان لابنه هي مما نزل به الوحي.

ودليل ذلك هو أن النبي ﷺ لم يطلع على شيء مما يتعلق بلقمان قبل النبوة، فهو من غيب الماضي، ورسول الله ﷺ لم يعلم عنه شيئاً قبل نزول الوحي عليه بأمره، فهو أمي لم يقرأ كتاباً ولم يجالس معلماً، فلم يبق إلا أن يكون هذا مما أوحاه الله إليه. وأما الآيات ٢٧-٢٩ فإن الذي جاء في سبب نزولها رواية مرسله^(٢).

سورة الشورى: يقول تولدكه: "تعتبر عدة آيات مدنية من دون أسباب قاطعة"^(٣)
الرد:

ذكر السيوطي أنه قد استثنى من السورة الآيات ٢٤-٢٧، ثم ذكر أن بعض العلماء استثنى من السورة أيضاً الآيات ٣٩-٤١^(٤) والرواية التي استدل بها السيوطي على مدنية الآية الآيات ٢٤-٢٧ وأنها نزلت في الأنصار هي رواية ضعيفة^(٥)

^١ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٢١، ص ١٥٦ باختصار.

^٢ - السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ص ١٧٠ (المحقق)

^٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٤١

^٤ - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٦٦-٦٧

^٥ - قال ذلك المحقق لكتاب الإتيان حيث علق على الرواية التي استدل بها السيوطي من الطبراني في المعجم الكبير (ج ١٢، ص ٣٣، رقم ١٢٣٨٤، فقال: وأخرجه السيوطي في الدر المنثور وزاد عزوه إلى ابن مردويه بسند ضعيف من طيب سعيد بن جبير". الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٦٦، هامش رقم ٧

والآيات التي قيل باستثنائها من السورة "هي مكية المضمون والسياق، فالسورة كلها مكية"^(١)، ثم إنه لم ترد رواية صحيحة في هذا الاستثناء للهذه السورة ولا لغيرها من السور المكية التي قيل باستثناء بعض آياتها، وجعلها مدنية^(٢)

سورة يونس: يقول نولدكه: تعتبر الآية ٤٠ مدنية من غير حق، ويعتقد أن فيها إشارة إلى اليهود في المدينة^(٣)

الرد: نسب نولدكه هذا القول للسيوطي، وهو غير موجود عنده، والسيوطي اعتبر السورة مكية على الأشهر^(٤).

سورة سبأ: يقول نولدكه: "الآية ٦ مدنية وهي واردة في قصة فروة بن مسيك المرادي الذي وفد مهاجراً بعد إسلام تقيف في السنة التاسعة للهجرة"^(٥)،

الرد: "ولعل الاستثناء قد جاء بسبب ذكر "أوتوا العلم"^(٦) في قوله تعالى: "ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي على صراط العزيز الحميد" (سبأ: ٥) والآية جاءت مستقرة في مكانها وسياقها، وقد يكون استثناءها قد حصل بسبب ذكر "الذين أوتوا العلم" وهو استثناء لا يقف أمام السياق والسباق"^(٧)

سورة فاطر: تختلف فواصل الآيات ٣٩ - ٤٥ عن بقية آيات السورة، ولكن ذلك ليس سبباً كافياً لجعلها إضافة متأخرة، ويوجد اتصال بين الآيات^(٨).

١ - عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٩٣

٢ - انظر، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٨٠

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٤٢

٤ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٤٩

٥ - أخرج هذه الرواية الترمذي في سننه في كتاب التفسير، باب ومن سورة سبأ، حديث رقم ٣١٤٦، وقال عنها

حديث حسن غريب، وينظر: الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٦٥

٦ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٤٢

٧ - عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٩١، بتصرف قليل.

٨ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٤٣

سورة الأعراف^(١): يقول نولدكه: "تقسم إلى خمسة مقاطع، ولا صلوات بينها، فقد يكون محمد (ﷺ) جمعها بنفسه^(٢)."

الآية ٩٤ يبدو أن الغلاء قد ساد في مكة قبل ذلك بوقت قصير. الآية ١٥٧ التي فيها "النبي الأمي" إضافة مدنية؛ لأن "الأمي" لا ترد إلا في السور المدنية، وعزروه ونصروه تشير دون التباس إلى الأنصار.

١٥٨-١٥٦ تعرقل سير الأفكار، وربما وضعها محمد (ﷺ) نفسه. الآية ١٦٣ "واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر" تشير إلى يهود يثرب. الآيات ١٧٥-١٨٣ ترد في قصة بلعام بن باعوراء أو إلى أمية بن أبي الصلت، ومفسر حديث (هيرشفيلد) يربطها بالشاعر اليهودي كعب بن الأشرف، ويعتبر المقطع مندياً.

الرد:

أما بالنسبة للآية ٩٤ والتي زعم أنا نزلت في وقت ساد فيه الغلاء في مكة، فهذا من توهمات وتخرصات نولدكه إذ السياق في الآية مكمل للحديث الوارد في الآية التي قبلها، "إذ لما عرف الله تعالى أحوال هؤلاء الأنبياء، وأحوال ما جرى على أممهم، كان من الجائز أن يظن أنه تعالى ما أنزل عذاب الاستئصال، إلا في زمن هؤلاء الأنبياء فقط، فبين في هذه الآية أن هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم"^(٣)

وأما بالنسبة لما ادعاه حول الآية ١٥٧ وجعلها إضافة مدنية لورود كلمة "الأمي" فهذا تعوزه الصحة، إذ لا دليل من النقل عليه، وما ردّ به على ألفاظ أخرى جعلها أساساً في التحديد الزمني للآيات يرد به هنا، إذ "يأويها الناس" ترد في الوحيين المكي والمدني، ولم يقل أحد إن كل ما ورد فيه هذا التعبير يعد وحياً مكيّاً.

ثم إن نولدكه قد تعمد جعل التعبير "ملة إبراهيم" أساساً لعدّ كل آية ورد فيها مدنية، على الرغم من أنها جاءت مرتين في سورتين مكيتين هما الحج والنحل.

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٤٣ وما بعدها.

٢ - سبق الرد على هذه الشبهة في نقد شبهات نولدكه على أسلوب الوحي في موضوع المناسبات، ص ١٧٨

٣ - الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٧، ص ١٩٤

وأما ادعاؤه بأن "عزروه ونصروه" تشير إلى الانتصار، فهذا ما لم يقل به أحد من المفسرين^(١)

وأما بالنسبة للآيات ١٥٦-١٥٨، فإنها وحي الله تعالى إلى نبيه الذي أمر كتابة السوحى بوضعها في هذا الموضع من السورة بأمر من وحي الله، فكانت مظهراً من مظاهر التناسب الإعجازي في السورة، وليس كما قال إنها تعرقل سير الأفكار.

فما قبل هذه الآيات كان حكاية عن موسى عليه السلام في قوله تعالى: "وَإِخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا رِمِيمَاتًا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبُّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِثْمِي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ"، فهذه الآيات هي من بقية دعاء موسى عليه السلام عند مشاهدة الرجفة^(٢)

وأما بالنسبة للآية ١٦٣ فهي متعلقة بالقربة التي هي حاضرة البحر التي هي أيلة أو غيرها^(٣).

وأما الآيات ١٧٥-١٨٣ فقد اختلف في شأن الرجل الذي تحدثت عنه الآيات، فقيل بلعام، وقيل: أمية بن أبي الصلت، وقيل: غير ذلك، ثم قال الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حُجْجَه وأدلته، وهي "الآيات"^(٤)

وأما ذكره لرأي هيرشفيد، فيصفه بـ (المفسر)، ثم يذكره كراي على محاولته تحديد الفترة الزمنية للآيات، فهل وصل الحد به لربط السور والآيات لمحاولة تمرير نظريته حول التاريخ للقرآن، وربطه ببيئته إلى التعلق بأراء المستشرقين وكأنها روايات وأسباب نزول!

سورة الأحقاف: يقول نولنكه:

تعتبر سورة الأحقاف مدنية بسبب ذكر اليهود في الآية ١٠، والآية ١٥ تتناول بحسب المصادر السننية أبا بكر (رضي الله عنه)، والآيات ٣٥ وما بعدها تعتبر مدنية موضع من دون أسباب كافية^(٥)، والآيات من

١ - ينظر: جامع البيان، ج ١٣، ص ١٦٩-١٧٠، وتفسير الكشاف، ج ٢، ص ١٥٧، وتفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٥٧٤،

٢ - الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٧، ص ٢٦٤

٣ - انظر، الطبري، جامع البيان، ج ١٣، ص ١٨٢

٤ - جامع البيان، ج ١٣، ص ٢٥٩، وانظر الأقوال ص ٢٥٢ وما بعدها.

٥ - انظر الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٦٨

٢١-٣٢ وجدت في آخر، إذ هي تشوش العلاقة القائمة بين الآية ٣٣ والآية ٢٠، والآية ٢٩ تتناول الحالة التي تتناولها سورة الجن، حيث اعتقد محمد (ﷺ) أنه على صلة مع عالم الأرواح^(١) الرد:

أما بالنسبة للأمر الأول فقد روي أن الآية ١٠ نزلت في المدينة في عبدالله بن سلام^(٢)، في حين أن سياق الآيات يدل على أنها مكية، وهذا ما ورد عن الإمام الشعبي في تفسير هذه الآية إذ قال: السورة مكية، وإنما أسلم ابن سلام في المدينة^(٣).

وأما بالنسبة للآية ١٥ فإن سبب نزول الآية الذي يربط الآية بأبي بكر وأبويه حديث ضعيف^(٤)، وما أخرجه البخاري عن السيدة عائشة هو غير ذلك تماماً^(٥).

وأما دعواه أن النبي ﷺ اعتقد أنه مبعوث لعالم الأرواح، فقد بعث الله تعالى محمداً ﷺ إلى الناس كافة، فقال: "وما أرسلناك إلا كافة للناس"، وقصة إيمان الجن مما ورد بها النقل الصحيح^(٦)، ولكن نولدكه دأب على تسمية الجن بعالم الأرواح اتباعاً لما هو موجود في (الكتاب المقدس)؛ ولذلك فإن المرء يعجب كيف أن كتاباً يزعم أهل الكتاب أنه كلام الله - أي (الكتاب المقدس) - يذكر قصة ملكة سبأ دون المجيء على ذكر قصة العفريت من الجن الذي استأذن نبي الله سليمان عليه السلام أن يأتي له بعرش بلقيس - فتذكر رواية في العهد القديم أن ملكة سبأ هي التي قدمت من تلقاء نفسها^(٧)، وأما العهد الجديد فإنه لا يسم الجن إلا بأسماء الشر والضلال. ووجه الشاهد فيما سلف أن نولدكه سار مع الكتاب المقدس في أن الجن عالم شرير، فقام بإسقاط شبهته في أنه لا يمكن أن يكون الجن أتباعاً للرسول.

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٤٦

٢ - الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٦٧

٣ - الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج ٢٢، ص ١٠٣

٤ - السيوطي، لباب النقول، مصدر سابق، ص ١٩٥، وقال المحقق (ضعيف)، وهو عند ابن أبي حاتم في تفسيره ج ١٠، ص ٣٢٩٥

٥ - كتاب التفسير، تفسير سورة الأحقاف، باب "والذي قال لوالديه أف لكما...، حديث رقم ٤٨٧٦، حيث ردت على مروان بن الحكم عندما قال عن أخيها عبدالرحمن إن هذا الذي أنزل الله فيه "والذي قال لوالديه أف لكما أتمدانني"، فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عنري.

٦ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الجن، حديث رقم ٤٦٣٧

٧ - الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الملوك الأول، الإصحاح ٩، الفقرة ١

وأما ما ادعاه حول الآيات من ٢١ - ٣٢ فهي الآيات التي وردت في قصة قوم عاد " وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ... "، ثم الآيات المتعلقة بالجن، ومناسبة افتتاح الآيات في القسمين ظاهرة، فأما الآية ٢١ فإن الله تعالى لما هدد المشركين بالأمور الأخروية عطف عليه تهديدهم بالأمور المحسوسة واختار عاداً مثلاً لقرب بلادهم منهم، ومعرفتهم بأخبارهم^(١)

وأما مناسبة آيات قصة الجن لما قبلها فإن الله تعالى لما بيّن أن في الإنس من آمن، وفيهم من كفر، بيّن أيضاً أن الجن فيهم من آمن وفيهم من كفر، وأن مؤمنهم معرض للثواب، وكافرهم معرض للعقاب^(٢)

سورة الأنعام^(٣): يقول نولذكه:

يعتبر بعضهم من دون سبب كاف الآية ٢٠ مدنية، ربما لعلاقة تنسب لها بأهل الكتاب، والرأي ينطبق على الآية ٩٣، والآية ٩١ يجعل نزولها بعد الهجرة. الآيات من ١١٨ - ١٢١ غير موجودة في موقعها الصحيح الآية ١٤١ التي ينصح فيها بالزكاة، والآيات من ١٥١ - ١٥٣ تعتبر خطأ مدنية، ويبدو أن بعض الكلام قد سقط قبل الجزء الذي يبدأ بالآية ١٥٤.

الرد: ما استثنى من السورة من آيات فجعلت مدنية هي الآيات ١٥١ - ١٥٣، وقيل: إن الآية ٩١ نزلت في مالك بن الصيف، والآيتين ٩٣ - ٩٤ نزلتا في مسيلمة^(٤) وأما الخبر الذي ورد في سبب نزول الآية ٩١، وأنها نزلت في مالك بن الصيف فالخبر مروى عن سعيد بن جبير^(٥)

وأما مناسبة الآيات ١١٨ - ١٢١ لما قبلها فهي "تخلص من حاجة المشركين وبيان ضلالهم إلى تبيين شرائع هدى للمهتدين، وإبطال شرائع شرعها المضلون، تبييها بزيل التشابه والاختلاط؛ ولذلك خللت الأحكام المشروعة للمسلمين، بأضدادها التي كان شرعها المشركون وسلفهم^(٦)"

١ - البقاعي، نظم الدرر، ج ٨، ص ١٣٣

٢ - الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٦٧

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٤٥

٤ - انظر، الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٥٨

٥ - انظر جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج ١١، ص ٥٢١

٦ - التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٣٠

وأما ما ادعاه حول الآية ١٤١، فقد نسب ذلك إلى الزمخشري، ولكن جار الله الزمخشري لم يقل إنها مدنية، بل ذكر أنها مكية، ثم قال: وقيل: إنها مدنية^(١)، ولم يرد عند السيوطي ذكر لهذه الآية في الآيات المستثناة^(٢)

وأما زعمه وجود سقط في الكلام قبل الآية ١٥٤، فإن المقطع الذي بدأ بهذه الآية متصل بما قبله فإن الله تعالى لما ذكر الوصايا العشر التي كتبها موسى ﷺ في أول ما أوحى إليه في طور سيناء حسن أن تذكر بعدها التوراة^(٣)

سورة الرعد^(٤): يقول نولدكه: الآيتان ١٣ و١٤ تشيران إلى قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس اللذين أرادا قتل النبي ﷺ في السنة التاسعة أو العاشرة. ليس من الجائز ربط الآيتين بهذا الحدث، فهما ينطقان فقط بالفكرة العامة أن الله يميت الناس أحياناً بالبرق.

لا يُذكر شيئاً عن تفسير هذه الآية، كذلك أخبار كثيرة متأخرة، بالرغم من تزيينها بالكثير من الخرافة، ويُعثر أيضاً على قصص أخرى لتفسير تلك الآية، لكنها غير جديرة بالثقة. الآية ٣٠ تنقل إلى العام السادس بعد الهجرة حين رفض المكيون اقتراح المسلمين باستهلال معاهدة الحديبية بعبارة "بسم الله الرحمن الرحيم"؛ لأن كلمة الرحمن لم تكن معروفة لديهم. آخرون يخطئون بوضع الآية ٣١ في هذه الفترة الزمنية أيضاً- يقصد فترة صلح الحديبية-، ويرون فيها إشارة إلى الجيش المسلم الذي كان نازلاً قرب مكة أو غزوات محمد ﷺ بشكل عام. الآية ٤٣ تعتبر مدنية وذلك بسبب تعبير "شهيد" الذي فسر خطأ مثلما فسرت كلمة "شاهد" (الأحقاف: ١٠) إشارة إلى عبدالله بن سلام اليهودي الأصل^(٥).

الرد: الرواية ضعيفة بشأن ربط الآيتين ١٣ و١٤ بقصة عامر بن صعصعة والأربد بن قيس، وزعمه بأن الآية ١٣ قد زينت بكثير من الحكايا الخرافية فالرواية ضعيفة السند^(١)

١ - انظر، الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٦٩

٢ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٥٨

٣ - البقاعي، نظم الدرر، ج ٢، ص ٧٤٤

٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٤٦

٥ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٦-١٤٧، ما يتعلق بالآية ٤٣ فقد تقدم الحديث عنها عند الحديث عن ترتيب العلماء المسلمين للسور حسب الترتيب الزمني، وكذلك عن آية الأحقاف في محلها.

وأما المعنى الذي ذهب إليه فلا أساس له من الصحة، إذ ليس مراد الآية "هو الذي يرثكم البرق خوفاً وطمعاً.." الإخبار بأن الله تعالى يميت بالبرق أحياناً، بل بيان أن في البرق خوفاً وطمعاً، "فهو خوف للمسافر من أذاه، وللمقيم بأن ينزل المطر"^(٢)

وأما حول الآية ٣٠ فقد نسب نولدكه الرواية المتعلقة بها إلى الواحدي، ونص كلامه: قال أهل التفسير نزلت في صلح الحديبية حين أرادوا كتابة الصلح...^(٣)، فلم يذكر لهذا القول سنداً.

وأما حول الآية ٣١ فقد فهم نولدكه الزمخشري خطأ، إذ ما ذكره الزمخشري يعد تمثيلاً على معنى الآية.

يقول: "حتى يأتي وعد الله" وهو موتهم أو القيامة، وقيل: ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا من العداوة والتكذيب قارعة؛ لأن رسول الله ﷺ كان لا يزال يبعث سرايا فتخير حول مكة، وتختطف منهم، وتصيب من مواشيهم، أو تحل أنت يا محمد (ﷺ) قريباً من دارهم بجيشك كما حلّ بالحديبية حتى يأتي وعد الله، وهو فتح مكة، وكان الله قد وعده ذلك"^(٤)

وأما أن السورة لا تعلق لها بالإشارة إلى عبدالله بن سلام؛ فلأن السورة مكية، وإنما أسلم عبدالله بن سلام في المدينة بعد الهجرة^(٥)

١ - قال عنها الزمخشري في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متهم بالكذب، انظر تقريب التهذيب، ج ٢، ص ٧٨، انظر هامش الكشاف ج ٢، ص ٤٨٩

٢ - الطبري، جامع البيان، ج ١٦، ص ٣٨٧

٣ - الواحدي، أسباب النزول، ص ١٨٤

٤ - الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٤٩٩.

٥ - انظر، الطبري، جامع البيان، ج ١٦، ص ٥٠٦، وهذا الرأي مأثور عن سعيد بن جبير.

المطلب الرابع

نقد شبهات نولدكه لسور الفترة المدنية

لم يقسم نولدكه السور المدنية إلى فترات كما فعل في السور المكية التي قسمها على فترات ثلاث، بل جعل السور المدنية كلها في فترة واحدة ضمت ٢٤ سورة بدأها بالدراسة التحليلية بسورة البقرة، وانتهى بسورة المائدة.

وفيما يأتي الرد عليه فيما أثاره من مطاعن ومزاعم حول هذه السور، والبداية مع سورة البقرة:

سورة البقرة^(١): يقول نولدكه: "المسلمون على حق أنها من أقدم السور المتبقية، والآيات من ١-٢٠ فيها تعبيرات تتشابه ما في الآيات المكية المتأخرة، ولا يتفق المفسرون إذا ما كانت تتناول اليهود أو المنافقين، والآيات من ٢١-٣٩ أصلها مكّي، وليس فيها ما يدل على أصلها المدني، والآيات من ٧٥-٨٢ تشير إلى اليهود، والآيات من ٩٤-٩٦ و ٩٧-١٠٣ موجهة ضد كلمات الكفر التي نطق بها بعض اليهود إلى النصف الأول من العام ٢هـ-.

الآيات من ١٠٤-١٢١: نشأت قبل تحويل القبلة إلى مكة بمدة قصيرة، فالآية ١٠٦ تتناول رفع شرائع سابقة^(٢)، والآية ١١٤ لها علاقة بخصوص النبي (ﷺ) المدنيين الذين أزعجوا المسلمين أثناء تأدية الصلاة، وطمعوا في تخريب أماكن تجمعهم.

الآيات من ١٢٢-١٤١ تسعى لإثبات أن الكعبة دين إبراهيم وهو أفضل بكثير من اليهودية. الآيات من ١٤٢-١٥٠ عن استقبال الكعبة، وفيها التعبير عن أن الكثير سيستأوون من ذلك. الآيات من ١٥٣-١٥٧: أحدث عهداً، والآية ١٥٨ يجب أن تلتحق بآيات الحج.

الآيات من ١٦٣-١٦٧: سقط فيها كلمات أو آيات قليلة، وأما ما بعدها من آيات ١٦٨-١٧١-١٧٦ فهي نقد لليهود الذين طلبوا من المسلمين الالتفات إلى الأطعمة الموسوية الآيات ١٧٧: تعرض للمؤمنين الذين استأوا من تحويل القبلة وأن التقوى الحقيقية أهم من العادات السطحية.

الآيات من ١٧٨-١٨٥ تساويها في الطول وتشابه بدايتها يدل على أنها نشأت في فترة واحدة. الآيات ١٨٨ تبدو مقطوعة من آية أطول، والآيات من ١٨٩-٢٠٣ أصلها مدني، ولكن نظمها لا يساعد على تحديد موعد زمن نشوئها حتى إشعار آخر، فإنه تأتي زمنياً بعد آية النحل: ١٢٣.

^١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٥٥ وما بعدها

^٢ - يأتي الرد عليها في الفصل الثالث من الأطروحة عند الحديث عن النصوص التي ادعى نولدكه قرآنيته.

الآيات من ١٩٠-١٦٣: نزلت قبل احتلال مكة، أو إلى زمن الحديبية حيث توقع محمد (ﷺ) حصول تطورات عسكرية أثناء تأدية رحلة الحج^(١) في السنة السادسة.

الآيات ١٩٤-١٩٦ تعرض للحديث عن رحلة حج الوداع، والآية ٢٠٤ يفسرها المسلمون خطأ، والآية ٢٠٨ يكشف التراث عن المسلمين الذين رغبوا بالتمسك بالشرائع اليهودية والآية ٢١٠: فيها إشارة غير مفهومة للأسف، ويقول في الهامش: وقد يكون من الصحيح اعتبار الآية مكية.

الآيات من ٢١٥-٢١٧: أجوبة على أسئلة مختلفة وجهت للنبي، والآيتان ٢١٩-٢٢٠ نشأت معها. الآية ٢٢٢: تتعزل عن محيطها، والآيتان ٢٤٤-٢٤٥ لا يبدآن بـ "كتب عليكم"، والآيات ٢٦١-٢٨١ وقتها يصعب تحديده، والآيات من ٢٧٨-٢٨١ يعتقد أنها نزلت في حجة الوداع، والآيات ٢٨٢-٢٨٤ فيها بيان معقد للتصرفات في حال الاستدانة.

الرد:

ادعاؤه بأن البقرة من أقدم السور المدنية المتبقية كلام غير صحيح، فلا يوجد سور متبقية وسور ضائعة، فما بين دفتي المصحف هو الذي قرأه النبي (ﷺ) على جبريل في العرصة الأخيرة، وأجمعت الأمة على أن المجمع في الصحف في الجمع الثاني، ثم في الجمع الثالث هو الوحي القرآني الذي أنزله الله تعالى على محمد غير منقوص ولا زائد.

أما زعمه حول الآيات ١-٢٠ فإن سياق الآيات واضح في أنها تتناول ثلاثة أصناف، هم المؤمنون، والكافرون والمنافقون^(٢).

وما زعمه من أن النبي (ﷺ) لم يحدد ما يريده من المنافقين الامتناع عن الحرب أو دفع الجزية فهذا يردده السياق، فالآيات ليس لها تعلق بما زعمه؛ لأن ظاهر المنافقين هو الإسلام، فتتطبق عليهم أحكامه، ولا يطالبون بدفع جزية، أو امتناع عن الحرب؛ لأنهم معدودون من المسلمين. وإن زعم أن كلمة (منافقين) لم ترد في السورة، لكن أوصافهم تتل عليهم إذ يغلب إطلاق "في قلوبهم مرض" عليهم.

وحول زعمه ٢١-٣٩، فإن "يا أيها الناس" يغلب استخدامها في السور المكية، وقد استخدمت في الآيات المدنية، فقله إن أصلها مكي تبعاً لورود النداء بهذا هو أمر غير صحيح.

^١ - يعبر نولدكه دائماً عن عمرة النبي ﷺ بلفظ (الحج)، وهذا تكرر منه أيضاً عند حديثه عن سورتي الحج، والفتح.

^٢ - انظر، الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٩٣

وإذا استدل برواية الواحدي بأن الآيات خطاب مشركي مكة فإنه تعمد ألا يذكر الرواية الأخرى للواحدي التي يرد فيها أن " إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا " قد نزلت في المنافقين^(١) والخطاب بـ " أيها الناس " هنا للإقبال على موعظة نبذ الشرك، وذلك هو غالب اصطلاح القرآن في الخطاب بـ " يا أيها الناس "، وأما موضوع التحدي فقد كان المشركون في المدينة تبعاً لمشركي مكة، وكان نزول هذه السورة في أول العهد بالهجرة إلى المدينة، فكان المشركون متآلبين على النبي ﷺ يتداولون الإغراء بتكذيبه بقصد الناس عن اتباعه، فأعيد لهم التحدي بإعجاز القرآن الذي سبق تحديهم به^(٢)

وأما الآيات ٤٠-٦١ وادعاؤه أنها نشأت بعد أن اتضحت إرادة اليهود الشريرة، فالآية ٤٠ انتقال من موعظة المشركين إلى الكفار من أهل الكتاب، وبذلك تتم موعظة الفرق المتقدم ذكرها؛ لأن فريق المنافقين لا يعدو أن يكونوا من المشركين أو من أهل الكتاب من اليهود^(٣) وقد تعمد تولدكه ألا يتطرق للآيات التي فصلت القول في شأن اليهود، وردت عليهم من الآية ٤٠، حيث " استهل الخطاب بتعريف بني إسرائيل بالمن والنعمة التي امتن الله تعالى بها عليهم، ثم تذكيرهم بجرائمهم، وما حاق بهم من ضروب النكال، وذكر قصة البقرة كونها دليل على تعنتهم، وحبهم للدنيا، ومما طلبتهم في الاستجابة، ثم قسمتهم الآيات إلى فريقين: علماء يحرفون كلام الله، ويتواصون بكتمان ما عندهم من العلم، وجهلاء أميين، هم ضحايا التلبيس الذي يأتيهم من علمائهم، وبعد ذلك ذكرت الآيات سائر جرائمهم وهنأتهم في أربع عشرة جريمة، وختمت الآيات الحديث عنهم بالإخبار عن اليأس من إيمانهم؛ لأنهم يطمعون في تحويل الرسول ﷺ نفسه إلى اتباع أهوائهم، فكيف يطمع هو في استتباعهم إلى هداة؟"^(٤)

وحول الآيات ٧٥-٨٢، والآيات ٩٤-٩٦ و٩٧-١٠٣ أنها تشير إلى اليهود، وهي ضد كلمات الكفر التي نطقوا بها، فقد أجمع أهل العلم أن قوله تعالى: " مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ " نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدواً لهم، وأن ميكائيل ولياً لهم^(٥).

١ - الواحدي، أسباب النزول، ص ١٣

٢ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٣٣٧

٣ - التحرير والتنوير، ج ١، ص ٤٤٧

٤ - دراز، النبا العظيم، مرجع سابق، ص ١٧٨ وما بعدها باختصار

٥ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله " من كان عدواً لجبريل "، حديث رقم ٤٥٢٠

وزعمه عن الآية ١١٤ لها علاقة لخصوم النبي (ﷺ) الذين أزعجوا المسلمين أثناء تأدية الصلاة، فلا توجد رواية سبب نزول بهذا اللفظ، وما ذكر هو أن المشركين صدوا النبي (ﷺ) عن مكة عام الحديبية^(١)

الآية ١١٥ التي ادعى أن محمد (ﷺ) يهاجم اليهود فيها، قد اختلف العلماء في المراد بها على وجوه أقواها أنه تعالى أراد تحويل المؤمنين عن استقبال بيت المقدس في الصلاة، ونسخ ذلك بالتوجه إلى بيت المقدس فبين تعالى أن المشرق والمغرب وجميع الجهات والأطراف كلها مملوكة ومخلوقة له، فأينما يأمر الله باستقباله فهو القبلة؛ لأن القبلة ليست قبلة بذاتها، بل لأن الله تعالى هو الذي جعلها قبلة^(٢)، فأين ما ادعاه من مهاجمة اليهود؟.

وأما زعمه أن الآيات ١٢٢-١٤١ سعت لإثبات أن الكعبة ودين إبراهيم أفضل بكثير من اليهودية، فإنها تصحح المفاهيم المغلوطة التي توارثها اليهود، وزيفوا بطون التاريخ بها بأن إبراهيم كان يهودياً، ثم اتبعهم النصارى فزعموا أنه كان نصرانياً.

وأما حول زعمه عن الآيات ١٤٢-١٥٠ فقد عبرت الآيات بـ "سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها"، وقد اختلف في الطاعنين، فقيل: هم اليهود من أهل الكتاب؛ لكرهتهم التوجه إلى الكعبة؛ لأنهم لا يرون النسخ، وقيل: هم المشركون^(٣)، ورجح ابن عاشور أنها في المشركين، وأجاز أن تكون في المنافقين؛ لأنهم يبطنون ذلك^(٤)

والملاحظ أن نولده كان يلعب بالكلمات، فظاهرها أن الاستيلاء كان من الصحابة، ولكن الأمر كان طعناً في الوحي -الذي نزل ناسخاً لقبلة بيت المقدس- من المشركين أو اليهود أو المنافقين^(٥)

وأما الآيات ١٥٣-١٥٧ ونقله عن بعض المفسرين أن الآية ١٥٤ ذات علاقة ببدر، فقد ذكر الزمخشري في نهاية تفسير الآية بصيغة التضعيف "وقيل: نزلت في شهداء بدر، وكانوا أربعة عشر"^(٦)، والرواية المتعلقة بهذا الشأن هي رواية ضعيفة^(١)

١ - وهي ضعيفة عند ابن حجر، انظر، الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، على هامش الكشاف، ج ١، ٢٠٥.

٢ - الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٣٠-٣١.

٣ - الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٢٢٣.

٤ - التحرير والتنوير، ج ٢، ص ٦.

٥ - انظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٧٩، وقال ابن كثير: "ولفظ الآية عام يحتمل هؤلاء كلهم"

٦ - الكشاف، ج ١، ص ٢٣٢.

وحول موقع الآية ١٥٨ وأنها يجب أن تلتحق بآيات الحج (١٨٩-٢٠٣)، فإن مناسبة الآية في موقعها تظهر أنها في موقعها الذي لا يسد غيرها محلها، فبعد أن "فرغ الله تعالى من أحوال الطاعنين في القبلة شرع في ذكر ما كان البيت به قياماً للناس من المشاعر القاندة إل كل خير"^(٢) ثم حرّف نولدكه معنى الآية "إن الصفا والمروة من شعائر الله" عندما زعم أن المقطع يتناول حذر المسلمين من الطواف، والصحيح أنها في الأنصار تخرجوا من الطواف بينهما^(٣)

وأما زعمه وجود سقط في الآيات ١٦٣-١٦٧، فلم يذكر زعماً يبني عليه شبهته، وإنما ألقى شبهته ثم غادرها إلى ما بعدها.

وأما ما ادعاه حول الآيات ١٦٨-١٧٦ وأنها نقد لليهود الذين طلبوا من المسلمين الالتفات إلى الأطعمة الموسوية، فيرد عليه بأمرين:

أولاً: السياق لم بتطرق البتة لذكر اليهود في الآيات من ١٦٨-١٧٦.

ثانياً: لا يوجد تطرق لما يخص اليهود من أطعمة، وإنما الحديث عن تحريم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به.

وأما ادعاؤه بأن الآيات ١٧٨-١٨٥ قد نشأت في فترة واحدة؛ لتشابه بداياتها، وتساويها في الطول، فهو قول تعوزه الصحة إذ هذا يستلزم الاحتجاج عليه من نقل صحيح.

وحول ما زعمه أن الآية ١٨٧ التي تذكر المسلمين الذين بالغوا في ممارسة الصيام. إهماله لسبب النزول أدى به لفهم خاطئ فالصحيح أن أصحاب النبي ﷺ كان الرجل منهم إذا كان صائماً محضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وأن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال لها أعندك طعام؟ فقال: لا، ولكني أنطلق فأطلب لك شيء وكان يومه يعمل فتغلبه عيناه، فجاءته امرأته فرأته قالت: خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية "أَحِلُّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ"^(٤)

١ - انظر، الدر المنثور ج ١، ص ٣٧٥، من رواية الكلبي، وهو متهم بالكذب، ولباب النقول في أسباب النزول، ص ٢٦.

٢ - البقاعي، نظم الدرر، ج ١، ص ٢٨٢

٣ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله: "إن الصفا والمروة من شعائر الله..."، حديث رقم ٥٤٣٦

٤ - أخرجه البخاري، في كتاب الصوم، باب قول الله جل ذكره "أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم"، حديث رقم ١٨١٦.

وحول ما ادعاه أن الآية ١٨٨ مقطوعة من نص أطول، فهذا ادعاء وزعم لم يأت عليه بدليل واحد.

ويُقر بعجزه عن تحديد الزمن الذي نزلت فيه الآيات ١٨٩-٢٠٣، وحتى إشعار آخر فإنه يزعم أنها نزلت زمنياً بعد الآية ١٢٣ من النمل، وذلك لأنه عجز عن وجود رواية تحدد الزمن الذي نزلت فيه الآيات الكريمة، شأنها في ذلك شأن كل المواضع التي اعترف بعجزه عن تحديد زمنها، أو الآيات التي قام بتحديد زمنها افتراضاً من غير نقل صحيح.

وأما حول الآيات ١٩٠-١٩٣ التي ادعى أنها نزلت قبل فتح مكة- يسميه هو احتلالاً- أو إلى زمن الحديبية حيث توقع محمد (ﷺ) حدوث تطورات عسكرية أثناء رحلة الحج في السنة السادسة، فالآية ١٩٠ روي أنها قد نزلت في صلح الحديبية لما صد المشركون رسول الله ﷺ عن البيت هو وأصحابه، وما روي في سبب نزولها لا يصح^(١).

وأما ادعاه حول الآيات ١٩٤-١٩٦، وسبب النزول الوارد حول قوله تعالى: "الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص" وأنها نزلت لما صد المشركون النبي (ﷺ) وأصحابه عن البيت، وصالحهم رسول الله ﷺ على أن يرجع هذا العام ويأتي العام القابل^(٢) وأما الآية ٢٠٤، فإنها نعت من الله ﷻ للمنافقين^(٣)

وأما ما زعمه حول الآية ٢٠٨ وأن التراث يكشف عن المسلمين الذين رغبوا التمسك بالشرائع اليهودية، فالمروي حول هذه القضية لا يصح^(٤)

وأما ما ادعاه حول الآية ٢١٠، فإنها جاءت وعيداً، حيث جاء التعبير بإتيان العذاب من الغمام مع أنها مظنة الرحمة؛ وذلك لأن إنزال العذاب منه أفظع وأهول؛ لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحسب كان أغم^(٥)

١ - الواحدي، أسباب النزول، ص ٣٣ من رواية الكلبي المفسر وهو متهم بالكذب.

٢ - انظر، جامع البيان، ج ٣، ص ٥٧٥

٣ - المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٢٩

٤ - أخرج الواحدي في أسباب النزول ص ٤٠ أن عبدالله بن سلام وأصحابه أنهم لما آمنوا بالنبي ﷺ عظموا شرائعه وشرائع موسى، فعظموا السبت، وكرهوا لحمان الإبل وألبانها بعدما أسلموا، فأنكر ذلك المسلمون، فقالوا: إنا نقسوى على هذا وهذا، وقالوا للنبي ﷺ: دعنا نعمل بأحكام التوراة، فأنزل الله الآية. وهذا الحديث واه وإسناده ساقط، انظر الكافي الشاف، على هامش الكشاف، ج ١، ص ٢٨٠، وقال ابن كثير: وفي ذكر ابن سلام مع هؤلاء نظر إذ يبعد أن يستأذن في إقامة السبت وهو مع تمام إيمانه يتحقق نسخه ورفع بطلانه والتعويض عنه بأعياد الإسلام، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٢٣٥.

ومناسبة الآية لما قبلها أن خاتمة الآية ١٠٩ "فاعلموا أن الله عزيز حكيم" لما كانت مؤنثة بالعذاب، وكان إتيان العذاب من محل تتوقع منه الرحمة أقطع، وكان أنفع الأشياء، والسحاب أنفع الأشياء لحمله الغيث، والملائكة هم خير محض، والذين شاهدوا العذاب في السحاب قوم مضوا وهم عاد، وقوم حاضرون وهم بنو إسرائيل، فلما من كان قد زل بعد موعظة الله أن يشبه بمآله بهم فيما صاروا إليه من الذلة وحلول غضبه عليهم^(١)

وأما جعل نولده الآيات من ٢١٥-٢١٧ ذات نزول في فترة زمنية واحدة لتشابهها في بدايته بـ "يسألونك" فهذه عادة درج عليها نولده في كل كتابه، حيث يفترض الآيات المتشابهة في المطالع ذات فترة زمنية واحدة، مثل يا أيها، كتب عليكم، ويسألونك، وهو في هذا كله يبني زعمه بلا رواية أو نقل.

وأما الآية ٢١٧ فهي "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل" لها علاقة بسرية عبدالله بن جحش في السنة الثانية^(٢).

وأما ما ادعاه حول الآية ٢٢٢ وأنها تتعزل عن محيطها، فتناسب محلها مع ما قبلها يرد ذلك، فهي "عطف على جملة: "ولا تكفروا بالمشركات حتى يؤمن" (البقرة: ٢٢١)، بمناسبة أن تحريم نكاح المشركات يؤذن بالنتزه عن أحوال المشركين، وكان المشركون لا يقربون نساءهم إذا كُنَّ حَيِّضاً، وكانوا يفرطون في الابتعاد منهن مدة الحيض فناسب تحديد ما يكثر وقوعه وهو من الأحوال التي يخالف فيها المشركون غيرهم"^(٣)

وأما ما زعمه من أنه يجب ضم الآيتين ٢١٦ و ١٤٤ لجعلهما آية واحدة؛ لينشأ تشريع بثلاث آيات يبدأ بـ (كتب عليكم)، ثم يرجع هذا كله إلى زمن الآيات الذي نشأت فيه الآيات ١٧٨-١٨٦ فهذا؛ لأن نولده درج على العادة التي سبق الحديث عنها وهي جعله الآيات ذات المطالع المتشابهة في زمن واحد مع عدم وجود رواية تبين زمن نزول كل آية من الآيات.

١ - الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٢٨١، بتصريف.

٢ - البقاعي، نظم الدرر، ج ١، ص ٣٨٨، بتصريف.

٣ - أخرج ذلك الطبراني في المعجم الكبير، ج ٢، ص ١٦٢ أن النبي بعث رهطاً وأمر عليهم عبدالله بن جحش فقتلوا ابن الحضرمي، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو جمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه"

٤ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢، ص ٣٦٤

وأما ما ادعاه من أن الآية ٢٤٣ والآيات ٢٤٦-٢٥٦ تحض المسلمين بأمثلة من تاريخ بني إسرائيل على الطاعة والشجاعة، وأن محمداً (ﷺ) قد بان له أن الحرب المعلنة ضد بني قومه لم تعد قابلة للتأجيل.

الذين ورد ذكرهم بالثناء هم الذين استثناهم الله تعالى من الذين قال فيهم: "قلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم" فهؤلاء هم أهل الثناء، وليس كل بني إسرائيل.

ثم إن الآية ٢٤٣ لا تتحدث عن جهاد أو قتال لبني إسرائيل، إنما الحديث حول قصة إحياء أولئك الذين خرجوا من ديارهم ثم أعادهم الله تعالى أحياء؛ ليكون دليلاً وبينه على قدرته على الإحياء لهم ولغيرهم يوم القيمة للجزاء.

وأما ادعاؤه بأن النبي (ﷺ) قد استبان له بأن الحرب المعلنة ضد قومه لم تعد قابلة للتأجيل، فهذا مخالف للوقائع والحقائق، فقريش هي التي أخرجت النبي (ﷺ) وأصحابه من ديارهم وأموالهم، مع إيدانها لهم في دينهم، وقاتلتهم؛ لأنهم قالوا ربنا الله، ثم حشدت جيشها لقتالهم يوم بدر.

قال أبو حيان: "مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، وذلك أنه لما أمر المؤمنين بالقتال في سبيل الله، وكان قد قدم قبل ذلك قصة الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت، إما بالقتال أو بالطاعون، على سبيل التشجيع والتثبيت للمؤمنين، والإعلام بأنه: لا ينجي حذر من قدر، أردف ذلك بأن القتال كان مطلوباً مشروعاً في الأمم السابقة، فليس من الأحكام التي خصصت بها، لأن ما وقع فيه الاشتراك كانت النفس أميل لقبوله من التكليف الذي يكون يقع به الأفراد"^(١)

وفي هذه القصص حجة على مشركي العرب ونولدكه وسائر اليهود والنصارى، بأن الوحي أنبا النبي (ﷺ) بما لا يستطيعون دفع صحته، مع كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولم يدارس أحداً^(٢)

وأما الآيات ٢٦١-٢٨١ فإن نولدكه يقر بأنه لم يستطع تحديد زمن نزولها.

وأما الآيات ٢٧٨-٢٨١ وزعمه بأنها نزلت في حجة الوداع، وأحال في الهامش على الواحدي في كتابه أسباب النزول.

ولدى مراجعة كتاب الواحدي تبين أنه لم يذكر رواية تبين أن الآية قد نزلت في حجة الوداع، بل الذي ذكره^(٣):

^١ - أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٤٧٦

^٢ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٧٣ باختصار.

^٣ - الواحدي، أسباب النزول، ص ٥٨-٥٩

١- الرواية التي تبين أن هذه الآية قد نزلت بعد فتح مكة لربما كان بين بني المغيرة من بني مخزوم، وبني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف، وفيها الكلبى المفسر، وهو متهم بالكذب.

٢- عن عكرمة وعطاء: أنها في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان والرواية مرسلة.

٣- عن السدي: أنها في العباس وخالد بن الوليد

وأما ما ادعاه من أن الآيات ٢٨٢-٢٨٤ هي بيان معقد للتصرفات في حال الاستدانة.

المعهد في المال أنه عصب الحياة، فغنت الآيات بإبراز جانب في غاية الأهمية وهو الجانب المتعلق بالتوثيق للديون في المعاملات المالية بالإشهاد أو ما يقوم مقامه كالرهن أو الائتمان؛ إذ أن التوثيق هو من أهم وسائل بث الثقة بين المتعاملين، وتحريك العمل برؤوس الأموال^(١)

سورة البينة: يقول تولدكه: "وهي مدنية لدليل ذكر أهل الكتاب في الآيتين (٦٠) مع المشركين، ومن اعتبرها مكة عدّها كذلك لوقوعها بين سور مكة قديمة"^(٢)

الرد: الأشهر أنها مكة، وقيل مدنية، وبه جزم ابن كثير استدلالاً بما روي من حديث "إن ربك أمرك أن تقرئها أبياً"^(٣)، وهي مكة عند صاحب الكشاف^(٤)

وأما الرد على ترجيحه بأنها مدنية بسبب ذكر أهل الكتاب؛ فإنما ذكروا في السورة؛ لأنهم كانوا على علم بالنبي ﷺ لوجوده في كتبهم، وذلك لأن الكفار من الفريقين من أهل الكتاب والمشركين عبدة الأصنام كانوا يقولون قبل البعثة: لا ننفعك عما نحن فيه عليه من ديننا، ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل وهو محمد ﷺ، فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه^(٥)

وهي لم تعد مكة لوقوعها بين سور مكة قديمة، إذ أن سور المفصل قد جاء فيها سور مدنية مثل النصر بين سورتين مكيتين.

ثم إن أسلوب السورة، وموضوعاتها خاصة المقابلة بين جزائي المؤمنين والكفار هو الذي يرجح مكيتها، وأما موقعها فإن النبي (ﷺ) هو الذي حدد لكتاب الوحي وضعها فيه.

١ - انظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ١٢٤

٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٦٦

٣ - أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم ١٥٤٢٨

٤ - ينظر، الإيقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٥٤، ومسند أحمد، ج ٢٥، ص ٣٨١، حديث رقم ١٦٠٠٠، وينظر قول

الكشاف، ج ٤، ص ٧٨٨

٥ - الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٧٨٨-٧٨٩

سورة التغابن: يقول نولدكه: 'يستحيل تحديد زمن نشوئها بدقة، والسورة كلها مدنية؛ لأنها من المسبحات التي تبدأ بـ (سبح، يسبح)، وهي الحديد، والحشر، والصف، والجمعة"^(١)(٢)

وهذا الذي قاله نولدكه من السلبات التي وقع فيها وهويتب السور زمانياً على فترات الوحي، إذ حصل التناقض عنده بين التقعيد والتطبيق، فمثلاً حينما ذكر أن سورة التغابن تشبه السور المكية، ولهذا السبب تعد منها، ثم عاد فقال: 'وثمة ما يؤيد كون السورة كلها مدنية، واعتقد أن هذا يصح بالإجمال على كل المسبحات - أي السور التي تبدأ بـ (سبح، يسبح)

ثم يقول عن سورة الصف: 'تعتبر سورة الصف أحياناً مكية، شأنها شأن أكثر من سورة مدنية"^(٣)، وعن سورة الحديد: "كثيراً ما تعتبر سورة الحديد كاملة مكية، أو على الأقل الجزء الأول أو الأخير منها"^(٤)

فهو في التغابن جعلها مدنية؛ لأنها بدأت بـ (يسبح) ثم عمم هذا الحكم بمدنية الصف والحديد والحشر والجمعة، ولكنه لما تكلم عن الصف والحديد أشار إلى القول بمكيتتهما، ولم يبق على رأيه في أنهما مدنيتان.

سورة الجمعة: يقول نولدكه: "الجزء الأول موجه ضد اليهود، وهذا تزامن مع الجزء الأكبر من سورة البقرة، والجزء الثاني فيتناول دخول دحية مع صحبه إلى المدينة قبل اعتناقه الإسلام أثناء صلاة الجمعة مع صحب له وهم يضحون ولو افترضنا صحة هذا القول فهو لا يفيدنا فيما يتعلق بزمن نشوء هذه الآيات بدقة، فدحية لا يعرف مسلماً إلا في نهاية العام الخامس في وقعة الخندق"^(٥).

الرد:

أولاً: فيما يتعلق بالجزء الأول فإنه من ٨ آيات لم تتحدث عن اليهود إلا في أربع، وكانت مناسبة الحديث ؛ لأنه بعد أن ذكر أنه أتى فضله قوماً أميين أعقبه بأنه قد فعل ذلك مع اليهود من أهل الكتاب فلم ينتفعوا به ، ولم يأخذوا من العلم إلا حملة دون فهمه والعمل به^(٦)

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٦٦

٢ - تمت الإشارة إلى تناقض نولدكه في ذلك في نقده في منهجه الزمني في ترتيب الآيات والسور على فترات الوحي، ص ١٥٥

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٤

٤ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٥

٥ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٧

٦ - انظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٨، ص ٢١٣.

وسبب نزول قوله تعالى: "وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً" هو خبر صحيح^(١).

وأما ما يتعلق بإسلام دحية رضي الله عنه، فإنه قد أسلم في السنة الثانية للهجرة، ولكنه لم يشهد بدر^(٢)، وقصة تمثل جبريل رضي الله عنه بصورته يوم الخندق ليس دليلاً على أن إسلامه قد تأخر إلى العام الخامس للهجرة.

سورة الأنفال: يقول نولدكه: "معظم سورة الأنفال على علاقة مباشرة بالنصر في بدر، وخلال الفترة التي تأخر فيها توزيع الغنائم قام محمد صلى الله عليه وسلم بنشر القسم الأكبر من هذه السورة خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة.

الآية ٢٧: لها علاقة بأبي لبابة، والآيات من ٣٠-٣٥ ليست مكية، والبعض يقول إن الآية ٣٦ نزلت يوم أحد

مطلع السورة أقدم من الآيات من ٢٩-٤٤ والآية ٤١ التي تحدد التوزيع النهائي للغنائم متأخرة عن الآية الأولى، والآيات من ٤٥-٦٢ تشكل قطعة مستقلة تعود إلى الفترة نفسها أي سنة ٢هـ، والآيات من ٥٨-٦٢ ترد من دون سبب إلى بني قينقاع، والآية ٦٤ كانت بعد إسلام عمر، ولهذا يعتبرها البعض مكية، وأما الآيتان ٧٤-٧٥ فإن الرابطة الأخوية التي أسسها محمد صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة عاد ففصم عراها بعد المعركة، والمفسرون مخطئون في جعل الآية ٧٥ ناسخة للآية ٧٢^(٣).

الرد:

سورة الأنفال هي السورة الثانية نزولاً في المدينة بعد سورة البقرة، وهي نزلت في بدر خصيصاً حتى إنها تسمى بسورة بدر عند بعض العلماء^(٤)

وأما تأخر النبي صلى الله عليه وسلم في توزيع الغنائم ما يقارب الشهر، فإنه غير موجود عند ابن هشام^(٥)، وأما الادعاء بأن الآية ٤١ متأخرة عن الآية الأولى فإنها كانت بياناً لما أجمل من حكم الأنفال في افتتاحية السورة ناسب الانتقال إليه ما جرى من الأمر بقتال المشركين إن عادوا إلى قتال المسلمين^(٦)

١ - أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب إذا نفر الناس عن الإمام، حديث رقم ٩٤٤

٢ - انظر، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢، ص ٤٦١

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٦٨

٤ - انظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٩، ص ٢٤٦.

٥ - ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٢٦٥-٢٦٦

٦ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ٥

وأما أن مطلع السورة أقدم من الآيات ٢٩-٤٤، فإن الله تعالى "لما فتح عليهم ذكرهم مكر قريش به حين كان بمكة؛ ليشكر نعمة الله عز وجل في نجاته من مكرهم، واستيلائه عليهم، وما أتاح الله له من حسن العاقبة"^(١)

من ربط الآية ٢٧ بأبي لبابة، فالرواية المذكورة حول ذلك أخرجها الواحدي بلا سند، وجاءت مرسلة في قصة بني قريظة لما أشار إلى حلقه يقصد الذبح^(٢)

ربط نولده للآيات من ٥٨-٦٠ ببني قينقاع حيث قال: وقد بدأت محاربتهم بعد بدر بمدة قصيرة، وقد نقل هذا الربط عن الواقدي في مغازيه، والواقدي مضعف في جانب الرواية، وورد عند الفخر الرازي أنه ربط الآيات ببني قريظة^(٣)

وأما حول الآيات من ٤٥-٦٢ فإن الآيات جاءت بعد عرف الله المؤمنين بنعمه ودلائل عنايته، وكشف لهم عن سر من أسرار نصره إياهم، وكيف خذل أعداءهم، وصرفهم عن أذاهم، فاستتب لهم النصر مع قلتهم وكثرة أعدائهم، أقبل في هذه الآية على أن يأمرهم بما يهيئ لهم النصر في المواقع كلها، ويستدعي عناية الله بهم وتأييده إياهم، فجمع لهم في هذه الآية ما به قوام النصر في الحروب^(٤)

وأما حول علاقة الآية ٦٤ بإسلام عمر، وبالتالي اعتبارها مكية، فإن الروايات الواردة حول ذلك روايات ضعيفة جداً^(٥)

وحول الآيتين: ٧٤-٧٥: من المفسرين من ذهب إلى وجود نسخ، حيث كان التوارث بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ^(٦) بقوله تعالى: "وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ لِّسِي كِتَابِ اللَّهِ"

١ - الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٢٠٤

٢ - ذكرها الواحدي بلا سند ص ١٥٧-١٥٨، وانظر، السيوطي، لباب النقول، ص ١٠٦، وقال المحقق عنه (حسن بالشواهد)

٣ - انظر، الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٥، ص ١٨٩، انظر لباب النقول للسيوطي ص ١١٠-١١١ (قال المحقق عن الحديث: مرمل)

٤ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٢٩

٥ - انظر مجمع الزوائد ج ٩، ص ٦١، قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني باختصار وفيه النضر أبو عمر وهو متروك

٦ - الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٢٢٧

في حين ذهب الرازي وغيره أن لا نسخ في الآية، وأن معناها أن يكونوا بدأ واحدة على عدوهم، وإذا احتَمَل اللفظ هذا كان حملة على الإرث بعيداً عن دلالة اللفظ، مع قول من قال بالنسخ أن الحكم صار منسوخاً بـ "وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله"^(١)، فالآية ٧٥ مقيدة للإطلاق الذي في الآية ٧٤^(٢)، وبالتالي بطل ما ادعاه نولدكه من تعميم الحكم بأن المفسرين يقولون بوجود النسخ بين الآيتين.

سورة محمد: يقول نولدكه:

"لا يمكن أن تكون سورة محمد قد نشأت بعد وقت بدر بزمان طويل، والجزء الثاني منها (الآية ٢٩، والآيتان ٢٠-٢١) يحارب إضافة إلى المنافقين المحاربين إلى جانب النبي (ﷺ) الذين أرادوا رغم نصرهم عقد صلح مع أهل مكة في الآية ٣٥، وبعضهم يعتبر هذه السورة مكية، ويعارضهم آخرون والآية ١٣ نزلت حين التفت النبي (ﷺ) أثناء الهجرة إلى مدينته باكياً"^(٣)

الرد:

أولاً: أخذ نولدكه ما قاله حول نزول سورة محمد بعد غزوة بدر من فايل الألماني^(٤)، وليس من كتب أسباب النزول المعتمدة عند المسلمين، فوظف مرجعاً غير معتد به في هذا الجانب. ثانياً: يقول ابن كثير عن آية "فإذا لقيتم الذين كفروا...": والظاهر أن هذه الآية قد نزلت بعد وقعة بدر...^(٥)

ثالثاً: السورة بينت حقيقة المنافقين وهم في مجلس رسول الله ﷺ، ثم موقفهم من الجهاد. رابعاً: وأما ما ادعاه حول أن أناساً حاربوا إلى جانب النبي ﷺ أرادوا عقد صلح مع أهل مكة فهذا ما لم يرد في أسباب النزول، وما زعمه لم أجده عند أحد من المفسرين^(٦). وأما حول اختلاف العلماء في السورة هل هي مكية أم مدنية، فقد قال السيوطي: "حكى النسفي قولاً غريباً أنها مكية"^(٧)

١ - الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٥، ص ٢١٦ باختصار

٢ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ٩٢

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٧٠

٤ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٠، هامش رقم ٧٣١

٥ - تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ١٧٦

٦ - جامع البيان، ج ٢٢، ص ١٨٧ وما بعدها، والكشاف، ج ٤، ص ٣٣٢، وتفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ١٨٤

خامساً: وأما الآية ١٣ وأن النبي ﷺ قد التفت إلى مكة عند هجرته فقد ذكر هذه الرواية السيوطي في (لباب النقول غير أنني لم أجدها مخرجة في كتب الحديث بالصيغة التي ذكرها السيوطي^(٢))

سورة آل عمران^(٣): يقول نولدكه: "لا يمكن التأكد متى نزل الجزء الأول من السورة ١-٩٢، والآية ٦٤ مذكورة في رسالة النبي ﷺ إلى القيصر هرقل، ورسائل النبي ﷺ مشكوك بها جداً، والآية ١٢ تشير إلى بني قينقاع، والآية ٦٥ فيها اختلاف محمد ﷺ واليهود، ثم تخلى عن إسلامهم. الآيتان ٢٦-٢٧ لا تتسجمان مع الآيات الأخرى، ونظمها يهودي الأصل من حيث الشكل والمضمون الآية ٩٥ تشير إلى الزمن الذي تلا بدرأ، والآية ٩٨ تشير إلى شاس بن قيس وهو ممن عانى من إخضاع بني النضير، والآية ١٠٠ نزلت في شاس بن قيس، والآية ١١١ نزلت بعد تمادي اليهود وبعد هزيمة البيزنطيين في أحد، واضطر المسلمون إلى تحمل شر أعدائهم، فهي نشأت قبل وقعة بني النضير سنة ٤هـ.

الآيات ١١٨ وما بعدها تتحدث عن توقف اليهود عن إخفاء عداوتهم للمسلمين الذين حلت بهم الضراء، فهي مرتبطة بوقعة أحد سنة ٣هـ.

الآية ١٢٨ نزلت والنبي ﷺ جريح في غزوة أحد، والنبي ﷺ لو كان قادراً على الإتيان بأفكار كهذه كالواردة هنا، فلا بد وأن تكون هذه الآية قد نشأت لاحقاً.

الآيات من ١٣٠-١٣٦: لا يمكن تحديد زمن نشوئها بدقة، وأما الآيات ١٣٧-١٦٠ فلها علاقة بمعركة أحد، لكنها منتمية للزمن الذي يليه مباشرة.

الآيات من ١٦٠-١٦٤ مرتبطة برداء ثمين من غنائم بدر، ومفسرون يرون فيها إشارة إلى الصحابة الذين نزلوا عن جبل أحد، والآيات من ١٦٥-١٨٠ تتعلق بأحداث حمراء الأسد، والآيات من ١٨١-١٨٤ تجيب على كلمات الهجاء التي نطق بها أحد اليهود، والروايات المحيطة بالأمر لا يمكن التصرف على أساسها.

الآية ١٨٥ وما بعدها قريبة زمنياً من أحد، وجو الآية ٢٠٠ جو مضغوط يحث المسلمين على احتمال المصيبة والإهانات بصبر.

١ - الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٥٠، وانظر، ج ١، ص ٣٦ من الإتيان حيث عدها السيوطي في السور المدنية، ولم يتطرق نولدكه لذلك. وذكر الزمخشري عن مجاهد أنها مدنية، وعن الضحاك وسعيد بن جبير أنها مكية" الكشاف، ج ٤، ص ٣١٨

٢ - السيوطي، لباب النقول، ص ١٩٧

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٧٠ وما بعدها

الرد:

نزلت سورة آل عمران في المدينة بالاتفاق بعد سورة البقرة على اعتبار أن سورة البقرة هي أول السور المدنية نزولاً، وهذا يقتضي أنها نزلت قبل غزوة بدر للاتفاق على أن سورة الأنفال قد نزلت في بدر^(١)

وإذا كانت سورة البقرة قد فصلت القول في اليهود، وتعمد تولدكه ألا يذكر ذلك، فإن سورة آل عمران قد ردت على النصارى، ولم يتطرق تولدكه لذلك أيضاً.

"تبدا السورة في مواجهة أهل الكتاب المنكرين لرسالة النبي ﷺ أنهم كانوا أولى الناس بأن يكونوا أول المصدقين المسلمين لو كان الأمر أمر اقتناع، فتذكر السورة التوحيد الخالص الذي خرج عنه اليهود والنصارى، ثم تذكر السورة بعد ذلك حال أهل الكتاب في الإعراض عن الاحتكام إلى كتاب الله تعالى"^(٢)

"وتذكر السورة قصة ولادة عيسى ﷺ، ثم قصة وفد نجران اليمن ومناظرتهم للنبي محمد ﷺ في شأن عيسى وأمه، فكان تركيز السورة على قصة عيسى عليه السلام تأكيداً على قضية التوحيد التي كانت القضية الأصلية التي تركز السورة عليها، فقصة نبي الله عيسى، وما جاء من القصص مكملاً لها تؤكد هذه الحقيقة، وتنفي فكرة الولد والشريك، وتستبعدهما استبعاداً كاملاً، وتظهر زيف هذه الشبهة، وسخف تصورهما، وتبسط مولد مريم وتاريخها، ومولد عيسى وتاريخ بعثته وأحداثها بطريقة لا تدع مجالاً لإثارة آية شبيهة في بشريته الكاملة، وأنه واحد من سلالة الرسل، شأنه شأنهم، وطبيعته طبيعتهم"^(٣)

وأما الآية ١٢ فإن تولدكه تعمد القفز عن الرأي الذي رجحه الزمخشري وهو أنه مراد به الذين كفروا برسول الله ﷺ، إلى الرأي الذي أورده بصيغة التضعيف وهو أنهم قريظة وبني النضير^(٤)

وأما الآية ٦٥ والادعاء بأن النبي (ﷺ) قد تخطى عن إسلام اليهود، فالآية واردة بأهل الكتاب في شأن الإنكار عليهم عموماً في أمر المحاجة في إبراهيم عليه السلام^(٥)، ولكن تولدكه لم

١ - انظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ١٤٣

٢ - قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٣٦٥

٣ - المرجع السابق، ج ١، ص ٣٩٠

٤ - الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٣٦٨

٥ - انظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج ١، ص ٣٥١

يفارق عادته في الاجتزاء والانتقاء، فالرأي الأول عند الزمخشري أن الآية جاءت في أهل الكتاب، ثم ذكر أنه قد قيل: إنهم يهود المدينة^(١)

وأما ادعاؤه بأن الآيتين ٢٦ و ٢٧ لا تتسجمان مع بعضهما وأن أصلهما يهودي: فهو أولاً لم يذكر من (كتابه المقدس) مثلاً يتضمن كلمة تشبه بعض ما في الآيتين، فزعمه افتراض وتخييلات نفس لا دليل عليها، ثم إن ادعاءه أن لا انسجام بين الآيتين لسياق الآيتين، فإنه "لما ثبتت خصوصيته سبحانه وتعالى بصفة القدرة على الوجه الأعم في قوله تعالى: "قل اللهم مالك الملك"، ذكر بعض ما تحت ذلك مما لم يدخل شيء منه تحت قدرة غيره، فقال: "تولج الليل في النهار"^(٢)

وأما تحديد زمن نشوئها في غزوة الخندق في العام الخامس للهجرة، فالآيتان نزل الوحي بهما، ولم يقم الرسول ﷺ بإنشائهما، ثم إن الرواية أن النبي ﷺ لما استعصى على المسلمين كسر الصخرة قرأ الآيتين فقد قال عنها ابن حجر: لم أجد له إسناداً، فالخير لا شيء^(٣).

وأما الآية ٩٥ والتي حدد زمنها بعد بدر، فإن تولدك قد درج على استخدام "ملة إبراهيم" في الزمن الذي يلي بدرأ حتى في سورة مكية كالحج أرجع الآية الأخيرة من السورة إلى هذا الزمن.

وأما جعل الآيتين ٩٨ و ١٠٠ نازلتين في شاس بن قيس، فالرواية ضعيفة؛ لأنها حديث مرسل^(٤)

وأما الآية ١١١ فقد جاءت في سياق الحديث عن أهل الكتاب، فكانت تطميناً من الله تعالى للمؤمنين من شر اليهود؛ لأن الإخبار عن أكثرهم بأنهم غير مؤمنين في قوله تعالى: "ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون" يؤذن بمعاداتهم للمؤمنين، وذلك من شأنه أن يوقع في نفوس المسلمين خشية من بأسهم، وهذا يختص باليهود، فإنهم كانوا منتشرين حبال المدينة في خيبر، والنضير، وقينقاع، وقريظة، وكانوا أهل مكر، وقوة، ومال، وعُدّة، والمسلمون يومئذ في قلة - فطمأن الله المسلمين ألا يخشوا بأسهم^(٥)

١ - انظر الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٣٩٨

٢ - البقاعي، نظم الدرر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٢

٣ - ابن حجر، الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، على هامش الكشاف ج ١، ص ٣٧٨

٤ - انظر، السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ص ٥٢ (المحقق)

٥ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٤، ص ٥٤ بتصرف قليل.

وأما ما ادعاه حول الآية ١٢٨ فقد روي عن انس بن مالك أن النبي ﷺ شُجَّ وجهه، وكسرت رباعيته يوم أحد، وجاء المسلمون يمسحون الدم عن وجه نبيهم، فقال النبي ﷺ: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم، فنزلت الآية^(١)
فالآية ليست أفكاراً لرسول الله ﷺ، بل وحياً تنزل به جبريل الأمين من عند الله تعالى، والرواية الصحيحة صريحة في أن نزولها كان في غزوة أحد، وليس بعدها.

وأما زعمه أن الآيات من ١٦١-١٦٤ مرتبطة باختفاء رداء ثمين من غنائم بدر، والرواية أخرجها أبوداؤد، وبعض الناس من المنافقين هم الذين قالوا: لعل النبي ﷺ أخذها^(٢).

وأما الآيات من ١٦٥-١٨٠ فهي متعلقة بغزوة حمراء الأسد^(٣)، وأما الآيات من ١٨١-١٨٤، فإن سبب النزول المتعلق بأن رسول الله ﷺ كتب مع أبي بكر ﷺ إلى يهود قينقاع يدعوهم إلى الإسلام، وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً، فقال فنحاص اليهودي: إن الله فقير حين سألنا القرض، فلطمه أبو بكر ﷺ في وجهه، فهذه الرواية ضعيفة^(٤)

وأما ما ادعاه حول الآية ١٨٥ من أنها كانت في جو مضغوط، وفيها الحث على احتمال المصيبة والإهانات بصبر، فإن النظرة الجزئية للسورة وعدم جمع اللاحق بالسابق هو الذي هيأ لنولده أمثال هذه الشبهات، فخاتمة السورة جاءت متناسقة مع السياق العام للسورة، فهو حافل بذكر الصبر وبذكر التقوى.. يذكران مفردين، ويذكران مجتمعين.. وسياق السورة حافل كذلك بالدعوة إلى الاحتمال والمجاهدة ودفْع الكيد وعدم الاستماع لدعاة الهزيمة والبلبلية، ومن ثم تختم السورة بالدعوة إلى الصبر والمصابرة، وإلى المرابطة والتقوى، فيكون هذا أنسب ختام^(٥)

سورة الصف: يقول نولده: "تعتبر سورة الصف أحياناً مكية شأنها في ذلك شأن أكثر من سورة مدنية قصيرة، والآيات من ١-٤ تتهم المؤمنين بعدم الوفاء بعهدهم، وهو تأخرهم عن فتح مكة، ومعظم السورة متعلقة بغزوة أحد، وقد ترك الكثير مواقعهم، ولم يقفوا كأنهم بنيان مرصوص، فلم

١ - أخرج مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، حديث رقم ٤٧٤٦.

٢ - أخرج أبوداؤد، في كتاب الحروف والقراءات، باب حدثنا عبدالله بن محمد، حديث رقم ٣٩٧٣، وانظر، الزمخشري، الكشاف ج٢، ص ٤٦١

٣ - انظر، ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٣٥٠

٤ - ابن حجر، الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، على هامش الكشاف، ج١، ص ٤٧٥

٥ - قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج١، ص ٥٥١

يكن في وسع محمد (ﷺ) قبل الهجرة أن يتكلم بحزم كهذا وبسهولة عن النصر النهائي للإسلام على كل الأديان الأخرى^(١).

الرد:

أما عن اعتبار السورة مكية، فإن المختار أنها مدنية^(٢)، وأما ادعاؤه تخلفهم عن فتح مكة فهو خلاف سبب النزول تماماً، إذ ورد أنه نزلت في الذين سألوا عن أحب الأعمال إلى الله تعالى، فلما افترض عليهم الجهاد كرهوا ذلك.

وأما أنه جعل معظم السورة متعلقة بغزوة أحد فإنه لم يوثق كلامه من أي كتاب من كتب التفسير، يقول الزمخشري: لما سألوا دلهم على الجهاد، فولوا يوم أحد فعيرهم^(٣)

ويرد عليه في زعمه أنه لم يكن في وسع محمد (ﷺ) قبل الهجرة أن يتكلم بحزم كهذا وبسهولة عن النصر النهائي للإسلام على كل الأديان الأخرى - فيرد عليه من سياق السور المكية مثل سورة القمر في قوله تعالى: "سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ"، ومن سورة الروم في قوله تعالى: "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" (الروم: ٤٧)، وقوله تعالى: "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُتَرَسِّلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمُتَصَوِّرُونَ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ" (الصفات: ١٧١-١٧٣)

سورة الحديد: يقول نولدكه: كثيراً ما تعتبر السورة كاملة مكية، أو على الأقل الجزء الأول أو الأخير منها، والقول بأن الآية ١٠ نزلت على فتح مكة قول غير صحيح، والآيتان ١٢ وما بعدهما تدلان على أن النبي (ﷺ) كان في وضع سيء؛ لهذا فإن زمن السورة كان بين أحد والخندق، والفتح الوارد فيها هو بالتأكيد غزوة بدر^(٤)

الرد:

السورة عند الجمهور^(٥) مدنية، والذين قالوا بمكيته هم البعض. وأما تفسير الفتح الوارد في الآية ١٠ فهو عند الزمخشري والبيضاوي والنسفي بأنه فتح مكة^(١)، ورجح الطبري أن يكون المقصود به هو صلح الحديبية^(٢)، وأما ما ذكره أنه غزوة بدر فهذا ما لم يقل به أحد من المفسرين.

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٧٤

٢ - انظر السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٥٢، وهي مدنية عند الزمخشري ج ٤، ص ٥٢٢

٣ - انظر قول ابن كثير في تفسيره ج ٤، ص ٣٥٨، وقول الزمخشري في الكشاف، ج ٤، ص ٥٢٢

٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٧٥

٥ - انظر، السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٥١

وأما ما قاله حول الآيتين ٢٢ و ٢٣ فإن مناسبتهما لما قبلهما ظاهرة إذ أن الله تعالى قد ذكر الجهاد قبل ذلك، وهو مظنة حدوث المصائب من قتل وأسر وغيرهما، ثم جرى ذكر النبات، وقد تصيبه الجوائح، فمن أجل ذلك أتبع هذا بتسليية المؤمنين عما يصيبهم^(٣)

سورة النساء^(٤): يقول نولدكه: "الجزء الأكبر منها كان بين السنتين الثالثة والخامسة. الآيات من ١-١٤ يناسب أن يكون زمن نشوئها بعد أحد، والآية ٧ و١٢ تشير إلى امرأة اشكت أنها حرمت من الإرث، والآيات من ١٥-١٨ حول فحشاء الرجال تعود إلى الزمن نفسه أي بين السنة الثالثة والخامسة، وهي أقدم من سورة النور التي يبدو أنها نشأت في السنة السادسة. الآيات من ١٩-٢٨ نشأت في الفترة التي نشأت فيها الآيات الأولى فأية ١٩ مشابهة لها في المضمون.

الآية ٢٤ تذكر زواج المتعة الذي منع لاحقاً في خيبر، والآيات ٢٩-٤٢ تتحدث عن محاربة محمد (ﷺ) للمنافقين وهي تنتمي للفترة نفسها. الآية ٤٣ نزلت من قبل تحريم الخمر بصورة عامة.

الآية ٥١ يرى التراث أن لها علاقة باليهود الذين أثاروا قريش على حرب النبي (ﷺ)، وهذا غير محتمل؛ لأن اليهود لم يقدموا العون لقريش في هذه المعركة، والأرجح أنها تتناول بعض بني النضير.

الآيات ٥٩-٧٠ تعود إلى نزاع نشب، ورفض أحد المسلمين تسويته بواسطة النبي (ﷺ)، والآيات ٧١-٨٣ نزلت من دون شك بعد الهزيمة الكبرى بوقت قصير، والآيات من ٨٤-٩٣ كانت بعد عقد معاهدات مع قبائل مختلفة، وأما الآية ٩٢ فهي مرتبطة بعياش بن أبي ربيعة المخزومي الذي قتل حارث بن زيد، وأما الآية ٨٨ فهي تتعلق بأولئك الذين لم يعضدوا النبي (ﷺ) في أحد. الآية ٨٨ تتحدث عن المنافقين عموماً، والآية ٩٤ لها علاقة باغتيال أحد الرجال في السنة السابعة، ولكن هذه الرواية لا يوثق بها.

١ - انظر الكشاف، ج ٤، ص ٤٧٠، وأنوار التنزيل، ج ٥، ص ٢٦٦، حيث قال البيضاوي مدنية، وقيل: مكية، ومدارك التنزيل، ج ٤، ص ٢٢٤، وعند ابن كثير هي مدنية، ج ٤، ص ٣٠٣
٢ - انظر، الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج ٢٣، ص ١٧٦
٣ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٢٧، ص ٤٠٩، بتصرف
٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٧٦ وما بعدها

الآيتان ١٠١ و ١٠٢ تذكران صلاة الخوف التي سمح بها في غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة الآيات من ١٠٥-١١٥ تفسر بذكر رجل من المدينة، وكاد محمد (ﷺ) يستجيب لتوسلات قومه بني ظفر.

والآية ١٢٣ نشأت بعد بدر لوجود "ملة لإبراهيم"، والآيات ١٢٧-١٣٠ تنتم للتشريعات في مطلع السورة، والروايات الواردة حول الآية ١٧٦ غير جديرة بالنقطة".
الرد:

أما ما زعمه من أن الجزء الأكبر من السورة يقع بين السنة الثالثة والخامسة فقد صح في نزول الآية ٩٤ أنها وقعت في السنة السابعة^(١)، وحتى لا يخالف نولدكه ما زعمه هنا ذهب إلى أنه لا يوثق بها كثيراً^(٢).

وما ورد عن عائشة رضي الله عنها يدفع أن يكون زمن نزولها قد تأخر إلى السنة الثالثة، وقد يكون قد وقع بعض الحوادث في هاتين السنتين وغيرهما إما قبلهما أو بعدهما، ولكن ليس تحديداً أن بدايتها ونهايتها كانت بين الثالثة والخامسة.

فعنها رضي الله عنها أنها قالت: ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده^(٣)، "ودخولها عليه كان بعد الهجرة اتفاقاً"^(٤).

وأما ما زعمه حول الآيات ١-١٤ وأن المسلمين يروون الكثير من القصص حولها، لكن كل ما يمكن تحديد زمن نشوئه منها يدل على ما بعد وقعة أحد.

أولاً: تحاشي نولدكه استخدام مصطلح أسباب النزول ليستخدم محله لفظ القصص.

ثانياً: الذي ورد من أسباب النزول هو رواية مرسله عن أبي صالح في أن آية "وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً" نزلت في الرجل كان إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها، والثاني في قوله تعالى: "للرجال نصيب مما ترك الوالدان" من طريق الكلبي - وهو ضعيف - عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار من الذكور حتى يدركوا، فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن

١ - انظر، الكشاف، ج ١، ص ٥٨٤ وهامشها، وقال ابن حجر عنه في الكاف الشاف: أخرجه الثعلبي من رواية الكلبي، وقال المحقق: أخرجه الطبري من رواية السدي مرسلًا (جامع البيان، ج ٩، ص ٨٧)، وأصل الخبر في الصحيحين. (البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة إلى أرض الحرقات، حديث رقم ٤٠٢١، وعند مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، حديث رقم ٢٨٧)

٢ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٨٢

٣ - أخرجه البخاري، في كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ج ١٥، ص ٣٩٤، حديث رقم ٤٦٠٩

٤ - ابن حجر، فتح الباري، ج ١٠، ص ٤٩، السيوطي، الإفتان في علوم القرآن، ج ١، ص ٤٧

ثابت، وترك ابنتين وابناً صغيراً، فجاء ابنا عمه خالد وعرفطة وهم عصبه، فأخذوا ميراثه كله، فأنت امرأته رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: ما أدري ما أقول؟ فنزلت: "لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ" (١)

وأما قوله تعالى: "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ" فقد تعددت الروايات حولها، فبعضهم يجعلها نازلة في شأن جابر بن عبدالله، وآخرون في شأن ابنتي سعد بن الربيع. قال السيوطي: والحق أنها نزلت في الأمرين معاً (٢)

وأما قوله إن الآيتين ٧ و ١١ قد نزلتا في شأن امرأة اشتكت أنها حرمت من الإرث فهو سبب النزول المتقدم الذي ورد من طريق الكلبي.

وأما زعمه حول الآيات ١٥-١٨ في أنها تتناول فحشاء الرجال والنساء، وهي أقدم من الآية الثانية في سورة النور، فتكون قد نشأت قبل السنة السادسة. فإن سورة النور قد نزلت في السنة السادسة بعد غزوة بني المصطلق، فتكون هذه الآيات قد نزلت قبلها (٣)

وأما حول الآيات ١٩-٢٨، وقوله إنها نشأت في الفترة التي نشأت فيها الآيات الأولى لتشابهها معها في المضمون، فهذه الآيات بدءاً من الآية ١٩ استئناف تشريع في أحكام النساء التي كان سياق السورة لبيانها، وهي التي لم تزل آيها مبينة لأحكامها تأسيساً واستطراداً، وبدءاً وعوداً (٤) وأما حول الآية ٢٤ وادعاؤه بأنها تتحدث عن زواج المتعة الذي حرم بعد ذلك في السنة السابعة، فهنا انتقى نولدكه الرأي الثاني المرجوح، وترك الرأي الذي عليه أكثر علماء الأمة، بل دون أن يشير إليه إطلاقاً، فأكثرهم بأن المراد بالاستمتاع بالآية هو النكاح، وأن المقصود بـ (أجورهن) هو المهور (٥)

وأما الآيات ٢٩-٤٢ التي ادعى فيها محاربة محمد (ﷺ) فيها للمنافقين، فليس في سياق الآيات ما يدل على المنافقين، بل هي في عامة المشركين (٦)

١ - السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ص ٦٠

٢ - المصدر السابق، ص ٦٠-٦١

٣ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق ج ٤، ص ٢٦٩

٤ - المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٨٢

٥ - انظر، الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٥، ص ١٥٤

٦ - انظر، الكشاف، ج ١، ص ٥٤٢، وتفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٤٧

وأما الآية ٤٣، وما قاله حول أنها نزلت قبل تحريم الخمر بصورة عامة، وأن هذا التحريم أعلن خلال الحرب ضد بني النضير في السنة الرابعة.
فهذه الآية متعلقة بالنهي عن فعل الصلاة في حال السكر الذي لا يدري معه المصلي ما يقول، وقد كان هذا قبل تحريم الخمر بصورة قاطعة^(١)

وأما قوله بأن ما يرى في الآية ٤٣ ليس هو النص الأصلي لآية موحدة، بل تلخيصاً لأمرين إلهيين صدرا في مناسبتين مختلفتين، فهذه الآية هي الوحي الذي نزل به جبريل الأمين على محمد (ﷺ) الذي أمر كتابة الوحي بعد تنزيلها بوضعها في هذا الموضع، وهي لم تأت تلخيصاً كما زعم، وإنما "استئناف لبيان حكمين يتعلّقان بالصلاة، دعا إلى نزولها عقب الآيات الماضية أنه آن الأوان لتشريع هذا الحكم في الخمر حينئذ، وإلى قرّنه بحكم مقرّر يتعلّق بالصلاة أيضاً"^(٢)
وقول نولدكه عن التحريم أنه حصل خلال غزوة بني النضير في السنة الرابعة فقد أخذه من ابن هشام الذي حدد ذلك في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة لما حاصر النبي (ﷺ) بني النضير ست ليال، ونزل تحريم الخمر^(٣)

وأما حول الآية ٥١ وادعائه أن تهجمها على اليهود غير محتمل؛ لأنهم لم يقدموا العون لقريش في أحد، فقد رفض نولدكه الرواية المتعلقة بأن الآية نزلت في كعب بن الأشرف^(٤)، وتعمد نولدكه ألا يذكر من سيرة ابن هشام أن كعباً هذا قد ذهب إلى قريش بعد هزيمتها يعزيهم، ويحرض على رسول الله (ﷺ)، وينشد الأشعار، ويبكي أصحاب القلب، ثم أنشد الشعر يتشبه في نساء المؤمنين^(٥)

وأما ما قاله حول أن الآية ٦٠ دارت حول مسلم رفض تسوية خصام بواسطة النبي (ﷺ)، والرواية أخرجها الطبري عن الشعبي مرسل^(٦)

١ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٤٧٣

٢ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٦٠

٣ - سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٩٢

٤ - السيوطي، لباب النقول، ص ٦٦، وأخرجها النسائي في السنن الكبرى، ج ٦، ص ٥٢٤، حديث رقم ١١٧٠٧، وقال الهيثمي: رواه الطبراني (المعجم الكبير، ج ١١، ص ٢٥١، حديث رقم، ١١٦٤٥)، وفيه يونس بن سليمان الجمال ولم أعرفه وبقيّة رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٦١

٥ - ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٣٠٩، ولباب النقول للسيوطي، ص ٦٦

٦ - جامع البيان، ج ٥، ص ١٥٣

وسبب النزول الذين بين السيوطي أن سنده صحيح، هو أن أبا برزة الأسلمي كان كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه فتتأفرون فيه ناس من المسلمين^(١)، فأنزل الله " ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا فتترك نولدكه متعمداً ما بين السيوطي صحته، وجعله في أول ما ذكر من أسباب النزول، وانتقى من بينها الرواية الضعيفة.

وأما حول الآيات ٦١-٦٥ فزعم كعادته أنها تشبه ما قبلها في المضمون وفي اللفظ، فتكون قد نشأت في الفترة نفسها.

وأما ما قاله حول الآيات ٧١-٨٣ وأنها كانت بعد هزيمة أحد؛ لأن المشركين كانوا أقوى من المسلمين، فهذا جهل بالسياق من نولدكه، وتحريف للمعنى، حيث إن الآيات ليس لها علاقة بأحد، وإنما تحذر من المنافقين وتتهكم بهم^(٢)

وأما ما ادعاه حول الآية ٩٢ وأنها مرتبطة بقصة عياش بن أبي ربيعة، فهي رواية ضعيفة^(٣)، وذكرها الواحدي من رواية الكلبي.

وما ذكره حول الآيات ١٠١- في نزولها في غزوة ذات الرقاع فقد نقله عن الطبري^(٤).

وأما الآيات ١٠٥-١١٥ التي زعم نولدكه أنها نزلت في رجل من المدينة اتهم بالسرقة، وكاد محمد (ﷺ) يستجيب لتوسلات قومه بني ظفر فقد اعتبر نولدكه هذه الرواية حادثة جدية بالنقطة، وهذه الرواية غير صحيحة لا سنداً^(٥)، ولا من حيث المعنى، فالنبي (ﷺ) معصوم عن الخطأ.

وأما ما زعمه من الآية ١٢٣ نشأت بعد بدر لوجود التعبير بـ (ملة إبراهيم):

أولاً: جاء التعبير بـ (ملة إبراهيم) في الآية ١٢٥، وليس في الآية ١٢٣.

ثانياً: جاء التعبير بـ (ملة إبراهيم) في أكثر من سورة، وبعضها سور مكية مثل النحل والحج، وهذا جعل نولدكه يدعي أن كل آية فيها (ملة إبراهيم) فزمنها كان بعد بدر بصرف النظر كون السورة مكية أو مدنية، أو محاولة البحث عن سر التعبير بها في كل موطن جاءت به.

١ - السيوطي، لباب النقول، ص ٦٨

٢ - انظر، الكشاف، ج ١، ص ٥٦٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ١، ص ٤٩٧

٣ - انظر الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، على هامش الكشاف، ج ١، ص ٥٨٠.

٤ - لعل نولدكه أخذ ذلك من رواية الطبري عن صالح بن خوات عن صلى مع النبي ﷺ صلاة الخوف يوم ذات الرقاع، جامع البيان، ج ٩، ص ١٤٤

٥ - هذا من رواية الواحدي في أسباب النزول، ولم يذكر سنداً للرواية، وإنما قال: وهذا من قول جماعة من المفسرين، وقال ابن حجر في الكاف الشاف، ذكره الثعلبي من رواية الكلبي عن ابن عباس ونقله الواحدي عن المفسرين، ج ١، ص ٥٩٥، على هامش الكشاف.

ثالثاً: زعم نولدكه هذا مردود، لعدم وجود رواية تذكر هذا.

وأما ما قاله حول الآيات ١٢٧-١٣٠ وأنه تنمة للتشريعات في مطلع السورة.

قال الفخر الرازي: "اعلم أن عادة الله في ترتيب هذا الكتاب الكريم وقع على أحسن الوجوه، وهو أنه يذكر شيئاً من الأحكام، ثم يذكر عقبيه آيات كثيرة في الوعد والترغيب والترهيب، ويخلط بها آيات دالة على كبرياء الله وجلال قدرته وعظمة إلهيته، ثم يعود مرة أخرى إلى بيان الأحكام، وهذا أحسن أنواع الترتيب وأقربها إلى التأثير في القلوب"^(١)

ادعى نولدكه بأن تحديد زمن نشوء المقاطع القرآنية في المدينة لم يكن راجعاً إلى مناسبات محددة، بل كان النبي (ﷺ) لأجل مهمة التنظيم يقوم بتعديل التشريعات الوثنية المرفوضة دون انتظار حدوث مناسبات خاصة تدفعه لذلك.

هذا الافتراء من نولدكه ناتج بسبب رده لأسباب النزول التي وصفها بأنها غير جديرة بالثقة، والتي تبين الحوادث التي من أجلها نزلت التشريعات الإسلامية.

ألم يطلع نولدكه على سبب النزول آيات الظهر في سورة المجادلة، حيث إن خولة بنت ثعلبة لما جاءت وأخبرته بأن زوجها قد ظاهر منها، فقال لها: ما أراه إلا قد حرم عليك حيث أخبرها بما كان سائداً في الجاهلية من أن الظهر يحرم المرأة على الزوج تحريماً مؤكداً^(٢)، فما زالت تجادله، حتى نزلت آيات الظهر، تلغي ما كان سائداً في الجاهلية، وتشرع الكفارة له.

سورة الطلاق: يقول نولدكه:

"الآية الأولى إذا كانت فعلاً تشير إلى ابن عمر (رضي الله عنهما) الذي طلق زوجته وهي حائض، فلا يمكن أن تكون السورة نزلت قبل السنة الثامنة، وكان عندئذ في العشرين من عمره، وثمة العديد من الروايات المختلفة حول نشوءها وهي بدورها غير قابلة للتصديق"^(٣)

الرد:

أولاً: ما علاقة أن يكون سن ابن عمر في فتح مكة عشرين عاماً بأمر تطليقه لزوجته؟، ثم الزمن الذي نزلت به الآية؟ ثم ما الذي يمنع ابن عمر أن يكون قد طلق قبل فتح مكة بسنوات؟

^١ - الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٥، ص ٣٩٨

^٢ - انظر في ذلك، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٨، ص ٧

^٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٨٥

أخرج البخاري أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما طلق امرأته وهي حائض، فذكر عمر رضي الله عنه ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: "ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسه، فتلك العدة كما أمره الله" (١)

سورة الحشر: يقول نولدكه: "تتعلق في معظمها بإخضاع قبيلة بني النضير اليهودية وطردها في السنة الرابعة، والآيات ١٨ وما بعدها من الصعب تحديد زمنها، ولكن ليس ثمة ما ينفي تزامنها والجزء الأول" (٢)

الرد:

استخدم نولدكه تعبيرات لا تتناسب مع الموضوعية في البحث، والأمانة في العلم، فهل كان ما حصل لبني النضير إخضاعاً وطرداً بلا سبب أم تأديباً وإجلاءً لهم عن ديارهم لتخليص المدينة من شرهم جزاء لهم على غدر أروءه برسول الله صلى الله عليه وسلم، ونكثاناً لعهدهم الذي أبرموه معه بعد الهجرة، ولماذا لم يتطرق نولدكه لقصة عمرو بن جحاش الذي أراد اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أقرّ نولدكه بالعجز عن تحديد السنة التي نزلت فيها الآيات، ثم جمعها مع الآيات ١-١٧ في الفترة التي نزلت فيها الآيات السابقة عليه.

وما زعمه غير صحيح؛ لأن آيات القرآن كانت تنزل نجوماً متفرقة، وتحديد زمن نزول السورة يحتاج إلى نقل صحيح، وليس مجرد التكهن به بناء على وجود رواية تحدد الزمن الذي نزلت فيه الآيات السابقة عليها، كالأيات التي تتحدث عن غزوة بن النضير التي حصلت في السنة الرابعة للهجرة.

سورة الأحزاب: يقول نولدكه: "تتألف من عدة مقاطع:

٩-٢٧ نشأت في السنة الخامسة بعد غزوة الخندق، والآيات ٣٦-٤٠ تنتمي إلى الفترة نفسها، وهي المتعلقة بزواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش.

أما المقدمة ١-٣ و٤ وما بعدها ففيها يعلن محمد صلى الله عليه وسلم ليبرر زواجه من امرأة ابنه بالتبني أن الأبناء المتبنين ليسوا أبناء حقيقيين.

١ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الطلاق، باب وقال مجاهد: وبال أمرها جزاء أمرها، حديث رقم ٤٩٠٨

٢ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٨٥

ربما أضيفت الآية ٥٩ التي تتناول لباس النساء لاحقاً، لكن قبل السنة الثامنة، ففي هذه السنة توفيت ابنة محمد (ﷺ) أم كلثوم، ولم تبق من بناته إلا فاطمة على قيد الحياة، ما يجعل من المستحيل توجيه الآية إلى بناته كما يرد.

من أجل تحديد زمن الآيات ٥٠-٥١ التي تبيح للنبي معاشره الجوارى يجب التذكير بأنه طبق ما أبيع له أولاً مع ربحانة التي غنمها في حربه ضد قريظة في السنة الخامسة. الآية ٥٢ تنتمي إلى سنوات محمد (ﷺ) الأخيرة.

الآيات ٤١-٤٨ و ٥٦-٥٨ و ٦٠-٧٣ علاقة النبي (ﷺ) بالمؤمنين والكفار. يفنقر ترتيب الأجزاء المنفرقة لهذه السورة إلى أي مبدأ موضوعي، والفوضى في السورة ليست وليدة الصدفة بل متعمدة.

نظراً إلى أن السورة - كما يبدو نشأت في أوقات متقاربة، فقد تكون السورة تلقّت شكلها الحالي على يد النبي (ﷺ) نفسه^(١)

الرد:

الآيات التي تتحدث عن غزوة الأحزاب بدأت من الآية التاسعة، وانتهت بالآية السابعة والعشرين، ومعلوم بأن هذه الغزوة قد حدثت في السنة الخامسة للهجرة، ولكن هذا لا يعني أن كل آيات السورة قد نزلت في الفترة نفسها، فقوله تعالى: "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ" نزلت في أنس ابن النضر رضي الله عنه بعد استشهاده في أحد^(٢)

وأما ما ادعاه حول موضوع التبني فليس النبي ﷺ هو الذي أعلن حكمه، بل تنزل عليه الوحي بأمر الله بإبطال التبني في قوله تعالى: "ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ"، وليس كذلك كما ادعى أن تحريم التبني كان مخصوصاً حتى يبرر النبي ﷺ زواجه من امرأة ابنه بالتبني، فإن الله تعالى لما حرّم الظهار في سورة المجادلة- وقد نزلت قبل الأحزاب- جاء ذكر الظهار هنا من أجل تقرير إبطاله، وتمهيداً لإبطال التبني، بشبه أن كليهما كانا من غير تشريع إلهي^(٣)

وأما دعواه حول الآية ٥٠ وأنها تبيح للنبي معاشره الجوارى، وأنه طبق ذلك مع ربحانة، فإن نولدكه تعمد اللزم في قضية ربحانة، وهي امرأة من بني قريظة، فإن النبي ﷺ قد عرض عليها

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٨٦

٢ - السيوطي، لباب النقول، ص ١٧٤، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه" حديث رقم ٢٦٥١

٣ - انظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢١، ص ٢٥٧

الزواج، فقالت: بل تتركني في ملكك، فهذا أخف عليّ وعليك فتركها^(١)، وفعل نولدكه هذا؛ متعمد كما تقدم؛ لأنه يصور النبي ﷺ دائماً متحاملاً على اليهود، فتعمد عدم ذكر هذا الخبر الذي يظهر سماحة النبي ﷺ ورحمته.

وأما ما ادعاه حول الآية ٥٩ وأنها تتناول لباس النساء، وأضيفت قبل السنة الثامنة، وفيها توفيت أم كلثوم.

أولاً: أخرج البخاري عن أم المؤمنين قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرأها عمر، فقال: يا سودة، أما والله إنك لا تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين... الحديث^(٢)

وأما حول وفاة أم كلثوم رضي الله عنها، فإن وفاتها كانت في شهر شعبان من السنة التاسعة للهجرة، وليس كما زعم^(٣)

سورة المنافقون: يقول نولدكه: "نشأت بعد غزوة بني المصطلق بفترة قصيرة، والآيات ٩-١١ ليس لها أي رابط داخلي بالجزء المتبقي من السورة"^(٤).

الرد:

تعددت الروايات في أسباب نزول السورة، فبعضهم ذهب إلى أنها قد نزلت في شأن المنافقين في تبوك^(٥)، وقد عَقَّب ابن كثير على القول بأنها كانت في تبوك، بأن فيه نظر، فإن عبد الله ابن أبي بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك، بل رجع بطائفة من الجيش، وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كله كان في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق^(٦) وأما دعواه أن الآيات ٩-١١ ليس لها أي رابط داخلي بالجزء المتبقي من السورة، فإن دعواه هذه كسابقاتها حول التناسب بين الآيات، فقله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ"، فإن الله تعالى لما كشف المنافقين بذكر بعض صفاتهم، وأن الدافع لهم لذلك هو

١ - ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٤٠٠

٢ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب '٨'، حديث رقم ٤٧٩٥

٣ - انظر، الشامى الصالحى، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ١١، ص ٣٦

٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٨٨

٥ - السيوطي، لباب النقول، ص ٢٢٠

٦ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٣٧٠

إقبالهم على الدنيا، فكان من الحكمة التنبيه للمؤمنين على أن هذا الإقبال بالكفاية هو مادة الشر وأساسه^(١)

سورة النور^(٢): يقول نولدكه:

"الروايات التي تربط الآيات ٦-٩ بحادثة الزنا في عائلة عويمر بن الحارث أو هلال بن أمية، وتتحدث أنها قد حصلت في السنة التاسعة بعد عودة محمد (ﷺ) من تبوك- ربطها بالآية ليس على الأرجح إلا اختلاقاً.

الآيات ١٠-٢٠ تتناول من دون شك حدثاً معيناً. ويجمع النقل على أن المقصود هو مغامرة عائشة (رضي الله عنها وحاشاها) التي حصلت أثناء الحملة على بني المصطلق، وأشاعت الشك في أن زوجة النبي ﷺ زنت مع رجل غريب^(٣).

الآية ٤٦-٥٧ تلوم المنافقين على تصرفهم، ولا بد من أن هذا التهجم ينتمي إلى زمن كانت أحوال محمد (ﷺ) فيه سيئة أي على الأرجح الفترة الواقعة بين وقعة أحد ونهاية حرب الخندق. قد يكون التراث القديم الذي يرد الآيات ٦٢-٦٤ إلى رفع الخندق من حول المدينة محققاً في رأيه".

الرد:

حول رفضه للروايات الواردة في شأن الآيات ٦-٩، فإن الروايات في أسباب نزول هذه الآيات قد تعددت، وأجيب عن ذلك بأجوبة متعددة، فرجح بعضهم أنها نزلت في شأن هلال، وذهب فرق آخر إلى أن الراجح نزولها في شأن هلال بن أمية، وفريق ثالث جمع بين الرأيين، فقال: إن أول ما وقع له ذلك هو هلال، وصادف مجيء عويمر أيضاً فنزلت في شأنهما معاً. وذهب ابن حجر على أنه يحتمل أن يكون النزول بسبب هلال، ولم يكن عويمر على علم بما وقع لهلال فلذلك أعلمه النبي ﷺ بالحكم^(٤)

وأما ما ادعاه حول الآيات ٤٦-٥٧ وأنها تلوم المنافقين على تصرفهم في امتناعهم عن اللحاق بركب النبي (ﷺ)، على الرغم من أنهم أقسموا على ذلك، وهذا كان في زمن كانت أحوال محمد (ﷺ) فيه سيئة.

١ - البقاعي، نظم الدرر، ج٧، ص٦١٤، بتصرف قليل.

٢ - تاريخ القرآن، ج١، ص١٨٩

٣ - تم الرد عليه في نقد منهج نولدكه الزمني في ترتيب السور والآيات على فترات نزول الوحي. ص١٣٥-١٣٦

٤ - انظر، ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص٣٨٢ و٣٨٣.

فسياق الآيات هو حول تولي المنافقين عن الاحتكام إلى أمر الله ورسوله بدليل أنه لما نعى عليهم فعلهم، أتبعه بذكر ما كان يجب أن يفعلوه، وما يجب أن يسلكه المؤمنون^(١)، فقال: "إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (النور: ٥١)

وأما حول الآيات ٦٢-٦٤ وأنها متعلقة بحفر الخندق من حول المدينة، فإن هذا الرأي الذي نسبه إلى الزمخشري لم يكن هو الرأي الذي قاله ابتداءً في تفسير الآية ٦٢، وإنما بعدما فسرها بأن الله تعالى أراد أن يبين عظم الجناية في ذهاب الزاهب عن مجلس رسول الله ﷺ بإذنه، فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله، ثم عرض بحال المنافقين، وتسلمهم لوأذا، ثم قال في نهاية تفسيرها بصيغة التضعيف: وقيل: نزلت في حفر الخندق^(٢)

سورة المجادلة: يقول تولدكه: "تضع مصادر متأخرة حادثة ظهار أوس بن الصامت من زوجه خولة بنت ثعلبة في نهاية السنة السادسة أو بداية السنة السابعة، والوصايا المتعلقة بالإكرام اللائق بالنبي ﷺ في الآيات ١٢-١٣ تتناسب زمنياً وسورة النور وهذه الآيات لم تنشأ إطلاقاً في السنوات الأولى بعد الهجرة"^(٣)

الرد:

ذكر القرآن الكريم في الوحي المكي بأعظم الخصال عندما قال عنه: "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ" (القلم: ٤)، وأظهر كريم خصاله، فقال: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم".

وأما أصحابه فقد أحبوه حتى قدموه على حياتهم، ولعل تولدكه لم يقرأ قصة الهجرة - بدليل أنه لم يأت لها ببنت شفة في كتابه - كيف أن علياً نام في فراشه، فإن قصد تأخر نزول الآيات التي تدعو إلى تكريم النبي ﷺ فهذا من تزييف الحقائق، فأين هو من قوله تعالى في آية مكة: "الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (الأعراف: ١٥٧)

سورة الحج^(٤): يقول تولدكه: "القسم الأكبر من السورة التي تعتبر عادة مكة، وبرأي البعض مدنية، نزل في الفترة الثالثة قبل الهجرة، إلا أنها تكتسب معناها الأساسي من خلال القطع المدنية الموجودة

١ - الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٤، ص ٢٢

٢ - الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٢٦٤

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٩٠

٤ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٩١

فيها، والآيات ١-٢ يقال إنهما نشأتا أثناء الحملة على بني المصطلق، والآيات ٥-٧ خارجتان عن سياق الآيات.

يعيد البعض الآيتين ١١-١٢ إلى ما بعد الهجرة، إذ هما ترجعان إلى قبائل العرب التي أسلمت في وقت متأخر، أو إلى أحداث أخرى حصلت بعد الهجرة.

الآيات ١٩-٢٤ تشير إلى منازل علي وبعض الصحابة لقرشيين أثرياء في وقعة بدر.

وهذا الرأي رده الإمام الرازي في تفسيره، ورجح أن يكون المقصود بالآيات طائفة المؤمنين وجماعتهم، وطائفة الكفار وجماعتهم، ولكن نولدكه اختار ما هو مرجوح على ما هو راجح^(١).

القسم الأكبر من السورة ٢٥-٣٧ نشأ على الأرجح في زمن الحج في السنة السادسة أو السابعة، فهذه الآيات تتضمن تعليمات للحجاج.

الآية ٥٢ تربط بانتظام بالآلهة المكية اللات والعزى ومناة، وقد أراد النبي (ﷺ) في إحدى ساعات الضعف أن يجيز استمرار تكريمه، والآيات ٥٨-٦٠ لا بد وأنها نزلت في وقعة بدر، فهي تتحدث عن المؤمنين الذين سقطوا بالقتال، والآية ٦٧ يشبه مطلعها مطلع الآية ٣٤ فيجب إرجاعها إلى الفترة نفسها.

الآيات ٧٧ وما بعدها مدنية بحق، وأبكر وقت نشأت فيه هو قبل معركة بدر، وذلك بسبب حضها على الجهاد، وذكر ملة إبراهيم، ما يقربها زمنياً من الحروب الأولى ضد اليهود.

الرد:

أما بالنسبة إلى السورة وهل هي مكية أم مدنية، فقد اختلف العلماء فيها، فهي في رواية أبي جعفر النحاس التي قال السيوطي عن إسنادها أنه جيد، ورجاله ثقات من علماء العربية المشهورين، فهي معدودة في السور المكية سوى ثلاث آيات (١٩-٢١)^(٢)

وأما حول الآيتين ١-٢ وأنهما نزلتا في بني المصطلق فقد نسب نولدكه القول بهذا إلى الزمخشري، وهذه الرواية ضعيفة جداً^(٣)

وأما ادعاء نولدكه أن الآيات ٥-٧ خارجة عن سياق الآيات، وبيان دلالة هذه الآيات في موضعها وتناسبها مع ما قبلها، يرد هذا الافتراء، فإن الله تعالى "أعاد خطاب الناس بعد أن أنذرهم

١ - تم الرد على ذلك في نقد منهج نولدكه الزمني في ترتيب السور والآيات على فترات الوحي. ص ١٥١

٢ - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٤، وانظر حكم السيوطي على سند الرواية ج ١، ص ٣٦

٣ - انظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، على هامش الكشاف ج ٣، ص ١٤٢

بزلزلة الساعة، وذكر أن منهم من يجادل في الله بغير علم، فأعاد خطابهم بالاستدلال على إمكان البعث وتطهيره بما هو أعظم منه، وهو الخلق الأول^(١).

وأما ما قاله حول الآية ١١ في أنها نازلة في قبائل عربية أسلمت في وقت متأخر، أو إلى أحداث حصلت بعد الهجرة، ونسب ذلك إلى الرازي، وإنما ذكر الرازي ذلك عن الكلبي حيث قال: نزلت هذه الآية في أعراب كانوا يقدمون على النبي (ﷺ) بالمدينة مهاجرين من باديتهم، فكان أحدهم إذا صحح بها جسمه وأنتجت فرسه مهراً حسناً وولت له امرأته غلاماً وكثر ماله وماشيته رضي به...، والكلبي عند العلماء ضعيف.

والحديث الصحيح الذي أعرض عنه نولده أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: كان الرجل يقدم المدينة فيسلم فإن ولدت امرأته غلاماً وولدت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولداً ذكراً ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء^(٢)، فأُنزل الله "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ"

وأما قوله بأن القسم الأكبر من السورة نشأ بين السنة السادسة والسابعة؛ لتضمنها تعليمات للحجاج، فإن الراجح أن السورة مكية، ثم إن ما ذكره نقله عن الرازي حيث قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت الآية - أي ٢٥ - في أبي سفيان بن حرب وأصحابه حين صدوا رسول الله ﷺ عام الحديبية عن المسجد الحرام عن أن يحجوا ويعتصموا وينحروا الهدى فكره رسول الله ﷺ قتالهم وكان محرماً بعمرة، ثم صالحوه على أن يعود في العام القابل^(٣)

وأما الادعاء بأن هذه الآيات نزلت في وقت تنزلت فيه تعليمات للحجاج، فإن النبي ﷺ لم يحج في السنة السادسة أو السابعة، وإنما أدى عمرة الحديبية في السادسة، وعمرة القضاء في السابعة.

وأما ما ورد من حديث عن مناسك الحج، فإنها جاءت في سياق "ذكر فيه كيف أمر الله إبراهيم بالدعوة إلى حج البيت الحرام، وذكر ما يشرع يومئذ من النسك تنويهاً بالحج، وما فيه من فضائل ومنافع، وتقريباً للذين يصدون المؤمنين عن المسجد الحرام، وإن كان زمن نزولها قبل أن يفرض الحج على المسلمين بالاتفاق؛ لأنه قد فرض في سورتي البقرة وآل عمران^(٤)

١ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ١٧، ص ٢٣٤١٩٦

٢ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب "ومن الناس من يعبد الله على حرف شك"، حديث رقم ٤٧٤٢

٣ - مفاتيح الغيب، ج ٢٣، ص ٢٤، ولم أجد الرواية في كتب الحديث.

٤ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ١٧٩، بتصرف قليل.

وأما حديثه عن الآية ٥٢ وزعمه بأن النبي (ﷺ) قد أجاز استمرار تكريم الآلهة، فهذا من قصة الغرائيق التي أخذ بها نولدكه، وقد سبق بيان بطلانها سنداً وامتناً^(١).

وأما ما قاله حول الآيات ٥٨-٦٠: لا بد وأنها نزلت في وقعة بدر، فهي تتحدث عن المؤمنين الذين سقطوا بالقتال، فقد نسبته إلى الزمخشري، وما ذكره الزمخشري هو: روي أن طوائف من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا نبي الله، هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير، ونحن نجاهد معك كما جاهدوا، فما لنا إن متنا معك؟ فأنزل الله هاتين الآيتين^(٢).

وأما الآية ٦٧ وما قاله من أن مطلعها ما دام يشبه مطلع الآية ٣٤ فيجب إرجاعها إلى الفترة نفسها، وهذا الكلام من نولدكه هو الذي كرره دائماً في الآيات المتشابهة في المطالع.

وأما زعمه من أن الآيات ٧٧ وما بعدها مدنية بحق، وأبكر وقت نشأت فيه هو قبل معركة بدر، وذلك بسبب حضنها على الجهاد، وذكر ملة إبراهيم، ما يقربها زمنياً من الحروب الأولى ضد اليهود، فالراجح من الرواية المسندة ذات السند الجيد أن السورة مكية.

ثم إنه لم يأت برواية على هذا الكلام، بل لم يقدم رأياً ورد حول ذلك من كتب التفسير^(٣) سورة الفتح: يقول نولدكه:

"نشأت السورة بعد صلح الحديبية، والآيات ١-١٧ تبدي أن النبي (ﷺ) نوى آنذاك فتح مكة، وأن حلفاءه البدو خيبتوا رجاءه، وقد مكنته كثرة عددهم من الاستيلاء على المدينة بعد سنين من دون قتال تقريباً، والآيات ١٨ وما بعدها نشأت بعد إخضاع يهود خيبر وجوارها في بداية السنة السابعة، وقد وعد محمد (ﷺ) أتباعه بممتلكاتهم في طريق عودته من الحديبية، وتخطى إحدى الروايات في وضعها الآية ٢٧ بعد رحلة الحج في السنة السابعة"^(٤).

^١ - في نقد منهج نولدكه الزائني الذي رتب السور عليه، ص ١٥٢

^٢ - الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ١٦٨، وليس لها ذكر لا في أسباب النزول عند الواحدي، ولا في لباب النقول عند السيوطي.

^٣ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٩٥-١٩٦

^٤ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٤

الرد:

بداية ه فالسورة تنزلت- ولم تنشأ؛ لأنها وحي الله إلى رسوله- بعد صلح الحديبية عند الرجوع إلى المدينة، حيث جاء في فضلها أن النبي ﷺ قال: لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس^(١)

وأما ما قاله حول الآيات ١-١٧ فقد حرف نولدكه كلام ابن اسحق، فقد قال: " واستتفر - أي رسول الله ﷺ - العرب من حوله، وأهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا أن يعرضوا له بحرب، أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار، ومن لحق به من العرب، وساق معه الهدى، وأحرم بالعمرة^(٢) -

وأما دعواه حول الآية ١٨ وما بعده فقد قصد بشبهته الآية ٢٠ تحديداً، والكشف عن معنى الآية يرد زعمه، فانه تعالى وعد المؤمنين بـ " مغنم كثيرة" بما يفىء عليهم إلى يوم القيامة، وبـ " فعجل لكم هذه" مغنم خيبر^(٣)، ويهود خيبر هم الذين تحالفوا مع قريش ضد المسلمين في غزوة الخندق

وأما الرواية المتعلقة بالآية ٢٧ " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق" فهي حديث مرسل ذكره الطبري عن مجاهد قال " أرى النبي ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقيين رؤوسهم ومقصرين، فلما نحر الهدى بالحديبية، قال أصحابه: أين رؤياك يا رسول الله؟ فنزلت " لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ "^(٤)

سورة التحريم: يقول نولدكه:

"يربط التراث بين الآيات الأولى من السورة وفضيحة حصلت في بيت النبي ﷺ) فقد استعمل محمد ﷺ) في أحد الأيام خيمة زوجته حفصة ليلتقي بأتمه القبطية ماريًا، ومثل هذه الغلطة دفعت النبي ﷺ) حاشاه ﷺ) لتبرير موقفه بوحي خاص، مثل هذا الحدث وقع على الأرجح قبل مولد إبراهيم بن محمد (عليهما الصلاة والسلام)، والرواية الأخرى المتعلقة بأن حفصة (رضي الله عنها) كانت تقدم

١ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة الفتح، باب " إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، حديث رقم ٤٤٥٦

٢ - ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٤٢٧-٤٢٨

٣ - الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٣٤٣.

٤ - الطبري، جامع البيان، ج ٢٢، ص ٢٥٧

العسل للنبي ﷺ ففتمها على نساته، فهذه القصة السخيفة التي تساق تفسيراً للآيات الأولى لم تستطع أن تكبت الرأي الآخر^(١)

الرد:

أولاً: مثل هذه التعبيرات التي تصدر عن مستشرق أطلق عليه قومه (شيخ المستشرقين) خروج عن أدب البحث، والدراسة العلمية، وإنما كان الدافع الديني هو السبب الحقيقي لمثل هذه التعبيرات. ثانياً: الرواية التي ينبغي اعتمادها هي الرواية الصحيحة المخرجة عند البخاري، وأما الرواية المتعلقة بماريا القبطية فهي في أصلها ضعيفة^(٢)

سورة الممتحنة: يقول نولدكه:

"الآيات ٩-١ تحذر المسلمين من مصادقة الذين نفاهم محمد (ﷺ) وأتباعه في ذلك الحين، لكنه يترك الباب مفتوحاً لمصالحة لاحقة في الآية ٧، ويرى التراث أن هذا المقطع نشأ قبل فتح مكة من السنة الثامنة، ولا دليل على صحته، والآيتان ١٠ و١١ نزلتا بعد صلح الحديبية، أو في الحديبية نفسها كما يريد التراث"^(٣).

الرد:

أما بالنسبة لما ادعاه حول الآيات ٩-١ فإن لم يذكر مرجعاً من كتب التفسير، أو رواية من أسباب النزول، وإنما أول النص تأويلاً فاسداً؛ وذلك لأنه لا يتفق بأسباب النزول، فالآية الأولى نزلت في شأن حاطب بن أبي بلتعة ؓ الذي بعث رسالة إلى قريش يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ عندما أراد فتح مكة، ثم أخبر رسول الله ﷺ أنه ما فعل ذلك كفراً ولا ارتداداً...^(٤) وهذا الخبر في شأن حاطب حصل منه قبل فتح مكة بقليل، وهو مخرج في الصحيحين^(٥)

وأما الآيتان ١٠ و١١ فقد أخرج البخاري أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاء نساء من المؤمنات، فأنزل الله " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ " إلى قوله: " وَلَا تُنْسِكُوا بَعْضَ الْكُوفِرِ "^(٦)

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٩٥

٢ - تقدم الحديث عنها عند نقد منهج نولدكه الزماني في ترتيب الآيات والسور على فترات الوحي، ص ١٥٧

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٩٦

٤ - السيوطي، لباب النقول، ص ٢١٦

٥ - أخرجه البخاري، في كتاب التفسير، باب " لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء"، حديث رقم ٤٦٠٨

وأما زعم تولدكه أن بعض الكتاب المتأخرين قد ربطوا الآية ١٢ بنزولها قبل فتح مكة، وذكر من هؤلاء السيوطي، فهذا غير صحيح، فعند مراجعة أسباب النزول لا يوجد مثل هذا الخبر. وأما الزمخشري، فإنه بعد تفسير الآية، قال: وروي أن رسول الله ﷺ لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا...^(٢)

سورة النصر: يقول تولدكه: "السورة قطعة مأخوذة من نص أكبر، وتوجد بين سور مكة، و(نصر) و (الفتح) ليس من المؤكد أنهما تعنيان فتح مكة"^(٣) الرد:

أولاً: دعواه أن السورة قطعة مأخوذة من نص أكبر فهذا زعم لا ينهض على دليل. ثانياً: أما عن تفسير نصر والفتح بأنه مراد بهما فتح مكة، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: خبّرني ربي أنني سأرى علامة في أمّتي، فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتها (إذا جاء نصر الله والفتح) فتح مكة (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً)^(٤) ثالثاً: جمع ابن حجر بين ما قيل: إنها آخر سورة نزلت، وما روي أن التوبة هي آخر نزلت، بأن المراد أن النصر هي آخر سورة نزلت كاملة^(٥) رابعاً: قال ابن كثير: والمراد بالفتح هنا هو فتح مكة قولاً واحداً فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجاً...^(٦)

^١ - أخرجه البخاري، في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث رقم ٢٥٨١

^٢ - الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٥١٩، وقال ابن حجر في تخرجه في الكاف الشاف: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق مقاتل بن حيان.

^٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٩٧

^٤ - أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم ١١١٦

^٥ - ابن حجر، فتح الباري، ج ٩، ص ٧٥٩

^٦ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٥٦٧، وأخرج الطبراني عن ابن عباس أنه قال في " إذا جاء نصر الله والفتح" أنه فتح مكة، نعت لرسول الله نفسه... المعجم الأوسط، ج ٢، ص ٣٠

سورة الحجرات: يقول نولدكه:

"الآيات ١-٥ تتحدث عن بني تميم الذين جاؤوا عام الوفود ٩ أو ١٠ ليفاوضوا في إطلاق الأسرى، وحين لم يخرج لهم محمد (ﷺ) للتواضع متحدين إياه، والآيتان ٦-٨ في قصة وليد بن أبي معيط، والرواية تثير الشك؛ لأنها تدور حول رجل ذاع صيته فيما بعد كمسلم سيئ، والآية ١٣ يفسر التراث هذه الآية بالإشارة إلى كبرياء بني قريش بعد فتح مكة، وهذا التفسير جدير بالاعتبار، والروايات الواردة حول الآيات ١٤-١٧ ملفقة"^(١)

الرد:

أما حول الآيات ١-٥ فإن الرواية الواردة بشأن نزول الآيات ليس له علاقة بقدم بني تميم للمفاوضة فيما ذكره^(٢)

وأما آية " إِنْ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ... " فقد نزلت في جفاة بني تميم، حيث قدم وفد منهم على النبي ﷺ فدخلوا المسجد، فنادوا النبي ﷺ من وراء حجرته أن أخرج إلينا يا محمد، فإن مدحنا زين وإن نمنا شين، فأذى ذلك من صياحهم النبي ﷺ، فخرج إليهم، فقالوا: إنا جئناك يا محمد نفاخرك، ونزل فيهم (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)^(٣)

وليس في الروايات الواردة بشأن بني تميم أي تطرق لقضية أنهم جاؤوا بشأن أسرى لهم، وأنهم ضجوا عندما تأخر عنهم في الخروج إليهم، وإنما أتوا النبي ﷺ وقت الظهيرة وهو راقد، فجعلوا ينادونه: يا محمد اخرج إلينا، فاستيقظ فخرج، ونزلت^(٤)

وليس في سيرة ابن هشام ذكر كذلك لما ادعاه حول قدم وفد بني تميم في عام الوفود^(٥)

وأما ما قاله حول الصحابي الجليل الوليد بن عقبة بن أبي معيط ﷺ، فالرواية وإن وردت بأسانيد جيدة، إلا أن البعض يردّها من جهة الدراية^(٦)

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٩٧

٢ - انظر، أسباب النزول للواحدي، ص ٢٥٨-٢٥٩، ولباب النقول، ص ١٩٩

٣ - المصدر السابق، ص ٢٥٩

٤ - ذكرها هكذا الزمخشري بغير اللفظ الذي حكا عنه نولدكه، انظر، الكشاف ج ٤، ص ٣٦٠

٥ - انظر، سيرة ابن هشام، ص ٥٦١

٦ - لباب النقول للسيوطي، ص ٢٠١، وانظر في ردها، عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، ج ١،

ص ٣٣٧-٣٣٨، عن الفخر الرازي في مفاتيح الغيب، ج ٢٨، ص ١١٩

وأما حول الآية ١٣ وأنها متعلقة بكبرياء قريش بعد فتح مكة، فقد ذكر ذلك الواحدي من رواية مقاتل: لما فتح النبي ﷺ مكة، أصعد بلالاً فوق الكعبة ليؤذن فوق الكعبة، فاغتم بعض أهل مكة^(١)

وأما اعتبار نولدكه الروايات الواردة بشأن الآيات ١٤-١٧ أنها ملفقة، فيعتبر كتاب لباب النقول من المصادر المعتمدة لدى نولدكه، والسيوطي ذكر رواية عن الطبراني، وصف إسنادها بالجيد أن عبدالله بن أبي أوفى قال: في آية "يمنون عليك أن أسلموا..." : أن أناساً من العرب، قالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتك، وقاتك بنو فلان فأنزل الله "يمنون عليك أن أسلموا"^(٢)

سورة التوبة^(٣). يقول نولدكه:

"أهم آيات سورة التوبة هي التي تلاها علي بن أبي طالب على العرب المجتمعين في مكة أثناء الحج في السنة التاسعة.

١-١٢ تأمر المسلمين بمهاجمة المشركين بعد انتهاء الشهر الحرام عند عدم وجود عهد معين محدود المدة، والآيات ١٣-١٦ زمنها يسبق فتح مكة، وخرق قريش لصلح الحديبية، والآيتان ٣٦ و٣٧ موجودتان خارج كل سياق، والآيات ١٧-٢٢ وصف للمشركين بأهم سذنة على الكعبة، والجزء الأكبر من السورة هو عن الحملة ضد البيزنطيين، وانتهز محمد (ﷺ) الفرصة لاتهام المنافقين والمسلمين الفاترين، والآيات ٢٥-٢٧ في غزو حنين، والآيات ٢٨-٣٥ تدعو لمحاربة النصارى حتى يدفعوا الجزية، والآية ٤١ هي أقدم آية في السورة بحسب ابن هشام^(٤) والآيات ٤٩-٥٧ تنتمي للفترة نفسها، وهذا ظاهر في الآية ٤٩، والآيات ٥٨-٧٢ لا علاقة لها بالحملة، والآية ٨٤ إذا كانت بالفعل على صلة بوفاة ابن سلول فهي قد أضيفت لاحقاً، والآيات ١٠٧-١١٠ موجهة ضد أفراد من بني سالم كانوا يتبعون الحنيف أبا عامر سرياً، والآيات ١١٣-١١٦ تتحدث عن إعفاء المسلمين من واجب الاستغفار للمشركين حتى ولو كانوا أقرب الناس، ويرد التراث هذا إلى وفاة أبي طالب أو أمانة أم النبي ﷺ، وهذان القولان لا أساس لهما من الصحة، والآيات ١٢٣-١٢٦ تحث على محاربة الكفار في جوارهم بلا هوادة، وهذه مدنية متأخرة، وربما نشأت في الفترة نفسها كالآيات السابقة، والآية ١٢٧ تشبه الآية ١٢٤ لكن هذا لا يثبت أنهما كانتا في الأصل معاً.

١ - انظر، الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٦٥

٢ - السيوطي، لباب النقول، ص ٢٠٣، والرواية عند الطبراني في المعجم الكبير، ج ٢٠، ص ٨١، حديث رقم ١٣٩٣

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٩٩ وما بعدها.

٤ - لم أجد ذلك في سيرة ابن هشام، انظر ص ٥٢٩-٥٣٠ وما بعدها.

الرد:

أما حول ما قاله عن نزول السور فإن قوله: (أهم) لا يجوز؛ لأنه لا مفاضلة بين الآيات فكلها وحي الله تعالى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أرفف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب، وأمره أن يؤذن ببراءة^(١).

وزعمه غير صحيح حول الآيات ١-١٢، قال الطبري وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الأجل الذي جعله الله لأهل العهد من المشركين، وأذن لهم بالسياسة فيه بقوله: "فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ" إنما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته، فأما الذين لم ينقضوا عهدهم، ولم يظاهروا عليه، فإن الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بإتمام العهد بينه وبينهم إلى مدته بقوله: "إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ".

وأما حول الآيات ١٣-١٦ فلم أجد ما زعمه عند أحد من المفسرين.

والتناسب ظاهر بين الآيتين ٦٣ و ٣٧ والسباق الذي قبلهما، إذ "المقصود ضبط الأشهر الحرام وإبطال ما أدخله المشركون فيها من النسب الذي أفسد أوقاتها، وأفضى إلى اختلاطها، وأزال حرمة ما لهُ حرمة منها، وأكسب حرمة لما لا حرمة له منها"^(٢).

وأما الآيات ١٧-٢٢ فهي نفي أن يكون للمشركين عمارة لمساجد الله مع كفرهم، وهذا يعني نفي عمارتهم للمسجد الحرام، وأما إذا استدل نولدكه بالرواية الواردة عن العباس: إنا لنعمر المسجد الحرام... فهي رواية ضعيفة^(٣)

ولم تكن غزوة تبوك حملة توسعية كما ادعى بل كانت دفعا لعدوان الروم بعدما سمع النبي صلى الله عليه وسلم عن تحركاتهم ورغبتهم بغزو المدينة، بعد أن بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الروم يحشدون جموعاً كثيرة بالشام، وأنه قد زحف مع حلفائه باتجاه اللقاء وعسكروا فيها يريدون المدينة^(٤).

١ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة التوبة، باب "فسيحوا في الأرض أربعة أشهر"، حديث رقم ٤٧٠١

٢ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ١٨٠

٣ - انظر، الكشاف، والكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، ج ٢، ص ٢٤٠

٤ - انظر الواقي، المغازي، مصدر سابق، ج ٣، ص ٩٩٠

وأما ما ذكره في الآيات ٤٩-٥٧، فإن الآية التي أشار إليها هي قوله تعالى: "وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ
انذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي" وهو متعلق بالمنافقين الذين اعتذروا عن الخروج مع رسول الله ﷺ للجهاد نفاقاً
وتثبيطاً للمؤمنين.

وأما حول المقصد من الآيات ٥٨-٧٢ فقد ذكرت نوعاً آخر من قبائح المنافقين بعد بيان
تخلفهم عن الجهاد، فذكر طعنهم في رسول الله بسبب أخذ الصدقات من الأغنياء، وزعمهم أنه يؤثر
بها من يشاء من أقاربه وأهل مودته، وأنه لا يراعي العدل في توزيعها^(١)

وحول الآية ٨٤ فقد نزلت في عبدالله بن أبي بن سلول، حيث روي عن ابن عمر قال: لما
توفي عبد الله ابن أبي جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم
سأله أن يصلي عليه، فقام ليصلي عليه، فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه وقال: يا رسول الله
أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي على المنافقين قال: إنما خيرني الله فقال: "اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ" وسأزيده على السبعين، فقال: إنه منافق
فصلى عليه، فأنزل الله "وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ" فترك الصلاة عليهم^(٢)
وكانت وفاة عبدالله بن أبي بن سلول في ذي القعدة من السنة التاسعة للهجرة، أي بعد رجوع النبي
ﷺ من غزوة تبوك^(٣)

وحول الآيات من ١٠٧-١١٠ إن البناء الذي قصده نولده هو مسجد الضرار الذي بناه
المنافقون، وليس الأحناف، ثم هدمه النبي ﷺ بعد رجوعه من تبوك، ثم كيف يكتّم الأحناف دعوتهم
ونولده يجعلهم من مصادري النبي في الوحي، فهل بطل دور الأحناف بعد الهجرة، أم أن ما زعمه
باطل من أساسه وهذا هو الراجح^(٤).

وأما الآيات ١١٣-١١٦ فقد تعددت الروايات في شأن من نزلت فيه، فبعضها يجعله في أبي
طالب، وبعضها في أم النبي ﷺ، وبعضها في قصة استغفار رجل لأبويه المشركين^(٥)

١ - الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج ١٦، ص ٩٩

٢ - أخرجه البخاري، في كتاب التفسير، سورة التوبة، باب قوله: "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم"، حديث رقم ٤٦٧٠

٣ - انظر، الصالح، سبل الهدى والرشاد، مصدر سابق، ج ١٢، ص ٧٣

٤ - تم الرد على ذلك في نقد منج نولده الزماني في ترتيب السور والآيات على فترات نزول الوحي، ص ١٥٨

٥ - السيوطي، لباب النقول، ص ١٢٥-١٢٦

وأما الآية ١٢٣ فهي متعلقة بقتال الروم؛ لأنهم أقرب الناس إليهم داراً، فهم يومئذ سكان الشام وهي أقرب إلى المدينة من العراق^(١)

وأما الآية ١٢٤ فهي متعلقة بسؤال المنافقين بعضهم بعضاً تهكماً بالمؤمنين وبالقرآن، وأما الآية ١٢٧ فهي تتحدث عن حال المشركين في مجلس النبي ﷺ عندما تنزل عليه سورة فيها فضح أمرهم، وكشف خباياهم^(٢)، فالآيتان حديث عن المنافقين، ولكن تعلق الأولى بموضوع، والأخرى بموضوع آخر، فهما متناسبتان مع سياق السورة الذي يكشف حقيقة المنافقين.

سورة المائدة^(٣): يقول نولدكه:

الآية ٢ نزلت بحسب التراث أثناء تأدية الحج - يقصد عمرة القضاء - في السنة السابعة، أو أثناء الحج الذي لم يتم في السنة السادسة (الحديبية)، والقول الثاني أكثر مصداقية. وذكر هذه الرواية السيوطي في أسباب النزول، وهي مرسله^(٤)

الآية ٣ وما بعدها تلاها محمد (ﷺ) على المؤمنين أثناء حجة الوداع قبل وفاته ببضعة أشهر.

قام نولدكه بنسبة ما ادعاه إلى الزمخشري، ولكنه ترك الرأي الأول الوارد في تفسير معنى "اليوم"، وهول إلى الثاني، على الرغم أنه جاء بصيغة التضعيف ولو كان هو المراد لقدمه الزمخشري في الذكر.

قال الزمخشري: "اليوم" لم يرد به يوماً بعينه، وإنما أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية، وقيل: أريد يوم نزولها، وقد نزلت يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع^(٥)

الآية ٤ جواب على سؤال طرحه عدي بن حاتم أو زيد الخيل أسلماً في أواخر حياة محمد (ﷺ) الرواية الواردة بذلك مرسله^(٦)

١ - الطبري، جامع البيان، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٤٧٤

٢ - انظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ١١، ص ٦٩

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٠٤ وما بعدها.

٤ - التحرير والتنوير، ص ٨٢

٥ - الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٦٣٩

٦ - انظر، السيوطي، لباب النقول، مصدر سابق، ص ٨٣ (المحقق)

عبارة "أمين البيت" إذا عني بها الحجاج الوثنيون فهي تنتمي إلى السنة التاسعة، والتي تتصل محمد (ﷺ) فيها نهائياً من عبادة الأصنام، وأما إذا قصد بها المسلمون فلا شيء يمنع نشوءها في وقت لاحق، وتتزامن بذلك مع الآيات ٨-١٠.

الآية ١١ لا يمكن تحديد زمن نشوئها، فهي تتكلم بعبارات عمومية فقط عن خطر قد يتعرض له المسلمون، ولا قيمة للقصص التي يرويها التراث من أجل تفسير هذه الآية عن أخطار تعرض لها النبي (ﷺ) شخصياً.

الآيات ٣٥-٤٠ نشأت قبل فتح مكة، والآيات ٤١-٥٠ تتناول مسألة اختلاف فيها اليهود قبل القضاء على بني قريظة.

ربما نشأت الآيات ٥١-٥٨ في السنة الثالثة، وإذا دقق في النص وجد أنه يشير إلى فترة صعبة اقترح فيه بعض المسلمين بسبب خوفهم من الأعداء إقامة تحالف مع اليهود، فتلقوا الجواب من النبي (ﷺ) أن الله سينعم عليهم بالنصر، أو يقلب الوضع لصالحهم.

رواية أخرى ترد الآيتين ٥١ و٥٢ إلى نصيحة أعطيت للنبي (ﷺ) بعد وقعة أحد بأن يسعى إلى الحصول على دعم اليهود ضد المشركين.

التقييم الودي الذي يناله المسيحيون خاصة قسوسهم في الآيتين ٦٩ و٨٢ هو تقييم مبني نظري لا غير خاصة إذا صح تاريخياً أن محمداً (ﷺ) وجه تعليمات إلى جنوده في مؤتة بقتل القسوس وترك الرهبان آمنين.

الآيات ٥٩-٨٥ تشترط وقوع معارك كثيرة ضد اليهود قبل نشأتها التي كانت قبل معركتي مؤتة وتبوك.

الآيات ٨٧-٨٩ نشأت على أبعد حد في السنة السابعة؛ لأن الآية الثانية من سورة التحريم تشير إلى ذلك.

الآيات ٩٠-٩٣ يصعب تحديد زمن نشوئها، وهي ربما نشأت في السنة الرابعة، ويصعب أن يكون ذلك حصل بعد السنة السادسة.

الآيات ٩٤-٩٦ يردها البعض إلى عام الحديبية.

والآيات ٩٧-١٠٠ التي تدور حول مكة قد تتلاءم بصورة جيدة وهذه الفترة.

الآية ١٠١ متعلقة بمن سأل عن الحج أهو واجب في كل عام؟، أو أنها على علاقة حول أمور كان النبي (ﷺ) يجهلها، أو لم تكن تليق به.

الآيتان ١٠٣ و١٠٤ يتعذر تحديد موعد نشأتها.

الآيات ١٠٩ وما يتبعها لا يمكن تحديد عمرها، وربما وضع هذا المقطع القصصي الذي يتضمن تفاصيل مشوقة من قصة عيسى عليه السلام في مكانه بسبب ورود ذكر "ابن مريم" مرات عديدة في السورة.

الرد:

أما افتراؤه بأن النبي ﷺ تتصل نهائياً من عبادة الأصنام في السنة التاسعة، فتشهد سيرة النبي ﷺ أنه لم يعظم الأصنام أو يتقرب إليها، أو أنه أكل شيئاً مما ذبح عليها، فما ادعاه نولده كان جريماً على عادته في التعنت، وجحود الحقائق.

وأما زعمه حول الآية ١١ فأغلب الظن أن نولده تَعَمَد اتهام هذه الروايات بما حكاها؛ لتعلق إحدى روايات أسباب نزول هذه الآية بيهود بني النضير ومحاولتهم قتل النبي ﷺ غدرًا، فقد ذكرها السيوطي، ثم ذكر بعدها الرواية التي تخبر بما أراده بنو ثعلب وبنو محارب من أن يفتكوا بالنبي ﷺ، في حين تربطها رواية أخرى بمحاولة رجل من محارب قتل النبي ﷺ^(١).

وأما ما زعمه حول الآيات ١٢-٣٤ وأنها (نشأت) بعد طرد بني قينقاع في السنة الثانية قبل الضربة الأخيرة التي وجهت إلى اليهودية العربية بالاستيلاء على خيبر في جمادى الأولى من السنة السابعة، فلم يذكر نولده دليلاً على كلامه، بل هو مجرد افتراضات وتكهنات.

وأما ما ذكره حول الآيات ٣٥-٤٠ فلم يرد هذا في رواية من أسباب النزول، ولا في قول من أقوال المفسرين^(٢).

وأما زعمه حول الآيات ٤١-٥٠ فإن ما روي في شأنها ضعيف^(٣).

ما جاء في سبب نزول الآيات ٥١-٥٨ هو غير ما ادعاه نولده إذ يذكر أنها نزلت في شأن يهود بني قينقاع لما حاربوا تشبث بأمرهم عبدالله بن أبي بن سلول، وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت ﷺ على رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم^(٤).

١ - السيوطي، لباب النقول، مصدر سابق، ص ٨٥، وقال المحقق عن الرواية الأخيرة (صحيحة)

٢ - ينظر مثلاً، جامع البيان، ج ١٠، ص ٢٨٨ وما بعدها، والكشاف، ج ١، ص ٦٦٢ وما بعدها، ومفاتيح الغيب، ج ٦، ص ٤٧ وما بعدها.

٣ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند ابن عباس، حديث رقم ٢١٠٢، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني (المعجم الكبير، حديث رقم ١٠٥٨٤) بنحوه، وفيه عبد الرحمن ابن أبي الزناد وهو ضعيف، وقد وثق، وبقية رجال أحمد ثقات، مجمع الزوائد، ج ٣، ص ١٥٤

وأما زعمه حول الآيات ٥٩-٨٥ فلا يوجد في أسباب النزول ذكر لشيء يربط بين الآيات وغزواته ﷺ مع اليهود^(٢)

وأما زعم نولدكه حول أن النبي ﷺ وجه تعليمات بقتل القساوسة فهذا تزوير للتاريخ، ولسيرة النبي ﷺ العطرة، وما جاء في حوادث الغزوة نفسها، فقد وصى رسول الله ﷺ أمراء الجيش "اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين الناس فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص^(٣) فافلقوها بالسيف، لا تقتلن امرأة ولا صغيراً ضرعاً، ولا كبيراً فانياً، ولا تقربن نخلاً، ولا تقطعن شجراً، ولا تهدمن بيتاً"^(٤)

وأما زعمه حول الآيات ٨٧-٨٩ فإن سبب النزول الوارد في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم" متعلق بأن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أصابت اللحم انتشرت للنساء، وأخذتني شهوتي فحرمت علي اللحم، فأنزل الله "يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم"^(٥)، وآية التحريم الثانية فهي "قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم" وهي متعلقة بتحريم النبي ﷺ العسل على نفسه في القصة التي جرت مع زوجته عائشة وحفصة رضي الله عنهما^(٦)

وأما زعمه حول الآيات ٩٤-٩٦ فقد ذكر نولدكه هذا القول عن الزمخشري قال عن قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم"، فقد روي أنه عن لهم _ أي للصحابة- في عمرة الحديبية حمار وحش، فحمل عليه أحدهم فطعنه برمحه فقتله"^(٧)

وأما تحديده زمن نزول الآيات ٩٧-١٠٠ في فترة ذهاب النبي ﷺ إلى الحديبية، أو حتى عمرة القضاء فلا توجد رواية تذكر أن هذه الآيات قد نزلت في هذه الفترة.

- ١ - السيوطي، لباب النقول، مصدر سابق، ص ٨٨، وقال المحقق عنه (حسن)، وذكر هذه الرواية الطبري في تفسيره جامع البيان، ج ١٠، ص ٣٩٧
- ٢ - السيوطي، لباب النقول، مصدر سابق، ص ٩٠ وما بعدها
- ٣ - جمع مقحص، من مقحص القطاة، وهي هنا استعارة على أن الشيطان قد استوطن رؤوسهم فجعلها له مفاحص، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري، ج ٣، ص ٧٩١
- ٤ - البيهقي، السنن الكبرى، كتاب السير، باب قتل النساء والصبيان في التبييت والغارة من غير قصد وما ورد في إياحة التبييت، بدون ترقيم، ج ٩، ص ٩١.
- ٥ - الترمذي كتاب التفسير، باب ومن سورة المائدة، حديث رقم ٢٩٨٠
- ٦ - أخرجه البخاري، في كتاب الطلاق، باب لم تحرم ما أحل الله لك، حديث رقم ٤٩٦٦.
- ٧ - الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج ١، ص ٧١٠-٧١١، ولم أجده مخرجاً في كتب الحديث، أو أسباب النزول.

وأما حول الآية ١٠١ فقد أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: خطب رسول الله خطبة، فقال رجل: من أبي؟ قال: فلان، فنزلت الآية " لا تسألوا عن أشياء" (١)
الآيات ١٠٦ وما يليها إذا صح ما أخبرت به، فلا بد من أن يكون وقوعه بعد فتح مكة بعد ظهور أفراد وعائلات قريشية فيه اعتنقت الإسلام من بعد الفتح (٢).

وأما حول الآية ١٠٩ وما بعدها فإن الكلام قد عاد للحديث عن أحوال الذين أتبعوا عيسى عليه السلام، فبطل كثير منهم تبديلاً بلغ بهم إلى الكفر ومضاهاة المشركين، وللتذكير بهول عظيم من أحوال يوم القيامة تكون فيه شهادة الرسل على الأمم وبراعتهم مما أحدثه أممهم بعدهم في الدين مما لم يأذن به الله، والتخلص من ذلك إلى شهادة عيسى على النصارى بأنه لم يأمرهم بتأليهه وعبادته... ولمناسبة هذا المقام التزم وصف عيسى بابن مريم كلما تكرر ذكره في هذه الآيات أربع مرات تعريضاً بإبطال دعوى أنه ابن الله تعالى (٣).

وخلاصة الرد على نولدكه في دراسته التحليلية لسور القرآن الكريم جميعها ما يأتي:

١- ظهر بشكل جلي عدم دراية نولدكه بأساليب الوحي في الخطاب في الوحين المكي والمدني؛ ولأجل ذلك زعم شبهات كثيرة ذكرها غيره من المستشرقين حول التكرار وقصر الآيات وطولها والتناسب بين الآيات وغير ذلك.

٢- لقد برزت الشخصية الحاقدة البعيدة عن الحيادية في البحث في مسألة التعلق بما هو واه، وتعتمد الابتعاد عن الروايات الصحيحة، فكانت الانتقائية سمة بارزة في منهج نولدكه البحثي.

٣- لم يستطع نولدكه تحديد زمن النزول لكل الآيات والسور القرآنية، والسبب في ذلك أنه لا توجد روايات تحدد ذلك لها؛ ولذلك وجدنا نولدكه يتعلق بكل رواية ضعيفة، بل أقرّ بالكثير من المواضع عن عجزه في تحديد زمن النزول، وبهذا يستدل على تعذر الترتيب الزمني للسور القرآنية حسب النزول، وبالتالي فشل محاولته.

١ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال، وتكلف ما لا يعنيه، حديث رقم ٦٧٥١
٢ - أورد السيوطي سبب النزول في هذه الآية من رواية الترمذي وصرح بتضعيف الترمذي له ص ٩٥، ونص قول الترمذي: " هذا حديث غريب وليس إسناده بصحيح" سنن الترمذي، كتاب التفسير، حديث رقم ٢٩٨٥
٣ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ٧، ص ٩٨، وما بعدها

الفصل الثالث

الأحاديث النبوية التي يزعم نولدكه قرآنيها

المبحث الأول: الأحاديث المنسوخة التي يزعم نولدكه قرآنيها

المطلب الأول: مفهوم النسخ وأصله عند نولدكه

المطلب الثاني: الأحاديث التي ادعى نولدكه قرآنيها من النصوص المنسوخة

المبحث الثاني: الأحاديث التي زعم نولدكه ضياعها من وحي القرآن

المبحث الثالث: الأحاديث النبوية والقدسية وصلتها بالوحي عند نولدكه

المبحث الأول
الأحاديث المنسوخة التي يزعم نولدكه قرآنيها
المطلب الأول
مفهوم النسخ وأصله عند نولدكه

لا يبدو غريباً أن يتطرق نولدكه لقضية النسخ^(١)، في دراسته لموضوع الوحي وترتيب السور على فترتيه وذلك؛ لأنه يعده يختلف عما قام النبي (ﷺ) بتغييره وتعديله لنصوص الوحي.

- إن ظاهر كلام نولدكه يجعله في مصاف أولئك الذين ينكرون وقوع النسخ لما يأتي:
- ١- يجعل من الصعوبة وجود تنزيل ما قد نسخ بتنزيل آخر.
 - ٢- يرد النسخ في الإسلام إلى الفكرة المسيحية القائلة بوجود النسخ للشريعة اليهودية.
 - ٣- يعد كلمة النسخ مقتبسة من اللغة الآرامية، وليست من بنات العربية^(٢).

وهو إذ يعترض على مبدأ وجود النسخ أصلاً في القرآن؛ فلأنه يفهم من كلامه اعتراضه على وجود نسخ من الإنجيل للتوراة أي من العهد الجديد للعهد القديم، بدليل أنه لما تحدث عن صعوبة تصور نسخ تنزيل لتنزيل، قال: " يقارب هذا التصور الفكرة المسيحية القائلة بنسخ الشريعة اليهودية بواسطة الإنجيل"

غير أنه قد وجد في نصوص (الكتاب المقدس) ما يدل على وقوع النسخ في العهد القديم نفسه، فقد جاء في سفر العدد أن سن الخدمة للحرب هي ثلاثين سنة "وكلم الرب موسى وهارون

^١ - يقول تحت مادة أصول في دائرة المعارف الإسلامية: "وكان هم المفسرين المتأخرين التخلص من المتناقضات الواردة في القرآن، والتي تصور لنا تدرج محمد (ﷺ) في نبوته، إما بما عمدوا إليه من التوفيق فيما بينها، وإما بالاعتراف بأن الآيات المتأخرة تنسخ ما قبلها، وذلك في الآيات التي يشتد فيها التناقض" انظر، دائرة المعارف الإسلامية، أصدرها بالعربية أحمد الشناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، طبعة دار الفكر، القاهرة، ١٩٣٣، ج ٢، ص ٢٧٣

^٢ - انظر تاريخ القرآن، ج ١، ص ٤٨، وانظر كذلك ما قاله في ج ٢، هامش ص ٢٣٨.

قائلاً: "خذ عدد بني قهات من بين بني لاوي حسب عشائره، وبيوت آبائهم من ابن ثلاثين سنة فصاعداً إلى ابن خمسين سنة كل داخل في الجند"^(١)

ثم نسخ هذا الحكم إلى خمس وعشرين في السفر نفسه "وكلم الرب موسى قائلاً: "هذا ما لللاويين من ابن خمس وعشرين سنة فصاعداً فيأتون ليتجنّدوا أجناداً في خدمة بيت الاجتماع"^(٢)

ثم نسخ الحكم مرة أخرى إلى عشرين سنة "هؤلاء بنو لاوي حسب بيوت آبائهم رؤوس الآباء حسب إحصائهم في عدد أسمائهم حسب رؤوسهم عملوا العمل لخدمة بيت الرب من ابن عشرين سنة فما فوق"^(٣)

وأما الادعاء بأن كلمة (نسخ) ليست عربية صرفة، وأنها دخيلة على اللسان العربي من الآرامية، فهو ليس بالشيء الغريب من نولدكه، فقد سار على هذا الأمر في سائر كتابه في (عبرنة) القرآن، أو رده لأصول سريانية أو آرامية في العديد من ألفاظه^(٤).

"واتباع منهج دراسة الاشتقاقات لكلمة النسخ كشأن باقي المفردات العربية، في بيان الكلمات ذات القربى معها يدل على أصالتها في اللسان العربي"^(٥)

فالنسخ هو إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه، والشيء ينسخ الشيء يزيله ويحل محله، والعرب تقول: "نسخت الشمس الظل: أي أزالته وأذهبته، وحلت محله"^(٦)، فالنسخ يدور على معنى إزالة شيء لشيء آخر، والحلول محله، فإذا أخذنا (خنس) وجدنا الالتقاء في أصل المعنى، فـ(خنس) بمعنى تأخر، وأخنسه أي خلفه ومضى عنه، والخناس الشيطان؛ لأنه يخنس إذا ذكر الله عز وجل، والخنس الكواكب كلها؛ لأنها تخنس في المغيب، أو لأنها تخفى نهاراً^(٧)، فنسخ وخنس

١ - الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر العدد، الإصحاح ٤، الفقرة ١، و(قهاث) اسم عبري بمعنى مجمع. انظر قاموس الكتاب المقدس.

٢ - المصدر السابق، سفر العدد، الإصحاح ٨، الفقرة ٢٣

٣ - المصدر السابق، العهد القديم، سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٢٣، الفقرة ٣٤

٤ - انظر على سبيل المثال ج ١، (سورة، ص ٢٨)، (قرأ، ص ٣٠)، (مثنى، ص ١٠٢)

٥ - انظر، عباس، فضل، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، مرجع سابق، ص ٢٧

٦ - ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ٣، ص ٦١

٧ - الرازي، محمد بن أبي بكر (ت ٧٢١هـ)، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، ط ١، مكتبة لبنان، بيروت،

١٩٩٥، ج ١، ص ٨٠

مُتعلّقان بشيء يزول بسبب شيء آخر، فالنسخ متعلّق بمعنيين أحدهما بمعنى الإزالة كما في قوله تعالى: "فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْفِي الشَّيْطَانَ" (الحج: ٥٢)، والآخر بمعنى النقل كما في آية "إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (الجاثية: ٢٩)

زمن النسخ: يدعي نولدكه أن من يفترض عدم وقوع نسخ أو تعديل من محمد (ﷺ) قبل الهجرة فهو غير مصيب، ودليله قصة الغرانيق^(١)، وحجته أن النبي (ﷺ) أراد بعد أن رفض الاعتراف بالأصنام كآلهة أن يعيد التفكير في ذلك، انطلاقاً من الخوف الذي اعتراه في ذلك الحين باعتباره بتلك الآلهة بعد ذلك كحل وسط مع الدين القديم^(٢).

قد سبق بيان بطلان هذه القصة سنداً وممتناً، بل إن بعض المستشرقين أنكروا جملتها وتفصيلاً، ثم إنه لا نسخ فيما أوحاه الله تعالى إلى نبي من أنبيائه في شيء من العقيدة، وإنما يرد النسخ على الأحكام والشرائع، ولكن نولدكه أراد من هذا المثال الذي لم يجد غيره ليتعلل به على دعواه أن يفترض:

١- أن النبي (ﷺ) كان يتصرف بمعزل عن الوحي.

٢- أن النسخ والتعديل في أمر كهذا لا يختلف عن التعديل في سائر القرآن ما دامت أن هذه ظاهرة أراد هو أن يثبتها بمنهجه التاريخي الفيلولوجي على السور القرآنية في موضوع ترتيب النزول.

والتحقيق على أن النسخ لم يقع إلا بعد الهجرة، "فما رفعه القرآن من أمر الجاهلية، أو الشرائع السابقة، أو في الإسلام كإبطال نكاح نساء الآباء، وحصر الطلاق في ثلاث فهذا ليس من النسخ، ولو كان كذلك لعد جميع القرآن منه"^(٣)

يقسم نولدكه بعد ذلك أقسام النسخ بحسب هبة الله بن سلامة^(٤) إلى:

١- انظر، نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣٣

٢- المصدر السابق، ج ١، ص ٩٠

٣- انظر، الإتقان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٥٥، وإتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، ج ٢، ص ٩

٤- هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي مفسر ضرير، له عدة كتب منها الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، الناسخ والمنسوخ من الحديث، والمسائل المنثورة، توفي سنة ٤١٠هـ. انظر شذرات الذهب ج ٣، ص ١٩٠

١- الآيات التي نسخت حكماً وظلت نصاً في القرآن.

٢- الآيات التي نسخت نصاً وبقيت حكماً.

٣- الآيات التي نسخت نصاً وحكماً.

ويسمى ما عده العلماء منسوخاً كل ما ضاع قسراً عن إرادة النبي (ﷺ)، أو أهمل سهواً فلم يضم إلى جمع القرآن الذي قام به خلفاؤه من بعده^(١)

يقول نولدكه: "وبحسب الشكل الحالي فإنه يمكن التمييز بين نوعين من الآيات المنسوخة، أحدها الآيات التي أبطل حكمها بواسطة تنزيل صريح، وهذه الآيات عددها كثير^(٢)، وتطبق على التشريعات التي رافقت تبدل الظروف، والآيات التي نسخت بنهي النبي (ﷺ) عن قراءة هذه الآية أو تلك لسبب من الأسباب^(٣) حيث أشار^(٤) إلى قصة اللذين قاما يتلوان السورة فلم يقدرنا منها على حرف، وقول النبي (ﷺ) لابن مسعود (رضي الله عنه) لقد أنسيتهما البارحة^(٥).

وقصة الرجلين رواها الطبراني بسنده فقال: حدثنا أبو شيبيل عبيد الله بن عبد الرحمن بن واقد ثنا أبي ثنا العباس بن الفضل بن سليمان بن أرقم عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: قرأ رجلان من الأنصار سورة أقرأهما رسول الله ﷺ وكانا يقرآن بها، فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرنا منها على حرف، فأصبحا غاديين على رسول الله ﷺ فذكرا له ذلك، فقال رسول الله ﷺ: إنها مما نسخ وأنسي فآلهوا عنها^(٦)

١ - انظر تاريخ القرآن، ج ١، ص ٤٨-٤٩

٢ - كان بإمكان نولدكه نقل تعقيب السيوطي على من جعل الآيات المنسوخة عدداً كثيراً، حيث قال: "فهذه إحدى وعشرون آية على خلاف في بعضها، ولا يصح دعوى النسخ في غيرها". الإتيان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٦٣.

٣ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٤٩

٤ - انظر هامش ج ١، ص ٤٩ من تاريخ القرآن

٥ - انظر، نواسخ القرآن، لابن الجوزي (٥٩٧هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص ٣٤

٦ - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، مصدر سابق، حديث رقم ١٣١٤١، وفي المعجم الأوسط، حديث رقم ٤٦٣٧، وفي سندي الروايتين سليمان بن أرقم أبو معاذ البصري، وهو ضعيف عند أهل الجرح والتعديل، فقد قال أحمد بن حنبل فيه: لا يسوي حديثه شيئاً، وقال ابن معين: لا يسوي حديثه فلساً، وقال = البخاري: تركوه، وعن الأجرى عن أبي داود قال: متروك الحديث، انظر، تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج ٤، ص ١٤٨، وحكم عليه ابن حجر في تقريب التهذيب، ص ٢٤٩ فقال: ضعيف.

ولبيان وهن ما ادعاه نولده حول نسخ السورة فالرواية مُشكَّلة، فواحد لا يقدر على قراءتها، ومن باب الصدفة يحصل الأمر لآخرين، وفي الليلة نفسها؟ فمن هم هؤلاء؟ ثم لما سألوا النبي ﷺ عن الأمر وسكت ساعة لا يرجع إليهم شيئاً، ثم قال: نسخت البارحة من صدوركم، ومن كل شيء كانت فيه: فهل نُسخن من قلوب أولئك قبل النبي ﷺ، وهل قوله من كل شيء يشمل حتى الرقاع التي دونت فيها السورة؟ وهل إذا نسخت البارحة تأخر الوحي بالإخبار بالنسخ حتى يأتي هؤلاء بالسؤال والاستفسار، ثم ينزل الوحي بالنسخ! ولماذا يكون هذا خاصاً بهذه السورة بالذات، وهل تأخذ من هذه الرواية منهج الوحي في النسخ أن تمحى الآية من صدور الرجال، ومما هي مكتوبة فيه ثم ينزل الوحي، وإذا كان كذلك، فلم لم يحصل هذا لباقي الآيات التي نسخت؟ وما الخصوصية التي اختصت بها هذه السورة دون سور أخرى نسخ المائة وأكثر من آياتها، بحسب ما جاء في بعض الروايات؟ فهذا كله مما يدفع أن تكون هذه الرواية صحيحة.

وأما موقف نولده من آية "ما نسَخ من آية أو نَسِها نأتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أو مِنْهَا" (البقرة: ١٠٦)، فقد جعلها في المرة الأولى تتناول على الأرجح رفع شرائع سابقة^(١)، ولكنه في المرة الثانية عدل عن ذلك تماماً حيث اعتبرها تعزية من النبي ﷺ) للمؤمنين بأن الله (ﷻ) سوف يمنحهم بدل كل آية ذهبت ضحية النسيان آية أفضل على اعتبار أن كل شيء كان يحفظ في الذاكرة التي كانت تخون النبي ﷺ) في بعض الأحيان^(٢)

والرأي الأول هو الذي يتفق مع سياق الآية في سياقها ولحاقها، فالآية لا تتصل بقضية الأحكام، فهي جاءت في سياق إقامة الحجة على اليهود الذين أنكروا رسالة الإسلام، وبعثة محمد ﷺ بادعائهم أنهم لا يؤمنون إلا بما أنزل عليهم، وأنه ليس هناك دين بعد دينهم، فالآية ليست دليلاً على وجود النسخ في القرآن الكريم^(٣)

يبعد بمفهوم النسخ عن أصله الاصطلاحي المتعلق برفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه^(٤) إلى أنه متعلق باستبدال آيات بنص جديد، ذي مضمون مختلف، أو إلغائها^(٥)

١ - انظر، نولده، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ١٥٨

٢ - انظر، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٣٩

٣ - عباس، فضل حسن، إتيان البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٣ وما بعدها باختصار

٤ - الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي (ت ٧٩٠هـ)، الموافقات في أصول الشريعة، عنى به محمد دراز، د.ط، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت، ج ٣، ١٠٧

٥ - انظر، نولده، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٣٨

وهو إذ يبتعد بالمفهوم عن مدلوله الشرعي، فإنه يجعله محددًا بالمعنى اللغوي المتعلق إما بإدخال قراءة جديدة، أو أنه مشتق من الإبعاد؛ وذلك ليوائم بين هذين المعنيين اللغويين اللذين حذا باللفظ إليهما، وبين قضية أن النسخ في القرآن متعلق إما باستبدال آيات بنص جديد مختلف أو إلغائها أي إبعادها عن نص المصحف؛ ولجأ النبي (ﷺ) لذلك لتكون له حرية في إرخاء القيود التي وضعها من خلال كتابة الآيات^(١)

واللافت في الأمر، أن نولدكه لا يرجع هنا إلى أمهات كتب أصول الفقه التي تناولت مفهوم النسخ، وما تعلق به من مباحث، بل إن استقراء مراجع الرجل التي أثبتتها في نهاية الجزء الثالث تثبت خلو كتابه تاريخ القرآن من مثل هذه المراجع^(٢)

١ - انظر، تاريخ القرآن، ج ٢، ص ٢٣٨ و هامشها.

٢ - انظر، المصدر السابق، ج ٣، ص ٧١٣ وما بعدها

المطلب الثاني

الأحاديث التي ادعى نولدكه قرآنيته من النصوص المنسوخة

يدعي نولدكه أن المصحف الذي بين أيدينا الآن لا يتضمن كثيراً من الآيات التي نزلت على النبي (ﷺ)، والتي يصفها الحديث صراحة أنها أجزاء أصيلة من القرآن الكريم^(١)

وفيما يأتي الرد على نولدكه فيما ادعه من أحاديث زعم أنها ساقطة من وحي القرآن الكريم:

النص الأول: " لو أن لابن آدم وادياً من مال لا يتغنى إليه ثانياً، ولو أن له ثانياً لا يتغنى إليه ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب"

وبعد أن ذكر نولدكه هذا النص بالرويات التي ورد بها في كتب الأحاديث قال: " لا يمكن أن نعرف في خضم هذه المجموعة من الروايات المختلفة التي تتداخل بقاياها، وتولد بذلك صيغاً جديدة، أي من هذه الروايات هي الأقدم، أو هي الأصيلة. لكننا استطعنا بواسطة مقارنة النصوص برواية أحيقار السريانية أن نثبت من أن القراءات التي تتضمن "مال" و "عين" تتقدم زمنياً على القراءات الأخرى، وكما تختلف النصوص كذلك، تختلف المعلومات عن مصدرها الإلهي، وموقعها الأصلي من القرآن"^(٢)

وبدا نولدكه متردداً بين اعتبار هذا النص من القرآن، أم لا فيقول: "أما السؤال المهم عن مصداقية هذه الروايات، فليس من السهل اطلاقاً الجزم فيه. نظراً إلى أن كلمات النبي (ﷺ) المذكورة هي في خط طريقة التفكير والتعبير القرآنية، فقد تكون جزءاً من سورة ضاعت. وربما احتفظ البعض بهذا النص في الذاكرة؛ لأن النبي (ﷺ) تلفظ به مراراً، ما سيفسر بسهولة اختلاف الصيغ، وتأرجح التراث حول أصل النص. لكننا نستطيع أن نستنتج من المعطيات الراهنة بالمقدار عينه من الإمكانية العكس تماماً، أي أن تلك الكلمات هي نص حديث اعتبر آية قرآنية بسبب مشابهته لأسلوب القرآن، ولا يمكننا بالطبع أن نستبعد كون الحديث منحولاً. ما يتنافى وكون محمد (ﷺ) صاحب هذا

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢١٠

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٥

النص هو استعمال عبارة (ابن آدم) الذي لا يستخدمه القرآن الذي يعبر بـ (بني آدم)، وهي غريبة عن القرآن (١)

والجواب عن شبهته حول هذا النص بما يأتي:

ترد هذه الرواية بنصوص متعددة:

- ١- واديان من مال (٢)
- ٢- وادياً من ذهب (٣)
- ٣- واد مالا (٤)
- ٤- وادياً ملاً من ذهب (٥)
- ٥- واديان من ذهب وفضة (٦)
- ٦- واديين من نخل (٧)
- ٧- واد (٨) (على الإطلاق بلا وصف)
- ٨- واد من نخل (٩)

- ١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢١٦
- ٢ - أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، حديث رقم ٦٠٧٢، ومسلم، كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين...، حديث رقم ١٠٤٨
- ٣ - أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم ١٢٧٤٠، وأخرجه مسلم بـ (واد من ذهب)، كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين...، حديث رقم ١٠٤٨، وبنفسها أحمد في مسنده، حديث رقم ١٣٦١١
- ٤ - أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين...، حديث رقم ١٠٤٨
- ٥ - أخرجه البخاري، حديث رقم ٦٠٧٤، وأخرجه مسلم بـ (ملاً من مال) حديث رقم ١٠٤٩، وعند الطبري في المعجم الكبير 'واد ملاً ما بين أعلاه إلى أسفله أحب أن يمتلئ له واد آخر' حديث رقم ٧٠٠٦، ج ٧، ص ٢٤٧
- ٦ - أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم ١٩٨٠١
- ٧ - أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ما جاء في الحرص، حديث رقم ٣٢٢٢
- ٨ - أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم ٢١٩٥٦
- ٩ - أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ما جاء في الحرص، حديث رقم ٣٢٣٣

وما جاء في النص من قوله ﷺ "ولا يملأ جوف" لم يأت في جميع الروايات، بل جاءت تعبيرات أخرى مثل:

١- ولا يملأ فم

٢- ولا يملأ عين

٣- ولا يملأ نفس^(١)

فلو كان هذا النص قرأناً فهل يرد بهذه الروايات المتعددة، وقد أجمع المسلمون على أن القرآن لا ينقل بالمعنى، وإنما ينقل بلفظه ومعناه المعجزين.

أضف إلى ذلك أن الذين رووا هذا الحديث هم آحاد من الصحابة وهم ابن عباس وأنس بن مالك، وأبي واقد الليثيؓ، وإنما يشترط التواتر لنقل القرآن، فلما عدم التواتر بطل القول بقرآنية هذا النص، وفي كونه منسوخاً.

ونولده نفسه أحس بمشكلة تعدد الروايات من حيث تحديد الأقدم فيها أو ما سماه الرواية الأصلية، فلجأ إلى ما يسمى برواية أحيقار السريانية^(٢) التي اعتمدها أساساً في بيان الأقدم في القراءات حيث ذهب إلى أن القراءات (مال) و (عين) تتقدم زمنياً على القراءات الأخرى^(٣).

وهنا نتساءل :

١- لو سلمنا بأن الروايات التي تحمل لفظتي (مال وعين) هي الأقدم عن الروايات التي تتضمن جوف فكيف يمكن الحكم على الأقدم من القراءتين مال وعين نفسيهما؟.

^١ - على سبيل المثال: جاء النص عند مسلم في صحيحه بالروايات الثلاث (جوف، فاه، نفس) حديث رقم ٢٤٦٤ و ٢٤٦٥ و ٢٤٦٦، وعند البخاري (عين) حديث رقم ٦٠٧٣، و(فمه) عند أحمد حديث رقم ٣١٩٣٦

^٢ - هذا النص ليس يهودياً في الأصل، وهو يعود إلى ما قبل سنة ٥٨٧ ق.م، ويقع في جزئين، الأول خبر أحيقار الكاتب الحكيم، ومستشار ملوك آشورية، والثاني حكمة أحيقار وهي مجموعة تقارب مائة قول من الأمثال والأخبار، وقد رتبت بطريقة الصدفة في أكثر الأحيان، والقسم الأكبر جاء مفتتاً، وبعض ما فيه يشبه سفر الأمثال. www.servantjesus.com تاريخ الدخول ٢٦/٥/٢٠٠٨ م.

^٣ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢١٥

٢- إضافة لذلك فإن آخر الحديث غير مقتصر على كلمة جوف فهناك (فم، وعين، ونفس) فهل سيلجأ إلى روايته السريانية مرة أخرى لمعرفة الأقدم من الروايات؟ أم أن الأمر محسوم تماماً بما قرر في علم مصطلح الحديث من جواز رواية الحديث بالمعنى، وأن تعدد التعبيرات تصب في هذا الاتجاه ليس أكثر، وبالتالي فإن روايته لا تقدم ولا تؤخر شيئاً.

ثم يتحول نولده لمحاولة تحديد موقع الآية من القرآن فيشير إلى الرواية القائلة بأن موضع النص في سورة التوبة، فعن أبي موسى الأشعري قال: "نزلت سورة براءة، ثم رفعت، وحفظ منها" إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم، ولو أن لابن آدم واديين من مال...^(١)

وينقل عن السهيلي^(٢) أنها كانت في سورة يونس بعد آية "كَانَ لَمْ تَلْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ لَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (يونس: ٢٤)، وهذا يعني أن تجيء بعد الآية ٢٤/٢٥ من السورة نفسها، والمعنى يسمح بذلك، غير أن اختلاف الفاصلة يرد ذلك^(٣)، ثم يشير إلى رواية أبي بن كعب وأن النص كان في سورة البينة، إذ هو أقدم موضع له^(٤)

وَيُنَاقِشُ مَا يَتَعَلَّقُ بِوُجُودِ شَكُوكِ بَأَنَّ النَّصَّ قَرَأَنَ فَيُرَدُّ التَّعْلِيقُ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ لَا يَدْرِي أَهْوَى - أَيِ النَّصِّ - قَرَأَنَ أَمْ لَا:

١- سورة التكاثر أقدم من هذه الآية بكثير، وابن عباس عليه السلام لم يتطرق لسورة التكاثر، وإنما أبي بن كعب عليه السلام كما جاء عنه في الصحيح: "كنا نرى أن هذا من القرآن حتى نزلت سورة التكاثر"

٢- لم يكن في وسع أنس المدني - أي - أنس بن مالك - أن يكون حاضراً عند تنزيلها.

إن جهل نولده بمصطلح (مرسل الصحابي) هو الذي هيأ له ذلك على اعتبار أنه جعل هذا النص مقولاً في الفترة المكية؛ لورود ذكر سورة التكاثر عن أبي بن كعب عليه السلام، وحتى على هذا الاعتبار، فإن أنساً عليه السلام يكون قد رواه عن صحابي آخر، والجهالة بالصحابة لا تضر؛ لأنهم كلهم

١ - أبو عبيد (٢٢٤هـ)، أخرجه القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تحقيق مروان العطية وآخرين، د.ط، دار البشير، عمان، ١٩٩٥، ص ٣٢٣

٢ - عالم الأندلس الحافظ أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن إصبع الخثعمي السهيلي المسالقي الضرير صاحب الروض الأنف، انظر، سير أعلام النبلاء، ج ٢١، ص ١٥٧

٣ - نولده، تاريخ القرآن ج ١، ص ٢١٥

٤ - المصدر السابق ج ١، ص ٢١٥

عدول، ثم إن ألبأ أيضاً أنصاري مثل أنس فلماذا يجعل لأبى علاقة بالنص دون أنس وهما أنصاريان!

٣- لقد بدا نولدكه متردداً بين اعتبار هذا النص من القرآن، فيرى أن كلمات النبي (ﷺ) المذكورة هي في أسلوب التفكير والتعبير القرآني^(١)، ثم يرى الصعيد الآخر أن ثمة ما يستبعد هذا الرأي وهو، استخدام (ابن آدم) الذي لا يستخدمه القرآن الذي يعبر بـ (بني آدم)

والشق الثاني من رأيه في النص كان هو الذي يجب أن يصرح به، لا أن يبقى متردداً، فعدم استخدام القرآن لتعبير (ابن آدم) دليل على أنه ليس من القرآن، وإنما من الحديث النبوي.

ويناقش نولدكه أيضاً بأن ما اعترض به على ابن عباس فقد جاء في الصحيح عند البخاري قال: "فلا أدري أهو من القرآن أم لا"، وأما أبي بن كعب، فقد قال: "كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت ألهاكم التكاثر".

ولكن نولدكه تعمد ألا يتطرق لتوجيه شراح حديث البخاري لقولي ابن عباس، وأبي بن كعب ﷺ فقد ذكر ابن حجر بأن الظن كان عند الصحابة أن هذا الحديث من القرآن، ولكن لما نزلت سورة التكاثر، وتضمنت ما في الحديث من ذم الحرص على الدنيا، علموا أنه من كلام النبي ﷺ^(٢).

النص الثاني: "قرأ أبي بن كعب (ﷺ): "إن الدين عند الله الحنيفية السمحة لا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيراً فلن يكفره"^(٣)

يقول نولدكه: "إذا كانت هذه الكلمات التي تتاسب فاصلتها نوعاً ما الفاصلة الموجودة في سورة البينة قرآنية أصيلة حقاً، فلا بد من أن يكون شكلها الأصلي قد عدل بعض الشيء؛ لأن الكلمات: حنيفية، يهودية، نصرانية" غريبة عن القرآن، بالرغم من وجود أسباب كافية لاستعمالها"^(٤)

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢١٦

٢ - انظر، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١٣، ص ٣٨، باختصار

١- أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب أبي بن كعب، حديث رقم ٣٧٩٣، وكذلك أخرجه الحاكم في المستدرک، بالرواية نفسها، في كتاب التفسير، حديث رقم ٢٨٨٩.

٤ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢١٨

في رواية الحديث التي عند البخاري لا نجد الزيادة المتعلقة بـ " إن ذات الدين عند الله الحنيفية... إلى آخر الحديث" وإنما المروي فقط هو أن رسول الله قال لأبي: إن الله أمرني أن أقرأ عليك " لم يكن الذين كفروا" فقال أبي: وسماني، قال: نعم، فبكي^(١)، فلو كانت هذه الزيادة من السورة لأثبتها البخاري.

جاء في الرواية زيادة غير التي عند الترمذي حيث جاء في رواية أخرى: "إن ذات الدين عند الله الحنيفية لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية..."^(٢) بزيادة " ولا المجوسية"، فلو كان هذا النص من القرآن فهل يشتمل على زيادة لم تأت في الروايات الأخرى، ثم إن نولدكه نفسه يقرر أن أمثال هذه الكلمات غريبة عن نظم القرآن، فهذا حجة عليه أنها ليست من الوحي بشيء.

وما يدل على عدم قرآنية ما ورد في الرواية هو تفرد أبي بن كعب رضي الله عنه بما جاء عنه، ولو صححت لكان أجدد الناس بإثباتها فيما جمع من القرآن، وكان ذلك قد استفاض عنه وانتشر^(٣)

قال ابن الأنباري بشأن هذه الرواية: "ولا يخفى على ذي تمييز أن هذا كلام من النبي صلى الله عليه وسلم على وجه التفسير، أدخله بعض من ينقل الحديث في القراءات"^(٤).

النص الثالث: النص المنسوب إلى مسلمة المدني - وهو مسلمة بن مخلد الأنصاري^(٥) - قال لأصحابه ذات يوم: أخبروني بأيتين في القرآن لم يكتب في المصحف فلم يخبروه فتلا عليهم^(٦): "إن

^١ - أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي بن كعب، حديث رقم ٣٥٩٨، وكذلك جاءت هذه الرواية بالمتن نفسه في الرواية عند الترمذي حديث رقم ٣٧٩٢، في الباب عينه الذي جاءت به الرواية التي تضمنت الزيادة حول " إن ذات الدين عند الله الحنيفية..."، فهذه الزيادة لم تأت إلا في إحدى روايتي الترمذي، ورواية الحاكم، بينما لم تأت في كتب الحديث الأخرى، وانظر مع ما جاء في رواية البخاري السابقة: مسلم في باب استحباب قراءة القرآن على أهل العقل والحذاق فيه، حديث رقم ٧٩٩، وأحمد في مسنده، حديث رقم ١٢٣٤٢، وابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره رضي الله عنه عن مناقب الصحابة، حديث رقم ٧١٤٤.

^٢ - أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير "لم يكن"، حديث رقم ٣٩٦٢

^٣ - انظر، شاهين، عبدالصبور تاريخ القرآن، ط٢، نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٦، ص ١٨٤

^٤ - القرطبي، محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني، ط٢، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ، ج ٤، ص ٣٤.

^٥ - مسلمة بن مخلد بتشديد اللام الأنصاري الزرقى، صحابي صغير، سكن مصر، ووليها مرة، مات سنة اثنتين وستين انظر، تقريب التهذيب ج ١، ص ٣٥٢

^٦ - أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، مصدر سابق، ص ٣٠١

الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون، والذين آووهم ونصروهم وجادلوا القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون"

يقول تولدكه: "هما بحسب الرواية قرآنيان، لكنهما ناقصتان في النص الرسمي...، ثم قال: "لا يمكن الحكم على هاتين الآيتين إذ لا يؤيد صحتهما الطابع القرآني الخالص لمجموع الكلمات وحسب، بل أيضاً تبديل صيغة الفاعل في القرآن كثيراً كما هو معروف. لكن النص يولد من جهة أخرى الانطباع بأنه جمع لسورة الأنفال ٧٢/٧٣، وسورة السجدة ٣٢: ١٧ ألفه مسلمة المدني؛ لينوه بمقام صحابة النبي (ﷺ) القديما مقابل السلالة الحاكمة"^(١)

لا بد من تحكيم التاريخ أولاً في شأن هذا النص، فمسلمة بن مخلد مختلف في أمره، هل له صحبة أم رؤية، إذ توفي النبي ﷺ وعمر مسلمة حينذاك عشر سنوات، وهذا يعني أنه لما حصل الجمع الثاني في عهد أبي بكر ؓ كان في حوالي الثانية عشرة من عمره، والخامسة والعشرين في الجمع الثالث في عهد عثمان ؓ، ولم يرد في كتب التراجم أنه - على أقل تقدير - في عهد عثمان - كان ذا أثر فيما يتعلق بالجمع أو الأحداث التي جرت بعد ذلك بين علي ومعاوية رضي الله عنهما.

وعلى اعتبار أن مسلمة بن مخلد له صحبة، فالصحابه كلهم عدول وهم مبرؤون من أن يفعلوا هذا الصنيع.

ثم إنه لو كان قرآناً فكيف يغيب قرآن موحى به على أعلام الأمة، ويتنبه له مسلمة بن مخلد؟، ثم إن روايته بإسناد صحيح في كتب الحديث المعتمد بها، وإنما ذكرها أبو عبيد في فضائله، "وهو ممن عرف واشتهر برواية الغرائب والمنكرات"^(٢)

ما جاء في النص هو عبارة عن جمع لنصوص من سورتين، وما جمع منهما لم ينسخ من القرآن، ولكن أقحم فيه ما ليس من القرآن الموجود في آيات السورتين "وجادلوا القوم الذين غضب الله عليهم"، فالنص إنما هو مجموع من آية الأنفال رقم ٧٢، وآية السجدة رقم ١٧، وما الذي رفع منها

١ - تولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢١٨ - ص ٢١٩

٢ - عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٣٤

حتى يبقى هذا النص، وهل إذا ارتفع وانتسخ فلماذا ما زال يتلى، وما الحكم الذي رفع حتى بقيت تلاوة النص، فكيف يؤكد تولدك ذلك بقوله إن ذلك مما يؤيده الطابع القرآني الخالص؟!

كل الذي حصل هو مجرد إضافة عبارة "ألا أبشروا أنتم المفلحون" من أحد حاول تقليد أسلوب القرآن، فما المسوخ لهذا النسخ لهذه الجملة، وهي لا علاقة لها بالحكم، وإنما هي فاصلة آية (مقحمة)، وهل إذا نسخت هذه الآية عاد الوحي فأنزلها مرة أخرى بالنظم نفسه، "ألا أبشروا أنتم المفلحون"، فكيف يكون منسوخاً.

النص الرابع أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة "وهذا النص جاء فيه أن عمر بن الخطاب أثنى خلافته سأل عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما إذا كان يعرف الآية "أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة"، فأجاب عبدالرحمن بن عوف، أن الآية أسقطت فيما أسقط من القرآن^(١)

يناقش تولدك هذا النص من عدة جوانب:

الأول: لا يمكن إنكار أن تكون هذه الكلمات قرآنية فعلاً.

الثاني: جواز التشكيك في إمكانية وجود حديث حول أصل هذا النص.

الثالث: يذكر رواية أخرى عن الكتاب المخطوط المباني^٢ جاهدوا في آخر الزمان كما جاهدتم في أوله^٣ لكن صحة هذا النص عرضة للتشكيك لأن كلمة الزمان غائبة عن القرآن

الرابع: حسب رواية المباني فإن الكلمات وجدت هكذا في سورة الدخان، وهي لا يمكن أن تكون صحيحة إلا إذا اتسع معنى كلمة جاهد، فلم تكن دالة على الجهاد في الحرب فقط، وإنما شمولها بذل الجهد بشكل عام، لكن التشديد على "الجهاد الأول" يؤكد أن النص قد نشأ في الفترة المدنية، وبعد بدر تقريباً، وقد يراد بالجملة المعنى الأخرى فيكون النص قد نشأ في الفترة الكلاسيكية التي تم فيها تأسيس الإسلام، ولكن هذا الاحتمال الثاني يشترط انقضاء فترة طويلة نسبياً على وفاة محمد (ﷺ)^(٢)

^١ - أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن ص ٢٢٥، وانظر، الهندي، كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال، باب في لواحق التفسير، منسوخ القرآن، حديث رقم ٤٧٤١.

^٢ - انظر تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٢٠-٢٢١

بداية يَرِدُ على نص الرواية الآتي: كيف لعمر ومن هو في العلم "إن في أمتي محدثين وإنَّ عمر منهم"^(١)، ومن ثمَّ لماذا عمر دائماً هو الذي يسأل؟، ولا يسأل عن شيء في القرآن، إلا ويكون ساقطاً كما تفاجأ يوم أن قرأ أبي سورة البينة فكان فيه " إن ذات الدين عند الله الحنيفية ولو حميتم لحموا ولو حموا لفسد المسجد الحرام"^(٢).

وسؤال عمر حسب الرواية كان في خلافته فكيف يتوقع هذا من عمر، وهو الذي أشار على أبي بكر بالجمع بشأن جمع القرآن، فكيف يعقل ألا يدري بأنها منسوخة أم لا؟

ثم إن التدقيق في النص يشير إلى أن عمر كان يعرف النص، ولكن المحير في الأمر أنه لا يدري ما الذي حصل، فيسأل ابن عوف مستفسراً عما آل إليه النص، فيجيبه بأنه أسقط من القرآن، ومن ثم ينتهي النص دون أن يُعرفنا بموقف عمر بشأنه شأن أمثال هذا النص حيث إنه كان يستمع أحياناً لنصوص، ثم يستفسر النبي ﷺ عن قراءة الصحابة فقد حدث عمر ﷺ أنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلّم، فلبيته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت، أقرأنيها ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال: أرسله اقرأ يا هشام فقرأ القراءة التي سمعته فقال ﷺ كذلك أنزلت، ثم قال رسول الله ﷺ اقرأ يا عمر فقرأت التي أقرأني، فقال: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف^(٣)

ثم ما مغزى كلام ابن عوف أنها أسقطت فيما أسقط من القرآن، ف(ما) تحتمل القليل والكثير، وهل الإسقاط هو الضياع أم النسخ والرفع؟

ولماذا هذا التشويش في العبارة فلا نلاحظ حلاوة الأسلوب القرآني ولا رونقه، فليس في القرآن هذا الأسلوب من التعبير (جاهدوا كما جاهدتم)، ثم لماذا لا يرد اسم السورة إلا في كتاب مخطوط وهو كتاب المباني، وصاحبه مجهول العين والحال معاً، هذا من حيث الشكل، وأما من

١ - أخرجه البخاري في كتاب المناقب، مناقب عمر بن الخطاب، حديث رقم ٣٤١٣ بلفظ " لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر"

٢ - انظر ذلك عند تخريج رواية النص التاسع المزعوم نسخ قرآنيته.

٣ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة المزمل، باب قول الله تعالى " فاقروا ما تيسر منه"، حديث رقم

حيث المعنى فهل المقصود بـ (أول مرة) الجهاد المعنوي وهو الصبر على الأذى فيسقط الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله، أم أن جاهدتم ذات مدلول عام تشمل الجهاد المادي والمعنوي، ولكن المطلوب العودة إلى الجهاد الذي كان عليه المسلمون " إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا "، (الأنفال: ٦٥)، فخفف الله تعالى على المسلمين بقوله: " الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ لَكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ " (الأنفال: ٦٦)

النص الخامس" عن أبي موسى الأشعري: " كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات وأنسيتها غير أنني حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فنكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة"^(١)

وهذا النص جزء من الرواية التي أولها" كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة غير أنني حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لا يبتغي ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب..."

يؤكد تولدكه بأن النص الأول "يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون"، (الصف: ٢)، من النص يتطابق حرفياً مع الآية الثانية من سورة الصف؛ لذلك يمكن اعتبار المقطع كله جزءاً من هذه السورة.

ولكن يعارض ذلك أمران:

الأول: اختلاف الفاصلة عن فاصلة سور المسبحات، ولذا فإن أية محاولة لإعادة تعديل ترتيب كلمات، أو توسيع النص هي فاشلة لإعطاء القطعة المتوارثة فاصلة أخرى. الثاني: أن السورة التي أخذ منها النص قد ضاعت^(٢).

ثم يذكر عن كتاب المباني^(٣) رواية أخرى عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يقول فيها: "ونزلت سورة كنا نشبهها بالمسبحات أولها سبح لله ما في السماوات وما في الأرض فنيستها غير أنني أحفظ منها: "يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون"، ثم يقول

^١ - أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين... ، حديث رقم ٢٤٦٦.

^٢ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٢٠

^٣ - كما أشار تولدكه: الفصل ٤، الرقاقة ٤٠، الوجه ١٩ من كتاب المباني

نولدكه: "مطابقة النص الوارد في هذه الرواية لسورة الصف(٦١:٢) هي ملفنة للنظر، وتدعو إلى تفضيل الصيغة الأولى على هذه الصيغة من دون تردد، وما من اعتراض على مصداقية الرواية"^(١)

كيف تكون سورة أنسبها صحابة النبي ﷺ، ولم يحفظوا منها إلا مقدمتها، وهي آيتان تطابقان آيتين في سورة موجودة في القرآن الذي بين أيدينا، وهل من أسلوب الوحي أن تنزل سورة تشابه بدايتها سورة أخرى، ثم تنسخ بداية إحداهما، وتبقى بداية السورة الأخرى كما هي؟!!

ثم ما الذي دعا نولدكه إلى أن يفضل الرواية الأولى عند مسلم عن رواية المباني تحت حجة أن الرواية الثانية تطابق أول آيتين في سورة الصف، فالرواية تطابق آيتها الآية الأولى في السورة نفسها، فلا دخل للعدد في التفضيل سواء أكانت واحدة أم اثنتين.

ثم إذا كانت السورة قد أنسبت فهل أنسي اسمها أيضاً، ولماذا اقتصر الحفظ على مجرد آية أو آيتين من سورة تشبه المسبحات، وآياتها^(٢) يدور عددها بين ١١ آية وهو عدد آيات سورة الجمعة، و ٢٩ آية وهو عدد آيات سورة الحديد.

ثم ما الذي يدعو نولدكه إلى الادعاء بأن أية محاولة لإعادة تعديل ترتيب الكلمات، أو توسيع النص لإعطائه فاصلة تناسب فواصل سور المسبحات فاصلة أخرى هي محاولة فاشلة، وهل كانت الفاصلة القرآنية إلا وحيًا ربانيًا، فكلامه حجة عليه بأن أية محاولة لا يمكن أن تنجح؛ لأن هذا الكلام لا يمكن أن يكون صادراً من مشكاة الوحي، فنظم القرآن لا يمكن أن يكون هكذا البتة.

والغريب في الأمر أن الرواية بترت آية عن أختها وهي آية " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ " فأختها في النص " كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ " فهل " فكتب شهادة في أعناقكم فتسألوا عنها يوم القيامة " تأتي بعد آية " لم تقولون ما لا تفعلون"، وأين فاصلة فكتبت شهادة في أعناقكم أم أنها هي مقدمة لآية كبر مقتاً، وهل يمكن أن يكون نظم القرآن هكذا، وما هذه الشهادة التي سنكتب في أعناقهم؟؟

^١ - تاريخ القرآن ج ١، ص ٢٢٠-٢٢١

^٢ - الجمعة آياتها ١١، الصف آياتها ١٤، التغابن آياتها ١٨، الحشر آياتها ٢٤، الحديد آياتها ٢٩.

النص السادس: يروي أنس بن مالك رضي الله عنه أنه "أنزل في الذين قتلوا في بئر معونة قرآن ثم نسخ بعد"^(١)

تروي السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نعاها فقال: إن أصحابكم قد أصيبوا، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: أخبر عنا ربنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا فأخبرهم^(٢)

ووجه الدلالة أن هذه الرواية لم تُعرّف بأنه قد نزل فيهم قرآن، ثم نسخ كرواية أنس رضي الله عنه، وإنما الذي فيها خبر النعي، وما سأل به الشهداء ربهم أن يخبر عنهم أصحابهم.

بعد أن ألمح نولنكه إلى بعض الروايات التي جاء فيها النص يقول: من الصعب الحكم فيما إذا كان ما نراه قرآناً أو حديثاً في الأصل. طبيعة عبارات النص هي من دون شك قرآنية، ولعل هذه الميزة بالضبط هي التي دفعت إلى إعلان هذا الحديث قرآناً، وإذا كان النص فعلاً قرآناً فلا بد أن تكون مقدمته قد ضاعت^(٣)

وللاستدلال على عدم قرآنية هذا النص، وأنه ليس من الوحي المثلو لا بد من بيان الأمور الآتية:

أولاً: هذا الحديث موقوف على أنس بن مالك رضي الله عنه، ولم يرفعه للنبي ﷺ، وهي رواية آحاد لا تثبت قرآناً؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر.

ثانياً: هذا النص يدخل في باب الأخبار، و"النسخ لا يتعلق إلا بالأحكام"^(٤)

ثالثاً: إن تدقيق النظر في النص الموقوف على أنس رضي الله عنه قد جاء بروايات مختلفة، مما يقرر أنه روي بالمعنى، وهذا مختص بالوحي غير المثلو، وليس الوحي المثلو (القرآن الكريم)

١ - أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما ينكب في سبيل الله، حديث رقم ٢٦٤٧، ومسلم، كتاب المساجد، باب استحباب القتوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة، حديث رقم ١٥٧٧، وأحمد في مسنده، حديث رقم ١٢٠٨٢، وابن حبان في كتاب السير، باب فضل الشهادة، حديث رقم ٤٦٥١.

٢ - أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورغل وذكوان وبئر معونة، حديث رقم ٣٨٧٦

٣ - نولنكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٢٢

٤ - انظر الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، حققه شعبان محمد إسماعيل، د. ط، دار الكتبي، القاهرة، د. ت، ج ٢، ص ٨٠

وفيما يأتي توضيح هذه الزيادات والاختلافات في الرواية للنص المزعوم نسخ قرآنيته:

١- في مقدمة النص نجد اختلافات متعددة فحينا يبدأ النص بـ "بلغوا قومنا"^(١)، ومرة بـ "ألا قومنا"^(٢)، ومرة أخرى بـ "إنا قد لقينا"^(٣)، وكرة بـ "قومنا إنا قد لقينا وأرضانا"^(٤)، وكرة ثانية "قومنا فقد لقينا ربنا ورضينا عنه"^(٥)

٢- في نهاية النص أيضاً، تكون النهاية بـ "ورضينا عنه"^(٦)، وأحياناً بـ "وأرضانا"^(٧)

٣- لفظ "ربنا" يأتي في جميع الروايات غير أنه جاء مع الثناء "عز وجل" في إحدى الروايات للحديث عند الإمام أحمد بن حنبل^(٨)

النص السابع: وهو الآية المدعوة بآية الرجم

والنص هو: " لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم"^(٩)

١ - أخرجها البخاري، في كتاب الجهاد والسير، باب فضل قول الله تعالى " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل أمواتاً..."، حديث رقم ٢٦٥٩، وعند مسلم، كتاب المساجد، بـ " بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا ورضينا عنه"، حديث رقم ١٥٧٧

٢ - صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب العون بالمدد، حديث رقم ٢٨٩٩

٣ - أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم ١٣٧٠٨

٤ - أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، حديث رقم ٣٨٦٤

٥ - أخرجه البخاري، كتاب المغازي، حديث رقم ٣٨٦٩.

٦ - أخرجه البخاري، حديث رقم ٣٨٦٨، وكذلك حديث رقم ٣٨٦٩، ومسلم، حديث رقم ١٥٧٧

٧ - البخاري حديث رقم ٢٨٩٩، وكذلك حديث رقم ٣٨٦٠

٨ - أخرجه أحمد في مسنده ١٤٠٣٣

٩ - أخرجه ابن ماجه في سننه، كتب الحدود، باب الرجم، حديث رقم ٢٥٥٣ والرواية عنده عن عمر رضي الله عنه، وأحمد في مسنده، حديث رقم ٢١٦٣٦، والرواية عن زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " الشيخ والشيخة إذا زنيا..."، وابن حبان في صحيحه، كتاب الحدود، باب الزنى وحده، حديث رقم ٤٤٢٨، والحديث مروى عن أبي بن كعب قال: " كانت سورة الأحزاب توازي سورة البقرة فكان فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا..."، والحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، حديث رقم ٣٥٥٤ يمثل رواية ابن حبان السابقة.

يقول نولدكه: "هذه الآية نالت شهرة كبيرة، واعتبرها عمر - رضي الله عنه - بحسب روايات جزءاً من القرآن...، ولا تذكر غالبية المفسرين شيئاً عن هذا النص، إلا أن الآية تعد من المنسوخات، وأما عن مكانها فيرفض الرواية القائلة بأن مكانها هو الأحزاب لاختلاف (سجع 1؟) النص عن سجع الأحزاب، ولكنه يرضى بأن سورة النور أكثر مناسبة لهذا الغرض، ليس فقط لاتفاق (الفاصلة)، ولكن؛ لأنها تتناول موضوع زنا الرجال والنساء أيضاً^(١).

يناقش الافتراض القائل بأن آية النور الثانية "الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة" (النور: ٢)، هي التي نسخت آية الرجم، ولكن ذلك لا يتفق وتطور قانون العقوبات الإسلامي، فلا يمكن أن يفهم كيف أن آية تتناول هذا الأمر تتسخ أو تضع، ومن ثم يخرج بنتيجة مؤداها بأنه يتولد عن الكلمات المذكورة الانطباع بأن ادعاء الأصل الإلهي لهذه الآية ليس إلا وسيلة لتنفيذ الشرع، وبما أن رجم الزناة لم يكن معروفاً في الجاهلية، فلا بد من تكون هذه العقوبة قد فرضت اتباعاً لما يفرضه الشرع اليهودي^(٢).

ثم ينتقد النص بدراسة أسلوب التعبير الكلامي، فيبين بأن مطلع النص الشيخ والشيخة ليس على صلة داخلية بالأجزاء التي تتناول الرجم، وهو نو طابع قرآني من حيث الشكل والمضمون، وآخره (البتة) غير منتميان إلى القرآن^(٣).

وللاستدلال على عدم قرآنية هذا النص، وأنه ليس من الوحي المثلو، لا بد من عرض الأمور الآتية:

أولاً: ما يؤكد عدم قرآنيته ما ابتدأ به البخاري من كتاب الحدود في أول باب منه، وفي أول حديث^(٤) أخرجه فيه عن علي بن أبي طالب ؓ وهو "رجمتها بسنة رسول الله إذ كيف يسيع من علي رضي الله عنه أن يكون عارفاً بوجود آية منسوخة في الرجم مع بقاء حكمها، ثم يقول رجمتها بسنة رسول الله إلا إذا لم تكن هناك آية بخصوص هذا الشأن، وإنما ورد الرجم في الوحي غير المثلو أي في السنة النبوية تحديداً.

١ - انظر نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٢٣ وما بعدها باختصار

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢٤-٢٢٥

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢٥

٤ - أخرجه البخاري، في كتاب الحدود، باب رجم المحسن، حديث رقم ٦٤٢٧

وقد علق ابن حجر على علة عدم ذكر البخاري لها بقوله: " فسقط من رواية البخاري من قوله " وقرأناها" إلى قوله " البتة" ولعل البخاري هو الذي حذف ذلك عمداً^(١)

ثانياً: الرواية الأكثر شيوعاً لهذا النص هي ما جاء في مقدمة عرضه وهو "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم" غير أن تفحص الروايات الأخرى يكشف عن وجود زيادات واختلافات عن هذه الرواية، فمثلاً جاء في رواية "تكالاً من الله ورسوله"^(٢) بزيادة لفظة (ورسوله)، وبزيادة بـ (بما قضيا من اللذة)^(٣)، واختلفت الفاصلة في رواية أخرى حيث جاءت (والله عليم حكيم)^(٤)، فهل يمكن أن يجوز أن يكون هذا لنص يزعم أنه كان قرآناً نسخت تلاوته، وبقي حكمه، فلو كان كذلك، فلماذا اختلفت الروايات في نصه؟.

ثالثاً: وفي الموطأ عن سعيد بن المسيب لما صدر عمر رضي الله عنه من الحج، وقدم من المدينة خطب الناس، فكان مما قال: " إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أن يقول قائل لا نجد حدين في كتاب الله فقد رجم رسول الله ورجمنا بعده، والذي نفسي بيده لولا أن يقول زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي " الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة"^(٥)، فقوله: " لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله فهل كان عمر يخشى من الناس لو كانت آية من كتاب الله، ولماذا لم تجمع في المصحف أيام أبي بكر رضي الله عنه؟

ظاهر الأمر أن ذلك كان في خلافة عمر رضي الله عنه، وهل تأخر عمر رضي الله عنه إلى هذه الدرجة ليضيف الآية في المصحف بعد أن جمع بمشورته في عهد الصديق رضي الله عنه، ولماذا لم يعرض الأمر على لجنة الجمع إذا كان متأكداً من قرآنيته، حتى إذا عرض عليهم الأمر ردوها لعدم قرآنيته بسبب عدم تواترها وانعدام البينة معه على قرآنيته، فلا مسوغ له لأن يبقى على رأيه.

١ - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١٤، ص ١٠٨

٢ - أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، في كتاب الحدود، باب ما يستدل به على أن السبيل هو جلد الزانيين... حديث رقم ١٧٣٦٣

٣ - أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب الحدود، حديث رقم ٨٠٧٠

٤ - أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ٢١٢٤٥

٥ - أخرجه مالك بن أنس في الموطأ، حديث رقم ١٥٠٦

ب- ما يدل على عدم القرآنية للنص هو أنه لم يرد إلا عن عمر رضي الله عنه، فهل إذا كان قرآناً لم يحفظه إلا عمر رضي الله عنه، وهل يجوز إذا كان النص قد نسخ ألا يبقى أحد قد احتفظ به في ذاكرته إلا عمر حتى خشي عليهم ليس نسيان النص المنسوخ فقط، وإنما الحكم الذي اشتمل عليه!

جاء عن زر بن حبیش قال: قال لي أبي بن كعب رضي الله عنه " كأيّن تعد سورة الأحزاب؟ قال: اثنتين وسبعين آية أو ثلاثاً وسبعين آية، قال: إن كانت لتعدل سورة البقرة، وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم، قلت: وما آية الرجم، قال: " إذا زنيا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم" ^(١)

وللجواب عن ذلك: أن رواية أبي بن كعب رضي الله عنه التي هي أشد صراحة في الروايات في القرآنية غير صحيحة، إذ في سندها عاصم بن أبي النجود، وهو مضعف في الحديث، وإن كان إماماً في القراءة ^(٢).

رابعاً: لما علق النسائي على الرواية قال: " لا أعلم أحداً ذكر في هذا الحديث الشيخ والشيخة غير سفيان، وينبغي أن يكون وهم في ذلك" ^(٣)، والذي يدل أيضاً على أن سفيان بن عيينة لم يحفظه هو ما صرح به؛ كما في مسند الحميدي، فقال: "سمعت من الزهري بطوله، فحفظت منه أشياء، وهذا مما لم أحفظ منها يومئذ" ^(٤)

خامساً: "هذا النص فيه مغايرة لأسلوب القرآن في الكلام عن شأن الزنا، فقد تحدث القرآن مقدماً الزانية على الزاني، ولكن في معرض الحديث عن السرقة حصل العكس فقدم السارق على السارقة، فكان من البديهي أن يكون النظم على غرار الآية في النور كون حكمها متعلق بالمسألة ذاتها التي تعلقت بها آية النور وهي الزنا، فلماذا يحصل التقديم للمؤنث في النور ويؤخر في هذا النص، إلا أن يكون هذا النص غير قرآن البتة" ^(٥).

١ - القاسم بن سلام، أبو عبيد، فضائل القرآن، مصدر سابق، ص ٣٢٠

٢ - العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤، ج ٥، ص ٣٥

٣ - أخرجه النسائي في السنن الكبرى، حديث رقم ٧١٥٦

٤ - أخرجه الحميدي في المسند، حديث رقم ٢٥

٥ - ينظر، عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٠

"ومن بداعة وبراعة النظم القرآني في استخدام (إذاء، وإن) أنه يفرق بينهما في الاستخدام، فـ (إذا) تستخدم في الأمور المحققة الوقوع، و(إن) في الأمور النادرة الوقوع، فهل زنا الشيخ والشيخة من الأمور التي يتحقق وقوعها بكثرة من المسلمين، أم من الأمور النادرة؟"^(١).

سادساً: يعلل عمر رضي الله عنه رفض النبي ﷺ له بأن يكتب الآية لما استأذنه في كتابته بأنها لم تكتب؛ لأن الشيخ والشيخة إن كان غير محصن لا يرجم، وإن الشاب إن كان محصناً رجم"^(٢).

يلق الزركشي على هذا الحديث فيقول: وفي هذا سؤالان؟: "الأول: ما الفائدة في ذكر الشيخ والشيخة؟ وهلا قال: المحصن والمحصنة؟ الثاني: أن ظاهر قول: "أن يقول الناس.." أن كتابتها جائزة، وإنما منعه قول الناس، والجائز في نفسه قد يقوم مقام من خارج ما يمنعه، وإذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة؛ لأن هذا شأن المكتوب، وقد يقال: لو كانت التلاوة باقية لبادر عمر رضي الله عنه، ولم يعرج على مقال الناس؛ لأن مقال الناس لا يصلح مانعاً"^(٣).

سابعاً: استخدم في هذه الرواية لفظان لم يستعملا في النظم القرآن وهما الشيخة، والبيثة"^(٤).

ثامناً: يقول النحاس: "وإسناد الحديث صحيح، إلا أنه ليس حكمه حكم القرآن الذي نقله الجماعة عن الجماعة، ولكنه سنة ثابتة"^(٥).

تاسعاً: "إن قرآنية القرآن لا تثبت إلا بالتواتر، وإن القول بالنسخ فرع عن أصل، فإذا لم يثبت الأصل - وهو القرآنية لانعدام التواتر - لم يثبت الفرع وهو النسخ"^(٦)، ثم إن النص هو حديث آحاد، وبمثله لا يثبت القرآن الكريم.

عاشراً: قول عمر رضي الله عنه: "لولا أن يقول الناس زاد عمر رضي الله عنه في كتاب الله لكتبت في آخر القرآن" معارض بما جاء في حديث أبي عند النسائي والحاكم من قوله: "ولقد كان فيها - أي الأحزاب -

١ - المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٠.

٢ - أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم ٢١٦٣٦.

٣ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٣٥-٣٦.

٤ - انظر، عرجون، محمد الصادق، محمد رسول الله، دار القلم، ط ١، دمشق، ١٩٨٥، ج ٤، ص ١١٦.

٥ - النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (٣٣٩هـ)، النسخ والمنسوخ، تحقيق محمد عبدالسلام، مكتبة الفلاح،

الكويت، ١٤٠٨هـ، ج ١، ص ٦١.

٦ - نوفل، أحمد، نسخ التلاوة بين النسخ والإثبات، ط ١، دار القطوف، عمان، ٢٠٠٦، ص ٥٠.

آية الرجم (الشيخ والشيخة) ؛ لأنها إذا كانت موجودة في سورة الأحزاب فكيف لم يعرفها عمر مكتوبة فيها، ويقول: لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبها في آخر القرآن؟^(١)

حادي عشر: تسمية عمر ﷺ بحكم الرجم بـ (الآية)^(٢) من الباب التأكيد لثبوته، ودليل ذلك أنه أكد هذا بقوله: رجم رسول الله، ورجمنا من بعده^(٣)

النص الثامن: رواية أبي بن كعب ﷺ: "ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً إلا من تاب فإن الله كان غفوراً رحيماً"^(٤)

يقول نولدكه: "النص مجموع بأكمله من جمل قرآنية، الجزء الواقع في بداية النص حتى كلمة "فاحشة" موجودة في سورة الإسراء ١٧ : ٣٤:٣٢، أما الكلمات من "إنه" حتى "سبيلاً" ففي سورة النساء ٤ : ٢٢/٢٦، وعبارة "إلا من تاب" موجودة في سورة الفرقان ٧٠:٢٥، والجملة الأخيرة حتى "رحيماً" في سورة النساء ٤ : ١٢٩/١٢٨، هذه ليست حجة قاطعة ضد صحة النص، فقرآنا يتضمن الكثير من الآيات التي تبدو وأنها جمعت قطعة قطعة من آيات أخرى. لكن نصاً كهذا لا تجدر الثقة بصحته إلا إذا ثبت انتماؤه إلى القرآن"^(٥)

إن كان نولدكه قال عن القرآن تصريحاً هنا أنه يتضمن الكثير من الآيات، والتي تبدو أنها جمعت قطعة قطعة من نصوص أخرى، فلقد سبق له قول ذلك على سبيل الافتراض والتشكيك من قبل في دراسته التطبيقية على ترتيب السور زمنياً على فترات الوحي.

يقول عن الآيتين ٣٢، ٣٠ في سورة المعارج أنها موجودة في سورة المؤمنون، والآية ٣٤ إعادة حرفية تقريباً للآية ٢٣ من السورة.

^١ - عرجون، محمد رسول الله، مرجع سابق، ج ٤، ص ١١٨

^٢ - هذا ورد في رواية البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، حديث رقم ٦٤٤٢، "إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله ﷺ، ورجمنا بعده..."

^٣ - انظر، عرجون، محمد رسول الله، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٢٢

^٤ - الهندي، علي المتقي حسام الدين البرهان فوري (١٩٧٥هـ-)، كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣، حديث رقم ٤٧٤٤، عن ابن مردويه.

^٥ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢٥

والتكرار الذي في القرآن في بعض الآيات سواء الكونية أو العقديّة، أو التي تعلقت بالأخلاق أو الأحكام كمثل هذه الآيات لها مقصودها، فإذا ما عرفنا أن مجتمع الجاهلية كان ملوثاً بالكثير من مفسادها، فيكرر الوحي الوعظ والنصح لعلاج هذه الظواهر المرضية، وتنقية النفوس المؤمنة منها.

يقول عن طول بعض السور الكبيرة في سور الفترة الثالثة من الفترة المكية: "لعل بعض المقاطع الطويلة جمعت من مقاطع أخرى أقصر ضم بعضها إلى البعض الآخر، حتى لو لم يكن في وسعنا التعرف على صدوعها"^(١)

ولم يحاول نولدكه التليل على هذا الإدعاء ولو بمثال واحد، ولعله حاول الاعتذار بقوله: "حتى لو لم يكن في وسعنا التعرف على صدوعها"

ثم رجع مرة أخرى في حديثه عن سورة البقرة فادعى أن الآية ١٨٨ "وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" مقطوعة من آية أطول، أي أنها أخذت من نص طويل لتتحق بالبقرة، ولم يعرفنا بتلك الآية التي ادعى الاقتطاع منها"^(٢)

وهذه النص من أبيّ على فضله، وعلو شأوه في القراءات هو رواية آحاد لا يثبت بها قرآن، ولو كان قرآناً لأثبت في المصحف عند جمعه.

النص التاسع: "إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حميتهم كما حموا لفسد المسجد الحرام فأنزل الله سكينته على رسوله"

يقول نولدكه: "بداية هذا النص حتى "الجاهلية" ونهايته ابتداء من " فأنزل" موجودتان في سورة الفتح ٤٨: ٢٦، الواحدة تلو الأخرى، أما الجزء الأوسط من "كما" حتى "الحرام" فبعض عباراته المتفرقة قرآنية"^(٣)

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٢٩

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٦١

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢٦

ونص الرواية هو أن أبياً كان يقرأ "إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية ولو حميتهم كما حموا لفسد المسجد الحرام فأنزل الله سكينته على رسوله" فبلغ ذلك عمر، فاشتد عليه، فبعث إليه، وهو يهناً ناقة له فدخل عليه، فدعا ناساً من أصحابه فيهم زيد بن ثابت، فقال: من يقرأ منكم سورة الفتح فقرأ زيد على قراءتنا اليوم، فغلظ له عمر، فقال له أبي: أتكلم، فقال: تكلم، فقال: لقد علمت أنسي كنت أدخل على النبي ﷺ يقرئني القرآن، وأنت بالباب، فإن أحببت أن أقرئ الناس على ما أقراني أقرت، وإلا لم أقرئ حرفاً ما حبيت، قال: بل أقرئ الناس على هذا^(١)

وفي هذه الرواية إشكالات عدة:

أولاً: لماذا يدعو عمر أناساً من أصحابه في شأن هذا النص، ولا يدعوهم في شأن نصوص أخرى.

ثانياً: كيف يسمع لواحد من جماعة الصحابة وهو زيد دون باقيهم، ثم يقر الجميع على ما كانوا يقرؤون، وكيف يكون أمير المؤمنين يقرأ بخلاف ما يقرأ عليه أصحابه.

ثالثاً: هل يجوز في منطق العقل أن يقول أبي لعمر: "فإن أحببت أن أقرئ الناس على ما أقراني -أي رسول الله- أقرت، وإلا لم أقرئ حرفاً واحداً" فهل تبليغ الوحي كما هو يحتاج لمثل هذا الإذن؟
رابعاً: ظاهر الرواية يؤكد أن هذه القصة قد حدثت في خلافته بدليل "فبعث إليه" فالأمر على ذلك أدهى وأمر، إذ كيف تغيب عن بال عمر كل هذه المدة، وحتى بعد الجمع الثاني للقرآن، وهو لا يدري أن هذا من الوحي، ثم كيف يأخذ عمر أبياً للتحاكم إلى الصحابة وقد قال: أبي أقرؤنا^(٢)؟
خامساً: جاء عن أبي ﷺ أنه قال: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ^(٣)، فكيف تغيب هذه القراءة لو كانت من القرآن عن المصحف الذي بين الدفتين في الجمعين الثاني والثالث؟

سادساً: جاءت الرواية عند النسائي فيها قول عمر لأبي في آخر القصة: "بل أنت رجل عندك علم وقرآن، فاقرا وعلم مما علمك الله ورسوله"^(٤) فعلاوة على الركافة في التعبير، فما دام عمر

١ - أخرجه الحاكم في المستدرک، ، حديث رقم ٢٨٩١، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

٢ - أخرجه البخاري، باب قوله: " ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها"، حديث رقم ٤٢١١

٣ - سبق تخريجه في ص ١٦٦

٤ - أخرجه النسائي في السنن الكبرى، حديث رقم ١١٥٠٥

يعرف هذا في حق أبي بن كعب فلماذا أغضبه أساساً؟، ولماذا يدعو أناساً من أصحابه ليستوثق من قراءته ما دام يشهد له مسبقاً بأنه "رجل عنده علم وقرآن"؟^(١)

"لعل ما يرجح القول في شأن هذه الرواية أنها كأختها من الروايات الأخرى التي يحمل أمرها على أنها من باب التفسير والتبيين، حيث كان أبي ﷺ يقرأ ثم يفسر، فظن من سمعه أن ذلك التفسير من القرآن، فرواه على هذا الأساس"^(١)

النص العاشر: "النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم"^(٢)

يقول نولدكه: "النص كله تقريباً حتى "أمهاتهم" ينماهى"^(٣) وسورة الأحزاب: ٦: ٣٣، ويورد التراث التفسيري الكلمات الثلاث اللاحقة هنا، وثمة تحت القراءات المختلفة، ولا يوجد موضع آخر في القرآن يوصف فيه ﷺ كأب للمؤمنين، ومحمد (ﷺ) نفسه يرفض هذه الصفة مباشرة (سورة الأحزاب: ٤٠: ٣٣)، وهو لم يخاطب المؤمنين إطلاقاً بعبارة "يا أبنائي"^(٤)

"هذه القراءة جاءت في مصحف ابن عباس رضي الله عنهما، وهي زيادة مناقضة لصريح القرآن في قوله تعالى: 'مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ' (الأحزاب: ٤٠)، فهي ليست من نظم الآية، وإنما هي من باب التفسير"^(٥).

روي أن عمر بن الخطاب مر بسلام وهو يقرأ في المصحف "النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم" فقال: يا سلام حكها، قال: هذا مصحف أبي، فذهب إليه فسأله؟ فقال: إنه كان يلهيني القرآن، ويلهيك الصفق بالأسواق"^(١)

"من البديهي أن الغلام لم يكن بيده مصحف بالمعنى الاصطلاحي، وإنما هو إطلاق عام على الصحيفة القرآنية، ولا ريب أن الغلام كان قد تلقى هذا النص على ما هو عليه، على أنه أكمله قرآن، غير أن عمر في ذلك العصر المبكر قد تنبه على أن نظم النص في آخره غير قرآني، إنما

١ - أبو شهبه، محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط٣، دار اللواء، الرياض، ١٩٨٧، ص ٣٠٩

٢ - الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والفعال، مصدر سابق، حديث رقم ٤٧٤٦.

٣ - ماه الشيء بالشيء مؤهلاً: خلطه. انظر لسان العرب، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٥٤٥

٤ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢٦

٥ - شاهين، عبدالصبور، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص ١٨٦-١٨٧ بتصريف قليل

٦ - السيوطي، عبدالرحمن بن الكمال (ت ٩١١هـ)، الدر المنثور، د. ط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣، ج ٦، ص ٥٦٧

هو من قبيل التفسير، فلما تيقن أن الغلام لم يميز بين النص الأصلي والإضافة التفسيرية أمر الغلام بحك هذه الإضافة مما هو بين يديه قطعاً لدابر الفتنة^(١)

كنا نتمنى ممن روى هذه الرواية أن يخبرنا بالإجراء الذي قام به عمر بعد قصته مع الغلام، فما الذي يضمن أن أناساً آخرين كانوا يقرؤون بمثل ما كان يقرأ به الغلام، لا سيما أنه إذا وجد غلام في مثل هذه السن يقرأ هذه القراءة، فلا يعقل أن يكون قد تلقاها إلا من معلم علمه إياها.

وروي على النقيض من ذلك تماماً رواية أخرى هذا نصها: مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ في المصحف النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أبوهم" فقال عمر: لا تفارقني حتى تأتي أبي بن كعب، فأتيا أبي بن كعب، فقال: يا أبي ألا تسمع كيف يقرأ هذا هذه الآية؟ فقال أبي: كانت فيما أسقط. قال عمر: فأين كنت عنها؟ فقال: شغلني عنها ما لم يشغلك^(٢)

لا ندري لماذا يكون عمر دائماً هو الذي يتطرق لكل ما يتعلق بوجود شكوك نحو سلامة الوحي من الإضافة، ولماذا دائماً يلجأ إلى التحاكم إلى أبي بن كعب، أفلا يكون هو المبادر للتصحيح كما كان في سيرته دائماً مع رعيته، وما الذي أشغل أبي بن كعب عن آية أسقطت من الوحي دون أن ينبه عليها، ومن هو هذا الرجل الذي امتاز بحفظه لهذه الإضافة!

النص الحادي عشر: رواية الرضعات عن عائشة رضي الله عنها والنص هو "كان مما أنزل من القرآن عشر رضعات يحرم من فسخن بخمس معلومات، وتوفي رسول الله ﷺ وهن مما ينلن من القرآن"^(٣)

يقول نولدكه: "يتناول هذا المقطع عدد الرضعات التي تجعل علاقة الطفل بمرضعته وأقاربه كعلاقته بأمه وأقاربها، إذا تعلق الأمر بجواز الزواج، ويقال إن أقدم صيغة لهذا النص الذي يزعم أنه آية قرآنية، تحدد أن عشر رضعات تنشئ درجة القرابة التي يحرم بسببها الزواج، بينما تذكر الصيغة الأحدث خمس رضعات فقط. أما نص الآية المعنية بالأمر فهو أكثر وضوحاً في الرواية

١ - شاهين، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص ١٨٧ بتصرف قليل

٢ - أخرجه أبو عبيد، القاسم بن سلام، فضائل القرآن، مصدر سابق، ص ٣٢٢

٣ - أخرجه مسلم في كتاب الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات، حديث رقم ١٤٥٠، وابن حبان في كتاب الرضاع، باب ذكر قدر الرضاع الذي يحرم، حديث رقم ٤٢٢١

الثالثة^(١) (يُحْرَمُ النكاح من الرضاع عشر رضعات). وليس سهلاً الحكم في صحة هذه الرواية. لكن بما أن عدد الرضعات الذي يسبب تحريم الزواج كان قديماً أحد المذاهب حول التشريع الوارد في سورة النساء ٤: ٢٣/٢٧، سواء أكان النص منذ الأصل آية قرآنية، أو حديثاً نسب إلى الرسول ﷺ^(٢)

ما يردُّ أن يكون هذا النص المروي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من الوحي القرآني الأمور الآتية:

أولاً: كيف يلتحق الرسول ﷺ بربه، وهذه الآية ليست محفوظة إلا عند عائشة رضي الله عنها، ثم هل يعقل أن تكون الآية منسوخة التلاوة، والعديد من المسلمين ما زالوا يقرؤونها، ولماذا عرف المسلمون في ناحية قباء أمر تحول القبلة قبل أقل من يوم على تحولها، وما دام أن الصحابة أنفسهم قد اهتموا بأمر التحول على عاداتهم في ذلك حتى أبلغوا أهل قباء به، فلماذا يبقى الأمر عند عائشة، أو عند غيرها من الصحابة دون إبلاغ الآخرين، خاصة إذا علمنا أن موضوعي التحول في القبلة، ونسخ الرضعات متعلقان بحكم شرعي.

وبالتالي فإن قول الإمام النووي في تعليق قراءة الناس لهذا النص، والنبوي ﷺ قد توفي مشكلاً جداً، حيث يقول رحمه الله: "إن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جداً، حتى أنه ﷺ توفي، وبعض الناس يقرأ خمس رضعات، ويجعلها قرآناً متلوّاً؛ لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده، فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك، وأجمعوا على أن هذا لا يتلى"^(٣)

ثانياً: قال أبو جعفر النحاس: "وأما قول من قال: إن هذا كان يقرأ بعد وفاة رسول ﷺ فعظيم، لأنه لو كان مما يقرأ لكانت عائشة قد نبّهت عليه، ولكان قد نقل إلينا في المصاحف التي نقلها جماعة لا يجوز عليهم الغلط وقد قال الله تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (الحجر: ٩)، وقال: "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ" (القيامة: ١٧)، ولو كان بقي منه شيء لم ينقل إلينا لجاز أن يكون مما لم ينقل ناسخاً لما نقل فيبطل العمل بما نقل، ونعوذ بالله من هذا فإنه كفر"^(٤)

^١ - هي في كتاب المباني، (مخطوط)، ٤ الرقاقة ٣٥، الوجه ٢، انظر هامش تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٢٧، ونص الرواية "كان فيما يقرأ من القرآن فسقط يحرم من الرضاع عشر رضعات ثم نسخن إلى خمس معلومات"

^٢ - نولده، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢٧

^٣ - صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٠، ص ٢٩

^٤ - النحاس، الناسخ والمنسوخ، مصدر سابق، ص ١١

ثالثاً: رواية السيدة عائشة رواية آحاد لا يثبت بها القرآن، ولذا عقب ابن حجر على هذه الرواية قائلاً: "لا ينهض للاحتجاج على الأصح من قول الأصوليين؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، والراوي روى هذا على أنه قرآن لا خبر فلم يثبت قرآناً، ولا ذكر الراوي أنه خبر ليقبل قوله فيه والله أعلم، ومما يدل على أنه ليس قرآناً، وأنه كان تشريعاً ثابتاً بالسنة، ثم نسخ بالسنة اختلاف الرواية عنها في القدر المحرم، ففي رواية الموطأ عنها عشر رضعات، وأيضاً سبع رضعات، أخرجه ابن أبي خيثمة بإسناد صحيح عنها، وعبدالرزاق أيضاً وجاء عنها أيضاً خمس رضعات، وهي ما يدل عليها رواية مسلم التي معنا باختلاف الرواية عنها على أنه كان باجتهاد منها استتدت فيه على ما ظهر لها من السنة، ولو كان قرآناً لما نقل عنها كل هذا الاختلاف"^(١)، وعن الإمام مالك بن أنس أنه قال: "ليس على هذا العمل"^(٢)

وقال النووي: "واعترض أصحاب مالك على الشافعية أن لا حرمة إلا بالخمس بأن حديث عائشة هذا لا يحتج به عندكم وعند محققي الأصوليين؛ لأن القرآن لا يثبت بخبر الواحد، وإذا لم يثبت قرآناً لم يثبت بخبر الواحد عن النبي ﷺ؛ لأن خبر الواحد إذا توجه إليه قادم يوقف عن العمل به، وهذا إذا لم يجيء إلا بأحاده، مع أن العادة مجيئه متواتراً توجب ريبه، والله أعلم"^(٣)

رابعاً: * هل كانت عائشة تقرأ هذه الآية وحدها أم يقرأها معها الصحابة رضي الله عنهم، مع أنه لا يرتاب أحد في صحة السند فقد يكون الخطأ متصلاً بالمتن^(٤)، ويبدو أن هذا الحديث المروي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنه من قول النبي ﷺ، وليس آية من القرآن الكريم؛ لأن القرآن إنما يثبت بالتواتر، وهذا إجماع العلماء، وإنما اختلف الصحابة ﷺ؛ لأن الآية الكريمة - أي "وَأَخَوَاتِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ" ، (النساء: ٢٣)، - جاءت مطلقة دون تقييد بعدد معين^(٥).

١ - المسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مصدر سابق ج ١٠، ص ١٨٤

٢ - ابن أنس، مالك، الموطأ، مصدر سابق، حديث رقم ١٢٧١

٣ - صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٠، ص ٣٠

٤ - اعتبر بعض الأئمة حديث عائشة رضي الله عنها ضعيفاً جداً من جهة المتن؛ لأنه إذا كان متلوّاً بعد رسول الله ﷺ، ونسخ التلاوة بعد رسول الله ﷺ لا يجوز، فلماذا لا ينزل الآن عباس، فضل، إتقان البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٤، وينظر المبسوط للسرخسي، ج ٥، ص ١٣٤، طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ.

٥ - عباس، فضل، إتقان البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٤

خامساً: "فوق كون النص جاء من طريق الأحاد، فإنه زيادة على ذلك مشكل شديد الإشكال حيث لا يعرفنا من أي سورة هو، وهل هو من سورة باقية في المصحف تتلى حتى الآن كسورة النساء كون الرضاع متعلق بآية " وَأَخْوَاتِكُمْ مِنَ الرُّضَاعَةِ "، أم من سورة قد نسخت تلاوتها، أو نسخت كلها فلم يبق منها إلا هذا الحكم لهذا النص، وكما سنة استمر هذا النص، وما الميزة التي اختص بها عن النصوص المنسوخة الأخرى حتى يتأخر نسخه فيموت النبي ﷺ والناس ما زالت تتلوه، وهل غاب عن السيدة عائشة أن النسخ لا يحصل إلا في حياته ﷺ" (١)

سادساً: جاء عن السيدة عائشة رضي الله عنها وفي صحيح مسلم أيضاً أن النبي ﷺ قال: "لا تحرم المصاة ولا المصتان" (٢)، فمدلول النص المزعوم نسخه أن الذي يحرم من الرضاع هو خمس رضعات، ووفق هذا فإن الذي يحرم منه هو ثلاث، فهل يمكن أن يرد هذا التعارض عن السيدة عائشة رضي الله عنها وهي التي أوتيت حظاً عظيماً من الحفظ والفهم؟

النص الثاني عشر: كان سعيد بن جبير يقول في هذه الآية: "من رمى محصنة لعنه الله في الدنيا والآخرة، فقال: إنما ذاك لأم المؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة"

أخرج الطبري أنه قد قيل لسعيد بن جبير: الزنا أشد أم قذف المحصنة؟ فقال: الزنا، فقيل: أليس الله يقول: "إن الذين يرمون المحصنات الآية، قال سعيد: إنما كان هذا لعائشة خاصة" (٣)

لا ندري مسوغ نولده لعرض رأي أحد التابعين وهو سعيد بن جبير في تفسير آية من القرآن، وهي: "إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (النور: ٢٣) في معرض حديثه عما ادعاه من عدم تضمن القرآن الذي بين أيدينا لبعض مما أوحى إلى النبي محمد ﷺ .

وخلص نولده من شبهاته حول هذه النصوص التي زعم قرأتيتها بقوله: "لقد أدى بحثنا إلى نتائج مختلفة. لم نستطع الإتيان بأي دليل على مصداقية الرواية في أي من الحالات، لا بل إن المصداقية يمكن نفيها لأسباب مقنعة بالنسبة إلى شذرات ثلاث (رقم ١، ٢، ٤، ٧، ١١). وفي

١ - نوفل، أحمد، نسخ التلاوة بين النظم والإثبات، مرجع سابق، ص ٦١، بتصرف
٢ - أخرجه مسلم، في كتاب الرضاع، باب في المصاة والمصتان، حديث رقم ١٤٥٠
٣ - انظر، الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج ١٨، ص ١٠٣

حالتين (رقم ٣، ١٢) يمكن على الأقل التشكيك فيها. وتختلف القطع ٨-١٠ عن سواها بأن نصها بأكملها، كما هي الحال بالنسبة للقطعة رقم ٨، أو معظمه كما في رقم ٩ و١٠ موجود حرفياً في القرآن. النقل إذاً، محق في تأكيده أن القطعتين ٩ و١٠ روايتان أخريان لسورة الفتح ٢٦:٤٨، وسورة الأحزاب ٦:٣٣. ويسعنا أيضاً أن نعتبر القطعة رقم ٨ في أحسن الأحوال شكلاً من أشكال سورة الإسراء ٣٢:١٧^(١)

وما دام أن نولدكه إلى هذا في نهاية بحثه الذي ادعى فيه قرآنية هذه النصوص، فقد كان لزاماً عليه ألا يدعي قرآنيته سلفاً كما فعل عندما وضعها تحت عنوان " ما لم يتضمنه القرآن مما أوحى إلى محمد (ﷺ)، فكان من الواجب أن يغير هذا العنوان إلى عنوان آخر يعرف القارئ والمتقف بأن القرآن الكريم الذي هو بين أيدي المسلمين الآن هو نفسه الذي نزل به الوحي على محمد ﷺ.

إن ما سبق ذكره من الروايات التي زُعم أنها منسوخة من القرآن، وتلقف نولدكه ذلك لإثبات أن هذا مما سقط من وحي القرآن، ثم بيان ما كان عليها من اعتراضات وإشكالات، ومشكلات احتوتها في نصوصها، والتي هي على غير أسلوب الوحي في القرآن، وما خص الله تعالى به كتابه من إعجاز في النظم.

^١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٢٨

المبحث الثاني

الأحاديث التي زعم نولدكه ضياعها من وحي القرآن

يصرح نولدكه بأنه يملك بعض المعلومات عن مقاطع قرآنية ضائعة، من دون أن يبقى لها أثر^(١)، وهو إذ يسميها ضائعة فإن مصادر معلوماته، وهي الروايات التي أخذها من كتب بعض المؤلفين المسلمين، وأغلبها من الإتيان في علوم القرآن للإمام السيوطي، حيث أوردتها تحت عنوان: ما نسخ تلاوته دون حكمه^(٢)، وكذلك ترد هذه الروايات عند أبي عبيد في فضائله^(٣)، ولا ترد لفظة ضاعت، وإنما (نسخ أو رفعت أو أسقطت).

وهذه النصوص عند نولدكه هي:

أولاً: سورة الأحزاب، حيث يقول نولدكه: "يقال إن سورة الأحزاب ٣٣ كانت في الأصل أطول مما هي عليه الآن. ففيما هي تتألف اليوم من ٧٦ آية، تنسب إليها بعض الروايات ٢٠٠ آية. ويدعي آخرون أنها كانت بطول سورة البقرة، أو حتى أطول منها. ولا يمكننا التأكد من مقدار صحة هذه المعلومات. وهي إن لم تكن قائمة على توقعات خاطئة تعود على الأرجح إلى نسخة قديمة كانت فيها سورة الأحزاب ٣٣، أكثر طولاً بواسطة قطع أخرى مختلفة، ويقال أيضاً: إن سورة التوبة ٩، وسورة البينة ٩٨ كانتا في الأصل أطول مما هما عليه الآن"^(٤).

ثانياً: سورنا الخلع والحفد (القنوت)

وفيما يلي مناقشة ما ادعى نولدكه ضياعه من وحي القرآن:

أولاً: فيما يتعلق بسور الأحزاب والتوبة والبيينة، فقد وردت في شأنها العديد من الروايات التي تعلق بشأنها نولدكه، فأتكأ على الظاهر منها؛ ليزعم بأن في القرآن ضياعاً لنصوص طويلة من الوحي تنزلت على قلب النبي ﷺ.

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢٨

٢ - انظر، السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج ٣، ص ٧٠ وما بعدها

٣ - انظر، أبو عبيد، القاسم بن سلام، فضائل القرآن، مصدر سابق، ص ٣٢٠ وما بعدها

٤ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٢٨-٢٢٩

فأما سورة الأحزاب فقد ورد عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنها توازي سورة البقرة^(١)، وورد أحياناً عنه أنها تعدل سورة البقرة^(٢)، أو "إن كنا لنضاهي سورة البقرة"^(٣) وأحياناً أخرى أنها مثل البقرة أو أكثر منها^(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النبي صلى الله عليه وسلم منتهي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هو الآن"^(٥).

وأما سورة التوبة فقد روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: ما تقرأون ربها يعني براءة، وإنكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب^(٦).

وعن أبي موسى: "نزلت سورة نحو براءة، ثم رفعت، وحفظ منه "إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم، ولو أن لابن آدم واديين من مال... الحديث"^(٧)

وفيما يأتي مناقشة لإثبات أنه لم يحصل ضياع في وحي القرآن الذي تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك للأسباب الآتية فيما يخص سورتي الأحزاب والتوبة.

أ- الرواية بشأن سورة الأحزاب، والزمع أن طولها كان يساوي البقرة، أو أكثر منها، فإن أسانيد هذه الرواية تلتقي في عاصم بن بهدلة- وهو ابن أبي النجود الكوفي المقرئ- عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب رضي الله عنه، فإن عاصم بن بهدلة على توثيقه في جانب القراءات، إلا أن علماء الجرح والتعديل قد وقفوا من روايته للحديث موقف التضخيم له في هذا الجانب تحديداً، وهذه بعض أقوالهم فيه:

- ١- أخرجه ابن حبان في صحيحه ج ١٠، ص ١٧٣، حديث رقم ٤٤٢٨، والحاكم ج ٢، ص ٤٥٠، حديث رقم ٣٥٥٤
- ٢- أخرجه النسائي في السنن الكبرى ج ٤، ص ٢٧١، حديث رقم ٧١٥٠، وابن حبان في صحيحه ج ١٠، ص ١٧٤، حديث رقم ٤٤٢٩
- ٣- أخرجه الطيالسي في مسنده، ج ١، ص ٧٣، حديث رقم ٥٤٠، طبعة دار المعرفة، د. ط، بيروت، د. ت.
- ٤- أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ج ٥، ص ١٣٢، حديث رقم ٢١٢٤٥
- ٥- أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، ص ٣٢٠، وفي مسنده عبدالله بن لهيعة، وقد خلط بعد احتراق كتبه، انظر تقريب التهذيب، ص ٣١٩
- ٦- أخرجه الحاكم في المستدرک، ج ٢، ص ٣٦١، حديث رقم ٣٢٧٤، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- ٧- المصدر السابق، ص ٣٢٣ وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، انظر تقريب التهذيب، ص ٤٠١

قال ابن سعد عنه: كان ثقة إلا أنه كان كثير الخطأ في حديثه، وقال ابن معين: لا بأس به وقال العجلي: كان صاحب سنة وقراءة، وكان ثقة رأساً في القراءة، وقال يعقوب بن سفيان: في حديثه اضطراب، وهو ثقة، وقال ابن خراش: في حديثه نكرة، وقال: إنه لم يكن فيه إلا سوء الحفظ، وقال الدارقطني: في حفظه شيء^(١).

ب- لماذا لم تجمع هكذا مانتني آية في الجمع الثاني في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، ولماذا تسكت عائشة عن الشهادة بذلك حتى خلافة عثمان، وهل يسكت جموع الأمة والصحابة خيارها في ذلك الزمان عن فعل عثمان، وما مصلحته في أن يحذف منها هذا؟، والشيء يقال عينه عن براءة، وكذلك سورة البينة؟

ج- لو كانت هذه الروايات صحيحة لاشتهرت عن أبي بن كعب شهرة لا يمكن إنكارها - لا سيما أنه - سيد القراء- ولماذا يضيع ويسقط من السورة أضعاف ما بقي منها ويذهب حفظ ذلك من صدور كل الصحابة إلا أبياً، بل إن الغريب في الأمر أن أبياً قد تفرد بشأن ما ورد بخصوص سورتي الأحزاب والبينة، وسورتي الحنفد والخلع (سورة القنوت)، فلو كان ذلك من القرآن الموحى به، فلم لم يتواتر ذلك عن الصحابة، وهم أحرص الناس على نقل كل ما يتعلق بالقرآن والسنة^(٢)

د- وما يدل على بطلان هذه الرواية - أي ضياع أكثر سورة الأحزاب وأنها كانت تساوي سورة البقرة - أن أبياً كان يقر بأن هذا القرآن هو جميع ما أنزله الله تعالى على رسوله، وأمر بإثبات رسمه، وأنه كان على مذهب الجماعة ورأيهم في هذا المصحف، وأنه أحد من أملاه على زيد والنفر القرشيين، ونصبه عثمان لذلك^(٣)

هـ- ثم جاءت رواية أخرى عن أن أبياً أدخل في مصحفه دعاء القنوت، وأثبتته في جملة القرآن فإذا كان أبي قد حفظ دعاء القنوت، وحرص عليه وأدخله في مصحفه لتوهمه أنه مما أنزل من القرآن، فكيف يجوز أن يذهب عليه أكثر سورة الأحزاب، وأن يذهب عليه وعلى أبي موسى

١ - العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣٥، وقال ابن حجر عنه في التقريب: صدوق له أو هام ص ٢٨٥

٢ - الباقلائي، محمد بن الطيب (٤٠٣هـ)، الانتصار للقرآن، حققه عمر القيام، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ٢٠٠٤م، ج ١، ص ٣٧٠ (باختصار)

٣ - المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧١-٣٧٢

الأشعري وغيرهما من الصحابة سور أنزلت مثل البقرة ذهب بأسرها حتى لم يذكروا منها إلا كلمة أو كلمتين، وهم قد حفظوا عن الرسول سننه، وآدابه وأخلاقه..^(١).

"وكيف تضيع سورة كانت بحجم البقرة أو أكثر، وعلى طولها وكثرة كلامها، وأصحاب النبي ﷺ يعدون بعشرات الآلاف من الصحابة، وهم أحرص الناس على ما كان ينزل عليه من الوحي، حتى أنهم أرادوا أن يدونوا السنة مع القرآن، فنهاهم في أول الأمر، ثم لا نجد من يحفظ من هذه السورة إلا أبا موسى الأشعري، ولبعض كليمات قليلات^(٢).

وأما سورة البينة فإن ما ورد بشأنها في بعض الروايات التي يوهم ظاهرها أنها كانت أطول مما عليه الآن أي أن هناك آيات أخرى كانت فيها، وهي: "إن ذات الدين عند الله الحنيفة لا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيراً فلن يكفره" وكذلك "لو كان لابن آدم واديين من مال"^(٣)، وأما ما يسمى بسورة الحفد أو الخلع، فإنهما تسميان بسورة القنوت في الوتر^(٤)

ما روي بشأن سورة البينة هو "إن ذات الدين عند الله الحنيفة...". و"لو كان لابن آدم واديان من ذهب... فالأول من كلام أبي بن كعب ولم يرد في الصحيحين، والثاني لم تجمع الروايات على موضع واحد للنص - كم سلف بيانه - مما يعطي علامة على أن النص ليس في سورة البينة أو غيرها؛ لأن القرآن لا يختلف في موضع آياته، ولم يلتحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى إلا وكل آية في موضعها بعد تنزيلها مباشرة.

ثانياً: سورتا الخلع والحفد"، أو ما تسميان بـ"سورة القنوت"^(٥)

يقول نولدكه: "ثمة أمر ذو أهمية كبيرة، وهو أن مجموعة أبي تحوي سورتين لا نجدهما في النسخة الرسمية، وترد هاتان السورتان باسميهما الخاصين، سورة الخلع، وسورة الحفد، وطورا

^١ - الباقلائي، الانتصار للقرآن، ج ١، ص ٣٧٣

^٢ - عرجون، محمد، محمد رسول الله، ج ٤، ص ١٢٧ - ص ١٢٨ باختصار

^٣ - انظر على سبيل المثال مسند أحمد ج ٥، ص ١٣٢، حديث رقم ٢١٢٤١، والمستدرک للحاكم ج ٢، ص ٢٤٤ وكذلك ج ٢، ص ٥٧٩، والترمذي ج ٥، ص ٥٦٥، وكذلك ج ٥، ص ٧١١

^٤ - انظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٧٦، عن الناسخ والمنسوخ لابن المنادي

^٥ - ذكر ذلك ابن أثنّة في كتاب المصاحف عن مصحف أبي بن كعب كما أشار السيوطي في الإتقان ج ١، ص ٣٠١ - ص ٣٠٢، وأيضاً فيما ساقه ابن النديم في الفهرست عن ترتيب السور في مصحف أبي بن كعب ج ١، ص ٤٠

باسم الاختصار سورتا القنوت، أو حتى سورة القنوت، أما تسميتهما "دعاء القنوت"، أو دعاء الفجر، أو "الدعاء" فتفيد بأنهما ليستا سورتين، بل مجرد صلوات، ونادراً ما تقع على كلمات نصوصهما^(١)

وزعم نولدكه بأن نص السورتين غير متوفر في المراجع القديمة، وإنما تجد شذرات كصاحب المباني لنظم المعاني - وهو الكتاب المخطوط - والفهرست، في حين أن بعض المراجع المتأخرة كالإتقان في علوم القرآن للسيوطي ينقل النص كاملاً^(٢)

ويزعم أنه أعاد تركيب النص بشكل أفضل، حيث صار نص سورة الخلع كالآتي "بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك وننتي عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك"

وأما سورة الحفد فصار نصها كالآتي "بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إياك تعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق"^(٣)

ويقر نولدكه بأن هذه النصوص لا يمكن نسبتها إلى الوحي مطلقاً فلا يمكن أن تكون هاتان السورتان جزءاً من القرآن، ولا يمكن حتى أن تعودا إلى النبي ﷺ نفسه - ويعلل هذا الرأي لسببين: ١- هذه النصوص هي صلوات (أدعية) شكلاً ومضموناً، فلا يمكن أن تكون من الوحي القرآني إلا إذا كانت مسبوقة بالأمر (قل) الذي يستعين به القرآن؛ ليضفي الشريعة على الصلوات مثل الفلق والناس

٢- الاختلافات اللغوية الكثيرة في هاتين السورتين نسبة إلى قصر نصهما عن أسلوب القرآن مثل استعان، وحفد، وفجر، وخلع^(٤)

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ٢، ص ٢٦٥-٢٦٦

٢ - انظر، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦٦

٣ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦٧، وذكر السيوطي نص الدعائين في الإتقان، ج ١، ص ٣٠٧ وص ٣٠٨

٤ - استعان لأنه لا يرد مع مفعول به إلا في موضع واحد وذلك في الفاتحة، أما فعل "أنتى" فلا يرد في القرآن، فيما تكثر أفعال أخرى بالمعنى نفسه، وكذلك فعل "حفد" غير مستعمل في القرآن، ويرد فعل "سعى" مراراً في القرآن ولكن لا يرد مع عبارة "مع الله"، ويرد فعل "فجر" هنا متعدياً، فيما لا يرد في القرآن إلا لازماً كم في سور القيامة "ليفجر أمامه"، وفي الشمس "فألهمها فجورها وتقواها"، ويرد فعل "خلع مرة واحدة في سورة طه ١٢/٢٠، ولكن ليس بالمعنى الرمزي كما في هذه الآية، انظر تاريخ القرآن، ج ٢، ص ٢٦٨

وفي ضوء هذين السببين، يقول نولدكه: "لهذه الأسباب لا يمكن أن تكون هاتان السورتان جزءاً من القرآن، ولا يمكن حتى أن تعودا إلى النبي (ﷺ) نفسه. لعلهما كانتا صلاة مستعملة في أيام النبي (ﷺ). وغالباً ما يشار إليهما في الروايات كدعاء، وعن عمر وأبي (رضي الله عنهما) يقال إنهما كانا يستعملانها في صلوات القنوت، وربما بسبب هذا الاستعمال ظن البعض بأن هاتين السورتين من مصدر سماوي، وما دفع البعض إلى هذا الاستنتاج كونها تفتتح بالبسمة"^(١)

ويجاب على نولدكه بما يأتي:

١- لا بد من التأكيد على أن من نقل عن مصحف أبي بن كعب (رضي الله عنه) أن الخلع والحفد من القرآن فقد اختلط الأمر عليه، فليس من دليل على قرآنية هذه العبارات بدليل انفراد أبي بن كعب بإثباتها، ثم ما الذي يحول بين أبي بن كعب وإلحاق هذه الآية بالمصحف بعد جمعه بين الدفتين لو كانت من الوحي المتلو، فلما لم يفعل ذلك دل هذا إنه إنما كان دعاء يدعو به، فما يؤكد ذلك هو كثرة الروايات التي تثبت أن هذا الدعاء لم يؤثر عن أبي بن كعب بالذات، أو انفرد بالرواية له كما انفرد بذكره في مصحفه، فقد روي عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي هريرة وروي مرفوعاً إلى النبي (ﷺ)^(٢)، ولكن ظن من وجد هذا الدعاء في مصحف أبي بن كعب أنه من القرآن الكريم^(٣).

وبالتالي يبطل قول نولدكه أنه لم يؤثر نقل المتقدمين للنصين حيث نجد في القرون الأولى عند عبدالرزاق بن همام الصنعاني، وابن أبي شيبة في المصنف، روايات عديدة لهذين النصين^(٤). وهذه الروايات هي مختلفة في ذكر نصوص الدعاين مما يؤكد انتماؤهما للسنة المطهرة، وأنها مما نقل بالمعنى، ثم عن توصية الصحابة بذلك، والتشديد في كتب السنة عليهما مما يلحقهما بالحديث الشريف، وبذلك يبطل قول نولدكه أنهما مجرد أدعية كان الصحابة يدعون بها.

ثم إنه ليس كل ما اشتملت عليه مصاحف الصحابة كان يعد من القرآن، بل فيها من أخبار الأحاد، والأدعية، والمنسوخ، والتفسير، وعلى فرض أن أياً أثبتتها على أنها من القرآن، فهي رواية

^١ - تاريخ القرآن، ج ٢، ص ٢٦٨-٢٦٩

^٢ - أخرج البيهقي في سننه الكبرى عن خالد بن أبي عمران أن الرسول (ﷺ) دعا بهذا الدعاء ثم قال البيهقي: هذا مرسل، وروي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) صحيحاً موصولاً ج ٢، ص ٢١٠، حديث رقم ٢٩٦٦، وقال ابن حجر في

خالد بن أبي عمران: فقيه صدوق من الخامسة، انظر تقريب التهذيب، ص ١٨٩

^٣ - انظر، شاهين، عبد الصبور، تاريخ القرآن، ص ١٨٥

^٤ - أخرجه عبدالرزاق في مصنفه عن عمر ج ٣، ص ١١٠، حديث رقم ٤٩٦٨، وعن أبي بن كعب ج ٣، ص ١١٢،

حديث رقم ٤٩٧٠، وعن علي ج ٣، ص ١١٤، حديث رقم ٤٩٧٨، وابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن مسعود ج ٢،

ص ٩٥، حديث رقم ٦٨٩٣

أحاد ظنية لا تعارض القطعي الثابت بالتواتر، كما لا تكفي في إثبات كونها من القرآن؛ لأن المعول عليه في إثبات القرآن هو التواتر^(١)

٢- هذان النصان هما من الوحي، فإذا كانا ليسا من وحي القرآن، فإنهما من وحي السنة الشريفة، وهذا ما تدل عليه الروايات العديدة التي ودرت بشأنهما.

٣٤- ثم إن رد أن تكون (الحفد والخلع) من القرآن ليس فقط لوجود ألفاظ فيهما لم تستخدم في نظم القرآن، وإنما أيضاً لقصور النصين عن رتبة القرآن في الفصاحة والبلاغ^(٢).

٣- ثم من قال إنه يجب أن يأتي الدعاء كما جاء في سورتي الفلق والناس، فالتحقيق يكشف عن أن السورتين تأخرتا في النزول إلى ما بعد الهجرة، فالفاتحة سابقة في النزول عليهما؛ لأنها من السور المكية، وهل نظم سورتي الفلق والناس يشعر بأنهما دعاءان، أم أن ما فيهما تربية على الالتجاء إلى الله تعالى من كل شر؟.

لقد كان من اللازم على نولدكه وهو يعدّهما دعاءين ألا يسميهما سورتين، وألا يضعهما تحت عنوان (مقاطع ضائعة من القرآن)، ولكنه أراد نولدكه أن يرتب على البحث فيهما دعوى أن الفاتحة ليست من الوحي؛ لأنها تشابه هذين النصين، فما دام أن هذين النصين ليسا من وحي القرآن؛ لأنهما لم يبدأ بـ (قل) فالفاتحة مثلها كذلك؛ لأن بدايتها تخلو من قل، التي وردت في سورتي الفلق والناس

فهو لما ارتأى العكس في ترتيب السور على الفترات الزمنية وضرب بسبب نزول الفلق والناس عرض الحائط، أراد أن يقرر أن الفاتحة لو كانت من الوحي لكانت على شاكله هاتين السورتين، أي الفلق والناس، ولكنها ما دام أن بدايتها قد خلت من (قل) فهي مثل دعائي الحفد والخلع في أنها كلها ليست جزءاً من الوحي.

يقول نولدكه: " بما أن هذه الصلوات- يقصد سورتي الخلع والحفد- شكلاً ومضموناً لا يمكن نسبتها على الوحي إلا إذا كانت مسبقة بالأمر قل، الذي يستعين به القرآن؛ ليضفي الشريعة على الصلوات مثل سورة الفلق ١١٣ وسورة الناس ١١٤، وكلام محمد (ﷺ) الذاتي بكونها كلام الله.

١ - انظر، أبوشهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٢٨٩-٢٩٠

٢ - انظر، الباقلائي، الانتصار للقرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٩

غير أن لفظ (قل) يغيب في بداية هاتين السورتين. لكن هذا بالضبط هو أحد الأسباب التي تدعونا إلى الشك في أن تكون الفاتحة جزءاً من الوحي^(١)

وزعم نولدكه هذا يرد عليه بأن العديد من الآيات قد جاء الأمر فيها بـ "قل" عند الدعاء مثل "قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ، (آل عمران: ٢٦)، و"وَقُلْ رَبُّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ" (المؤمنون: ٩٧)، وقوله: "وَقُلْ رَبُّ أَدْخَلَنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرَجَنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ" (الإسراء: ٨٠)، إلا أن ذلك ليس قاعدة مطردة في كل آيات الدعاء في القرآن الكريم، فهناك أدعية في القرآن كما في البقرة وآل عمران مثلاً قد جاءت مبدوءة بـ "ربنا" دون أن يسبقها الأمر "قل"، فمن منهج القرآن في الدعاء أنه قد يسبق الثناء على الله تعالى الدعاء كما جاء في آيات سورة إبراهيم "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ" (إبراهيم: ٣٩)، ثم جاء الدعاء من نبي الله إبراهيم ﷺ "رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ"، (إبراهيم: ٤٠-٤١)

وإذا كان نولدكه قد زعم أن المصحف الذي بين أيدينا قد ضاعت آيات في بعض السور مثل التوبة والأحزاب والبيّنة، أو سور وجدت في بعض مصاحف الصحابة ولكنها لم تضم للمصحف- فإنه زعم أن في القرآن الكريم سوراً ألحقت به، وهي مما ورد فيه إنكار أن تكون مما أوحى من وحي القرآن، أو أن تكون مقتبسة من (الكتاب المقدس)، ويمثل على ذلك بسور الفاتحة والفلق والناس.

أولاً حول سورة الفاتحة:

يزعم نولدكه عدم قرآنية الفاتحة، وأنها ليست من الوحي بما نقل من أن عبدالله بن مسعود ﷺ لم يثبتها في مصحفه، ويؤكد أنه إن كان قد خفي واختلط على أبي بن كعب ﷺ من أن سورتي الخلع والحقد ليستا من الوحي، فلقد رفض ابن مسعود ﷺ أن تكون الفاتحة من الوحي، فيما قبلها زيد بن ثابت ﷺ

يقول نولدكه: لا نستغرب إن كان الأمر قد اختلط على خبير كبير كأبي قابن مسعود وهو لا يقل عنه معرفة رفض الفاتحة فيما قبلها زيد في نسخته^(٢)

١ - تاريخ القرآن، ج ٢، ص ٢٦٧

٢ - انظر، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦٩

ويرد ما ادعاه نولدكه على سورة الفاتحة - محتجاً بأن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لم يثبتها في مصحفه - ما يأتي:

أولاً: لا يعني عدم إثبات السورة في مصحفه أنه لا يقرّ بقرآنيّتها، وإلا كيف نفسر أنه كان يتعبد الله تعالى بقراءتها في الصلاة.

ثانياً: لا يجوز أن نقول أن ابن مسعود لم يثبت السورة في مصحفه لعدم ثبوت تواترها عنده، فهذا يُرد عليه بالأمر الأول، ثم ينقضه ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله نفسه أنه وصّى بأن يؤخذ القرآن من ابن مسعود، ثم ما روي عن ابن مسعود نفسه حيث قال: "والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت. وما من آية إلا أنا أعلم فيما نزلت. ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه"^(١)

ثالثاً: من أحسن ما أجيب على ذلك رأي ابن قتيبة رحمه الله في الرد على هذا بأن إسقاطه للفاتحة من مصحفه ليس إنكاراً منه لقرآنية السورة، وإنما لأن القرآن قد دوّن وكُتب خشية النسيان، وهذا في الفاتحة مأمون نظراً لقصرها واشتهارها ووجوب تعلمها، وتفردها بوجوب قراءتها في كل ركعة من الصلوات المفروضة والمسنونة^(٢).

وعلاوة على ذلك فقد زعم نولدكه أن عدم ابتداء الفاتحة بـ (قل) من الأسباب التي تدعو إلى الشك في أن تكون جزءاً من الوحي^(٣)؛ لأن الصلوات (الأدعية) يجب أن تبتدئ بـ (قل) ليضفى عليها الناحية التشريعية كشأن الفلق والناس، مذكراً بما زعمه في الجزء الأول من دراسته لسورة الفاتحة عند ترتيب السور زمانياً حيث اعتبرها نصاً منحولاً تماماً من العهد القديم تماماً، فالدعاء الوارد في الفاتحة يمكن أن يوجد في أي كتاب روحي يهودي أو مسيحي، وفي ضوء ذلك فإن الجزء الأكبر منها ينحدر من أصل يهودي أو مسيحي^(٤)

ومن ثم قام نولدكه بالمقابلة بين كل جملة في الفاتحة وبين جمل - تشابهها أو تقاربها أو تطابقها حسب زعمه - في نصوص العهدين القديم والجديد ليثبت فرضيته في أنها منهما.

^١ - أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رضي الله تعالى عنهما، حديث رقم ٢٤٦٣، ج ٤، ص ١٩١٣

^٢ - ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، شرحه السيد أحمد صقر، ط ٣، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨١م، ص ٤٩، بتصرف قليل.

^٣ - انظر، نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٦٧

^٤ - المصدر السابق، ج ١، ص ٩٨ وما بعدها باختصار، وانظر هوامش الصفحات ١٠٠ وما بعدها.

ف (الْحَمْدُ لِلَّهِ) يقول: إنها توافق تماماً بما في سفر الخروج، وما جاء في الموضع الذي أشار إليه هو " وقال يثرون مبارك الرب الذي أنقذكم من أيدي المصريين، ومن يد فرعون" (١) وفي إنجيل لوقا" وامتلاً زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً: مبارك الرب إله إسرائيل... (٢)

و(رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال إنها تقارن بما في ترجوم الجامعة حيث جاء فيه" انظر عمل الله؛ لأنه من يقدر على تقويم ما قد عوجه، في يوم الخير كن بخير، وفي يوم الشر اعتبر" (٣) وأما (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) فقد جعل (الرحمن) ذات أصل عبراني، ومن المستحبات في الكتابات اليهودية، وأما الرحيم فهي صيغة عربية أصيلة، وإضافة الصفة إلى المصدر (رحمان) من أجل تصعيد- أي توكيد- المفهوم (٤)

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) جعلها تطابق ما في ترجوم الجامعة أيضاً، حيث جاء فيه "قد عرفت أن كل ما يعمل الله أنه يكون إلى الأبد، لا شيء يزداد عليه، ولا شيء ينقص منه، وأن الله عمله حتى يخافوا أمامه ما كان فمن القَدَم هو، وما يكون فمن القَدَم قد كان، والله يطلب ما مضى" (٥)

ويحيل نولدكه على ما في الإصحاح الثاني عشر منه أيضاً وفيه: "اتق الله واحفظ وصاياه؛ لأنه هذا هو الإنسان كله؛ لأن الله يُحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي، إن كان خيراً أو شراً" (٦)

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) تطابق في رأي نولدكه بشكل حرفي لما في سفر المزامير: "خلص يا رب؛ لأنه قد انقرض النقي؛ لأنه قد انقطع الأمان من بني البشر" وفيه: "أنت يا رب تحفظهم تحرسهم من هذا الجيل إلى الدهر. الأشرار يتمشون من كل ناحية عند ارتفاع الأردال من الناس" (٧)

١ - الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح ١٨، الفقرة ١٠

٢ - المصدر السابق، إنجيل لوقا، الإصحاح ١، الفقرة ٦٧

٣ - المصدر السابق، سفر ترجوم الجامعة، الإصحاح ٧، الفقرة ١٣

٤ - انظر، نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، هامش ص ١٠١

٥ - الكتاب المقدس، ترجوم الجامعة، الإصحاح ٣، الفقرة ١٤

٦ - المصدر السابق، الإصحاح ١٢، الفقرة ١٣

٧ - المصدر السابق، سفر المزامير، المزمور ١٢، الفقرة ٧

وأما (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) ومن قبلها "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" فلم يحيلهما نولدكه على أي موضع في العهدين ولو من أبواب المقاربة أو المشابهة، وإنما كل ما فعله أنه قال عن (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ): "لا يمكن الجزم إذا كانت هاتان الآيتان من تأليف النبي (ﷺ) أو تفسيراً متناقلاً فقط"^(١)

ولعل نولدكه فشل في محاولة إيجاد ألفاظ تشابه ألفاظهما للاستدلال على أن مصدر هاتين الجملتين من الأصل اليهودي أو المسيحي؛ ولذلك قال في البداية أن الجزء الأكبر من السورة ينحدر من هذين الأصلين، وإلا فهل لو كانت السورة من أصل يهودي أو مسيحي - فهل توقف الاقتباس عند هاتين الجملتين.

وأما البسمة فهو يعيدها أيضاً إلى لغة الكتاب المقدس، وكذلك عن الموضعين اللذين جاءت فيهما (بسم الله) وهما في قوله ﷻ وهي آية "بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا"، (هود: ٤١)، وقوله تعالى: "إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، (النمل: ٣٠)، فيقول نولدكه عنهما بأنهما يعودان إلى مصادر يهودية^(٢).

ويستدل نولدكه على ذلك بما جاء في العهد الجديد "تسكن فيكم كلمة المسيح بغنسى، وأنتم بكل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بعضاً، بمزامير وتسابيح، وأغاني روحية، بنعمة مترنمين في قلوبكم للرب، وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع..."^(٣)

وتبقى المشكلة التي يقع فيها نولدكه وغيره من المستشرقين واحدة، وهي أنهم إذا وجدوا كلمة أو أكثر في النص القرآني الذي أوحاه الله تعالى إلى نبيه ﷺ، يشابه ذلك في (كتابهم المقدس) زعموا أن هذا مما اقتبسه محمد ﷺ.

لو كان النبي ﷺ اقتبس شيئاً - على حد زعم نولدكه - من الكتاب المقدس في سورة الفاتحة، فإنه لن يضيف جديداً، أو يزيد شيئاً^(٤)، وآيات سورة الفاتحة على خلاف هذا كله، إذ لا يجد القارئ تشابهاً تاماً بين آيات السورة لا في النظم، ولا في المعنى، والمواضع التي زعم نولدكه أن السورة مقتبسة منها كان بسبب كلمة أو أكثر كلمات ظن نولدكه بسببها أن هذه الآية أو تلك قد أخذت من العهد القديم.

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، هامش ص ١٠٢

٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٤

٣ - الكتاب المقدس، أهل كولوسي، الإصحاح ٣، الفقرة ١٦

٤ - انظر مع التصرف، موقع إسلام ويب على شبكة الانترنت (شبهات حول مصدرية القرآن)

ثانياً: سورتا الفلق والناس

زعم نولدكه على أن الفلق والناس ليستا من الوحي، مستدلاً بأن مصحف ابن مسعود رضي الله عنه لم يشتمل عليهما -مع الفاتحة بالتأكيد- وهكذا فإن نولدكه إذا كان قد ادعى بأن أول السور ترتيباً وهي الفاتحة ليست من الوحي راداً إياها لأصول كتابية، فإنه رفض أن تكون آخر سورتين في الترتيب في المصحف أيضاً من الوحي راداً إياهما لأصول وثنية هذه المرة.

يقول نولدكه: "لم يكن موقف ابن مسعود رضي الله عنه الراض لسور الثلاث اعتباطياً فإنها تختلف شكلاً ومضموناً عن سائر السور، الأمر الذي يدعو إلى الشك في صحتها. إن الذي وضع هذه الصلوات في مكانها الحالي في القرآن أراد أن تكون نوعاً من جدار حماية له، حيث تكون وظيفة صلاة التسبيح في الفاتحة طلب حماية الله، في حين أن صلوات الاستعاذة تقف حائلاً ضد تأثير الأرواح الشريرة"^(١)

يجاب على دعوى نولدكه من جهتين:

الجهة الأولى: دعواه أن هاتين السورتين ليستا من الوحي شأنهما شأن سورة الفاتحة، فيجاب عنها بالآتي:

١- يدفع ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم "خذوا القرآن من أربع"، وقول ابن مسعود نفسه: "والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت. وما من آية إلا أنا أعلم فيما نزلت".

٢- عدم اشتمال مصحفه على السورتين كما أورد ابن النديم في الفهرست^(٢) ليس دليلاً على إنكاره لقرآنيتهما، فقد يكون عدم الاشتمال راجع إلى ما قرره ابن قتيبة عن عدم اشتماله على الفلق والناس من قصرهما وشهرة أمرهما، فلم يجد حاجة في كتابتهما.

٣- كان لابن مسعود رضي الله عنه مدرسة لها تلاميذها فلو كان قد أنكر قرآنية هاتين السورتين لجا ذلك عن تلاميذه أو بعضهم على أقل تقدير.

٤- مما أجيب عن ذلك أيضاً أن "ابن مسعود رضي الله عنه لم يكتبهما مع الفاتحة؛ لأنه لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتبهن أحداً، ولا اتفق أنه بلغه ذلك من وجه يوجب العلم عنده، فلم يكتبها إثارة للإتباع، وترك الإحداث في القرآن لما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكون باقي الناس إنما كتبوا هذه السور لعلمهم أن

^١ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٧٤

^٢ - ابن النديم، الفهرست، ج ١، ص ٣٩

رسول الله ﷺ كتبها كما كتب غيرهن^(١)، وعقب ابن حجر على هذا الرأي بأنه: "يمكن حمل لفظ كتاب الله على المصحف فيتمشى التأويل المذكور"^(٢)

٥- سورتا الفلق والناس مما اشتهر أمرهما فعن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لم تر آيات أنزلت عليّ الليلة لم ير مثلهن قط؟" قل أعوذ برب الفلق" و "قل أعوذ برب الناس"^(٣)، وقد قرأهما النبي ﷺ في صلاته، فعن عقبة بن عامر أيضاً، أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذتين؟ قال عقبة: فأمن بهما في صلاة الفجر^(٤)، فلا يعقل أن يغيب مثل هذا الاشتهار للسورتين عن صحابي مثل ابن مسعود ﷺ.

٦- هل يمكن أن يشتهر إنكار ابن مسعود للسورتين مع إجماع الصحابة ﷺ على أنهما مما أوحى إلى رسول الله ﷺ في القرآن دون أن يراجع عثمان ابن مسعود بشأن ذلك.

٧- مما يقطع ببطلان أن ابن مسعود كان ينكر سورتي الفلق والناس، أنه لا يجوز أن يبقى ابن مسعود على هذا الاعتقاد منذ نزول السورتين، ثم الجمع الثاني ثم الجمع الثالث، دون أن يستفصل بشأنهما على افتراض اشتباه الأمر عليه أهم من الوحي القرآني أم لا، وكيف يستسغ وقع اشتباه الأمر عليه فضلاً عن أن ينكرهما وهو الذي يقول عن نفسه: "على قراءة من تأمروني أن اقرأ؟ فلقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة. ولقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنني أعلمهم بكتاب الله. ولو أعلم أنّ أحداً أعلم مني لرحلت إليه. قال شقيق- الراوي عنه- فجلست في حلق أصحاب محمد ﷺ فما سمعت أحداً يرد ذلك عليه ولا يعيبه"^(٥)

الجهة الثانية: أما اعتراض تولدكه حول مجيء الفاتحة في أول القرآن، وسورتي الفلق والناس في آخره، وتعليقه ذلك بأنهما جدار حماية له فهذا دأب تولدكه في إنكار الوحدة الموضوعية في القرآن الذي ينظر إليه على أنه أجزاء لا صلوات بينها البتة.

أما بالنسبة للفاتحة فقد ناسب أن تأتي في أول القرآن مع أنها ليست أول الوحي نزولاً؛ لاشتمالها على الكليات الأساسية في التصور الإسلامي من إطلاقها الربوبية؛ لتتجه العوالم كلها

١ - الباقلائي، الانتصار للقرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٨٦

٢ - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مصدر سابق، ج ٩، ص ٧٧١

٣ - أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين، ج ١، ص ٥٥٨، حديث رقم ٨١٤

٤ - أخرجه النسائي في سننه ج ٨، ص ٢٥٢

٥ - أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رضي الله تعالى عنهما، ج ٤،

ص ١٩١٢، حديث رقم ٢٤٦٢

إلى رب واحد، ثم إلى الكلية الضخمة العميقة التأثير في الحياة البشرية المتمثلة في الاعتقاد بالآخرة، ثم الكلية التي تنشأ عما سبقها، وهي إفراد الله تعالى بالعبادة والاستعانة، وبعد بيان هذه الكليات يبدأ التطبيق العملي^(١) "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"

وأما سورتا الفلق والناس، فهما جاء تأكيداً لما ورد في سورة الفاتحة من معنى الالتجاء إلى الله تعالى "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" من كل ما شأنه أن يعيق التوجه بالعبادة إليه، أو الاستعانة به، سواء أكان ذلك من شرور الإنس أو الجن، وليس ما ادعاه نولده فقط في قضية الأرواح الشريرة بدليل أن خاتمة الناس كانت "مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ".

وما يؤكد اللحمة التي تربط آخر القرآن بأوله أنك تلحظ أن الله عز وجل خاطب المؤمن قائلاً في أول آية: "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ" ولفظ الرب جاء في سورة الفاتحة "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، ثم جاء اسم الله في سورة الناس "مَلِكِ النَّاسِ" وفي الفاتحة جاء "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"، وقوله "إِلَهِ النَّاسِ" تقرير لمعنى "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، فهاتان السورتان تعطيان دلالة التذلل والضعف من العبد اتجاه خالقه، فختم القرآن بهما ليظهر معنى الالتجاء الذي أبانته سورة الفاتحة بصورة جلية في نهاية القرآن في سورتي الفلق والناس.

^١ - قطب، سيد، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٣ وما بعدها باختصار

المبحث الثالث

الأحاديث النبوية والقدسية وصلتها بالوحي عند نولده

ليس من المستغرب أن يتطرق نولده إلى موقع الحديث من الوحي سواء أكان نبوياً أم قدسياً فهذا دأب المستشرقين، فإنه إن كان قد نفى أن يكون القرآن هو وحي الله تعالى المنزل من لده على نبيه ﷺ، فقد جعل النفي أيضاً للوحي النبوي؛ وذلك لما يعلم نولده وغيره من المستشرقين من قيمة السنة وأهميتها، وأنها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد وحي القرآن.

في رأي نولده "أعلن محمد أنه يتلقى الوحي من الروح "روح القدس" الذي اعتبره ملكاً، وسماه في السور المدنية جبريل، لكن هذا لم يحدث بالشكل نفسه دائماً^(١) - أي أن للوحي أشكالاً متعددة، كالرؤيا الصادقة، والإلهام، والتكليم"^(٢).

يقول نولده: "المسلمون لا يصفون بكلمة الوحي القرآن وحسب، بل كل إلهام تلقاه النبي ﷺ، وكل أمر إلهي وجه إليه، حتى لو لم تعتبر كلماته قرآناً، وأكثر أنواع الوحي تتناول الوحي غير القرآني"^(٣)

القرآن نفسه هو الذي وصف أن ما ينطق به النبي ﷺ بـ "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ" (النجم: الآيتان ٣-٤)، فوصف المسلمين للوحي الذي تلقاه رسول الله ﷺ إنما هو إيمان بما أخبر به القرآن ذاته، ثم إن النبي ﷺ نفسه أخبر أنه قد أوحى إليه غير وحي القرآن بقوله: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه"^(٤)

وأما أن جبريل هو الذي تنزل بوحى القرآن على محمد ﷺ فهو ما قاله القرآن "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤)"، (سورة الشعراء: الآيتان ١٩٣، ١٩٤)، وأما وحي السنة فلم يكن متعلقاً بتنزل جبريل، بل إن منه ما كان رؤيا صادقة كما حصل في شأن عمرته ﷺ

١ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٠

٢ - تم مناقشة رأيه في كليات الوحي وأشكال حدوثه في الفصل الثاني، حيث اعتبر الوحي حتماً، ورفض أن يكون النبي ﷺ قد كلمه ربه عز وجل. ص ٨٢

٣ - نولده، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٠-٢١

٤ - أخرجه أبو داود في سننه، باب لزوم السنة، حديث رقم ٤٦٠٤،

في السنة السادسة الهجرية، وقد ينفخ روح القدس في رُوعه مثل الذي روي عن الرسول ﷺ حيث قال: "نفث روح القدس في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها"^(١)

يذكر أن المسلمين يميزون بين نوعين من الوحي، وهما الوحي المثلث، ويقصد به القرآن الكريم، والوحي غير المثلث ويشمل عندنا نحن المسلمين الحديث النبوي والقدسي، غير أن نولدكه يخطئ المسلمين في اعتبارهم الأحاديث القدسية من الوحي؛ لأنه في وجهة نظره ليس ثمة تأكيد على أن محمداً (ﷺ) قد نطق به^(٢).

وأما الأحاديث النبوية عند نولدكه فهي تحذيرات وأوامر أطلقها محمد (ﷺ) في مختلف المناسبات، أو كشف عن الحاضرات أو المقبلات بواسطة وحي آتاه^(٣).

ويضيف قائلاً: "يتمتع هذا النوع من الوحي بقدر كبير من الثقة، ويكفي لذكر هذه الأقوال عدم توفر نصوص منزلة- يقصد قرآناً بشأنها- ولو اعتبرت تلك القصص خرافات، فهي ترسم على العموم صورة صحيحة عن الأمزجة والأوضاع النفسية التي كان بها محمد. ومن صفة الأديان أن يكونوا على اتصال شبه دائم بالأكوّهة في الأمور العظيمة، وحتى أصغر شؤون الحياة"^(٤).

ويبني على ما تقدم نتيجته وهي "يعتبر أنه من الأكيد أن محمداً (ﷺ) شعر أنه كان خاضعاً لتأثير إحياءات أخرى غير آيات القرآن، وإذا تذكرنا أيضاً إعلاناته الكثيرة المستقلة، فلا بد لنا أن نسأل عن كيفية تمكنه من الاهتداء إلى الصواب في وسط هذا التشويش"^(٥).

"ومن وجهة نظر نولدكه فإن القرآن يفيد بأنه يعود إلى اللوح المحفوظ في السماء، لهذا السبب فإن محمداً (ﷺ) لم يكن يعتبر من جملة ما أوحى إليه قرآناً إلا ما صدر بحسب إيمانه عن ذلك النموذج السماوي الأصيل، ويمكن إضافة مبدأ آخر إلى هذا المبدأ الشكلي، وهو يتعلق بالمادة- الموضوع- التي وجب أن تتناول أحكاماً شاملة المفعول، وأموراً هامة من أمور الدين"^(٦).

١ - أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب النبوع، ج ٢، ص ٥، حديث رقم ٢١٢٦، وروايته "القي روح القدس"

٢ - انظر تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٣٠-٢٣١

٣ - يضرب أمثلة على ذلك بابتعاد النبي ﷺ من أمام عمرو بن جحاش، ووجود بعير تائه، وقصة توبة أبي لبابة، ومسجد الضرار- بيت الصلاة الجديد كما سماه-، انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٣١

٤ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٣١

٥ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣١-٢٣٢

٦ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٢

ثم يضيف لعل النبي (ﷺ) اعتراه الشك أحياناً، وهو على هذه الأرضية المضطربة ولم يكن اللاحقون الذين تولوا مهمة جمع تركته أقل منه عرضة للخطأ، لهذا لسبب تمكنت أقوال عادية أن تتال بسهولة صفة الأحاديث القدسية، وحتى أن تتسرب إلى كوفي من الدرجة الأولى إلى القرآن، كذلك تمكنت بالمقابل آيات حقيقة من القرآن، لم تضم لسبب ما إلى المصحف أن تدخل الحديث^(١)

حاول نولدكه ألا ينسى ربط ما قرره عندما تحدث عن واقع الوحي، في أن النبي (ﷺ) كان خاضعاً تحت تأثيرات واضطرابات نفسية شديدة، جعلته بسبب نوبات الصرع المتوالية التي كانت تصيبه إلى أن يتخيل على أن هناك من يكلمه في السماء ويوحى إليه برسالة، - ربطه بحديثه عن الوحي النبوي خصوصاً إذا ما علمنا أنه علل أن أمثال النبي (ﷺ) - في حالته هذه - كانوا مقتنعين أنهم لا بد وأن يكونوا في اتصال دائم مع الله.

في ضوء ما تقدم من رأي نولدكه لا بد من بيان الأمور الآتية كونها حقائق أمامه وأمام من يدور في فلكه من المستشرقين:

أولاً: عندما ضرب مثال الأمر الوارد عن رسول الله ﷺ بشأن عمرو بن جحاش^(٢) ومحاولته اغتيال النبي ﷺ فلو كانت هذه القصة ملفقة وأن ما حكاه الرسول ﷺ عنه كان من باب التهيات النفسية فلماذا لم تراجع اليهود، أفلا يعد سكوتهم ثم حبسهم لأنفسهم في صياصيتهم دليلاً على جرمهم، وصحة ما أخبر به النبي ﷺ أصحابه، وأن هذا الخبر لا يمكن أن يكون قد جاء إلا من طريق الوحي.

ثانياً: أتاح النبي ﷺ لأصحابه أن يفهموا سنته كما كان متاحاً لهم أن يفهموا وحي القرآن، ويسألوا عما غمض عليهم، فالصحابية كانوا يميزون بين ما كان كلاماً نبوياً عما هو من كلام البشر، وإذا اشتبه الأمر عليهم راجعوه، واستفسروا عنه عن ذلك، وقصة الحباب بن المنذر يوم بدر^(٣) شاهدة على ذلك، وقد كان الصحابة يجتهدون في تأويل أوامره أحياناً كما اجتهدوا في تأويل نهيه يوم بني قريظة "لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة"^(٤) ورضي باجتهاد الفريقين، وأقر الوحي سكوت

١ - تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٣٢

٢ - انظر، الحلبي، علي بن برهان الدين (١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبيّة، دط، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ج ٢، ص ٣٩٣

٣ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٦١ حيث قال له الحباب بن المنذر ﷺ لما جاء إلى أنى ماء من بدر: يا رسول الله أريت هذا المنزل أمّنزل أنزلك الله تعالى ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

٤ - أخرجه البخاري، في كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه، حديث رقم ٣٨٠١

النبي ﷺ عمن صلى قبل الوصول، ومن أخذ بظاهر الأمر، في حين أن الوحي عاتب النبي ﷺ في شأن أمر أسرى بدر، وفي شأن زواجه من زينب بنت جحش رضي الله عنها.

ثالثاً: ثم من قال إن كل ما روي عن النبي ﷺ هو من السنة أو من الوحي فالكثير كان يتعلق بالأمور الشخصية التي هي من طبيعة النبي ﷺ البشرية، ولا علاقة للوحي فيها مثل ماكله ومشربه ونومه.

وقد أتاح النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام للصحابة أن يحفظوا السنة في الصدور والسطور فنهى في بداية الأمر عن كتابتها حتى لا ينشغل المسلمون بها عن القرآن الكريم، فلما أمن ذلك أذن بالكتابة، ولا شك أن هذا الإذن دليل كاف على أنهم كانوا يميزون ما يقع في آذانهم من وحي القرآن، وما مرده إلى السنة سواء أكان نبوياً أم قدسياً.

رابعاً: دعواه أن أقوالاً عادية استطاعت أن تتال بسهولة صفة الأحاديث القدسية، وحتى أن تتسرب كوحي من الدرجة الأولى إلى القرآن، كذلك تمكنت بالمقابل آيات حقيقة من القرآن، لم تضم لسبب ما إلى المصحف أن تدخل الحديث، ويبدو أن ما جعل نولده يدعي ذلك هو الروايات التي ساقها في محبته حول " ما لم يتضمنه المصحف مما أوحى على محمد "

فقد ميز علماء مصطلح الحديث بين كل ما قد يشبه أنه من أقوال النبي ﷺ أو تقريراته هو أفعاله فالمرفوع المتصل المسند ما كان مرفوعاً للنبي ﷺ، والموقوف ما كان من الصحابي، والمقطوع ما كان للتابعي، ثم إن من تقريرات مصطلح الحديث أن ما كان قولاً للصحابي، ويحال أن يكون من قبيل الرأي فله حكم المرفوع، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فقد كان لمنهج النقد في علم الحديث موازينه في الحكم على أسانيد المرويات، فالنبي ﷺ نفسه ورد عنه النقد للمتحدث كما حصل في رواية البراء بن عازب ؓ " إذا أتيت مضجعتك فتوضأ وضوءك للصلاة " قال: فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: قل: ونبيك الذي أرسلت⁽¹⁾ فالصحابة أنفسهم لم يقبلوا إلا ما أجمعت الأمة على أن الذي جمع في المصاحف هو الوحي المتلو المنزل على قلب النبي ﷺ، فلم يقبل خبر الأحاد، وما ليس

١ - أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث رقم ٢٧١٠، ج ٤، ص ٢٠٨٢

متواتراً، وعلماء الحديث وضعوا قواعد فرقت ما بين القرآن والحديث النبوي والقدسي تتعلق بالصيغة والنظم، وطرق النقل^(١).

ويختلفان الحديثان النبوي والقدسي (وهما الوحي غير المتلو) عن بعضهما، فالحديث النبوي ما كان مضافاً إلى النبي ﷺ، باللفظ والمعنى، والحديث القدسي ما كان المعنى من الله تعالى، ولفظه من الرسول ﷺ.

وكلاهما يختلفان عن القرآن الكريم (الوحي المتلو)، من حيث الأمور الآتية:

١- لا يتعبد بهما كالقرآن الكريم.

٢- ليسا معجزين مثله.

٣- وفيهما المتواتر، وأكثر روايتهما جاءت بطريق الأحاد، وخضعت أسانيدهما ومتونهما للبحث والتتقيب فردّ غير الصحيح والضعيف والموضوع والمتهالك منها، وقبل ما كان فيه شروط الحديث المقبول.

ولم يقف العلماء موقف المتفرج من الوضاعين والقصاصين، بل كانوا لهم بالمرصاد حيث طالبوهم بأن يخرجوا لهم أسانيدهم عند الرواية، وتعلّل نولده بوجود تسرب من الأحاديث إلى وحي القرآن بجافي الحقيقة كما مر في نقد متون الروايات التي استشهد بها على ذلك. وجهود المحدثين لم تقف عند نقد الأسانيد، بل شملت كذلك نقد المتون، فمما هو متفق عليه أنه لا تلازم بين صحة السند وصحة المتن، فخضع الحديث للنقد الداخلي في أول علوم الحديث وجوداً حين كان الناس على العدالة في عصر الصحابة، ثم وجد النقد الخارجي للأسانيد، وبقي متصلاً بالنقد الداخلي للمتون، فتوثيق الراوي لا يثبت بمجرد عدالته وصدقه، بل لا بد من اختبار مروياته^(٢).

خامساً: دعواه أنه كيف كان لرسول الله ﷺ أن يميز بين العدد الهائل الذي أطلقه في مختلف المناسبات من الأوامر والتحذيرات كيف أمكنه الاهداء إلى الصواب في خضم هذا التشويش، فالرسول ﷺ كان بين المسلمين في السلم والحرب، والحضر والسفر، وفي الشدة والرخاء، وهو في ذلك كله تصدر أوامره عن حكمة ورشاد.

^١ - انظر في ذلك، القاسمي، محمد جمال الدين، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق مصطفى شيخ مصطفى، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٨١ وما بعدها

^٢ - عتر، نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٨١م، ص ٤٦٩ وما بعدها باختصار

لو احتكم نولدكه إلى منهجه التأملي، وأعمل عقله بموضوعية في نصوص السنة لوجد أن الأحاديث النبي ﷺ التي صححها العلماء ليس فيها ما يرفضه العقل؛ لأنها إما أن تتعلق بأمر العقيدة، وهذه يجب أن تتفق مع القرآن؛ لأنه ليس في القرآن شيء يحكم العقل بفساده أو بطلانه أو استحالته، وإما أن تتعلق بالأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وآداب وغيرها وليس في حديث من هذه الأحاديث التي صححها العلماء ما يرفضه العقل أو يحكم باستحالته، وإما أن تكون أخباراً عن الأمم الماضية، أو أخباراً من عالم الغيب مما لا يقع تحت النظر كشؤون السماوات والأرض والجنة والنار، وهذه ليس فيها ما يحكم العقل ببطلانه، وقد يكون فيها ما لا يدركه العقل فيستغربه^(١).

وإذا كان حال السنة هكذا فلا تتعارض في نصوص وحيها مع العقل؛ لأن السنة وحي والعقل قابل للاستقبال - دل ذلك على أنها صدرت من مصدر رباني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا يجوز في منطق الأشياء إلا التسليم بها لا الركض وراء الافتراضات التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

^١ - السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ط١، دار الوراق، الرياض، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م، ص٥١

الفصل الرابع

أثر نولده فيمن جاء بعده في مسألة الوحي

المبحث الأول: تأثير نولده في الدراسات الاستشراقية والحدائية المتعلقة بالوحي

المطلب الأول: تأثير نولده في الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالوحي
المطلب الثاني: تأثير نولده في دراسات الحدائين العرب المتعلقة بالوحي

المبحث الثاني: تأثير نولده في الدراسات القرآنية

المطلب الأول: في قصص القرآن
المطلب الثاني: فواتح السور
المطلب الثالث: طريقته في ترتيب السور حسب نزول الوحي

الفصل الرابع أثر نولدكه فيمن جاء بعده في مسألة الوحي

يتوزع تأثير نولدكه في الوحي واتجاهات البحث في مسارين:
الأول: في المستشرقين ودراساتهم المتعلقة بالقرآن عموماً، والوحي وترتيب النزول على فتراته خصوصاً.
الثاني: في الدراسات القرآنية سواء من امتدح طريقته في ترتيب النزول على فترات الوحي، وما يتعلق بموضوع الوحي من موضوعات القرآن الكريم الأخرى كالقصص.
وأما تيار الحداثيين فقد كانوا الجهة المناقحة المدافعة عن نية نولدكه ومقصده وامتداحه في معالجة النصوص، وإعادة قراءتها، وجرأته في تطبيق المنهج التاريخي الفيلولوجي في دراسة موضوع الوحي، وترتيب السور على الفترات التي تنزل فيها الوحي قبل الهجرة وبعدها.
وفي هذا الفصل بيان لتأثير نولدكه في المستشرقين والحداثيين، وبعض الباحثين العرب في مسألة الوحي.

المبحث الأول

تأثير نولدكه في الدراسات الاستشراقية والحدائية المتعلقة بالوحي

المطلب الأول

تأثير نولدكه في الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالوحي

نولدكه الذي طبع حقل الاستشراق بكامله خلال سبعين عاماً بطابع شخصيته حتى أنه لم يتصور أي تطور لهذا الاستشراق بدون مكاسبه العلمية، وقوة نفوذه^(١) - فلا جرم أنه سيؤثر في الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالقرآن الكريم بصورة مباشرة.

كان لكتاب نولدكه تاريخ القرآن تأثير كبير على الغرب بشكل عام في دراسة القرآن، خاصة موضوع الوحي والترتيب التاريخي للسور القرآنية، ومما ساعد على ذلك أنه قد تكونت مدرسة لنولدكه من تلاميذ نشروا نتائج أبحاثه ودراساته خاصة في مسألة الترتيب التاريخي للسور القرآنية حسب نزول الوحي، ومن هؤلاء التلاميذ:

أولاً: كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي، حيث عرض لمسألة الوحي في الجزء الأول من كتابه، فالنبي (ﷺ) - حسب رأيه - في أقدم مراحل دعوته استخدم جملًا تأخذ طابع سجع الكهان، ثم أخذ يأخذ الكلام صفة الوعظ.

ثم يقول: "ما دون كان نجومًا متفرقة كانت قد كتبت في حياة النبي (ﷺ)، ولكن أكثر الوحي كان يروى شفاهة من الذاكرة فحسب، فلما توفي الرسول (ﷺ) أجمع المسلمون على تسجيل كل ما كان ممكناً من القطع والأجزاء"^(٢)

ثانياً: شفالي والذي تخرج باللغات الشرقية على نولدكه، وأعاد طبع تاريخ القرآن لأستاذه نولدكه في مجلدين^(٣)

ثالثاً: برجشتراستر، وهو الذي قام بتعديل كتاب نولدكه "تاريخ النص القرآني"، وإعادة كتابة الجزء الثالث منه على نوع جديد، ومات قبل أن ينشره، فنشره بيرتزل^(١)

١ - المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان وما أسهموا به في الدراسات العربية، مرجع سابق، ص ١١٥، كتب هذه السطور في ترجمة نولدكه المستشرق إينو ليتمان.

٢ - بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣٧ وما بعدها باختصار

٣ - العتيقي، نجيب، المستشرقون، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤١٠.

يقول جورج تامر: " وما زال الترتيب لذي وضعه نولدكه معتمداً في معظم الأوساط العلمية المتخصصة في الغرب، رغم قيام باحثين آخرين مثل الإنكليزي بل، والفرنسي بلاشير بمحاولات مماثلة لا تحوز القدر نفسه من الرصانة والتحسين"^(٢)

" ومن بين جميع الأعمال الاستشراقية يظهر أن أعمال نولدكه كانت الأكثر نجاحاً في التأثير في الدراسات الاستشراقية اللاحقة حول موضوع نزول الوحي. ويمكن القول أن جميع الأعمال الاستشراقية اللاحقة حول القرآن، وحتى منتصف القرن العشرين كانت بشكل أو بآخر إسهابات وتوسيعات لأفكار وافتراضات نولدكه... وقد حاول نولدكه تحديد تواريخ القطع القرآنية والسور، وناقش في تلك العملية ما تصور أنه الأصول اليهودية والنصرانية للقرآن، وطبيعة الوحي القرآني، وطبيعة شخصية النبي تقريباً لآراء المستشرقين أمثال جورج سالي وأليوس شبرنجر وموير"^(٣)

(ريتشارد بل) بنا على أفكار شبرنجر وموير ونولدكه، ومن خلال العمل على افتراضات نولدكه وروديل أخرج إعادة ترتيب للسور، ونشر ترجمة للقرآن تحت عنوان (القرآن: ترجمة مع إعادة ترتيب ناقدة للسور)، وترتيبه للسور مختلف عن ترتيب روديل، وفي الوقت نفسه اشتغل على الوحي والنص القرآني الذي وضعه النبي (ﷺ) كما اقترح نولدكه^(٤)

ومن المستشرقين الذين تأثروا بنتائج نولدكه في دراسة الوحي المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير الذي استطاع نقل آراء مدرسة نولدكه في حقل القرآنيات عموماً، وفي دراسة الوحي خصوصاً في كتابه (القرآن، نزوله، تدوينه، وترجمته وتأثيره).

يرجع بلاشير الفضل إلى هذه المدرسة في الكشف عن الظروف الحقيقية التي عايشت ورافقت نزول الوحي، مما ساهم في أن يتخطى القارئ غير العارف بالقرآن القلق الذي ينتابه عند اطلاعه على نص يغلب عليه الغموض وتكثر فيه الألغاز، ويصعب دائماً تتبعه في سياقه الذي لا يرافقه المراحل الأربعة المتتالية لدعوة محمد في مكة والمدينة^(٥).

١ - العقيلي، المستشرقون، ج٢، ص٣٥٣.

٢ - انظر، تاريخ القرآن، ج١، مقدمة المترجم، صxviii

٣ - Mahar Ali, Mohammad, Orientalist Studies Of The Qur'ân, A Historical

Survey ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، البحث ١٢، ص٢٠ - ص٢١

٤- THE PERVIOUS REFERENCE، البحث ١٣، ص٤١

٥ - بلاشير، ريجيس، القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، مرجع سابق، ص٢١ بتصرف.

"المحاولات التي سبقت لإيجاد ترتيب للسور القرآنية على نزول الوحي لم تُفلح في الكشف عن ترتيب دقيق موضوعي، لكن (نولدكي) ونخبة من علماء الإسلاميات الألمان قد نجحوا في تحديد طريقة أخرى للبحث بفضل معالجتهم الجديدة للمسألة بكاملها في (تاريخ القرآن) الذي ظهر في سنة ١٩١٩ إلى ١٩٣٨. لقد تنازل هؤلاء عن العلماء عن مطمحهم للاهتمام إلى تسلسل للنصوص القرآنية لا لبس فيه، فنجحوا في إعادة جمع هذه النصوص وفقاً لمراحل متعاقبة، حدودها بحسب الأسلوب من جهة وبحسب الموضوعات السياسية والدينية الموسعة في القرآن من جهة أخرى"^(١)

وبلغ به الإعجاب بمنهجية نولدكه إلى حد أن يقول: "وتدل التجربة أن التقيد بالمراحل الزمنية للترتيب الذي اقترحه (نولدكي)، وأخذ به بعض المترجمين يجعل قراءة المصحف سهلة بل ممتعة"^(٢) ومما تأثر به بلاشير من نولدكه أيضاً قضية أن الوحي القرآني لم يدون في بداية تنزل الوحي، وإنما تأخر إلى ما بعد الهجرة، وعبر جهود شخصية، ومختلفاً في أدوات التدوين المستخدمة ولبعض النصوص، دون أن تكون هذه الجهود الشخصية واجبة من النبي (ﷺ)^(٣)

وفي ذلك غمز كما ألمح نولدكه من قبل في أن نصوصاً جراء عدم التدوين لها كان ولا بد وأن تكون قد ضاعت، أو على الأرجح أنها نسييت من ذاكرة النبي (ﷺ)، أو محاها الرسول أو كلف أحداً من أصحابه بذلك.

وأما خصائص السور المرتبة نزولياً على فترات الوحي، فلم يختلف ما قاله بلاشير عما قرره نولدكه في دراساته ومعالجته التطبيقية لنصوص الوحي في الوحيين المكي والمدني، فبلاشير يعيد التأكيد أن الوحي في الفترة الأولى لم يهتم بإثبات العقيدة الأساسية في الإسلام ألا وهي وحدانية الله تعالى^(٤)

ثم يتحدث عن صفة نصوص الوحي في هذه الفترة، فنصوصه تتميز بالطابع الغنائي والسياق المذهل، وبوحدة الأسلوب غير أنها تستخدم السجع بتتابع على شكل قافية شديدة الوقع، وتظهر الأقسام في أغلب السور، وتؤلف العبارات صيغاً من الكلام السحري ذي الطابع الغنائي^(٥)

١ - بلاشير، ريجيس، القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ص ٢٦

٢ - المرجع السابق ص ٤٤

٣ - انظر، المرجع السابق، ص ٢٨-٢٩

٤ - انظر، المرجع السابق، ص ٥١

٥ - المرجع السابق، ص ٥٤

وأما زعمه عن السجع، فإن القرآن قد ذمّه، واسلوب الوحي في الخطاب ليس فيه شيء منه، وفواصل الآيات القرآنية هي على خلاف تماماً من السجع، فإذا كان المعنى يتبع اللفظ في السجع، فإن الفواصل القرآنية ذات أسرار ودلائل في خاتمة الآيات القرآنية، والمعنى فيها هو المقصود، فمع ما فيها من بداعة اللفظ، فإن براعة المعنى يتجلى للعيان لكل ذي لب.

وأما مسألة الأقسام فإنها من مظاهر جمال الأسلوب القرآني، فمع التنوع بالقسم بين لقسم بالواو، والقسم بضيغة (لا أقسم)، والتنوع في المحسوسات الرضية والعلوية، والقسم ببعض المعنويات، فإن للقسم دلائل عظيمة في لفت أنظار المعاندين إلى القدرة الإلهية؛ لإثبات وحدانية الله تعالى، وإقامة الحجة عليهم.

وكذلك يقال عن تغيير الأسلوب القرآن في الخطاب من القصر إلى الطول، فإن القرآن الكريم قد راعى سليفة القوم، والأسلوب مرتبط بالموضوع، وأسلوب القرآن في الآيات القصيرة والطويلة واحد في الجمال والروعة.

ويقول: "وأما سور الفترة الثانية من المرحلة المكية، فتشهد عداوة متزايدة من المشركين في وجه محمد (ﷺ)، ولكي تبلغ الدعوة غايتها، فلا بد وأن ترجع إلى أساطير وقصص كانت معروفة في الجزيرة العربية، مع استخدام قصص مأخوذ من التوراة حيث يتتبع القرآن الديباجة التوراتية عن كتب" (1)

ومثل هذا الزعم من بلاشير الذي ردد فيه كلام نولدكه مخالف للوقائع، فإن الدراسات الأثرية تثبت قصتي هود وصالح عليهما السلام التي أعدها نولدكه وبلاشير من الأساطير؛ لعلها لم تذكر في العهد القديم من الكتاب المقدس.

وأما مسألة أن القصص القرآني يأخذ عن قصص التوراة فهذا يردده واقع حال النبي ﷺ إذ أن العقلاء يحكمون بأن رسول الله ﷺ لم يجلس إلى معلم، فكان الإخبار بهذه القصص من أكبر الدلائل على نبوته، ثم إن القصص القرآني قد برأ الرسل مما افتري عليهم في أخص صفاتهم وهي العصمة، والتشابه في بعض القضايا التي أخبر بها القرآن وما جاء في العهد القديم والجديد ليس دليلاً على الاقتباس، بل برهاناً على أن القرآن الكريم الذي أوحى به إلى محمد ﷺ، وكذلك الكتب السماوية السابقة على أنها قد نزلت من مشكاة واحدة.

١ - بلاشير، ريجيس، القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، مرجع سابق، ص ٥٥ - ص ٥٦ باختصار

ويقول: "وأما سور الفترة الثالثة، فهي امتداد لسور الفترة السابقة، وليس في نصوص هذه الفترة تجديد أساسي لا في الموضوعات، ولا في طريقة طرحها، غير أنه يؤكد على أن أسلوب الوعظ الحاضر في سور هذه الفترة كان مستخدماً في الفترتين السابقتين"^(١)

وأما مسألة التجديد في الأسلوب والموضوعات، فنضرب مثلاً على تهافت هذا الزعم بقصة نبي الله موسى عليه السلام، والتي يتكرت أكثر من غيرها في القرآن الكريم، فهذه القصة تكرت في هذه الفترة، وبأساليب متنوعة، ولكنها في كل مرة جاءت بشيء جديد.

وحول حديثه عن رسالة القرآن في المدينة، فقد ربط بين الإطار الاجتماعي والديني الذي يخضع فيه المؤمنون لشريعة جديدة مرتبطة بوحى القرآن، وهذا غير صفة النبي صلى الله عليه وسلم من كونه "مبشراً في الصحراء إلى كونه زعيم أمة تحكم باسم الله"، ثم تحدث عن العلاقة التي ترتبت على ذلك مع اليهود في المدينة، ومشركي قريش^(٢)

وكان ينبغي على بلاشير أن يقر بأن من الطبيعي أن ينظم النبي صلى الله عليه وسلم الحياة الاجتماعية وشؤون المجتمع الجديد بعد تكمونه في المدينة المنورة بعد الهجرة، إذ إن الوحي الذي نزل ليصلح أحوال الناس في تحويلهم من عبادة الأوثان إلى عبادة الله تعالى - قد نزل لإصلاح أحوالهم الحياتية، فهذا من وظائف الوحي، فليس من تعارض بين مهمة النبي صلى الله عليه وسلم، وتنظيم المجتمع وإدارته.

ويقول: "آيات الوحي بعد الهجرة تكشف عن إتمام تطور ابتداء منذ نهاية التبشير في مكة، وتمكن غالباً من ملاحظة الإطناب في وحدات الأسلوب المفقاة بقافية، ولكن المنزلات المتلقاة في المدينة تشهد على العموم اتصالاً دائماً وانسجاماً دائماً مع متطلبات دعوة غير منفصلة عن الواقع. ويعثر فيه كذلك عن موضوعات عولجت في مكة كالقصص والتحذير للمؤمنين أو التحذير للمشركين... إلا أن الوحي الذي تلقاه النبي صلى الله عليه وسلم في الظروف الجديدة يعطي الأفضلية والأولوية لموضوعات أخرى أكثر قرباً وارتباطاً بالأحداث الجارية"^(٣)

١ - بلاشير، ريجيس، القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ص ٧٥-٥٨ باختصار

٢ - المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧ باختصار، وهو يشبه في هذه المقدمة طريقة تولدك في التقديم للترتيب الزمني للسور المدنية حيث تحدث عن تبعات الهجرة، وطبيعة العلاقة التي صارت بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم واليهود والمنافقين.

٣ - المرجع السابق، مرجع سابق، ص ٧٠-٧١ باختصار

والوحي قد راعي في تنزله بموضوعات القرآن الكريم أحوال المدعويين، والأوضاع التي كانوا يعيشونها، والأحداث التي تنزلت آيات القرآن بشأنها سواء اتصل ذلك بجانب العقيدة أم بجانب الإيمان.

ومن آثار تطبيق المنهج التاريخي في دراسة السور القرآنية زمنياً عند تولدكه الزعم بانعدام الترابط بين الآيات والسور القرآنية، فالقفز من موضوع لآخر يشعر به القارئ بكل سهولة، ولعل هذه النتيجة البحثية لتولدكه أعجبت بعض الباحثين مثل جاك بيرك حين أكد أن الترتيب للسور القرآنية كما ورد عن النبي ﷺ دليل على انعدام الترابط، بل الوصول إلى درجة التناقض^(١)

يعتمد الكاتب بيرك ترتيب تولدكه الزمني للسور القرآنية المكية والمدنية إلى ثلاث مراحل^(٢)، ولكل سور مرحلة خصائصها الأسلوبية، فالمرحلة الأولى تندفع الدعوة بقوة، ويتسع الإيقاع في الثانية ويصبح شارباً، وفي الثالثة يختار النص الأسلوب البلاغي كما يسود المنطق التشريعي^(٣)

ويعيب بيرك على القرآن التكرار فيه من خلال ترتيبه في المصحف، ثم القفزات الفجائية والمرور دون انتقال من موضوع لآخر، ليعود إلى الموضوع الأول أو موضوعات أخرى. ويضرب بسورة البقرة مثلاً على تعدد الموضوعات، وكيف أن الوحدة تتفرق مع تكرار ونقله فجائية من موضوع لآخر^(٤)

وكان يجب على جان بيرك أو على الأقل تلاميذه الإطالة على دراسة الأستاذ الدكتور محمد عبدالله دراز رحمه الله تعالى في كتابه (النبأ العظيم)، وكيف كشفت دراسته عن الوحدة الموضوعية في سورة البقرة^(٥)

١ - بيرك، جاك، إعادة قراءة القرآن الكريم، ترجمة وائل غالي، دار النديم، ط١، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٦٧ ويضرب المؤلف مثلاً على ذلك من سورتي الأنفال والتوبة.

٢ - قسم تولدكه السور المكية على مراحل ثلاث، والمدنية جعلها في مرحلة واحدة، وجان بيرك لم يذكر إلا مرحلتين بالاسم وهما المكية والمدنية، فلم يذكر اسم المرحلة الثالثة، ولعل الأمر اختلط عليه في فهم تقسيم تولدكه.

٣ - بيرك، إعادة قراءة القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٦٩ باختصار

٤ - انظر مع الاختصار، المرجع السابق، ص ٧٩-٧٧

٥ - انظر، دراز محمد، النبأ العظيم، مرجع سابق، ص ١٦٣ وما بعدها، حيث جعل السورة في مقدمة تتضمن تعريفاً بالقرآن، وأربعة مقاصد، الأول متعلق بدعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام، والثاني متعلق بدعوة أهل الكتاب

ومن المستشرقين الذين تأثروا بأراء نولدكه في موضوع الوحي (جون بورنون) في كتابه جمع القرآن، حيث يعلق على رواية أن النبي (ﷺ) قال لابن مسعود (رضي الله عنه) لقد أنسيتها البارحة، فيذكر أن نولدكه استغل هذه القصة ليجمع أنها قدمت إثباتاً بأن محمداً أتلف بعض الأجزاء بيده، ثم يعد بورنون ذلك كشاهد تاريخي على عمليات الحذف في القرآن سواء في حالات الغضب، أو سوء التصرف، أو من خلال السلطة الإلهية^(١)

كان من تأثير نولدكه المباشر في زميله في مدرسة الكتاب المقدس جولدزيهر عندما استشهد الأخير بقوله حول علاقة الوحي بالسجع في السور الأولى في النزول، فكانت على الشكل الذي تعود الكهان القدماء وضع نبواتهم فيه، فلو جاء النبي محمد (ﷺ) بوحي في شكل آخر لما اقتنع عربي أنه قرآن موحى من الله، على أن محمداً قد أكد أن جميع ما أتى به هو من الوحي الإلهي^(٢)

ويؤكد ما ادعاه نولدكه حول تغير أسلوب الوحي نظراً لعدم استقرار ظاهرة الوحي نفسها، وتأثرها بالحالة العصبية والنفسية التي كانت تصيب النبي (ﷺ)، فانعكس ذلك على أسلوبه أيضاً متحدثاً عن السجع كمثال على ذلك فهو في السور المكية جاء في فقرات مسجوعة منقطعة وفق صوت ضربات قلبه المحموم، بينما اتخذ الوحي الشكل السجعي في الفترة الثانية ولكن مجرد من اندفاعه وقوته حتى في الحالات التي أعاد فيها محمد طرق الموضوعات التي تناولها في السور المكية^(٣)

وحول عالمية الوحي ينقل عن نولدكه أن خطط النبي (ﷺ) كانت ترمي إلى ميادين أوسع، فهو كان على يقين من الالتقاء بالروم، وأوصى أصحابه بغزو الإمبراطورية البيزنطية، وما جرى من فتوحات بعد مؤنة كانت بمعرفة هؤلاء الأصحاب الذين هم أدري الناس وأكثرهم اطلاعاً على نواياه ومشروعاته، لهي أحسن تفسير لإرادته الخاصة في هذا الصدد، ثم يقول جولدزيهر: ويعلق

دعوة خاصة لترك باطلهم، والثالث في ذكر الوازع الديني لملازمة الشرائع، والخاتمة في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة.

^١-BURTON, JOHN, THE COLLECTION OF QURAN, Cambridge University, London, First published 1970, paper back 1979, p:199

^٢ - جولدزيهر، إجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، مصدر سابق، ص ١٥

^٣ - المصدر السابق، ص ١٥

نولدكه أهمية كبيرة على الآيات القرآنية المنزلة بمكة، والتي تمثل النبي (ﷺ) رسولاً ونذيراً يعث للناس كافة أي للعرب والعجم^(١)

نولدكه نفسه في بحثه لسورة الجن تحدث قائلاً: نحن نعلم من مصادر مختلفة أن محمداً اعتقد بكل جدية أنه كان عليه أيضاً أن يبشر الجن^(٢)

ولكي يفر نولدكه من الإقرار بعالمية دعوة القرآن لا يجد أمام قوله تعالى: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً" (الأعراف: ١٥٨)، إلا أن يجعل هذه الآية إضافة مدنية بعد الهجرة ويبد النبي ﷺ نفسه^(٣)

وتجاوز تأثير نولدكه المستشرقين إلى التأثير في دوائر المعرفة الغربية كدائرة المعارف البريطانية، ودائرة المعارف الإسلامية، فقد أسند إليه المستشرقون الإنجليز تحرير معظم المواد المتصلة بالشرق والشرقيين في دائرة المعارف البريطانية، ودائرة معارف الكتاب المقدس^(٤) وليس هذا فحسب فعلاوة على تحريره لمادة القرآن في دائرة المعارف البريطانية، تأثر كاتبو دائرة المعارف الإسلامية بأبحاثه ومقالاته حول القرآن، وكذلك ظهر تأثيره في دائرة معارف بوردا الفرنسية على التعريف بالقرآن وفقاً لمنهج نولدكه الساعي إلى البحث عما يسمى بـ (مصادر القرآن). وهو هدف استشراقي يسعى إلى وضع تاريخ للقرآن، كما تم وضع تاريخ للتوراة ولبقية أسفار العهد القديم^(٥)

إن عملية المقارنة بين ما كتبه نولدكه عن الوحي، وترتيب السور زمنياً وما معروض في دائرة المعارف البريطانية يدل على اليد الطولى لنولدكه في تحرير هذه الدائرة المعرفية، وفيما يأتي بعض هذه الأمور:

- ١ - المصدر السابق، ص ٢٧٢
- ٢ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ١١٩
- ٣ - انظر، المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٤
- ٤ - المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان، مرجع سابق، ص ١٣، كتب ذلك فؤاد حسنين، وقد تقدم ذلك في الفصل الأول في مبحث مكانة نولدكه في الاستشراق.
- ٥ - حسن، محمد توفيق، الإسلام في الكتابات الغربية، مجلة عالم الفكر، العدد الخاص دراسات إسلامية وزارة الإعلام، الكويت ١٩٨٤م، ص ٤٠-٤١، نقلاً عن ندوة مجمع الملك فهد (القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية)، البحث ٢٩، ص ١٣.

أولاً: أسلوب وحي محمد (ﷺ) في السور الأوائل قريب من السجع الذي كان يستعمله كهنة زمانه، ولكن أسلوب السجع قل نسبياً عندما أصبحت الآيات تعالج أموراً ظرفية، وبنات أطول تدريجياً، وهناك أيضاً تغيير في الأسلوب اللغوي، إذ تميزت السور الأوائل بالإيجاز والتعبير الحية، والقوة الشعرية، بينما نجد أن السور الأواخر أصبحت مفصلة معقدة، وفي بعض الأحيان غير مثيرة في مظهرها ولغتها.

ثانياً: ترتيب النزول والتاريخ الزمني للسور: استخدم الباحثون الأوروبيون معايير الأسلوب والمحتويات لتحديد الترتيب النسبي للسور، أو لبعض منها، ومنذ نشر ثيودور نولدكه كتابه تاريخ القرآن (١٨٦٠م) أصبح من المعتاد تقسيم السور على أربع مجموعات مستمدة من ثلاث مراحل زمنية في مكة، وأخرى مدنية.

ثالثاً: تأثير الروايات الكتابية خاصة اليهودية في سرد الكثير من القصص للشخصيات والأحداث، وكذلك في الموضوعات ذات الصبغة الوعظية.

رابعاً: قد حفظ القرآن عن ظهر غيب كانت الطريقة العادية لحفظه، وأن الآيات القرآنية لم تدون إلا في مناسبات خاصة، ثم إن وجود عدد متنوع من مجموعات قديمة للنص القرآني يبدو أمراً له ما يعضده بالرغم من عدم إمكانية تحديد طبيعتها ومحتوياتها^(١)

وأما عن تأثير نولدكه في دائرة المعارف الإسلامية، ففيما يلي بعض هذه المواضع:

أولاً: تحدثت الدائرة - نقلاً عن نولدكه - تحت مادة " أصل " أن القرآن هو أول مصادر التشريع، وأكثرها قيمة، وليس من هناك من شك في إمكانية قطعية ثبوته، وتترجمه عن الخطأ بالرغم من سعي الشيطان لتخليطه (سورة الحج: ٥١) إشارة إلى قصة الغرانيق^(٢)

وجاء فيها كذلك: "كما أنه ليس من شك أيضاً في أنه وصل إلينا من غير ترتيب على الرغم من نسيان الرسول (ﷺ) لعدة من آيات الكتاب (البقرة: ١٠٠، سورة الأعلى: ٦ وما بعدها)^(٣)

ثانياً: نقلت عنه في بحثها لموضوع نسخ آيات القرآن في أن المفسرين المتأخرين كان مهم التخلص من المتناقضات الواردة في القرآن، والتي تصور لنا تدرج محمد في نبوته، إما بما عمدوا

^١ - The Encyclopaedia Britannica عن النص الذي ترجمه الأستاذ مفران كزو ضمن كتاب (قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ص ٢٥٤ وما بعدها، مع تصرف في العبارة. "المقالة غير واردة تحت مادة القرآن، وإنما تحت عنوان فرعي هو مصادر الآراء العقائدية والاجتماعية في الإسلام، والعنوان الفرعي مدرج ضمن مادة " محمد والدين الإسلامي"، المجلد ٢٢، الطبعة الثالثة عشرة المترجم.

^٢ - دائرة المعارف الإسلامية، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٦٦

^٣ - المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦٧ وما بعدها.

إليه من التوفيق فيما بينها، وإما بالاعتراف بأن الآيات المتأخرة تتسخ ما قبلها، وذلك في الآيات التي يشتد فيها التناقض^(١)

ثالثاً: نقلت رأي نولدكه في فواتح السور أنها اختصارات لأسماء مدوني القرآن، ولكنه عدل عن هذا الرأي عندما قرأه دراسة عميقة^(٢).

رابعاً: "لأن نولدكه كان مقتنعاً بضرورة ترتيب القرآن ترتيباً على غير الطريقة الإسلامية، فقد رسم لنفسه منهجاً جديداً استطاع به أن يشغل أذهان المستشرقين جميعاً الذين علقوا عليه أخطر النتائج في الدراسات القرآنية"^(٣)، فلذلك كان لزاماً على دائرة المعارف الإسلامية أن تذكره وهي تتحدث عن ترتيب السور زمنياً على فترات الوحي، بل ذكر الخصائص المميزة لسور كل فترة من المراحل الأربع^(٤)

وبعد صدور دائرة المعارف الإسلامية بفترة قام المستشرقون باختصارها في مجلد واحد حمل اسم " SHORTER ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM " فيه خلاصة الفكر الاستشراقي المتعلق بالدين الإسلامي^(٥)

مما حوته هذه الدائرة المختصرة ما تكلم نولدكه عنه أيضاً في قضية أن تدوين الوحي في أول الدعوة كان مجرد مشروع فقط، فترتب على ذلك أن ضاع الكثير من الوحي، وهذا ما رددته دائرة المعارف الإسلامية المختصرة أيضاً^(٦)

ومما ادعته هذه الدائرة المختصرة ما يتعلق بسورة الفاتحة حيث تذكر تماماً رأي نولدكه، وهو أن السورة لا تتضمن شيئاً إسلامياً، وإنما كل الذي فيها هو ألفاظ يهودية ونصرانية^(٧)

١ - دائرة المعارف الإسلامية، ج ٢، ص ٢٧٣.

٢ - انظر، موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير، م.ت. هوتسمات و. أرنولد و. ر. باسيت ر. هارتمان، مراجعة حسن حبش وعبدالرحمن الشيخ ومحمد عناب، أ.ج. بريل، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ص (٨٢٠)

٣ - الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص ١٩٣

٤ - موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص ٨٢١٣

٥ - انظر، عوض، إبراهيم، دائرة المعارف الإسلامية أضاليل وأباطيل، ط ١، دار البلد الأمين، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٥

٦ - انظر، المرجع السابق، ص ١٤

٧ "هل يجوز عند من أوتي حظاً من الفهم أن يترك من آمن مع رسول الله ﷺ دين آبائهم، ثم يعرضون أنفسهم لتبعات إيمانهم بما تنزل من الوحي على النبي ﷺ، ثم بعد ذلك لا يهتمون بتسجيل وتدوين هذا الوحي الذي آمنوا به فيضيع جزء كبير منه والنبي بين أظهرهم، وفيهم من يقن القراءة والكتابة كالصديق أبي بكر، وأبي عبيدة، والزيبر وغيرهم من الصحابة ؓ" انظر، "دائرة المعارف الإسلامية أضاليل وأباطيل" مرجع سابق، ص ١٤

ويردد كاتب المقال عن القرآن الكلام نفسه الذي رده حول قصة الغرائيق فيقول: "لا يمكن أن تكون هذه القصة زائفة؛ لأن المسلمين لا يمكن أن يكونوا هم الذين اخترعوها لما في ذلك من إساءة للرسول والإسلام"^(٢)، وللقارئ أن يقارن بين هذه السطور وكلام نولدكه وهو يتحدث عن هذه القصة "قمن البديهي ألا يكون المسلمون قد اخترعوا شكوكاً من هذا النوع حول نبيهم"^(٣)

وقصة الغرائيق مردودة سنداً ومنتأ، وروايتها في بعض كتب التفسير لا يدل على أنها صحيحة معتمدة، فإما أن من رواها قد ذكرها؛ للتنبية على ضعفها، أو يكونوا من الذين يولعون بذكر القصص والغرائب، وإلا فإن القصة لم ترد بسند يعتد به، ثم عن السياقات القرآنية التي تدعو إلى التوحيد تدفع ذلك كله، بل رفض بعض المستشرقين -كم تقدم في موضعه- الاعتراف بها مثل المستشرق الإيطالي ليوني كتاني.

لقد أشاعت كتب نولدكه ومقالاته داخل دوائر المعرفة أوهاً تشكك غير المسلمين وبعض المسلمين في حقيقة الوحي لنفي ألوهيته، وإشاعة بشريته"^(٤) إن نولدكه قد عدّ مرجعاً رئيساً في دراسة الوحي القرآني عند المستشرقين فكل من جاء بعده يحيل إليه آراءه التي تبناها على أنها مسلمات من غير تحييص ولا مناقشة، وبهذا مكن نولدكه الاشتراق والمستشرقين من الجرأة على الوحي القرآني، وعلى شخص النبي ﷺ.

١ - انظر، عوض، إبراهيم، دائرة المعارف الإسلامية أضاليل وأباطيل، قال الكاتب: "هل البسمة إلا شيئاً إسلامياً في مقابل باسمك اللهم عند الوثنيين، وباسم الأب والابن والروح القدس عند النصارى، وهل رب العالمين إلا كذلك في مقابل اعتبار اليهود الله إلهاً خاصاً بهم، وهل يوم الدين كذلك أيضاً في مقابل سكوت العهد القديم عن الحديث عن الآخرة والحساب والجزاء، وهل "إياك نعبد وإياك نستعين" كذلك الأمر في مقابل عبادة النصارى لعيسى واستعانتهم به، وعبادة المشركين للأوثان، وهل "اهدنا الصراط المستقيم..إلى.. ولا الضالين" إلا تبرؤاً من اليهود والنصارى" ص ١٦ باختصار.

٢ - انظر، المرجع السابق، ص ٣٦

٣ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٩١

٤ - موقع البشارة الإسلامية، على شبكة الانترنت، الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم، عباس أرحيلة، من جهود الدراسات الاستشراقية للنص القرآني (مدرسة نولدكه)

المطلب الثاني

تأثير نولدكه في دراسات الحداثيين العرب^(١) المتعلقة بالوحي

لأول وهلة قد يستغرب القارئ في توجيه الامتتان العميق لأصدقاء عرب شاركوا في تقديم نصائح قيمة في عملية تعريب كتاب نولدكه تاريخ القرآن، ومن هؤلاء نصر حامد أبو زيد، ورضوان السيد، ومحمود أيوب^(٢)

ثم ما حصل من ربط مقدم الكتاب بين نولدكه والحداثيين من حيث بيان تركيز نولدكه على أهمية التوافق بين النص والحدث من خلال إقامة علاقة سببية بينهما، والوصول بالنص إلى أكبر قدر من الوضوح والتماسك بين أجزائه المختلفة- فنولدكه يتمسك بالنص كونه محسوساً ملموساً، ويعامله بجدية وضعية، لكنه يبدو في الوقت نفسه متحسناً لما هو وراء النص، أي لما يسميه اليوم مفكرون مسلمون حداثيون مثل محمد أركون ونصر حامد أبو زيد (الخطاب) الذي تولد منه القرآن. البحث عن بدايات الوحي محاولة أولى للتفتيش عن عناصر هذا الخطاب التفاعلي الذي تم في حياة الرسول والجماعة الأولى من المسلمين. إعادة وضع النصوص في سياقها التاريخي الحي سعي إلى استجلاء الخطاب الذي جاء بها، وهو خطاب مزدوج، فالوحي خطاب عمودي يجمع بين الموحى، والموحى إليه، وهو في الوقت نفسه خطاب أفقي أيضاً عندما يصير الوحي حقيقة في التاريخ، في تفاعل مع البيئة التي تم فيها^(٣)

١ - الحداثة هي عقلنة الحضارة، وعلمنة المجتمع، والحديث هو الجديد بمعنى المغامرة إلى المستقبل، والانفلات من قيود الحاضر وماضيه. انظر ندوة مواقف الإسلام والحداثة، معنى الحداثة، هشام شرابي، دار الساقي، ط١، ١٩٩٠، بيروت، ص٣٦٩، وقيل: هي تجاوز الفهم التراثي للتراث بروية عصرية. انظر التراث والحداثة، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١م، ص١٥

٢ - انظر تاريخ القرآن، ج١، مقدمة الكتاب لـ (جورج تامر)، صxxiv

٣ - المصدر السابق، ج١، صxxi

وأما رضوان السيد^(١) فقد دافع عن التهم الموجهة لنولده بعد صدور الترجمة العربية لكتابه تاريخ القرآن حيث قال: "وقد تعجبت وقتها من الضجة الكبيرة التي أثيرت حوله رغم أنه عادي، ما لفت انتباهي فيه تميز تقسيمه للسور المنزلة في العهد المكي إلى ثلاثة أقسام استناداً إلى تطور الموضوعات والأسلوب...، وهو يبدو شديد الموضوعية والاعتدال في آرائه تجاه القرآن والنبى ﷺ، ونجاحه مقارنة بشبرنغر وميور، لكنه ينطلق شأنه شأن المستشرقين في الثلاثينات من القرن العشرين إلى أن نبوة النبي ﷺ والقرآن على حد سواء مستمدة من موارث بني إسرائيل، لكن ليس من التوراة والعهد القديم، بل من الهاغادا"^(٢)

وأما محمد أركون فقد رفع قبعته تحية وامتناناً لنولده كونه أحد المستشرقين الرواد الذين أعطوا الأولوية للقراءة الفيلولوجية التاريخية على القرآن كما طبقت من قبل على الإنجيل بخلاف (المؤمنين الأرثوذكسين) المسجونين داخل حدود جدران العقيدة الرسمية التي تعتبر صحيحة بشكل مطلق، ولا يمكن مناقشتها والمس بها؛ لأنها فوق كل نقاش أو دراسة علمية^(٣)

تأثر أركون بمدرسة نقد الكتاب المقدس التي تطبق المنهج التاريخ الفيلولوجي على النصوص المقدسة التي جعلت أركون في ضوء ذلك يميز بين ثلاثة من أنواع الوحي القرآني:

الأول: الوحي المكي.

الثاني: الوحي المدني.

الثالث: ما استقر عليه الوحيان المكي والمدني بعد موت النبي ﷺ، وحمل اسم المصحف، ويسميه باسم النص الرسمي المغلق، أي وحياً معطى يلغي ويبطل المكانة الأولى التي عرّاهما

١- كاتب ومفكر لبناني، حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة توينغن في ألمانيا الاتحادية سنة ١٩٧٧ في تخصص الفلسفة، وهو أستاذ للدراسات الإسلامية بالجامعة اللبنانية منذ سنة ١٩٧٨م، وهو رئيس لمجلة الاجتهاد الفصلية. (موسوعة ويكيبيديا على الانترنت).

ولعل تخرج رضوان السيد من ألمانيا دليل على إتقانه للغتها، ثم دراساته في الاستشراق الألماني السبب في الاستعانة به من اللجنة التي أشرفت على ترجمة كتاب نولده.

٢- السيد، رضوان، أرشيف الملتقى على شبكة الانترنت، مقالات شهر ديسمبر، العدد ١٢٧، السنة ٢٠٠٤م.

٣- أركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، ط١، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٣٢ وهامشها.

المؤرخ، وكشف عنها النقاب، وهو يلغيها من خلال التأويل والحياة المعيشة، والتالي داخل المسار التاريخي^(١)

ويقول أركون: "على الرغم من أن المدونة القرآنية أصبحت مغلقة نهائياً، وبشكل لا رجوع عنه من الناحية اللاهوتية، فإننا نستطيع أن نقبل تاريخياً بأنها تظل مفتوحة على التحسينات النصية التي يقدمه النقد الفيلولوجي أو اللغوي التاريخي"^(٢)

يقول مترجم الكتاب: "لن نستطيع التوصل إلى ترتيب زمني دقيق وموثوق أو نهائي للآيات والسور القرآنية مهما حاولنا وفعلنا، يمكننا أن نتوصل إلى بعض التقدم في هذا المجال كما فعلت المدرسة الفيلولوجية الألمانية التي نقل بلاشير نتائجها إلى الفرنسية"^(٣)

ولكن لماذا يتكلم الحداثيون - وخاصة أركون - عن المنهج التاريخي في دراسة النصوص؟
"يمكن التمييز بين شكلين من التاريخية داخل الخطاب الحداثي"^(٤):

١- التاريخية الشاملة، والمقصود بذلك أن الأديان عموماً، والوحي بكل أشكاله والكتب المقدسة بما في ذلك القرآن ليست إلا تجليات لتطور العقل البشري، ومظاهر نمو هذا العقل عبر التاريخ والتجارب والحياة، والحديث عند الحداثيين متوجه في الأساس إلى هذه هذا النوع من التاريخية.

٢- التاريخية الجزئية أي تاريخية تصف الأحكام الشرعية بكونها لم تعد صالحة للعصر، ولم تعد تتناسب التطور الذي يشهده العقل البشري"

حول تماسك النص والتناسب فيه، يعبر عن ذلك أركون أنه من النادر أن تشكل السور وحدات نصية منسجمة فهي في الغالب تشهد تجاوزاً قد يختلف قليلاً أو كثيراً في تواريخها، وظروف الخطاب الذي لفظت فيه لأول مرة، أو من حيث مضامينها، أو صياغاته التعبيرية، فبعض

١- انظر، أركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ص ٥٧

٢- أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، ط ١، بيروت، ٢٠٠١، ص ١١٥

٣- المرجع السابق، هامش ص ١١٥

٤- الطعان، أحمد، العلاماتيون والقرآن الكريم" تاريخية النص"، ط ١، دار ابن حزم، الرياض، ٢٠٠٧م، ص ٣٠٧، بتصرف قليل.

السور كالبقرة على الرغم من طولها قد تحتوي على فكرة مركزية في وحدة نصية، ولكن ليس بحسب الترتيب التاريخي، وإنما بحسب ترتيبها في المصحف^(١)

يقول المترجم: "كلام أركون يلخص ضمناً النتائج التي توصلت إليها مدرسة نولدكه وجماعته حيث حاول ترتيب السور بشكل تاريخي متسلسل، واكتشفت الآتي:

١- اكتشفت المدرسة عدة مراحل مكية متسلسلة وعدة مراحل مدنية، على الرغم من أن نولدكه ومدرسته جعلوا سور الحقبة المدنية في فترة واحدة دون تقسيمها إلى مراحل كشأن سور الحقبة المكية.

٢- بعض الآيات قد أدمجت في سور لا تنتمي إليها في الواقع كما هي الحال في سورة الكهف. هذه الإضافات للنص القرآني قدمتها المنجية الفيلولوجية والتاريخية الألمانية المشهورة بدقتها وصرامتها^(٢)

يتخذ أركون سورة الكهف مثالاً من القرآن لتطبيق المنهجية التاريخية الفيلولوجية حيث ذهب إلى أن مقدمة السورة المكونة من الآيات (١-٨) لا علاقة لها البتة بما جاء بعدها؛ لأن ما بعدها مبدوء بحرف (أم) في آية "أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكُهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا" (الكهف: ٩)، فالآيات من (٩-٢٥) مفصولة عما قبلها، ونص الحكاية بمجملها قد تعرض لتحويلات أو لتغييرات.

يقول المترجم: "أم تشير إلى التناوب، أو التفضيل بين شيئين، ولكن لا يوجد هنا إلا شيء واحد، لا يوجد بديل تناوبي فما معنى الـ (أم) إذن؟ ألا يعني ذلك أن الآيات الأولى مقمعة على السورة، ولا علاقة لها بها كما تقول نظرية نولدكه، فما لحق من آيات لا علاقة له بما سبق"^(٣)

و(أم) هنا غير ما ذكره المترجم حيث لم تأت للتناوب، وإنما هي "منقطعة مقدره بـ (بل)، والهمزة قيل للإضراب عن الكلام الأول؛ للانتقال إلى كلام آخر، لا بمعنى الإبطال"^(٤)

١ - أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مرجع سابق، ص ١٤٦-١٤٧

٢ - المرجع السابق، قول المترجم، هامش ص ١٤٧ بتصرف

٣ - انظر المرجع السابق، ص ١٤٨ وهامشها.

٤ - أبو حيان، البحر المحيط، مصدر سابق، ج ٦، ص ٩٧

في دراسته لسورة الكهف حدد أركون تبعاً للمنهج الفيلولوجي التاريخي النتائج التي توصل

إليها:

١- الآية رقم ٢٥ من السورة تجد مكانها بعد الآية ١١؛ لأنها تنتهي بالقافية (عا) في حين أن مجمل الحكاية تشتمل على آيات مقفاة بـ(دا)، وقد ادعى كشف شذوذ لغوي في الآية، وهو التعبير بكلمة (سنين) بدلاً من كلمة سنة في آية "وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا"، (الكهف: ٢٥).

٢- الآيات من ٢٧-٥٩ لم تلحق بالحكاية السابقة، ولا بالحكاية (٦٠-٩٨) إلا عن طريق علامات القول، أو التعبير المشتركة على مدار الخطاب القرآني.

٣- في الآيات من ٦٠-٩٨ يعتبر أن الخطاب والسرد في الحكايتين الواردتين فيهما تستمدان عناصرهما من قصة الاسكندر المقدوني.

٤- الآيات ٩٩-١١٠ تعود على الخطاب التبشيري.

وفي خاتمة دراسته لسورة الكهف، فهي في نظر نولدكه عبارة عن مجرد عبارات لغوية ومعنوية مبعثرة، والتحليل الفيلولوجي فتح حقلاً كاملاً من حقول البحث والتحري، وهو حقل كان مرفوضاً أو مجهولاً من قبل الروح الأرنونكسية^(١)

أشار أركون إلى أهمية دراسة نولدكه لتاريخ النص القرآني، وجهود تلاميذه من بعده كشافلي وبرجستراستر، والتوصل إلى أن النقد الفيلولوجي للنصوص المقدسة كان قد طبق على التوراة والأنجيل، دون أن يولد انعكاسات سلبية بالنسبة لمفهوم الوحي. ومن المؤسف له أن هذا النقد لا يزال مرفوضاً من قبل الرأي العام الإسلامي، فلا تزال أعمال المدرسة الفيلولوجية الألمانية متجاهلة ومهملة، ولا يجرؤ الباحثون المسلمون حتى الآن على استعادة هذه الأبحاث، هذا على الرغم من أنها لن تؤدي إلا إلى تقوية القواعد العلمية لتاريخ المصحف، ولاهوت الوحي، في الواقع أن أسباب هذا الرفض والمعارضة لتطبيق المنهج التاريخي على القرآن هي ذات طبيعة سياسية ونفسية في آن معاً^(٢)

وأما نولدكه فإنه يقول: "لا يجرؤ على الجزم في ما إذا كان المقطعان (الغريبان) اللذين يرويان قصة موسى وذوي القرنين" الاسكندر الكبير" قد نشأ معاً، وما سبقهما في الوقت نفسه. ثمة سبب

١ - أركون، القرآن من التفسير بالمورث إلى تحليل الخطاب الديني، مرجع سابق، ص ٤٧ وما بعدها.

٢ - أركون، محمد، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٨٥-٨٦.

ضعيف لتعلق بعض هذه المقاطع ببعض الآخر. ومقاطع السورة الثلاثة التي تضمنت الإجابة على أسئلة اليهود الثلاثة لا صلة بينها. الأهم من ذلك هو أن الأساطير المذكورة هي من صلب الأدب العالمي الذي كان معروفاً في ذلك الوقت، ولا أدل عليه من تساوي الفاصلة الذي لم يكن من وليد الصدفة، بل من كون هذه المقاطع محددة منذ البداية لتجتمع في سورة واحدة^(١).

وربما لم يكن من الصدفة، أن يكون نصر حامد أبوزيد ممن توجه لهم التحية والامتنان من مدارس الغرب، لو لم يكن في طرحه مقارباً لطرح نولدكه، وفيما يأتي بعض الطروحات التي تتشابه فيما ادعاه نولدكه في موضوع الوحي:

أولاً: لا يجد نصر أبوزيد ثمة حرج في الربط بين الكهانة والوحي، حيث يدعي ارتباط ظاهري الشعر والكهانة بالجن في العقل العربي، وما ارتبط بهما من الاعتقاد بإمكانية الاتصال بين البشر والجن هو الأساس الثقافي لظاهرة الوحي الديني، ولو خلت الثقافة العربية قبل الإسلام من هذه التصورات لكان استيعاب أمر الوحي مستحيلاً^(٢).

وعبارته هذه تشابه عبارة نولدكه في هذا الشأن إذ يقول: لقد اعتقد العرب قبل الإسلام بوجود صلة خاصة بين الكاهن والجن، لكن إيمانهم هذا ليس على الشكل الذي يصوره الكتاب المسلمون بأن الجن والأبالسة كانوا يصعدون إلى السماء، ويسترقون السمع إلى الملائكة، ويبلغون ما يقولونه على الكهان^(٣).

ثانياً: في موضوع النسخ لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا جاء بها مما ورد على أنه منسوخ، مما يتعلق بنسخي التلاوة دون الحكم أو نسخ التلاوة والحكم معاً، أو ما جاء في بعض الآثار أن في القرآن سقطاً وضياًعاً، فقد كنا نتمنى من أحد دعاة قراءة النص الذين أرادوا إسقاط سلطته وسلطانه - كنا نتمنى أن يستخدم منهجه العقلي في نقد النصوص، وأن يتنبه إلى أن في الروايات التي:

- ١- ساقها روايات ضعيفة مجمع على ضعفها.
- ٢- ذكر بعضها وجاءت بأسانيد صحيحة تخضع لمنهجية نقد المتن، وأنه ليس من الضروري أنه إذا صح السند صح المتن.

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٢٨ وما بعدها، بتصرف.

٢ - أبوزيد، نصر حامد، مفهوم النص، ط ١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٣٤

٣ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، هامش ص ٧٠، رقم الهامش ٢٢٤

وفي طرحه لموضوع النسخ نجد النية المبيّنة من قبل بعنوانه للمبحث "النسخ وأزلية النص" أي أنه يطرح النسخ كموضوع يسبب مشكلة وإشكالية في دعوى المسلمين بأزلية النص كونه وحى منزل من عند الله تعالى، فالقول بالنسخ عنده "لا يقضي فقط على التصور الأسطوري لوجود النص في اللوح المحفوظ، بل على النص ذاته"^(١)

وحدثي آخر يقلل من أهمية أن يكون قد حصل في القرآن تغيير من إضافة أو إسقاط أو تكرار؛ لأن ذلك لا يؤثر كونه كان في مواضع ثانوية، ولم يكن تغييراً كبيراً. لكن المؤرخ لحياة محمد ودعوته يجد في القرآن النواة الأولى للأحداث غير مفصلة، ويمكنه بعد ذلك الاهتداء وأخذ التفاصيل من مصادر أخرى، ثم يواجهها بما هو وارد في القرآن، ولا بد في ذلك كله من الاستعانة بالترتيب التاريخي للآيات والسور حسب نزول الوحي، فهو ما يمكن الباحث من اعتماد النص القرآني كشاهد على تاريخ محمد عامة، وتاريخ الفترة النبوية خاصة، والعمدة في الترتيب التاريخي هو نولدكه مع مراجعات بلاشير^(٢).

ولا يتجاوز في الحديث عن عناية الوحي ما ادعاه نولدكه من قبل في تاريخ القرآن، ثم ما أكده بلاشير تبعاً من كون سور الفترة المكية لم تهتم بالتوحيد، فلم يكن هو المحور الرئيس، وإنما كان اهتمامها هو الإنذار بقيام القيامة، حيث يدعي - في دراسته التي يطبق فيها المنهج الفيلولوجي النقدي لدراسة تاريخ محمد ودعوته، ومصادر الإسلام الأولى - أن متابعة النص حسب وروده التاريخي بدل ترتيبه المعروف في المصحف يبين أن المحور الذي بدأت به الدعوة في مكة لم يكن التوحيد هو المحور الرئيس فيها، وإنما تضمن قرآن الفترة المكية الأولى ذكر إشارات للتوحيد فقط، وإنما كان المحور هو الإنذار بنهاية الزمان، وبدأ التوحيد والتعرض لألهة قريش مع سورة النجم، وما تلاها كالإخلاص والكافرون في الفترة المكية الثانية* حسب ترتيب العالمين الكبيرين نولدكه وبلاشير في تقسيم السور المكية إلى ثلاث فترات، والسور المدنية في فترة واحدة^(٣)

١ - أبوزيد، نصر حامد، مفهوم النص، مرجع سابق، ص ١٣٤

٢ - انظر، جعيط، هشام، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، منتدى اللادينيين العرب على شبكة الانترنت، (مختارات من الكتاب - محمد ودعوته من وجهة نظر تاريخية وأنتروبولوجية)، محمد الحداد، تاريخ الدخول ٢٠٠٩/٦/١٤ م.

* في ترتيب السور على فترات الوحي عند نولدكه نجد سورتي الإخلاص والكافرون في الفترة المكية الأولى، وليستا في الثانية كما ذكر الكاتب. انظر، تاريخ القرآن، ج ١، ص xxxvi

٣ - انظر، جعيط، هشام، كتابه السابق، منتدى الأوان، مختارات من الكتاب، محمد الحداد، تاريخ الدخول، ٢٠٠٩/٦/١٤ م.

وإذا كان نولده قد أراد أن يربط بين الوحي والبيئة المعاصرة للنزول، فحاول بكل ما أوتي من قوة أن يربط بين الآيات والحوادث، فإن الحدائين قد ساروا على هذا الاتجاه أيضا فهم يدعون أن كل آيات القرآن لها أسباب نزول، أو أن الآيات التي نزلت ابتداء، وبدون سبب قليلة جداً، وبنى على ذلك القول بتاريخية القرآن أي أنه مرتبط بعصره وزمانه الذي نزل فيه، وأسبابه التي تنزل من أجلها^(١)

يقول نصر أبوزيد: "كل آية أو مجموعة نزلت عند سبب خاص استوجب إنزالها، وأن الآيات التي نزلت ابتداء دون علة خارجية قليلة جداً"^(٢)

"وإحصاء أسباب النزول الواردة تؤكد أن ٩٠% من آيات القرآن قد نزلت ابتداء دون سبب نزول، وما تبقى من نسبة الـ ١٠% لم يكن كلها أسباب نزول، بل في كثير منها مناسبات نزول"^(٣)

ولهذا فإنه لا غرابة أن يشارك بعض الحدائين في مهمة تعريب كتاب نولده لو لم يكن هناك تلاقٍ بين ما زعمه نولده ودراساتهم المتعلقة بالوحي القرآني. ومن أجل ذلك وجهت التحية لهؤلاء من رئيس اللجنة التي أشرفت على تعريب كتاب نولده؛ لمساعدتهم في إنتاج هذا المشروع من خلال (النصائح القيمة) التي أسدوها.

١ - الطعان، أحمد، العلمانيون والقرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٤٧٦

٢ - أبوزيد، نصر، مفهوم النص، مرجع سابق، ص ١٠٩

٣ - عمارة، محمد، سقوط انقلا العلماني، ص ٢٥٤-٢٥٥ عن العلمانيون والقرآن الكريم، أحمد الطعان، مرجع سابق، ص ٤٧٨ - ٤٧٩

المبحث الثاني تأثير نولدكه في الدراسات القرآنية المتعلقة بالوحي

ربما لو قدر أن اطلع الباحثون في الدراسات القرآنية من المسلمين على دراسة نولدكه في بداية اشتهارها⁽¹⁾، وما راج في هذا الكتاب من أبحاث عن حقيقة الوحي تحديداً- ربما لم يكن الوضع الذي صار عليه العديد من الباحثين في الثناء على الرجل وامتداح طريقته في ترتيب السور تاريخياً.

ولكن الذي صار أن ما صدر من الكتاب كان عبارة عن فقرات قليلة، وهي في مجملها تحمل الثناء والمدح للرجل، غير أن دراسته للوحي، ودراسته التطبيقية على الترتيب التاريخي لم تعرف بالتفصيل إلا بعد ترجمته العربية الجديدة.

هل ننتظر من الذين كالموا الثناء والمدح لنولدكه أن يتراجعوا عن ذلك، بعد ظهور نتائج دراساته الاستشراقية على وحي القرآن، وآثارها التي امتدت قروناً في الدراسات الغربية على القرآن الكريم.

آراء ما زالت سارية في البحوث عند بعض الباحثين ممن كتب في الدراسات القرآنية على أنها لنولدكه، والتحقيق يكشف أنه تراجع عنها إلى غيرها، وآخرون يعتمدون رأياً يُظن أنه من بنات أفكار نولدكه، ومنهج سار عليه، وهو لغيره.

¹ - انظر، موقع معابر على شبكة الانترنت، مقالة جورج مسوح: 'كتاب ونعرات طائفية' حول منع تداول كتاب تاريخ القرآن للمستشرق نولدكه بعد صدور الترجمة العربية له في لبنان، وسحبه من المكتبات بأمر رسمي.

المطلب الأول في قصص القرآن

عندما نقرأ قول نولدكه: "أعلن محمد عن سور أعدها بتفكير واع وبواسطة استخدام قصص من مصادر غريبة مثبتة، وكأنها وحي حقيقة من الله شأنها شأن البواكير التي صدرت عن وجدانه الملهب انفعالاً"^(١)

هل يتصور أحد بعد صدور هذا الكلام من نولدكه، واتهامه الصريح للنبي ﷺ باقتباس القصص من مصادر كالأساطير أو الأدب المعروف في ذلك الزمان، فهل يمكن التصور أن باحثاً أثرت ضجة كبيرة على بحثه حول القصة في القرآن أن يكون هذا الباحث من الذين تأثروا بمقولة نولدكه، فقرر ذلك في بحثه.

الكاتب هو محمد أحمد خلف الله، وبحثه - وهو الآن كتاب مطبوع - هو الفن القصصي في القرآن، فأول وهلة قد يستبعد العقل ذلك لتباعد آحاد الزمان ثم المسافات بين الرجلين.

ولكن هل يمكن أن تخف حدة هذا الاستبعاد قليلاً عندما نقرأ ثناء من أستاذ خلف الله وهو الشيخ أمين الخولي لنولدكه ولكتابه تاريخ القرآن حيث يقول: "وقد أفرد ما حول القرآن من تلك الموضوعات - يقصد النزول والجمع والقراءات وغيرها - حديثاً بالعناية عند من يمارسون هذه الأبحاث من الغربيين، وكان أجل من كتب في ذلك منهم الألماني نولدكه صاحب كتاب تاريخ القرآن الذي اشترك في تحقيقه نفر من علماء الألمان"^(٢)

وهل تخف حدة الشك في اطلاع خلف الله على أعمال نولدكه في كتابه إذا ما علمنا أن شيخه وأستاذه أمين الخولي أيضاً كان يرغب بترجمة كتاب نولدكه.

يقول رضوان السيد: "والطريف أن مستشرقاً ألمانياً معاصراً لفلهاوزن هو تيودور نولدكه لقي كتابه عن "تاريخ القرآن"، شهرة كبيرة لدى الأكاديميين العرب، مع أن أحداً لم يترجمه، وما قرأه كثيرون بالألمانية أيضاً. وقد سألت عبد الرحمن بدوي بالقاهرة أواخر الستينات عن سبب شهرة

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٦

٢ - دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣٦٩

نولده وكتابه لدى العرب والأترك، وتكرار اسمه في الدروس، فأخبرني أن الشيخ أمين الخولي قرأ الكتاب، ورجب في ترجمته، ثم تراجع عن ذلك"^(١)

وهل تزداد حدة الشك في اطلاعه على الكتاب أو أفكاره عندما نقرأ على لسانه قوله: "كنت قد أحسست بحاجتي الملحة إلى الاطلاع على ما يفعله علماء الغرب حين يدرسون الأدب وتاريخه، فاستجبت لهذا الإحساس، وقرأت بعض الكتب التي تعالج هذه المسائل"^(٢)

وإذا اطلعنا على دراسته للقصص القرآني وجدنا الكاتب ينحو بالقصة القرآنية المنحى الأدبي أي أن القرآن لم يهتم بذكر القصة من أجل التأكيد على الحقائق والسنن التاريخية لأحداث القصص مع النواحي التربوية الإيمانية التي تدعو إليها، وإنما لمغزى أدبي فقط.

"قصة أصحاب الكهف موقف من لا يحكي الحقيقة التاريخية، وإنما يحكي أقوال اليهود التي قد تطابق الحقيقة، وقد لا تطابقها، ومن هنا لا يصح أن يتوجه أي اعتراض على هذه القصة من حيث اختلافها مع الواقع؛ لأن تحقيق هذا الواقع ليس المقصود من القصة في القرآن الكريم... وقصة ذي القرنين يصور القرآن عند حديثه عن غروب الشمس ما يراه القوم بأعينهم، وعبارة أخرى يعبر القرآن عن مبصرات القوم كما يستطيعون رؤيتها لا حقيقة ما يقع"^(٣)

ثم يخلص إلى نتيجة مفادها أن القرآن يجري على المذهب الأدبي في فنه البياني على أساس ما كانت تعتقد العرب وتتخيل لا على ما هو الحقيقة العقلية، ولا ما هو الواقع العملي، فحديثه عن المنافقين "إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ" (المنافقون: ١) يقيم تكذيب المنافقين على أساس ما يعتقدون لا على أساس ما هو الحق والواقع"^(٤) في ضوء ذلك فإن القصة القرآنية في رأيه ليس لها علاقة بالحقيقة، وما دام كذلك فما الذي يمنع أن تكون مصدريتها من الأدب العالمي ما دام أن الناحية الأدبية هي مغزاها في النهاية.

١ - السيد، رضوان، نشوء الاستشراق الألماني وتطوراته المبكرة، مدونات مكتوب على الانترنت، تاريخ الدخول ٢٠٠٩/٥/١٨م.

٢ - خلف الله، محمد أحمد، الفن القصصي في القرآن الكريم، ط٤، سينا للنشر، مؤسسة الانتشار العربي، القاهرة، ١٩٩٩، ص٣٨- ص٣٩

٣ - المرجع السابق، ص٨٦

٤ - المرجع السابق، ص٨٧

ثم يقسم القصة القرآنية ثلاثة أقسام هي:

١- القصة التاريخية

٢- القصة التمثيلية

٣- القصة الأسطورية^(١)

والقسم الثالث هو الذي يهمننا الوقوف عليه؛ ذلك أن ما ذكره الرجل حوله يتشابه مع ما ذكره نولدكه عن قصص القرآن حيث يقول: "إن هذه النظرة تفسر لنا جانباً من الجوانب الإعجازية في القرآن الكريم فقد وضع تقليداً في الحياة الأدبية العربية، وهو بناء القصص الديني على بعض الأساطير. وهو بذلك قد جعل الأندب العربي يسبق غيره من الآداب العالمية في فتح هذا الباب، وجعل القصص الأسطورية لونا من ألوان الآداب الدقيق الرفيع...، فإذا ما قال المشركون أن بالقرآن أساطير قلنا ليس عليه في ذلك بأس وإنما البأس عليكم لأنكم قد عجزتم عن فهم مقاصده وقصرتم عن المضي معه في هذا السبيل، وإذا ما قال المستشرقون إن بعض القصص القرآني كقصة أصحاب الكهف، أو قصة موسى في سورة الكهف قد بنيت على بعض الأساطير. قلنا ليس في ذلك على القرآن من بأس وإنما هذه السبيل سبيل الآداب العالمية والأديان الكبرى، ويكفي فخراً أن كتابنا الكريم قد سن السنن وقعد القواعد، وسبق غيره في هذه الميادين"^(٢).

وهذا كلام نولدكه في سورة الكهف التي ضربها الكاتب مثالا على نظريته في أسطورية القصة القرآنية، حيث يقول عن القصص الواردة في سورة الكهف: "الأساطير المذكورة هنا - أي في السورة - هي من صلب الأندب العالمي الذي كان معروفاً في ذلك العصر؛ لهذا السبب لا يمكن أن يكون تساوي الفاصلة في الآيات وليد الصدفة، بل هو نابع من كون هذه المقاطع محددة منذ البداية لتجمع في سورة واحدة"^(٣).

هل يمكن أن يكون تشابه الآراء في القصص القرآني، ثم تماثل التعبير عن الأفكار قد جاء من طريق الصدفة، أم الباحث قد اطلع على كتاب نولدكه فاعتمد رأيه كما اعتمد آراء غيره من الغربيين في هذا المجال، غير أنه لم يشر إلى ذلك، خاصة بعد تراجع شيخه الخولي رحمه الله عن ترجمة الكتاب.

١ - خلف الله، محمد أحمد، الفن القصصي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ١٥٢

٢ - المرجع السابق، ص ٢٠٨ - ٢٠٩

٣ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢٧ - ١٢٨

المطلب الثاني فواتح السور

إذا كان نولدكه قد عقد مبحثاً سماه " ما لم يتضمنه القرآن مما أوحى إلى محمد، فإنه وجد في فواتح السور دعوى جديدة ليفترض فيها هذه المرة وجود أشياء في الوحي القرآني ليست منه.

يتأسف نولدكه بداية أنه لم يتوصل أحد إلى نتائج مضمونة حول معنى هذه الحروف؛ لأن ذلك سيكون له نتائج قيمة فيما يتعلق بقضية تأليف القرآن.

وقد افترض نولدكه عدة احتمالات في معنى هذه الحروف وأصلها:

الأول: ليست من وضع محمد(ﷺ)؛ لأنه مستبعد أن يضع النبي(ﷺ) إشارات يخاطب بها الناس كافة، وهي غير مفهومة.

الثاني: علامات وضعها أصحاب النسخ التي استخدمت في أول جمع قام به زيد بن ثابت(رضي الله عنه)، وليس مستبعداً أن تكون هذه الحروف هي الحروف الأولى من أسماء مالكي النسخ الر: الزبير، المر: المغيرة، طه: طلحة أو طلحة بن عبيدالله، حم و (ن): عبدالرحمن، كهيعص: فقد يعني الحرف الأوسط (بن)، والحرفان الأخيران (العاص).

يقول شفالي: لقي هذا الرأي استحساناً كبيراً، ولكن تم الاعتراض عليه بأن تفسيرات المختصرات الأطول من سواها تلقي بصعوبات لا يمكن التغلب عليها، ولذا تم التراجع عنها؛ لأن رجلاً مثل زيد بن ثابت(رضي الله عنه) في خبرته لا يمكن أن تتسرب هذه الحروف إلى النص بسبب إهمال دون أن ينتبه إليه.

ثم ذكر شفالي الرأي الثاني الذي سار عليه نولدكه بعد أن تراجع عن رأيه الأول مؤخراً، فعبر عن ظنه بأن محمداً(ﷺ) أراد بهذه الحروف أن يشير بصورة سرية إلى الأصل السماوي للقرآن، فكونه لا يتقن الكتابة إلا بالنزر اليسير فقد وجد فيها فناً عجباً.

لكن اعترض على هذا الرأي أيضاً بأنه كيف يمكن أن يكون النبي(ﷺ) أراد بهذه الحروف هذا، وهي لم ترد إلا في بدايات بعض السور دون داخلها⁽¹⁾

¹ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٠٣ وما بعدها باختصار.

يقول شفالي عن نولدكه: "حديثاً اعتمد نولدكه أن محمداً هو واضع هذه الحروف، وفي هذا اتفاق مع التراث الذي يجعلها من التنزيل، ولم يكن زيد بخبرته ليضم هذه الكتابات الغريبة إلى رواية القرآن النهائية لو يكن مستنداً إلى سلطة النبي (ﷺ) المرجعية. لكن إذا كان محمد هو بالفعل صاحب هذه الاختصارات فلا بد أيضاً أنه محرر السور التي تبدأ بها"^(١)

وهذا الرأي يتعارض مع الافتراض الأول الذي استبعده نولدكه نفسه، فيبدو أنه تراجع عنه، ولكن شفالي اعتبر هذا الرأي منسجماً مع كون النبي (ﷺ) اتخذ كتاباً للوحي أملى عليهم الآيات والسور، واهتم بوقت مبكر لإنتاج كتاب موحي خاص به^(٢).

إذا استقر زعم نولدكه وتلميذه على أنها من إضافة النبي ﷺ وتحريره، ومع ذلك قام طه حسين بنقل رأي نولدكه في أن هذه الفواتح هي رموز لمالكي نسخ القرآن، حيث يقول: "هناك موضوع آخر يجب أن أنبهكم إليه، وهو مسألة هذه الحروف العربية غير المفهومة التي تبتدئ بها بعض السور، مثل الم، الر، طس، كهيعص، حم، عسق ... إلخ، فهذه كلمات ربما قصد منها التعمية أو التهويل، أو إظهار القرآن في مظهر عميق مخيف، أو هي رموز وضعت للتمييز بين المصحف المختلفة التي كانت موضوعة عند العرب، فمثلاً (كهيعص) رمزاً لمصحف ابن مسعود، (حم عسق) رمزاً لمصحف ابن عباس (طس) رمزاً لمصحف ابن عمر، وهلم جراً، ثم ألحقها مرور الزمن بالقرآن فصارت قرآناً"^(٣)

ورأيه ورأي نولدكه السابق الذي تراجع عنه مردود بأمور بدهية منها:

الأول: أن ما ذكروه من أسماء بعض الصحابة ممن اختاروهم لهذه الفواتح، هم ممن لا يملكون نسخاً أو مصحفاً خاصاً بكل واحد منهم كالزبير وطلحة رضي الله عنهما.

^١ - تاريخ القرآن، ج ٢، ص ٣٠٧

^٢ - المصدر السابق، ص ٣٠٧

^٣ - من مذكرة أملاها طه حسين على طلابه في كلية الآداب بالجامعة المصرية، ورد عليها الشيخ محمد أحمد عرفة في كتاب أسماء نقض مطاعن في القرآن الكريم، وطبع في مطبعة المنار بمصر، ووقف على تصحيحه محمد رشيد رضا، ط ١، ١٣٥١هـ، ص ٤-٧.

ولعل طه حسين لم يطلع على الكتاب الخاص بنولدكه (تاريخ القرآن)، وما اعتمده من رأيه في فواتح السور ربما هو الذي اشتهر عنه، لا ما عاد نولدكه إليه، أو أن من نشر هذا الرأي من المستشرقين وعزاه إلى نولدكه، دون أن ينبه إلى وجهة نظر نولدكه الأخيرة في الموضوع، فظن من سمعه أو قرأه أن هذا هو رأي نولدكه في فواتح السور.

الثاني: أن تفسير الفواتح الأطول من غيرها فيه تكلف، وصعوبة أكثر من غيرها، وهذه بساعترا ف شفالي السابق.

الثالث: ما قالوه هي ظنون وحسب، وهذا ما اعترف به شفالي وهيرشفيلد نفسه الذي أصر على اعتماد رأي نولدكه حتى بعد تراجع الثاني عنه^(١)

وأما الرأي الذي استقر عليه الأستاذ والتلميذ (نولدكه وشفالي) فهو ما يتعارض مع قواطع الأمور، فالنبي ﷺ كان أمياً، وأغلب فواتح السور جاءت في بداية السور المكية، فلو كان النبي ﷺ هو الذي أملاها على كتاب الوحي من تلقاء نفسه، فلماذا لم يقل بذلك من كان كاتباً للوحي كعبدالله بن أبي السرح ﷺ بعد رده، ثم "إن العرب لو لم تدرك دلالة هذه الأحرف لكانت أول من أنكر ذلك على النبي ﷺ بل تلا عليهم "حم" (غافر: ١)، و "ص" (ص: ١) وغيرها فلم ينكروا ذلك، بل صرحوا له بالتسليم في البلاغة والفصاحة مع تشوقهم إلى عثرة وحرصهم على زلة، فدل على أنه كان أمراً معروفاً بينهم لا إنكار فيه"^(٢).

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٠٨

٢ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٢٠

المطلب الثالث

طريقته في ترتيب السور حسب نزول الوحي

امتدحت طريقة نولدكه في ترتيب القرآن زمنياً حسب نزول الوحي من بعض أهل الشرق ممن أتيح لهم الاطلاع على كتابه، أو ما نشر عنها في دوائر المعرفة الغربية، والدراسات الاستشرافية التي اهتمت بموضوع بحثه في كتابه تاريخ القرآن.

قيل فيه: "سلك في كشف تاريخ السور مسلكاً قوياً يهدي إلى الحق أحياناً، فإنه جعل الحروب والغزوات في زمن النبي ﷺ، وعلم تاريخها بالتحقيق كحرب بدر والخندق وصلاح الحديبية وأشباهاها من المدارك لفهم تاريخ ما نزل من القرآن فيها، وجعل أيضاً اختلاف لهجة القرآن وأسلوبه الخطابى دليلاً آخر لتاريخ آياته"^(١)

وقال آخر فيها: "ويبدو لي أن مباحث نولدكه في تاريخ السور هي أنفس ما جاء في كتابه تاريخ القرآن"^(٢)

"التفسير الحديث" هو أحد كتب التفسير التي اعتمدت منهج التفسير حسب النزول، وقد وصفت منهجية الكاتب بأنها اتباع كامل لطريقة نولدكه في ترتيب السور تاريخياً حسب نزول الوحي

يقول محمود عزب في حديثه عن طريقة دروزة في ترتيب السور: "أما الجديد الذي أقمه حقاً في تفسيره، والذي لم يقف عنده عدد كثير من الدارسين لتمحيصه وتحليله، فهو اتباعه المخلص للمستشرق الألماني ثيودور في محاولة ترتيب التفسير على حسب تواريخ نزول الوحي" ثم يضيف قائلاً: "إذا كان المسلمون معذورين نسبياً لعدم قراءتهم نولدكه باللغة الألمانية، والبحث عن مصادره في إعادة ترتيب المصحف ترتيباً يتفق مع ترتيب نزول الوحي، فما عذرهم في عدم قراءة ما يكتب بالعربية في بلاد الإسلام ذاتها لمناقشة ذلك وتمحيصه"^(٣).

لكن الذي فصل في طريقة ومنهجية محمد دروزة هو فريد مصطفى السلطان حيث تحدث عن وجود كاتب معاصر لمحمد دروزة ومن بلدته نفسها اسمه عبد الرؤوف المصري، والذي وضع كتاباً

^١ - الزنجاني، أبو عبدالله، تاريخ القرآن، ط١، المستشارية الثقافية لإيران، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ١٢٦

^٢ - الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، مرجع سابق، ص ٩٠

^٣ - عزب، محمود ملاح التتوير في مناهج المفسرين، مرجع سابق، ص ٨٩

بعنوان " المنتقى في تاريخ القرآن " حيث تحدث فيه عما تتخلله بعض السور المكية من آيات مدنية، وما تتخلله بعض السور المدنية من آيات مكية، ثم ينقل المؤلف كلام المصري قائلاً: "ونحن ذاكرون لك من الكتب المعتمدة ما يساعدك في معرفة ذلك مثل كتاب الفهرست لابن النديم، طبعة مصر، وكتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي الذي ذكره ونقل عنه الأستاذ نولدكه في كتابه (تاريخ القرآن)^(١)

ثم يقول فريد السلطان عن دروزة: "ثم أثبت فهرساً للسور المكية والمدنية مرتبة وفق ترتيب المستشرق نولدكه " ثم يتابع قائلاً: "ومن الغريب أنني عندما قارنت ترتيب الأستاذ دروزة بهذا الترتيب وجدته مطابقاً له مطابقة تامة. حتى أنني عندما كنت أتبع ترتيب الأستاذ دروزة وجدت في الجزء الخامس منه سورة الجاثية قد جاءت بعد سورة الزخرف في الفهرس بينما تأتي سورة الدخان قبل الجاثية وبعد الزخرف في ترتيب نولدكه فقلت لا بد أن في الأمر شيئاً وعندما فتحت التفسير وجدت أن سورة الدخان قد جاءت بعد سورة الزخرف وقبل الجاثية كما أثبتتها المستشرق نولدكه لكن سقطت في الطباعة ولم تثبت في الفهرس".

ثم يتابع قائلاً: "أعتقد أن الأستاذ دروزة قد اطلع على كتاب الأستاذ نولدكه نفسه فهو يحسن الفرنسية والإنجليزية، ولم يحب أن يشير إلى ذلك في تفسيره، وربما يكون قد اطلع على الكتيب الصغير الذي وضعه الأستاذ عبد الرؤوف المصري، ومما يقطع بالدقة في النقل والتطابق أن أسماء السور قد وردت في تفسير الأستاذ دروزة كما وردت في كتاب تاريخ القرآن. سورة الشرح أو الانشراح كتبت فيهما (ألم نشرح) وسورة قريش قد وردت بهذا الاسم، ولم تأت باسم لإيلاف وهكذا"^(٢)

ومن يراجع تفسير محمد عزة دروزة يجد تطابق ما ذكره السلطان، وما هو موجود في تفسير دروزة حول السور الثلاثة التي حكى عنها حيث جاءت الدخان قبل الجاثية وبعد الزخرف تماماً^(٣). غير أن المدقق في الأمر يجد نفسه مضطراً للتساؤل مرتين:

- ١ - المصري، عبدالرؤوف، المنتقى في تاريخ القرآن، المكتبة العصرية، القدس، ١٩٥٨م، ص ٨٣
- ٢ - السلطان، فريد مصطفى، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ١٢٩- ص ١٣٠
- ٣ - انظر، دروزة، محمد عزة، التفسير الحديث، ط ٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م، ج ٤، الصفحات، ٤٨٨ ٥٣٤، ٥٥٧

الأولى: لم يذكر دروزة أنه طبق طريقة نولدكه في الترتيب، وإنما ذكر أنه أخذ الترتيب من مصحف (قدروغلي) الذي ذكر في مطالع السور تاريخ نزول كل سورة، ولم يأت الرجل بذكر للمستشرق نولدكه.

الثانية: من أين أمكن للسلمان وغيره ممن تحدث عن منهجية دروزة أن يطابق طريقة دروزة في الترتيب مع ترتيب نولدكه إذا لم يكن كتاب نولدكه مطبوعاً في ذلك الوقت؟

بعد البحث والتفتيح اتضح الآتي:

استفاد عبدالرؤوف المصري في - كتابه المنتقى^(١) - في موضوع تاريخ نزول السور من كتاب الزنجاني^(٢) (تاريخ القرآن)، حيث قال: "تتخلل بعض السور المدنية آيات مكية، ونحن ذاكرون لك ما اعتمد عليه من الكتب العلامة الزنجاني اعتمد على كتاب "نظم الدرر وتناسق الآيات والسور" لمؤلفه إبراهيم بن عمر البقاعي طبع مصر، وعلى كتاب الفهرست لابن النديم طبع مصر، وكتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبدالكافي كما ذكر، ونقله عنه الأستاذ نولدكه في كتابه تاريخ القرآن"^(٣)

ويؤكد عبدالرؤوف المصري أنه استفاد في موضوع تاريخ النزول عن الزنجاني^(٤)، فأخذ عنه ما يتعلق بتاريخ النزول في كل سورة، ولكنه لم يذكر عنه الفصل المتعلق برأي علماء الإفرنج في تاريخ سور القرآن.

ويبدو أن السلمان قد اطلع على كتاب عبدالرؤوف المصري، ومن خلال مطابقة تاريخ نزول السور الذي عند صاحب المنتقى المنقول عن الزنجاني بالفهرس الذي رتب دروزة السور في تفسيره

١ - امتدح مقدم الكتاب قنبري حافظ طوقان نولدكه قائلاً: "ولعل الألماني (نولدي) أول من عني بتاريخ القرآن عناية جدية من الباحثين فسّد بذلك بعض الفراغ في التاريخ الإسلامي، وفي تعريف الأوروبيين بالقرآن الكريم" المنتقى في تاريخ القرآن، صفحة تقديم الكتاب.

ولعل مقدم الكتاب قد اطلع مع المؤلف على ثناء الزنجاني على نولدكه، وطريقته في ترتيب السور زمانياً على فترات الوحي.

٢ - أبو عبد الله بن عبد الرحيم بن نصرالله الزنجاني، فيلسوف إسلامي، ولد وتوفي في زنجان (شمال إيران) تفقه في النجف وقام برحلات إلى العراق والشام والأردن وفلسطين ومصر والحجاز، توفي سنة ١٩٤١. الأعلام للزركلي، ج٤، ص٩٧

٣ - انظر، المنتقى في تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص٨٣

٤ - انظر، تاريخ القرآن للزنجاني، مرجع سابق، ص٧١

تاريخياً توصل إلى أن ترتيب السور بهذه الحالة هو ترتيب نولدكه، فحكم على دروزة بالمطابقة التامة.

أو أن السلطان قد لاحظ رجوع عبدالرؤوف المصري للزنجاني فرجع إليه وقارن ما أورده الزنجاني تحت اسم (ترتيب القسم المكي على رأي نولدكه، وترتيب القسم المدني على رأي نولدكه) فوجد التطابق التام بين هذا الترتيب وترتيب دروزة، والذي ظن كل من الزنجاني ومن بعده عبدالرؤوف المصري أن هذا هو ترتيب نولدكه النزولي للسور على فترات الوحي.

ومما أوقع الزنجاني وعبدالرؤوف المصري في الخطأ أن من نقل عن تأثر نولدكه بكتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبدالكافي ظن أنه نقل طريقته في ترتيب السور، ومما يؤكد ذلك قول الزنجاني نفسه عن نولدكه: "أخذ ترتيب السور عن كتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي من رجال القرن الخامس"^(١)

ونولدكه نفسه ذكر أنه تأثر به، بل ذكر ترتيبه كاملاً ثم ناقشه مبيناً أنه ينقص في التعداد سورة الفاتحة^(٢)، غير أنه لم يعتمد هذا الترتيب أبداً في ترتيبه للسور زمانياً، وإنما ذكره من باب مناقشة ترتيب السور عند العلماء المسلمين والأدلة على ذلك هي:

- ١- في ترتيب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبدالكافي تقسيم للسور إلى فترتين مكية ومدنية.
- ٢- قسم نولدكه السور القرآنية إلى أربعة مراحل زمنية، ثلاثة في مكة ورابعة في المدينة.
- ٣- لم تسقط سورة الفاتحة من تعداد نولدكه، بخلاف ترتيب عمر بن محمد بن عبدالكافي.

ومما يؤكد أيضاً على أن الزنجاني قد ظن أن هذا هو ترتيب نولدكه فقد ذكره وتعداد السور في ترتيب نزول القرآن في مكة والمدينة ١١٣ سورة، حيث تجد في الترتيب رقم ٢٠ و٢١ الفلق والناس، وفي الترتيب ١١٤ " ويقال نزلت المعونتان بالمدينة"^(٣)، وأما نولدكه فالسور المرتبة عنده زمانياً حسب نزول الوحي هي سور القرآن الكريم كاملاً.

وقد وقع في الخطأ نفسه كاتب آخر عندما ظن أن الترتيب الذي عند الزنجاني هو ترتيب نولدكه معللاً عدم وجود الفاتحة في ترتيبه بقوله: "وقد أحسن أبو عبدالله الزنجاني صنفاً بنشر ما

^١ - الزنجاني، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص ١٢٧

^٢ - انظر، نولدكه، تاريخ القرآن، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٤-٥٥

^٣ - انظر، تاريخ القرآن للزنجاني، مرجع سابق، ص ٧٢ وما بعدها.

اعتمده نولده، وما استخرجه هو بالاستعانة بكتاب نظم الدرر وتناسق الآيات والسور لإبراهيم بن عمر البقاعي^(١)، والفهرست لابن النديم^(٢)، وقد بؤب ذلك في فهارس منسقة... ثم يقول: "والغريب أن يكون ما توصل إليه نولده بعد البحث والتمحيص والمقارنة قد جاء على لسان ابن عباس بما حدث به ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال، نزلت بمكة خمس وثمانون سورة، ونزلت بالمدينة ثمان وعشرون سورة"، ثم يعلق حول عدم وجود الفاتحة في ترتيب نولده قائلاً: "ولم ينكر نولده الفاتحة لا في المكي ولا في المدني، ولعله متوقف فيها باعتبارها في نظره مكية أو مدنية فتمت بذلك سور القرآن أربع عشرة ومائة سورة"^(٣)

ونولده لم يتوقف في الفاتحة البتة بل ذكرها ضمن سور الفترة المكية الأولى حيث جاءت كآخر سورة في هذه الفترة^(٤)

لم يكن دروزة قاصداً لإتباع طريقة نولده لا من قريب ولا من بعيد للأسباب الآتية:
 أولاً: مصحف الخطاط قدروغلي الذي ذكر في مطلع كل سورة تاريخ نزولها اتبع طريقة أبي القاسم عمر بن محمد بن عبدالكافي في ترتيب السور، حيث ذكر دروزة - رحمه الله تعالى - عن اللجنة التي أصدرت المصحف الشريف قولها: "واتبعت في عدّ آياته طريقة الكوفيين عن أبي عبد الرحمن عبدالله بن حبيب السلمي عن علي بن أبي طالب على حسب ما ورد في كتاب ناظمة الزهر للإمام الشاطبي وشرحها أبي عبيد المخلاتي، وكتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبدالكافي، وكتاب تحقيق البيان للأستاذ الشيخ محمد المتولي شيخ القراء بالديار المصرية سابقاً. وأخذ بيان مكيه ومدنيه من الكتب المذكورة وكتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبدالكافي، وكتب القراءات والتفسير على خلاف في بعضها"^(٥).

١ - أشار الزنجاني إلى أنه قد اعتمد في بيان تاريخ نزول السور على كتاب نظم الدرر وتناسق الآيات والسور للإمام البقاعي، وهذا الكتاب لم يكن تفسير القرآن فيه حسب الترتيب الزمني لنزول الوحي، ولم يذكر البقاعي في مقدمة السورة أنها نزلت بعد كذا.

٢ - انظر، ابن النديم، الفهرست، ج ١، ص ٣٨-٣٩، ويتطابق الذي عند الزنجاني تماماً من ترتيب السور حسب النزول مع ما ذكره ابن النديم في الفهرست من رواية محمد بن نعمان بن بشير، انظر تاريخ القرآن للزنجاني، ص ٧١.

٣ - الصغير، محمد حسين، المستشرقون والدراسات القرآنية، مرجع سابق، ص ٨٩-٩٠.

٤ - انظر، تاريخ القرآن، ج ١، مقدمة الكتاب، ص XXXVI، وكذلك الكتاب نفسه، ج ١، ص ١٠٣.

٥ - دروزة، محمد التفسير الحديث، مقدمة التفسير، مرجع سابق، ج ١، ص ١٣-١٤.

ولم يتيسر لي الإطلاع على هذا المصحف، ولكن تيسر لي مصحف آخر صادر عن الأزهر الشريف^(١) اتبع الطريقة نفسها في مطلع كل سورة، وذكر في آخر المصحف أنه أخذ هذه الطريقة من أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي حيث قالت في التعريف بمصحف الحرمين: "وأخذ بيان أوائل أجزاءه الثلاثين وأحزابه الستين من كتاب "غيث النفع" للعلامة السفاقي، و"ناظمة الزهر" وشرحها و"تحقيق البيان" و"إرشاد القراء والكاتبين" لأبي عيد رضوان المخلاقي. وأخذ بيان مكيه ومدنيه من الكتب المذكورة وكتاب "أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي" وكتب القراءات والتفسير"^(٢).

لكن استقراء ما هو موجود في مطلع كل سورة من سور مصحف الحرمين تجده متطابقاً تماماً لما هو موجود عند الزنجاني، وجاءت العبارات التي فيها استثناء للآيات المكية والمدنية في السور مطابقة لما هو مذكور عند الزنجاني، والذي ذكر أنه اعتمد في ذلك على كل من البقاعي وابن النديم وأبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي، ونقل عن الأخير نولده^(٣)

ثانياً: عند الرجوع إلى ترتيب دروزة للسور حسب نزولها على حسب ما ورد في مطالع مصحف قدروغلي ومقارنة فهرس السور المرتبة زمانياً الذي أثبتته في أول تفسيره تجده قد ذكر ذلك الترتيب بحذافيره في السور الخاصة بالقسم المكي عند عمر بن محمد بن عبد الكافي - كما أورد الزنجاني في تاريخه، وهي عينها رواية ابن النديم في الفهرست.

ثالثاً: على الرغم من أن دروزة نقل عن لجنة المصحف الذي استفاد منه ترتيب السور نزولياً أنه مأخوذ عن أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي إلا أن فهرس السور المرتبة نزولاً عنده لا يتطابق مع الذي أشار إليه الزنجاني على أنه لأبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي وظن أنه نقل عنه نولده، وهذا في السور الخاصة بالقسم المدني فقط حيث يظهر الافتراق بين الترتيبين في موضعين فقط هما^(٤):

^١ - هو مصحف الحرمين بخط محمد سعد إبراهيم، طبع بتصريح من مشيخة الأزهر ومراقبة البحوث والثقافة الإسلامية، برقم ٣٣٢، شركة الشمري للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٩.

^٢ - مصحف الحرمين، ص ٥٢٦

^٣ - انظر، الزنجاني، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص ٦٢

^٤ - انظر تاريخ القرآن للزنجاني، مرجع سابق، ص ١٢٨، والتفسير الحديث لمحمد دروزة، مرجع سابق ج ١،

ص ١٦

الأول: جاءت سورة النصر (١١٠) في ترتيب عمر بن محمد بن عبدالكافي (وهو الترتيب المظنون عنه أنه لنولده) قبل سورة النور (٢٤)، وبعد الحشر (٥٩)، بينما جاءت سورة النصر في الترتيب الأخير عند دروزة في السور المدنية، وجاءت السورتان الحشر والنور متتابعتين في ترتيب دروزة، وما قبل الحشر وبعد النور وحتى التحريم فإن ترتيبه مطابق تماماً لترتيب الإمام عمر بن محمد بن عبدالكافي حتى سورة التغابن.

الثاني: جاءت التغابن (٦٤) بعد سورة الجمعة (٦٢) أيضاً عن عمر بن محمد بن عبدالكافي وقبل الصف (٦١)، بينما في ترتيب دروزة جاءت السورة نفسها بعد التحريم (٦٦) وقبل الصف، فالترتيب عند عمر بن محمد بن عبدالكافي لهذه السور كالاتي: ٦٦ - ٦٢ - ٦٤ - ٦١، وعند دروزة ٦٦ - ٦٤ - ٦١ - ٦٢، وما بعد ذلك فترتيب السور الأخرى يطابق الذي عند الإمام عمر بن محمد بن عبدالكافي.

الثالث: حتى الفهرس للسور المرتبة نزولاً على ما استفاده دروزة من تاريخ نزول كل سورة مما هو موجود في مطلع كل سورة، فلم يلتزم بهذا الفهرس، ودليل ذلك ما ذكره في مقدمته للتفسير، وما فعله في التفسير:

١- أشار دروزة إلى ذلك في مقدمته بأنه سيخالف ترتيب المصحف بعض الشيء في سور العلق والقلم والمزمل والمدثر حيث إنه سيخالف ترتيب المصحف في جعل سورة الفاتحة التي تأتي في المرتبة الخامسة في ترتيب النزول^(١) في المرتبة الأولى.

٢- الزلزلة، والإنسان والرحمن والرعء، وسور أخرى يمكن أن يلهم مضمونها أنها نزلت قبل سور متقدمة عليها في الترتيب أو بعد سور متأخرة عنها، فلم يشأ الإخلال بترتيبها، مع الاكتفاء بالنتيجه على ذلك في مقدمة كل سورة فيه^(٢)

٣- في الجزء الخامس من كتابه وضع عنواناً باسم (تتبيه) تحدث فيه أن "السور الخمسة التي يروي المصحف - أي مصحف الخطاط قدروغلي - أنها مدنية، وتروي روايات أخرى أنها مكية، والتي رجحنا مكيته بدورنا على ما نبهنا عليه في الكلمة التي أضفناها إلى مقدمة التفسير في الجزء الأول، وستكون بالترتيب التالي على ما ذكرناه في الكلمة المذكورة (الرعء، الحج، الإنسان، الزلزلة)^(٣)

١ - دروزة، محمد، التفسير الحديث، مقدمة التفسير، مرجع سابق، ج ١، ص ١٥

٢ - المرجع السابق، ج ١، ص ١٧ - ١٨

٣ - المرجع السابق، ج ٥، ص ٥١٤

الخلاصة:

- ١- محمد دروزة لم يتبع طريقة نولدكه في كتابه التفسير الحديث في تفسير السور حسب النزول، وإنما الطريقة المتبعة هي طريقة أحد العلماء المسلمين وهو أبو القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي.
- ٢- ما هو موجود في مطالع السور في بعض المصاحف من تعريف بتاريخ نزول السورة مأخوذ من كتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي وغيره، ومن ثم فإنه لا دخل لنولدكه إطلاقاً بتاريخ النزول هذه؛ لأن ما عنده من ترتيب السور حسب النزول مختلف تماماً عن الذي عند عمر بن محمد بن عبد الكافي.
- ٣- الذي حكم على دروزة أنه اتبع طريقة نولدكه في تفسيره غلب على ظنه ما قاله الزنجاني من أن نولدكه اتبع ترتيب عمر بن محمد بن عبد الكافي في تاريخ القرآن، فظن من طابق هذا الترتيب والترتيب الموجود عند الأستاذ دروزة أنه اتبع طريقة نولدكه.
- ٤- الترتيب المنسوب إلى أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي ليس هو ترتيب نولدكه، وذكر نولدكه له في كتابه ليس دليلاً على أنه اعتمده بدليل أنه ذكر غيره أيضاً في معرض دراسته لترتيب النزول عند العلماء المسلمين.

وفيما يأتي ذكر لترتيب نولدكه الذي سار عليه في كتابه تاريخ القرآن، وثم يعقبه ذكر كذلك لترتيب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي ليعلم الخلط الذي وقع فيه جميع من ظن أن الذي عند الزنجاني هو الذي عند نولدكه والذي ظن السلطان وغيره أن محمد دروزة اتبع بطريقة كلية ترتيب نولدكه الزماني للسور:

ترتيب نولدكه للسور على فترات الوحي:

سور الفترة الأولى المكية وعددها ٤٨ وترتيبها حسب النزول كالاتي: ٩٦، ٧٤، ١١١، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٢، ١٠٥، ٩٢، ٩٠، ٩٤، ٩٣، ٩٧، ٨٦، ٩١، ٨٠، ٦٨، ٨٧، ٩٥، ١٠٣، ٨٥، ٧٣، ١٠١، ٩٩، ٨٢، ٨١، ٥٣، ٨٤، ١٠٠، ٧٩، ٧٧، ٧٨، ٨٨، ٨٩، ٧٥، ٨٣، ٦٩، ٥١، ٥٢، ٥٦، ٧٠، ٥٥، ١١٢، ١٠٩، ١١٣، ١١٤، ١.

وأما سور الفترة الثانية فعددها ٢١ سورة وترتيبها حسب النزول عند نولدكه كالاتي:

٥٤، ٣٧، ٧١، ٢٠، ٥٠، ٤٤، ٧٦، ٢٦، ١٥، ١٩، ٣٨، ٣٦، ٤٣، ٧٢، ٦٧، ٢٣، ٢١، ٢٥، ١٧، ٢٧، ١٨.

الخاتمة

النتائج والتوصيات

يمكن إجمال أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الرسالة في الأمور الآتية:

- ١- من الواضح أن رأي نولدكه في الوحي النفسي قد تأثر بما كان سائداً في الحقبة الزمنية التي قام نولدكه فيها بتأليف كتابه (تاريخ القرآن) حيث كان السائد لدى العلماء التجريبيين في العالم الغربي إرجاع الوحي إلى الأنبياء إلى تأثير الشخصية الباطنة، والزعم بأنه ليس من عند الله ﷻ.
- ٢- ثيودور نولدكه الذي عدّ شيخاً للمستشرقين الألمان، وطَبَعَ الحقل الاستشراقي بدراساته حاز مجداً لا يستحقه على حساب شبهاته في كتابه تاريخ القرآن.
- ٣- ينبغي إعادة النظر في قضية أن المدرسة الألمانية كانت ذات اعتدال وإنصاف في دراستها للقرآن الكريم، فالدراسات الاستشراقية الألمانية كانت الأخطر في بابها حيث علقت عليها أخطر النتائج.
- ٤- لا يمكن بحال من الأحوال الفصل بين الدافعين العلمي والديني عند أولئك الذين درسوا الوحي من المستشرقين، فما يعلن من قضية أن البحث فيه إنما كان لدوافع علمية هو غير الذي يفهم من بين السطور.
- ٥- دراسة نولدكه وغيره من المستشرقين لموضوع الوحي لم يأت من فراغ، إذ أن الوحي متعلق ومتصل اتصالاً مباشراً بالنبوة، فإنكاره إنكار لها، فتصوير الوحي على أنه تخيلات وأوهام نفس وروى ظن النبي - على زعمهم - أن الوحي يكلمه - كان المقصود من ورائها ادعاء أن لا نبوة لمحمد ﷺ، وبالتالي الإدعاء بأن ما تنزل عليه من وحي القرآن إنما كان من تلقاء نفسه، ومما تلقاه من غيره.
- ٦- الخلاف بين المدارس الاستشراقية في تفسير ظاهرة الوحي هي اختلافات شكلية فقط، وما دار بينها من خلاف في شأن هذا الموضوع لم يخرجها عن الاتفاق في النظرة إلى الوحي على أنه لم يتجاوز الذات المحمدية.
- ٧- يعد الحديث عن ترتيب السور زمنياً حسب التنزل على فترات الوحي، مع الحديث عن الوحي ظاهرة ملحوظة عند نولدكه وغيره من المستشرقين الذين درسوا ذلك أمثال فايل وهيرشفيلد وموير،

ولعل علة ذلك ترجع إلى نظرية ربط الوحي بالحدث التاريخي لمحاولة إثبات تأثر النص الموحى به بالتدرج التاريخي؛ للبرهنة على أن ما كان كذلك فإن له نشأة وتطوراً، ثم تراجعاً، وبالتالي كان عرضة للتحرير والزيادة والنقصان، والحذف والإضافة.

٨- جسد نولدكه في دراسته لموضوع الوحي وترتيب السور على فتراته المنهج الروائي الانتقائي، فأسباب النزول عنده خرافات، ويقدم الحديث الموضوع، بل بيت الشعر على الرواية الواردة في كتب الصحاح، وإذا استشهد برواية وجدت منه التأويل الفاسد، مع بتر أول النص عن آخره، وعن علاقته بغيره، فكانت الانتقائية والنظرة الجزئية سمة مميزة لأبحاث المستشرقين في دراسة نصوص الوحي.

٩- عدم العلم بدلالات الألفاظ والمعاني الثانوية للكلمات والأساليب البلاغية، مع الجهل أو التجاهل للمناسبات بين الآيات والسور جعل نولدكه وغيره من المستشرقين ينظرون نظرة غير صحيحة للنص القرآني لمحاولة إثبات أنه اقتباس من نصوص أخرى، أو أن فيه نصاً مضافاً إلى نص آخر لبيان الناحية التاريخية للنص القرآني.

١٠- المنهج التاريخي الفيلولوجي الذي طبقه نولدكه على نصوص الكتاب المقدس هو ومدرسة نقد الكتاب المقدس، ثم حاول أن يفرضه فرضاً على النص القرآني كان فيه مجافاة للحقيقة، فستان بين نص حرف أصحابه كلمة من بعد مواضعه، وعن مواضعه، ولا سند له إطلاقاً، وبين نص متواتر نقلته الأمة كلها، وأجمعت أنه هو النص الموحى به على محمد النبي ﷺ.

١١- من ادعى وجود نقص في الوحي القرآني كمن يحاول أن يغطي الشمس بوضع كفه على عينه، ولكن تبقى الشمس هي الشمس، وما حصل هو الغشاوة التي غطت عين صاحبها عن عين الحقيقة، فما ادعوه لا يخلو أن يكون روايات آحاد، أو روايات واهية، أو جاء من قبيل التفسير.

١٢- هناك ظاهرة مشتركة تجمع بين نولدكه والمستشرقين الآخرين، وهي إنكار وحي السنة تبعاً لإنكار وحي القرآن، وتصوير الوحيين أنهما من أحاديث النفس.

١٣- هناك حاجة ماسة إلى مراجعة الدراسات والأبحاث التي تأثرت بنولدكه فنسبت له ما ليس له، أو بقيت على رأي تبناه ثم تراجع عنه، أو تأثرت بمنهجيته في البحث في الوحي وترتيب السور المنزلة على فتراته مع فساد نيته، وظهور عدم الأمانة والموضوعية في البحث والترتيب.

١٤- بعد البحث والتتقيب لا يوجد ممن كتب في تفسير القرآن حسب النزول من الباحثين المسلمين أحد اتباع طريقة نولدكه في الترتيب التاريخي للسور، وما ظنَّ به حول دروزة فهو لبس وقع فيه من ظن أن ترتيب عمر بن محمد بن عبدالكافي هو الترتيب الذي اتبعه نولدكه في كتابه، وقد ظهر عدم صحة ذلك.

١٥- لا يوجد أدنى شك في وجود علاقة تربط بين الفكرين الاستشراقي والحدائثي من حيث النظرة إلى الوحي، ووجوب إعادة قراءة نصوصه قراءة تختلف عن القراءة التي قرئ بها في الزمن الذي تنزل به، وعلى غير مناهج التأويل والفهم التي وضع المسلمون قواعدها وأصولها، بل لا بد من أن تكون القراءة وفق المناهج التاريخية الفيلولوجية التي تنظر إلى نص الوحي نظرة إنسانية تخرجه عن إطاره الرباني، وتربطه بالمصدرية البشرية.

التوصيات:

١- المبادرة إلى ترجمة من الكتب الاستشراقية التي اعتمد عليها نولدكه في دراسة موضع الوحي، وهي كتب أبراهام غايغر، ووليام موير، وشبرنجر، وهيرشفيلد، وغريمه، وغيرها من الكتب التي بحثت في موضوع الوحي، ولقيت رواجاً عند بعض الباحثين العرب والمسلمين؛ وذلك للكشف عن فساد النقولات التي جاءت بها، والرد عليها من خلال لجان متخصصة، وهيئات استشارية.

٢- أن تجد الكتابات والدراسات التي تتولى الرد على المستشرقين الذين طعنوا في الوحي مثل نولدكه وغيره- طريقها إلى الغرب؛ ليطلع المتقنون الأوروبيون عليها؛ لمعرفة الحقيقة التي كان المستشرقون حريصين على تغييبها عنهم، بتزوير الوقائع، وعدم نقل الحقيقة.

٣- من الأهمية بمكان أن تتولى المؤسسات الإعلامية في العالم الإسلامي الاستفادة من المستشرقين الغربيين المعاصرين المنصفين للوحي القرآني.

ويوصي الباحث بعمل دراسات في الموضوعات الآتية:

١- أثر الاستشراق في موقف الفكر الحدائثي من الوحي.

٢- إعجاز القرآن في الدراسات الاستشراقية.

٣- المدرسة الألمانية بين التعصب والإنصاف.

٤- المنهج التاريخي الفيلولوجي في الدراسات الاستشراقية للقرآن (تحليل ونقد)

ملخص الجزء الأول من كتاب تاريخ القرآن لـ (ثيودور نولدكه)

ملخص نولدكه في القسم الأول في نبوءة محمد (ﷺ) * والوحي (ملخصاً بحروفه)^(١)

أولاً: محمد (ﷺ) نبياً: مصادر تعليمه^(٢)

تطورت النبوة التي كانت محرّكة للدين والدولة معاً في الشعب الإسرائيلي دون ما سواه من الشعوب الأخرى حتى انتهت بـ (يسوع المسيح).

جوهر النبوة يقوم على فكرة تشبع النبي (ﷺ) روحه من فكرة دينية ما تسيطر عليه أخيراً، فيتراءى له أنه مدفوع بقوة إلهية ليبلغ من حوله من الناس تلك الفكرة على أنها حقيقة آتية من الله. سبب ظهور النبوة كثيراً في الشعب الإسرائيلي ومدى تأثيره على تاريخه أمر يصعب التحري عنه.

تراجعت حركة النبوة في اليهودية، لكنها لم تنقرض تماماً كما يدل عليه بروز المسحاء الكذبة، وأنبياء العصر الروماني.

يسوع أراد أن يكون أكثر من نبي، فقد شعر أنه المسيح الذي وعد به بنو إسرائيل، وعرف كيف يبث في جماعته الاعتقاد بأنه انضوى في مجد الأب كابن لله، وسيد المؤمنين، رغم الآلام والموت.

محمد (ﷺ) أخذ أهم تعاليمه اليهود والمسيحيين، وليست نابعة من عقله، ولكن الطريقة التي اكتسب بها هذه التعاليم تجعل منه نبياً حقاً.

لو كان المقياس في نبوءة محمد (ﷺ) أنه أتى بأفكار جديدة لم يسمع بها من قبل لنزعت النبوة عن أنبياء آخرين كانوا قبله.

^١ - نولدكه، ثيودور، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٣-١٩

* نولدكه (بالطبع) لم يصل على النبي ﷺ، وإنما ذكرت الصلاة والسلام عليه ﷺ مني (أنا) الناقد لنولدكه.

حمل محمد (ﷺ) في وحدته ما أخذه اليهود والمسيحيين (الغريباء)، وتفاعل هذا مع قلبه، ثم صاغه حسب تفكيره حتى أجبره صوته الداخلي على أن يعلن للناس ذلك ليستبدل عبادة العرب الوثنية بدين جديد يمنح الغبطة للمؤمنين.

ووجد محمد (ﷺ) لدعوته أتباع من عائلات عالية القدر، وإن كان أكثر أتباعه من الضعفاء والطبقات الاجتماعية الدنيا، ورأى أتباع كأبي بكر وعمر إيمان هؤلاء الفقراء والضعفاء معهم بالنسبة إليهم عاراً كبيراً.

يخفي المسلمون أن محمداً (ﷺ) كان ضعيف العزم؛ فهو لم يجرؤ على الجهر بدعوته من أول يوم، بل انتظر حتى أجبره الصوت الداخلي على ذلك.

ما حصل من اضطهادات قريش لأتباع محمد (ﷺ) بعد الجهر بالنبوة مبالغ فيها فلا يعقل أن يصل الرفض لهذه الدعوة إلى الإساءة الجسدية والتعذيب البدني.

ومع ضعف محمد (ﷺ) في عزمه وجد عنده ضعف آخر متعلق بالضعف في التجريد المنطقي - على الرغم من تمتعه بنكاه عملي كبير - حيث لم يحصل أن اختبر محمد (ﷺ) اعتقاده مطلقاً، الأمر الذي دفعه إلى اعتبار ما حرك نفسه أمراً موحى به من السماء. أعلن محمد (ﷺ) عن سور أعدها بتفكير واع، وبواسطة قصص من مصادر غريبة، وكأنها وحي حقيقي من الله، شأنها في ذلك شأن البواكير التي صدرت عن وجدانه الملتهب انفعالاً، وهذه الهمة يمكن أن توجه إلى أنبياء بني إسرائيل الذين نشروا منتجاتهم الأدبية على أنها كلمات رب الصباؤوت، وهذه لم تنتج إجمالاً من اعتماد الخداع بل من الاعتقاد الساذج.

حتى لا يفصل بين الروحيات والدنيويات استخدم محمد (ﷺ) سلطة القرآن ليفرض أموراً لا علاقة لها بالدين.

وجب على محمد (ﷺ) وهو مفكر أن يعتبر كل شيء مباحاً ما لم يتعارض هذا الشيء مع صوت قلبه، وهو مع ذلك كله لم يتوان عن استخدام وسائل مرذولة أو ما يسمى الخداع باسم الدين.

ولو نَسَى التعرف على حياة أنبياء آخرين بالقدر الذي تم التعرف فيه على حياة محمد (ﷺ) لفقد كثير منهم المرتبة الجليلة التي يتمتع بها؛ نظراً لما في حياة محمد (ﷺ) من شوائب قام كتاب السيرة بتتقيتها باستمرار.

المصدر الرئيس للوحي هو بلا شك ما تحمله الكتابات اليهودية (الكتابات العقائدية والليتورجية) فالقصص والتعاليم هي ذات أصل يهودي وأما تأثير الإنجيل في وحي القرآن فهو دون التأثير اليهودي بكثير؛ لأن التعاليم الأساسية التي يشترك فيها الإسلام والمسيحية هي ذات صبغة يهودية.

لم يأخذ محمد (ﷺ) كل المواد اليهودية عن ثقات اليهود الذين تواجدوا في مناطق متفرقة من الجزيرة العربية وأقاموا في يثرب، وترددوا على مكة المكرمة.

الفرق المسيحية كانت أيضاً ذات طابع يهودي فلم يكن العهد الجديد يحوز أهمية في الكنيسة القديمة بقدر ما كان يحوزه العهد القديم. انتشرت المسيحية في بعض قبائل الجزيرة العربية مما يقوي الشك بوجود تأثير مسيحي على النبي (ﷺ) إلى جانب التأثير اليهودي.

مما يقوي وجود هذا التأثير إطلاق المشركين على أتباع محمد (ﷺ) لقب (الصابئة) واعتبار هؤلاء الأتباع أنفسهم خلفاء الأحناف يشير إلى علاقة المسلمين المميزة بالمسيحيين الذين كانوا بوجه عام على معرفة سطحية بدينهم.

لا بد وأن يكون دعاة اليهودية والمسيحية في شبه الجزيرة العربية قد ترجموا الوصايا والأنشيد والعظات إلى اللغة العربية، وليس من المستبعد أن تكون تلك الترجمات الشفوية قد ابتدئ تدوينها قبل الإسلام.

لم يكن محمد (ﷺ) مطلعاً على تلك الكتابات بلغاتها الأصلية لعدم إلمامه بأي لغة أجنبية، واشتغاله بالتجارة التي كانت تستلزم معرفة القراءة والكتابة، مع وجود عشرات الرجال من أصحابه ممن يعرفونهما مع اهتمامه بكتب اليهود والمسيحيين يؤكد بأن محمداً (ﷺ) لم يشأ أن يعتبر عارفاً بالقراءة والكتابة، فأوكل لآخرين مهمة قراءة القرآن ورسائله.

أهم أجزاء تعليم محمد (ﷺ) تلقاها شفوياً من اليهود والمسيحيين وبشهادة القرآن نفسه، وأما الروايات التي تجمع محمد (ﷺ) ببخيرة أو نسطوريوس فإنها تحتوي شيئاً من الحقيقة إلا أنها ليست ذات تأثير بالغ في نبوته.

من المصادر الشفوية لمحمد (ﷺ) زيد بن عمرو بن نفيل - وهو من الأحناف - حيث تلقى منه محمد (ﷺ) تعاليم عديدة أجرى النبي محمد (ﷺ) عليها تعديلات من وجهة نظر إسلامية.

لم يقرأ محمد (ﷺ) كتاباً حول العقائد والأساطير اسمه أساطير الأولين، وهو لم يطلع على الكتاب المقدس أو على آثار أخرى مهمة.

قصائد أمية بن أبي الصلت ليست من مصادر الوحي عند محمد (ﷺ)، فأمية قد نهل من الروايات نفسها التي أخذ عنها محمد (ﷺ).

من أهم مصادر تعليم محمد (ﷺ) الاعتقادات والآراء الدينية التي اعتنقها قومه، والتي كانت سائدة في زمن الجاهلية مع بعض الأساطير العربية المتعلقة بالأقوام السابقين.

ب- حول الوحي الذي تلقاه محمد (ﷺ)⁽¹⁾

تلقى محمد (ﷺ) الوحي من الروح القدس، ولكن هذا لم يحدث بالشكل نفسه دائماً، بل تعددت أشكال حدوث الوحي، والكيفيات التي تنزل بها على محمد (ﷺ).
الروايات المتعلقة بكيفيات الوحي متعددة، وتختلف في عددها قلة وكثرة بين المتقدمين والمتأخرين.

الكثير من الروايات نشأ عن مرويات أو آيات قرآنية أسىء فهمها، فالكيفية المتعلقة بتلقي الوحي مباشرة من الله تعالى هي تفسير خاطئ لبعض المواضع من سورتي التكويز والنجم.

كما أن الكيفية المتعلقة بنزول جبريل بصورة حية يجب إسقاطها؛ لأن هذا الرأي لم ينشأ إلا بعد حدث وقع في السنة الخامسة للهجرة.

¹ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٢٠ - ص ٥٢

الكيفية المتعلقة برؤية جبريل في صورته الحقيقية يربطها أيضاً بتفسير آخر لسورتي التكوير والنجم.

وأما الكيفية التي نتحدث عن أن النبي محمد (ﷺ) تلقى الوحي مباشرة من الله في المعراج فهي ساقطة.

الكيفية المتعلقة بـ (صلصلة الجرس) هي أكثر كيفية ورد حولها معلومات من كيفيات الوحي، وهي التي تبين ما كان يعتري النبي (ﷺ) من نوبات شديدة لدى تقبله للوحي. هذه الكيفية تدل على ما كان يعانيه محمد (ﷺ) من داء الصرع، فإن فقدان الذاكرة هو أحد عوارض الصرع الفعلي الذي عاني منه محمد (ﷺ) في صغره كما تدل عليه حادثة شق الصدر، وبشهادة سورة الشرح.

رأى محمد (ﷺ) في هذه النوبات تأثيراً إلهياً عليه، وتكاثر عددها من بعد أن أعلن محمد (ﷺ) أنه نبي يوحى إليه.

ولم تنفك عنه هذه النوبات من بعد الهجرة، ففقدانه الوعي في غزوة بدر يدل على أنها كانت تصيبه.

الغيبوبة التي كانت تصيب النبي (ﷺ) كانت على الأرجح تعتربه أثناء غرقه في تفكير عميق حيث اعتقد أن قوة إلهية قد حلت به، فلم يكن الوحي يتضح له إلا بعد أن يفارقه الملك أي بعد عودته إلى وعيه الكامل إثر اضطراب نفسي شديد.

هذا الوضع الجسدي والنفسي المضطرب أدى بمحمد (ﷺ) إلى حالة من الرؤى والخيالات التي جعلته يتهاى أنه يكلم ويوحى إليه من السماء، وأشهر ما يدل على ذلك الإسراء والمعراج.

كثرة تهجد محمد (ﷺ) في الليل وصيامه تقسيران لماذا كان معظم الوحي يحدث ليلاً؛ لأن النفس تكون أكثر قابلية لاستقبال التخيلات والانطباعات النفسية، وبالصيام تشتد القدرة على مشاهدة الرؤى.

الرأي القائل بأن محمداً (ﷺ) كان يتلقى بعض الآيات من إنسان يسخر منه وهو دحية بن خليفة الكلبي هو أمر غير جدير البتة بالاستحسان.

تختلف الروايات بشدة حول مسألة نزول الوحي بآيات القرآن وسوره إلى درجة من التناقض حتى أن قراءة السور لتكشف عن أن خطاب القرآن يقفز على العموم من موضوع إلى آخر إلى درجة أن ترابط المعاني لا يتجلى دائماً للعيان.

ولعل سبب ذلك يعود إلى كون محمد(ﷺ) قد جمع مقاطع قرآنية نشأت في أوقات مختلفة أو أدخل بعضها في بعضها الآخر. وأما الآيات التي يلحظ وجود الترابط بين آياتها؛ فإنه لم يتجرأ محمد(ﷺ) على الفصل بينها لعدم اختلافها في زمن نشوتها ولغتها.

سبب قصر السور والآيات قد يكون راجعاً إلى أن محمداً(ﷺ) كان يتلقى كل آيات القرآن تحت نوبات الصرع التي كانت تعتريه والتي لم تدم طويلاً.

سورة^(١): من الكلمة العبرية (شورا) بمعنى سلسلة من الأشخاص حيث يمكن انطلاقاً من هذا تفسير كلمة سورة بـ "سطر من الكتاب السماوي"، أو أن تكون من (شورا) بمعنى خيط القياس، أو بمعنى مقطع للقراءة كمرادف للكلمة العبرية (سيدر)

قرآن: تُشابه كلمة (مقرا) في اليهودية بمعنى الكتاب السماوي، والمصطلح قرآن لم يتطور داخل اللغة العربية، وهي مأخوذة عن تلك الكلمة السريانية (قريان) على وزن فعلان.

فرقان: لا تعني بالفعل كتاباً، بل استخدمت وصفاً للوحي في القرآن، ولكتاب موسى (التوراة)، وهي مأخوذة عن اللغة الآرامية.

يختلف أسلوب القرآن تبعاً لأوقات تأليفه المختلفة، فبينما تشي المقاطع الأولى منه باضطراب شديد أو بجلال هادئ نجد في أقسامه الأخرى لغة عادية فضفاضة أقرب ما تكون إلى النثر.

القرآن خطابي أكثر منه شعري؛ لأن كيان النبي(ﷺ) كان مركزاً على ما هو تعليمي خطابي أكثر منه ما هو شعري بحت.

إطلاق لقب شاعر على محمد(ﷺ) من خصومه يدل على أن الطريقة التي قدم بها محمد(ﷺ) ما أتاه من الوحي - وهي السجع - كانت تعتبر آنذاك نمطاً شعرياً.

^١ - قطع نولدكه كلامه هنا عن؛ ليبدأ بمصطلحات القرآن.

استعمل محمد (ﷺ) هذا الأسلوب الذي استخدمه الكهان القدماء مدخلاً عليه بعض التعديلات، فهو لم يتمسك بتساوي الأجزاء المختلفة في الطول، وأطال الآيات في السور المتأخرة وبشكل متواتر مستعملاً الفاصلة بكل حرية أسلوبية.

من الندرة أن تتقطع الفاصلة في السور المتأخرة؛ لأنه لا يتناسب مع النبوة النثرية، وهي تعتبر قديماً ثقيلاً لا يزين الكلام.

تمائل الفواصل في السورة ليس دليلاً على وحدتها؛ لاحتمال أن يكون محمد (ﷺ) نفسه، أو من قام بتحرير النص قد جمع مقاطع متفرقة لها الفاصلة نفسها.

قام نولدكه بفحص سورتي الواقعة والشعراء وخلص إلى عدم وجود مقاطع شعرية فيهما.

ثلاث من السور تكررت في كل واحدة منها عبارة كانت كلاً من سور القمر والرحمن والحديد.

استخدم القرآن اللعب بالكلمات في مجيء ألفاظ في مواطن كان الدافع على الإتيان بها الأمر الشكلي.

القول بأن محمداً (ﷺ) قد حدد لكل آية بعد نزولها مكانها المحدد لا يتمتع بسند تاريخي، وهذا ناشئ عن الاعتقاد الخرافي بأن الترتيب الحالي لآيات القرآن وسوره هو اعتقاد سماوي.

من المشكوك به أن يكون النبي (ﷺ) قد أمر بتكوين كل ما أنزل عليه من الكتاب السماوي حيث:

أ- في السنوات الأولى من رسالته لم يكن له أتباع بعد فيحتمل أن يكون قد نسي بعضاً مما أنزل عليه قبل أن يطلع عليه أحد، وأن يكون صحابته قد حفظوا بعضه الآخر في الذاكرة.

ب- لعله قد أملى سوراً وليس آيات.

ج- حين دخل عمر الإسلام وجدت مقاطع من القرآن مكتوبة. إذا كان لنا أن نشق برواية هذا الحدث.

د- تأخر التنوين إلى العام الثاني للهجرة حيث وجدت سور مكتوبة.

حين دون المسلمون السور التي كانوا يحفظونها غيباً جمعوا بين مقاطع تعود إلى الزمن نفسه، والفاصلة نفسها.

محمد (ﷺ) منح المقاطع القرآنية شكلها النهائي الذي احتفظت به من خلال تلاوته إياها من أجل أن تحفظ أو تدون.

التكرار وتعديل مواضع الآيات أو نسخها بحسب تبدل الظروف أسباب دفعت بالنبي محمد ﷺ لعدم الاهتمام بترتيب السور ترتيباً محكماً بحسب زمن تأليفها أو مضمونها.

لم يتوقع محمد (ﷺ) أن ينشب الخلاف بعد وفاته بوقت قصير بين أصحابه حول حرفية ما نزل عليه.

لم يهتم بمصير القرآن بقدر ما اهتم باختيار من يخلفه.

لم يكن ممكناً له أن يجمع القرآن، وهو الذي كان ينسى بعض المقاطع بحسب شهادة القرآن نفسه، وشهادة المسلمين، بل قام بتعديل بعضها عن قصد أيضاً.

يدل على أن النبي (ﷺ) تلا بعض القطع على أناس مختلفين بصيغ مختلفة، إما لأنه أراد أن يحسنها، أو وهذا الأكثر حدوثاً لأن ذاكرته عجزت عن حفظها دون تعديل.

بذل المسلمون جهداً كبيراً من أجل إيضاح معنى الكلمات القائلة "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف أو كما يرد في صيغة أخرى "خمسة أحرف"، معظم هذه الإيضاحات عديم القيمة، لا بل مضحك ويناقض نص الروايات.

ما ينبغي رفضه هو التفسير القائل إن الأحرف السبعة تعني سبع لهجات عربية مختلفة. إن محمداً (ﷺ) ترك بالتأكيد لكل شخص أن يقرأ القرآن بحسب لهجته.

الزعم بأن محمداً (ﷺ) أمر صحابته بعدم الاختلاف فيما بينهم حول محاسن القراءات فليس إلا ابتكار رجل خشي على الإيمان بسبب النزاع حول اختلاف القراءات

- يختلف النسخ عما غيره محمد (ﷺ)

- أخذ محمد (ﷺ) النسخ عن الفكرة المسيحية القائلة بنسخ الإنجيل للتوراة.

الآيات المنسوخة نوعان:

- آيات التشريعات التي أبطل حكمها بتزويل صريح.

- الآيات التي نسخت لنهي محمد (ﷺ) أصحابه عن قراءة هذه الآية أو تلك أو كتابتها لأحد الأسباب.

ما ضاع قسراً عن إرادة النبي (ﷺ)، أو أهمل سهواً فلم يضم إلى جمع القرآن يعد منسوخاً، ولهذا فإنه توجد العديد من الآيات الغير موجودة في الصيغة الحالية للقرآن والتي حفظت بطريقة أخرى، وتعد منسوخة من وجهة النظر الإسلامية.

لم يكن بوسع أعداء محمد (ﷺ) أن يدافعوا عن آلهتهم التي كانوا على اقتناع شديد بها بالطريقة التي دافع بها الوحي عن وحدانية الله.

تحدي محمد (ﷺ) لم يتلاش من دون صدى، فتعاليم مسيلمة متشابهة مع تعاليم محمد (ﷺ) إلى حد كبير، وأما أقواله ففيها الكثير من الأصالة في التعبير لا سيما في المقارنات إلى درجة أن ما يزعم له من مضاهاة القرآن لا يبدو أمراً مستبعداً. وهذه الأصالة هي حجة جديرة بالاعتبار، وتؤيد صحة ما ينسب إلى مسيلمة من أقوال. لقد كان حكم الإسلام على أقوال مسيلمة وتعاليمه بأنها خداع الشيطان وعمله حكماً خاطئاً غير عادل، ولولا نجاح الإسلام الفتى لكان لهذه الأقوال والتعاليم شأن آخر.

ملخص القسم الثاني من كلام نولدكه بحروفه^(١):

٢- في أصل أجزاء القرآن المفردة

الغرض هو استكشاف الزمن الذي نشأت فيه الأجزاء المفردة، وسبب نشوئها وهذا يستلزم الاعتماد على المصدر الأول وهو النقل التاريخي والتفسيري.

لا توجد أحداث تاريخية كبرى في مكة، وإن وجدت فإن محمداً (ﷺ) لم يشارك فيها، وهناك شك يلف تلك الروايات التي ساقها المؤرخون حول مختلف الوقائع الصغيرة من أجل تفسير آيات مفردة.

لا يوثق بأسباب النزول فتارة يجعل الحدث الواقع بعد الهجرة سبباً لنزول آية مكية، وهناك أسباب مختلفة تجعل لأيتين وثيقتي الاتصال، وليست هناك دراسة منتظمة لروايات أسباب النزول، ومنهجه يقوم على فحص هذه الروايات.

^١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٥٣ - ص ٦٠.

جهود علماء المسلمين في الترتيب الزمني للسور لم تراخ فيها إلا بدايتها فقط من دون الآيات التي أضيفت لاحقاً. ومن هذه الدراسات :

١- دراسة عمر بن محمد بن عبد الكافي

٢- كتاب تأريخ الخميس في سيرة أنفيس نفيس

٣- روايات الإتيان للسيوطي

٤- رواية الفهرست لابن النديم بحسب رواية الواقدي

حاول علماء المسلمين وضع تسلسل زمني للسور بواسطة استخدام بعض الروايات الجيدة، وبحسب مبادئ نقدية ضعيفة.

منهج المسلمين منهج قاصر في معرفة النازل من الوحي هل هو مكي أم مدني حيث يقوم على اعتماد منهج الرواية، وأما طريقتهم النقدية القائمة على مراقبة اللغة فلم توصل إلى قواعد نقدية وثيقة، بل إلى استنتاج ملاحظات بسيطة.

التمييز بين المكي والمدني يعتمد على المراقبة الدقيقة لمعنى القرآن ولغته، فالقطع ذات اللغة والأفكار المتأججة أقدم من القطع التي تعتبر هائلة وطويلة.

محمد (ﷺ) لا ينتقل قفزة واحدة من الصنف الأول إلى الثاني بل يتحرك إليه تدريجياً، ففي الفترة الأولى يلحظ الحديث العاطفي الإيقاعي الذي يستخدم السجع ولكنه يتراجع في الفترة المتأخرة ليتحول إلى نثر بحت.

محمد (ﷺ) يكرر الكلام في كثير من الأحيان حيث يمكن أن نميز بين الموضع الأصلي والموضع الذي يحاكيه_ مثل أوصاف المؤمنين في المعارج فهي مكررة حرفياً في (المؤمنون)

لغة محمد (ﷺ) في الفترات المختلفة وأسلوبه يسعف على ترتيب السور ترتيباً زمنياً بواسطة مراقبة النظم واللغة خاصة في تماسك الأفكار.

تنقسم السور إلى مجموعتين مكية ومدنية مع ضرورة اتباع معظم المسلمين في تسمية المواضع التي أنزلت قبل الهجرة مكية، وكل المواضع التي أنزلت بعد الهجرة مدنية. سيتم دراسة الآيات في سورها من حيث بيان نزولها دون نقل الآيات التي يعتقد أن هذه السورة ليست مكانها إلى سورة أخرى، بل يكتفي بالتنبيه على:

١- بيان أن هذه الآيات ليست من آيات هذه السورة، بل إنها نزلت في فترة متأخرة، أو أن المقاطع التي تتألف السورة منها توحى بأنها ليست وحدة واحدة، وأنه قد جرت عملية تجميعها.

٢- بيان عدم تناسب هذه الآيات مع الجو العام للسورة.

أ. أجزاء قرآننا الحالي^(١):

(أ) السور المكية

علماء السيرة جاهلون بالعديد من الأمور المتعلقة في الفترات المختلفة بحياة محمد (ﷺ)، ويتمسكون بمبادئ غير ثابتة، وكتاب ابن اسحق في السيرة هو أفضل ما وصل من هذه الكتب، على الرغم أنه لا يعط أي معلومات تاريخية عن الفترة المكية.

نقاط الاستناد التاريخية القليلة والتي لا يمكن الاعتماد عليها في تحديد زمن تنزل السور

هي:

١- سورة النجم لها علاقة بالهجرة إلى الحبشة.

الرواية التي استند إليها في قصة الغرانيق، وأن المهاجرين الذين هاجروا في السنة الخامسة للبعثة لما سمعوا بإسلام المشركين رجعوا إلى مكة- فهي القصة التي اعتمدها نولدكه على التاريخ الزمني للسورة، وربط عودة مهاجري الحبشة إلى مكة لم تثبت رواية ولا دراية.

٢- سورة طه نزلت بحسب الرواية المعروفة قبل إيمان عمر في السنة السادسة قبل الهجرة.

٣- سورة الروم تتناول بالتأكيد الحرب بين البيزنطيين والفرس، وبعض الأحداث التي حصلت في السنتين السابعة والثامنة من البعثة.

هدفت السور المكية الدعوة إلى الإيمان بالإله الحق الواحد، وقيامه الأموات والحساب دون السعي لإقناع السامعين، بل بالعرض الخطابي المؤثر، وهذه الوسائل ساعدت على نشر الإسلام بواسطة التأثير الهائل الذي مارسه على مخيلة أولئك الناس البسطاء الذين لم يسبق لهم أن تعرفوا على صور لاهوتية مشابهة.

^١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٦١-٦٨

المستشرقون اهتموا بالترتيب الزمني للسور، ومن هؤلاء:

- ١- وليم موير في كتابه حياة محمد
- ٢- غريمة في كتابه محمد
- ٣- هيرشفلد في كتابه بحوث جديدة في نظم القرآن وتفسيره.

سور الفترة الأولى^(١): الله يملأه متكلماً، والكلام فيه مفعم بالصور الصارخة والنبرة الخطابية التي تحتفظ بلونها الشعري، والآيات القصيرة زاخرة بالقوة وذات إيقاع وجرس، وكما أخذ محمد (ﷺ) أسلوب السجع عن الكهان، فقد أخذ أسلوب القسم عنهم أيضاً.

السور التي يهاجم فيها محمد (ﷺ) أعداءه وخصومه نشأت في الوقت الذي تأكد فيه يوحى إليه، وأنه نبي الله، وهذه السور هي:

- ٥- سورة العصر في الآية ٢
- ٦- سورة الانفطار في الآية ٩
- ٧- سورة الليل في الآية ١٦
- ٨- سورة الفجر في الآية ٦

وضع النبي (ﷺ) طائفة من السور التي يقسم فيها أو يتصدرها القسم بأشياء أنثوية مثل سورة ص، والذاريات وسورة المرسلات، ووجد المفسرون المسلمون صعوبة في فهم هذه الطائفة من الأقسام في هذه السور.

قصر السور يعود إلى الوجد الشديد (السكر النبوية) الذي انبعث منه ولم يكن في وسعه أن يدوم طويلاً، حيث لم يكن في وسعه أن يستمع إلى سور كاملة، بل إلى أجزاء مفردة.

عند تلاوة هذه السور اتهم القرشيون محمداً (ﷺ) بالجنون والشعر والهوس والكذب، وهو لم يكن خالٍ منها.

قاوم محمد (ﷺ) هذه الصفات بكل ما عنده من زخم من خلال المهاجمة الشخصية للمخالفين في المقاطع القصيرة كما هو الحال في سورة المسد.

١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٦٨-١٠٤

ترد رواية عائشة في بدء نزول الوحي وأن سورة العلق هي أقدم السور تنزلاً؛ لأنه لا يوثق بها كثيراً، وهي كانت صغيرة وقت ذلك، ولم يرو لها الرسول ذلك إلا بعد زمن طويل.

ترد رواية عائشة أيضاً بأن جبريل نزول بالوحي الأول (آيات سورة العلق) في اليقظة في غار حراء بالرواية المذكورة في بعض كتب السيرة بأن الوحي كان مناماً وحلماً.

من قضاء النبي (ﷺ) لحياة زهد طويلة في الوحدة، وصار بواسطة التأمل والصراع الداخلي إلى وضع من الاضطراب الهائل الذي حكم عليه بصورة قاطعة بواسطة حلم أو رؤيا بأن يتنبأ، وأن يجهر بالحقيقة التي اتضحت له واكتسبت الدعوة في نفسه شكلاً ثابتاً كوحي يطلب الله منه أن يبلغ قومه.

لا يمكن القطع بأن أول ما نزل من القرآن هي سورة العلق حتى لو نسب لهذه الآيات أهمية أساسية في قصة الوحي، بسبب حثها الشديد على القراءة، وليس في النص ما يدعم التقديم التاريخي، فربما قيلت هذه الكلمات في أي وقت، وليس في بداية الوحي لأسباب التالية:

- ١- الأسلوب الكثيف والإيقاع القصير الأجزاء.
- ٢- الجزء الثاني من السورة موجه إلى عدو للإيمان بمنع عبداً مؤمناً عن صلة الجماعة المسلمة الفتية.
- ٣- ليس هناك ترابط بين الآية الخامسة والآية السادسة.

لم يتجرأ محمد (ﷺ) أن يتكلم بالنبوة، ولم يكن على ثقة من نفسه بالجهر، وأنه كان يعيش تحت وقع الصراع النفسي العنيف، وكاد أن يؤدي به إلى الانتحار من بعد أن فتر الوحي عنه مدة دامت بين سنتين إلى ثلاث سنوات.

سور الفترة الثانية^(١):

وسور هذه الفترة ليس لها أي طابع مشترك، فبعضها يشبه سور الفترة الأولى، بينما البعض الآخر يشبه سور الفترة الثالثة.

يتم الانتقال في هذه السور من الحماس العظيم إلى قدر أكبر من السكينة في السور المتأخرة التي يغلب عليها الطابع النثري، حتى يعطل محمد (ﷺ) الشك بأنه ساحر أو كاهن، فهذا الانتقال تم عن وعي وتدرج، ولم يحصل فجأة.

التكرار المستمر للأفكار يؤثر سلباً على الشكل الفني للعرض، ثم يحل التأمل الهادئ محل الخيال العنيف، ويحاول محمد (ﷺ) بواسطة أمثلة كثيرة مأخوذة من الطبيعة والتاريخ يكسبها فوق بعضها البعض أكثر مما يرتبها منطقياً، فيجئ إلى الإطناب، ويصبح مملأ مرتبكاً. ويصل إلى النتائج بطريقة ضعيفة، وما يستنتج لا يقنع الخصوم، بل يخلطهم في أبعد حد بسبب التكرار الدائم.

تضعف الروح الشعرية في سور هذه الفترة، والهدوء الذي يلحظ في هذه السور يعرف بطول الآيات والسور المتزايد، ثم إن الأفكار تقفز بجرأة خاصة في القصص.

المناقشات المستفيضة للعقائد لا سيما معرفة الله تعالى من خلال الآيات المنتشرة في الطبيعة، وترد قصص طويلة عن حياة الأنبياء السابقين.

تغير الأسلوب يحتم استخدام أساليب خطاب جديدة فتختفي الأقسام المعقدة التي تميز الفترة القديمة، مع أنه توجد بعض الأقسام القصيرة، وتصدر العديد من السور بعناوين شكلية للمصادقة على مصدرها السماوي، بمعنى " هذا وحي الله "

سور الفترة الثالثة^(٢): اللغة مطمئنة، واهية، نثرية، التكرار الذي لا نهاية له، والبراهين تقتصر إلى الوضوح ولا تقنع، والقصص لا تنوع فيها.

طول الآيات له علاقة وثيقة بالأسلوب الذي يصبح أكثر نثرية، ولا يبقى من القالب الشعري إلا الفاصلة، وعلى الرغم من أنها تعطي انطباعاً مؤثراً إلا أنها مشوشة في كثير من الأحيان.

^١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٠٥ - ١٢٨

^٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٨ - ١٤٨

يلحظ في سور هذه الفترة الخطاب بـ " يا أيها الناس"؛ لأن السور المبكرة المحركة شعرياً أو بالأحرى خطابياً لا تتقبل هذه الصيغة.

السور المدنية^(١):

لا يتعرض القرآن - في سور هذه الفترة- للمشركين الذين أعلنت عليهم الحرب في الفترة المدنية إلا نادراً، مع كثير من اللطف باللوم على بعض معتقداتهم الدينية.

كثيراً ما يهاجم محمد (ﷺ) اليهود، ويوبخ المنافقين بشدة، وإذا استلزم الأمر أن يراعيهم في تصرفاته فقد محمد (ﷺ) أطلق العنان لعواطفه دون ذكر الأسماء، ويكاد النبي (ﷺ) لا يلتفت إلا إلى المنافقين الفعلين في المدينة.

سعى محمد (ﷺ) إلى اكتساب ولاء العرب الآخرين الذين اعتنقوا الإسلام سطحياً بواسطة الإحسان أكثر منه بتدابير وكلمات قاسية تفرهم منه. من النادر أن تخاطب هذه السور المسلمين تعاليم عقائدية أو أخلاقية، وقد عرفتهم بها بصورة وافية السور المكية.

محمد (ﷺ) يكلم أتباعه في ميدان القتال كقائد، أو أمراً أو مشرعاً، والآيات التشريعية بعضها يسري لوقت محدد، وبعضها الآخر ساري المفعول دائماً.

ما لا يتضمنه القرآن مما أوحى إلى محمد (ﷺ)^(٢)

يتضمن الحديث الكثير من الآيات التي نزلت على النبي (ﷺ):

أولاً: الآيات التي ما زال نصها محفوظاً، والتي يصفها الحديث صراحة بأنها أجزاء أصيلة من القرآن الكريم.

النص الأول: " لو أن لابن آدم وادياً من مال لا يتغنى إليه ثانياً، ولو أن له ثانياً لا يتغنى إليه ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب"

^١ - نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ١٤٨- ص ٢١٠

^٢ - المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٠- ص ٢٣٢

النص الثاني: "قرأ أبي بن كعب (رضي الله عنه): "إن الدين عند الله الحنيفية السمحة لا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيراً فلن يكفره"

النص الثالث: النص المنسوب إلى مسلمة المدني قال لأصحابه ذات يوم: أخبروني بأيّتين في القرآن لم يكتب في المصحف فلم يخبروه فتلا عليهم: "إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون، والذين آوهم ونصروهم وجادلوا القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون"

النص الرابع: "أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة" وهذا النص جاء فيه أن عمر بن الخطاب أثناء خلافته سأل عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما إذا كان يعرف الآية "أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة"، فأجاب عبدالرحمن بن عوف، أن الآية أسقطت فيما أسقط من القرآن

النص الخامس: عن أبي موسى الأشعري: "كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات وأنسيتها غير أنني حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة"

النص السادس: يروي أنس بن مالك رضي الله عنه أنه "أنزل في الذين قتلوا في بئر معونة قرآن ثم نسخ بعد"

النص السابع: وهو الآية المدعوة بآية الرجم

والنص هو: "لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم الشيخ والشيخ إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم"

النص الثامن: رواية أبي بن كعب: "ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً إلا من تاب فإن الله كان غفوراً رحيماً"

النص التاسع: "إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حमितم كما حموا لفسد المسجد الحرام فأنزل الله سكينته على رسوله".

النص العاشر: "النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم"

النص الحادي عشر: رواية الرضعات عن عائشة رضي الله عنها والنص هو " كان مما أنزل من القرآن عشر رضعات يحرم من فنسخن بخمس معلومات، وتوفي رسول الله ﷺ وهن مما يتلى من القرآن "

النص الثاني عشر: كان سعيد بن جبير يقول في هذه الآية: " من رمى محصنة لعنه الله في الدنيا والآخرة، فقال: إنما ذلك لأم المؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة "

ثانياً: توجد معلومات عن مقاطع قرآنية ضاعت من دون أن يبقى لها أثر.

١- سورة الأحزاب، حيث تتسب إليها بعض الروايات ٢٠٠ آية، ويدعى أيضاً أنها كانت بطول سورة البقرة أو حتى أطول منها.

٢- سورتا التوبة والبينة حيث يُذكر أنهما كانتا أطول مما عليه الآن.

ثالثاً: أحاديث محمد (ﷺ) التي تعتبر بدورها وحياً إلهياً، لكنها لا تعلن صراحة أجزاء من القرآن.

أعلن محمد (ﷺ) أنه يتلقى الوحي من الروح " روح القدس " الذي اعتبره ملكاً، وسماه في السور المدنية جبريل، لكن هذا لم يحدث بالشكل نفسه دائماً - أي أن للوحي أشكالاً متعددة، كالرويا الصادقة، والإلهام، والتكليم.

المسلمون لا يصفون بكلمة الوحي القرآن وحسب، بل كل إلهام تلقاه النبي (ﷺ)، وكل أمر إلهي وجه إليه، حتى لو لم تعتبر كلماته قرآناً، وأكثر أنواع الوحي تتناول الوحي غير القرآني.

المسلمون يميزون بين نوعين من الوحي، وهو الوحي المتلو والوحي غير المتلو، وهم مخطئون في اعتبارهم الأحاديث القدسية من الوحي؛ لأن ليس ثمة تأكيد على أن محمد (ﷺ) قد نطق بها.

وأما الأحاديث النبوية فهي تحذيرات وأوامر أطلقها محمد (ﷺ) في مختلف المناسبات، أو كشف عن الحاضرات أو المقبلات بواسطة وحي أناه.

يتمتع هذا النوع من الوحي بقدر كبير من الثقة، ويكفي لذكر هذه الأقوال عدم توفر نصوص منزلة.

ولو اعتبرت تلك القصص خرافات، فهي ترسم على العموم صورة صحيحة عن الأمزجة والأوضاع النفسية التي كان بها محمد (ﷺ). ومن صفة الأديان أن يكونوا على اتصال شبه دائم بالأكوّهة في الأمور العظيمة، وحتى أصغر شؤون الحياة.

يعتبر أنه من الأكيد أن محمداً (ﷺ) شعر أنه كان خاضعاً لتأثير إحياءات أخرى غير آيات القرآن، وإذا تذكرنا أيضاً إعلاناته الكثيرة المستقلة، فلا بد لنا أن نسأل عن كيفية تمكنه من الاهتداء إلى الصواب في وسط هذا التشويش.

القرآن يفيد بأنه يعود إلى اللوح المحفوظ في السماء، لهذا السبب فإن محمداً (ﷺ) لم يكن يعتبر من جملة ما أوحى إليه قرآناً إلا ما صدر بحسب إيمانه عن ذلك النموذج السماوي الأصيل، ويمكن إضافة مبدأ آخر إلى هذا المبدأ الشكلي، وهو يتعلق بالمادة- الموضوع- التي يجب أن تتناول أحكاماً شاملة المفعول، وأموراً هامة من أمور الدين

لعل النبي (ﷺ) اعتراه الشك أحياناً، وهو على هذه الأرضية المضطربة ولم يكن اللاحقون الذين تولوا مهمة جمع تركته أقل منه عرضة للخطأ، لهذا لسبب تمكنت أقوال عادية أن تتال بسهولة صفة الأحاديث القدسية، وحتى أن تتسرب إلى كوجي من الدرجة الأولى إلى القرآن، كذلك تمكنت بالمقابل آيات حقيقة من القرآن، لم تضم لسبب ما إلى المصحف أن تدخل الحديث.

كشاف المصطلحات الواردة في الجزء الأول من كتاب تاريخ القرآن لنولدكه

١- الأناجيل المنحولة، وهي المسماة بـ (الأبوكريفا) من الكلمة الإغريقية Apokryphos وتعني الغامض أو المخبوء، وهي تشير إلى كتب ذات طابع ديني (أسفار) لكنها غير معترف بها من قبل الكنيسة ككتب مقدسة، وألحق بعضها بالعهد القديم، وبعضها بالعهد الجديد^(١).

٢- المعمدانيون: أحد مذاهب البروتستانتية ظهرت في القرن السابع عشر، أسسها دعاة فروا إلى هولندا تقادياً لاضطهاد الإنجليكانيين^(٢).

٣- الهاجادا: جزء من التلمود يحتوي على تعليقات لتمجيد القواعد الشرعية في شكل حواريات وأمثال وطرائف وأقوال مأثورة^(٣).

٤- المونتانيون: طائفة مسيحية ظهرت مبكرة في وسط القرن الثاني، وسميت على اسم مونتanos الكاهن الذي أعلن بعد تحوله إلى المسيحية انه المعززين وستحل عند مجيئه مملكة الروح محل مملكة الآب والإبن^(٤).

٥- التلمود: عمل يحتوي على رسائل دينية تشكل فيما بينها الإيديولوجية والمفاهيم الدينية التشريعية، وطقوس العبادة للديانة اليهودية، ويمثل التلمود مجموعة واسعة من الأفكار المتعلقة بالآخرة مثل مفاهيم نهاية العالم، والإيمان بيوم القيامة، وبعث الموتى، والثواب والعقاب بعد الموت، ولم يكن لهذه الأفكار وجود واضح في الوعي الديني لليهود في الفترات الأسبق، ووضع اليهود نظاماً معقداً من الطقوس يشمل عدداً كبيراً من الوصايا والتحريمات. ويرتبط التلمود بأنشطة السفريم (الكتّاب) الذين تولوا رئاسة المعابد التي أقيمت في مصر في القرن الثالث قبل الميلاد، حيث وضع السفريم أساس تفسير التوراة التي لم تعد تتناسب مع ظروف الحياة في الشتات، ولما جمعت مادة تفاسير التوراة أصبحت هذه المادة تعرف فيما بعد باسم (المشناه) وتعني التعاليم، وقد طرحت فيما بعد تفاسير على نص المشناه، وشكلت هذه التفاسير (الجمارا) التي تشكل مع المشناه نص التلمود^(٥).

١ - الفيشاوي، سعد، المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، مرجع سابق، ص ٣٢

٢ - المرجع السابق، ص ٦٩

٣ - المرجع السابق، ص ٢٦١

٤ - المرجع السابق، ص ٤٠٣

٥ - المرجع السابق، ص ٦١٧

٦- رواية أحيقار السريانية: أحيقار هو حكيم ومستشار آشور كلها، وحامل أختام سنحريب ملك آشور، وكتابه يتألف من مجموعة من الأمثال باللغة الآرامية، وقد انتظمت هذه الأمثال في قصة تروي ما أصاب أحيقار من سعد ونحس، وقد كتبت النسخة الأخيرة لسيرة هذا الحكيم بلغة آرامية، وبلهجة شرقية رافدية (لهجة الجزيرة السورية)

٧- المندائيون: طائفة توصف بأنها من أقدم الديانات الموحدة، حيث تدعو إلى الإيمان بالله ووحديته، وتصفه بالحي العظيم، أو الحي الأزلي، وكانت منتشرة في بلاد الرافدين وفلسطين ما قبل المسيحية، ولا يزال بعض من أتباعها موجودين في العراق.

٨- المسياني: المسيا بالعبرية معناها المسيح، وفي الغيمان اليهودي معناه إنسان مثالي من نسل الملك داود، ومبشر بنهاية التاريخ ويخلص الشعب اليهودي من ويلاته، وهي تشير إلى من تم مسحه بزيت الزيتون دلالة على تكريسه كاهناً أو ملكاً^(١)

٩- الكسائيون: فرقة ظهرت أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للميلاد في وادي الأردن، ومعناها اللغوي القوى الخفية، والمتخفون أو المتسترون تحت الكساء، وقد نبعت من اليهودية، ونسبت إلى رجل اسمه Eikesai، ويحافظون على سائر أحكام الشريعة الموسوية^(٢).

١٠- ليتورجيا: الليتورجية هي أي خدمة يقصد بها الصلوات الاجتماعية بكل أنواعها، ولكن استقر الرأي على إطلاق هذا الاصطلاح على القداس الإلهي تحديداً.

١١- رب الصباؤوت: صباؤوت جمع صبا، ومعناها جمهور أو جيش عرمرم، ورب الصباؤوت أي رب الجنود^(٣)

١ - التعريفات بكل من رواية أحيقار السريانية والمندائيين، والمسياني مأخوذة من موسوعة الـ WIKIPEDIA على الانترنت

٢ - أخذ هذا التعريف من موسوعة تاريخ أقباط مصر، عزت أندراوس، (موسوعة أنسكلوبيديا) على الانترنت.

٣ - التعريفان التاسع والعاشر مأخوذان من قاموس المصطلحات الكنسية، للقس تادرس يعقوب، طبعة بيروت، ١٩٦٩ على الانترنت.

מי-אל מבלעדי יהוה - من إل مبلعدّي يهوى (صموئيل ٢٢: ٣٢)^(١)

من هو إله غير الرب "يهوى"

نص الترجوم: לית אלהא אלא יי - ليت إلهها إلا يهوى^(٢)

שורה - شوره "سورة"^(٣)

שורה הדין - شورّه هديين "خيط القياس"^(٤)

שלם - شلام "سلام"^(٥)

שלום - شلوم "سلام"^(٦)

קרא - قرا "دعا"^(٧)

תפרקה ישועה - تفرقه يشوعه "فرقت المعونة/ المساعدة"^(٨)

נסח - ناسح "مزق، أزال"، وفي الآشورية nasâ%u - نساخو "نسخ"^(٩)

שבעה שבועות - شوبعا لها "الحمد لله" "سبحان الله"^(١٠)

ברוך יהוה - بروخ يهوى "بورك يهوى"^(١١)

١- نولدكه، تاريخ القرآن، ج ١، ص ٨

٢- المصدر السابق، ج ١، ص ٨

٣- المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩

٤- المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩

٥- المصدر السابق، ج ١، ص ٣١

٦- المصدر السابق، ج ١، ص ٣١

٧- المصدر السابق، ج ١، ص ٣١

٨- المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢، هامش رقم ٩٦

٩- المصدر السابق، ج ١، ص ٤٨

١٠- المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٠ هامش رقم ٣٧٢

١١- المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٠ هامش رقم ٣٧٢

מרא ללמא - مرء علما "سيد العالم" "رب العالمين"^(١)

ب ر أ و ه ش ق ر / ب ت ه م و / ي ر م / ب ر د / ر ح م ن ن^(٢)
بنى وأتمّ بيتهم "المسمى" يرم بعون الرحمن.

רחום = رحوم "رحيم"

רחמן = رحمن "رحمن"^(٣)

יום דינא רבא = يوم دينا ربا "رب يوم الدين" "مالك يوم الدين"^(٤)

בשם יהוה = בשם יהوی "بسم יהوی" / "بسم الله"^(٥)

בן אדם = بن آدم "ابن آدم"^(٦)

١ - المصدر السابق، ج١، ص١٠١ هامش رقم ٣٧٢

٢ - المصدر السابق، ج١، ص١٠١، هامش رقم ٣٧٢

٣ - المصدر السابق، ج١، ص١٠١ هامش رقم ٣٧٢

٤ - المصدر السابق، ج١، ص١٠١ هامش رقم ٣٧٢

٥ - المصدر السابق، ج١، ص١٠٤ هامش رقم ٣٨١

٦ - المصدر السابق، ج١، ص٢٧١ هامش رقم ١٠١٣

تَرْجُومَةُ آيَاتِ الْقُرْآنِ
لِلْمَرْكَزِ الْعِلْمِيِّ عَالِمِ الْمَدِينَةِ

مرتبة حسب ترتيب السور والآيات الكريمة

رقم الصفحة	الآية ورقمها	اسم السورة
٣٤٩ ٣٤٥ ٣٤٩، ٣٤٥ ٣٤٩، ٣٤٦، ٢٢٣ ٣٤٩، ٣٤٥ ٣٤٦، ٢٢٣	"الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" ٢ "الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" ٣ "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" ٤ "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" ٥ "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" ٦ "غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" ٧	الفتحة
١٨٧ ١٧١ ١٤٥ ٢٦١ ١٠٠ ٣٠٨ ٢٦٣، ١٠٩ ١٤٥ ٢٦٣ ١٥٣ ١٠٩	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ... (٧-٦) "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ... (١١-١٣) "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ" ٢١ "إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا" ٢٦ "وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَتْلُمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمْيَاتٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَنْظُنُونَ" ٧٨ "مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا" ١٠٦ "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ" ١٥٨ "يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ" ١٦٨ "أَحَلَّ لَكُمْ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي رَفَعْنَا إِلَىٰ بِسْمِكُمْ" ١٨٧ "وَأْتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ" ١٩٦ "ثُمَّ أبيضوا مِنْ حَيْثُ أَفَاحَ النَّاسُ" ١٩٩	البقرة
٣٤٣، ٢٧٤ ٢٢٥ ١٨٧	"قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمَلِكِ" ٢٦ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ... المهاد	آل عمران
٢٧٩ ٣٣٤، ٣٣٣	"يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَىٰ" "وَأَخْوَالِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ" ٢٣	النساء
٣٠١ ١٨٧	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا صِلَاتِكُمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ" ٨٧ "مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ"	المائدة

١٠٢	"مَجْتَلُونَ قِرَاطِيسٍ لِيَذُوقَهَا وَيَحْتَفُونَ كَثِيرًا" ٩١	الأنعام
١٢٠	"لَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ" ١٢٥	
١٧٨	"كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي سِتْرِكَ حَرْجٌ مِنْهُ لِنَسْرِ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ" ٢	الأعراف
١٧٨	"الْبُحَا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَبْهُوا مِنْ ذَوِيهِ أَوْلِيَاءَ فَبَلَا مَا تَدْكُرُونَ" ٣	
٢٥٣، ١٠٠	"الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ" ١٥٧	
٢٥٤	"وَاصْتَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا... ١٥٥	
٣٦٥	"قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا" ١٥٨	
١٧٩	"لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا... ١٧٩	
١٧٨	"وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" ٢٠٤	
١٧٨	"أَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ" ٢٠٥	
١٧٨	"إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِي يَأْتِيهِمْ وَالَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ" ٢٠٦	
٣١٩	"إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا" ٦٥	الأطفال
٣١٩	"إِنَّا نَحْنُ اللَّهُ غَنَّا وَعَلِيمٌ أَنْ فِيكُمْ ضَعْفًا لِأَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ" ٦٦	
٨٧	"مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَشْرَى فِي الْأَرْضِ... ٦٧	
٢٧١	"وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ" ٧٥	
١٨٧	"وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ..."	التوبة
٢٩٦	"إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لَمْ نَكُفِّرْكُمْ شَيْئًا..."	
٣١٣	"كَانَ لَمْ تَلَمْ بِالْأَنْسِ كَذَلِكَ نَقُصُّ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" ٢٤	يونس
٣٤٦	"بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا" ٤١	هود
١٩٥	"وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا تَنْجِيبًا" ١٠١	
١١٦	"الرَّبِّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ" ١	الرعد
١١٦	"وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنَادٍ وَنَحْنُ قَوْمٌ هَادٍ" ٧	
١٤٥، ١٤١	"وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ" ٤٣	

١٨٠	"قَالُوا إِنِ اتَّخَذْتُمُ آلِهَةَ مِثْلَ آبَائِنَا وَإِبنَائِنَا وَإِبنَاتِنَا وَإِبنَاتِنَا وَإِبنَاتِنَا... ١٠-١١	إبراهيم
٣٤٣	"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ" ٣٩	
٣٤٣	"رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ" ٤٠-٤١	
١٨١	"الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ١	الحجر
١١٩	"وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ٦	
٣٣٢	"إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ٩	
٢٣٠	"فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ"	
٢٢٢	"وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَابِيهِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ" ٨٧	
١٢٧	"إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ٩٠	النحل
٢٢١	"فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" ٩٨	
٢٤٢، ١٠١، ٣٤	"لِسَانَ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَغْجَمِي... ١٠٣	
١٢٠	"وَلَكِنَّ مَن شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا" ١٠٦	
٢٣٧	"إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" ١	الإسراء
١١٦، ٢٣٥	وَلِيخَوِّفَهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا" ٦٠	
٩٠	"وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَيَجْعَلُ بِهِ قَائِلًا لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَتَذَكَّرَ ذَلِكُمْ وَأَنْ يَتَّخِذَ مِنْهَا مَفَاحِمًا مَّخْمُودًا" ٧٩	
٣٤٣	"وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ" ٨٠	
١١٦	"أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرِّيَّتٍ إِلَىٰ قَوْلِهِ... قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا" ٩٣	
١٨٢	"قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ" ١١٠	
٣٧٢	"أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِن آيَاتِنَا عَجَبًا" ٩	الكهف
٣٧٣	"وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا" ٢٥	
١٧٠	"ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي لِيهِ يَمْتَرُونَ" ٣٤	مريم
٢٣١	"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا" ٩٦	
٣٠٦	"لَنَسْفَعُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ" ٥٢	الحج
١٣٠	"ثُمَّ أَنشَأْنَا لَهُمْ آخَرًا" ١٤	المؤمنون
٣٤٣، ٢٢١	"وَقُلْ رَبِّ اعْوِذْ بِكَ مِنَ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذْ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ" ٩٦-	

	٩٧	
٣٢٣	"الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۚ	النور
٣٣٤	"إِنَّ الَّذِينَ يَرْتَمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ	
١٧١	أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ ۚ	
٢٨٧	"إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ... ٥١	
١٠١،٢٠	"وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا فِكْ الْفَرَاءِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۚ	الفرقان
١٠١،١١٦	"قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ	
٢٠٤	"وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرُّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۚ	
٢٢٩،١٦٤،	"وانه لحريل رب العالمين... ١٩٢-١٩٤	الشعراء
٣٥٠،١٦٤	"نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۚ	
٣٤	"وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظْهِرُونَ إِنَّهُمْ عَنْ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ۚ	
٢٢٩،٨٢	"وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۚ	
١٨١	طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ١	التنم
٢٣٨	"اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٢٦	
٣٤٦	"إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣٠	
٢٢١	"أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ۚ	
٢٤٨	"وَنُوحًا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ۚ	القصص
٢٤٨	"تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ٨٣	
٥٠	"وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيرًا لِلْكَافِرِينَ ۚ	
١١٦	"الَّذِي مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ٤٥	العنكبوت
٤٠٦،١٨٠	الم غُلِبَتِ الرُّومُ ١-٢	الروم
١٨٠	يُخْرِجُ الْخَبْثَ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْخَبْثِ ١٩	
٢٧٦	وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ٤٧	
١٥٩	تَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضُرْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي	الأحزاب

	قَلْبِهِ خَرَضَ ٣٢	
٨٧	"وتخفي في نفسك ما الله مبديه.. ٣٧"	
٣٣٠	"مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ" ٤٠	
١٨٠	"أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ" ١٨	يس
٢٧٦	"وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ... ١٧١-١٧٣"	الصفات
١٩٥	"وَمَا كُنْزُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي كِتَابٍ ٣٧"	غافر
٢٤٦	"الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرًا مَقَامًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا" ٣٥ "إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مِمَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ" ٥٦ "أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَىٰ يُصْرَفُونَ" ٦٩	
٢٢١	"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ لَكِتَابًا عَزِيزًا" ٤١	فصلت
١٧٩	"سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَلِي أَنْفُسِهِمْ" ٥٣	
١١٤	"وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ إِلَّا وَخَاءٌ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" ٥١	الشورى
٣٠٦	"إِنَّا كُنَّا نَسْتَبِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" ٢٩	الجاثية
٦٩	"لَا عَلَّمْنَا آلَهُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَلِيقِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" ١٩	محمد
٢٩	"لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ" ٢	الفتح
٣٥٠	"وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ" ٣-٤	النجم
١٦٤، ١١٤	"ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى" ٦-٧	
٢١٢، ١١٤	"وَلَقَدْ رَأَىٰ نَزْلَةَ أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ" ١٣-١٤	
١١٥، ١١٤	"لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى" ١٨	
١٥٦	"اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَالشُّقُ الْقَمَرُ" ١	القمر
٢٧٦، ٢٢٤	"سَيُهَوِّمُ الْجَمْعَ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ" ٤٥	
٤٨	"الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ" ٥ "وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ" ٦ "وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ" ٧ "وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ" ١٠	الرحمن
٢١٧	"ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ" ١٣-١٤	الواقعة
١٨٥	"أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذْ أَخَذْتُمْ مِنَ الْخَالِقُونَ" ٥٨-٥٩	
١٨٥		

١٨٥	"أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُفَرْتُمْ بِهِ"	
١٨٥	"أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي كُفَرْتُمْ بِهِ"	
١٨٥	"أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ"	
٣١٩،٣٢٠،٤١١	تِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَثِيرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" ٣-٢	الصف
٣٧٩	"إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا لَشَهَادَتِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهِ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ" ١	المنافقون
٢٨٥	"تِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا لِنَهْيِكُمْ آمَوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ" ٩	
١٥٧	تِيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ" ١	التحريم
٣٠١	"قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ" ٢	
١٧٠	"وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ" ٤٢	الحاقه
١٩٥	"إِنْ لَدَيْنا انْكَالًا وَجَحِيماً" ١٢	المزمل
١٨٣،١٩٣،١٩٤	"بِأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ - إِلَى قَوْلِهِ وَالرُّجُزُ فَاهْجُرْ"	المدثر
١٥٩	"وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً... ٣١	
١٨٧	"بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ" ٥	القيامة
١٢٥،١٣٠،١٣١،١٧٧،١٧٨	"لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَازِلَ بِهِ إِنْ عَلِمْتَ جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَجَاهِزْ فَهُجْرًا ثُمَّ إِنْ عَلِمْتَ بَيِّنَاتٍ" ١٦-١٩	
١٧٨	"كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ" ٢٠	
١٨٥	"أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُنْ لَطْفَةً مِنْ رَبِّي يُتِمِّي نُفْسًا كَمَا كَانَتْ عَاقِلَةً فَلَخَسَتْ لِقَوْلِي فَجَعَلَ مِنْهُ الزُّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى الْأُنثَى الَّتِي سَمَّيْتُ بِهَا قَادِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُخَيِّرَ الْمَوْمِنِينَ"	
١٨٥	"٤٠-٣٦"	
١١٤،١٦٤	"إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ" ١٩	التكوير
١١٤،٢١٢	"وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْمُبِينِ" ٢٣	
١٨٣	"بِأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ" ٦	الانشقاق
١٨٤	"سُبْحَ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى" ١	الأعلى
١٨	"أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ خُلِقَتْ"	الغاشية

	نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ" ٢٠-١٧	
١١٩	"أَنْتُمْ كُنْتُمْ لَكُمْ حَذْرًا" ١	الشرح
١٢٠	"وَوَضَعْنَا عَنَّا وَزْرًا الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ" ٣-٢	
١٥٩،٢٠٨	"إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْتُونٍ" ٦	التين
١٢٧،١٩٢	"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" ١ - "الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ"	العلق
١٨٤	"لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ" ٣-٢	الكافرون
١٨٤،٣٤٨	"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْقَلْقَلِ" ١	القلق
١٨٤،٣٤٨،٣٤٩	"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ" ١ - "مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ" ٦	الناس

فهرس الأملأونل
مأرسفأ علف ٣١٤ ٣٣٩

الرقم	الحديث	الصفحة
١	إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة	٣٥٣
٢	أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية	١٢٧
٣	أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس	١٢٣
٤	أخبروني بأيئين في القرآن لم يكتبأ في المصحف	٣١٥
٥	إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حميتم كما حموا	٣٢٨
٦	اشتكى رسول الله ﷺ لم يقم ليلتين أو ثلاثة	٢٠٢
٧	إن أصحابكم قد أصيبوا	٣٢١
٨	أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة	٣١٧
٩	إن الدين عند الله الحنيفية السمحة	٣٣٩ ، ٣١٤
١٠	إن ربك أمرك أن تقرئها أبيعاً	٢٦٧
١١	اغزوا باسم الله	٣٠٠
١٢	ألا تكفيك آية الصيف	١٣٤
١٣	ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان	١٠٩
١٤	أفلا أكون عبداً شكوراً	٩٠
١٥	اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك	٢٢٤
١٦	أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين	١٤٩
١٧	أنزل في الذين قتلوا في بئر معونة قرآن ثم نسخ	٣٢١
١٨	إنما خيرني ربي فقال: " استغفر لهم أو لا تستغفر لهم "	٢٩٧
١٩	"أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة	١٩٢ ، ٢٢
٢٠	إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم	٣٢٤
٢١	أين السائل عن العمرة؟	١٩٤

٢٢	جاعني جبريل بنمط من ديباج مكتوب عليه اقرأ	٩٢
٢٣	خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي	٢٩٣
٢٤	خذوا القرآن من أربع	٣٤٧، ١٨٦
٢٥	خرج رسول الله حتى صعد الصفا، وهتف: يا صباحاه	٢٢٩
٢٦	ذلك يوم ولدت فيه	١٤٨
٢٧	رجمتها بسنة رسول الله ﷺ	٣٢٣
٢٨	رأيت رسول الله ﷺ قرأ وهو على ناقته أو جملة	١٣٤
٢٩	رأيت القمر منشقاً شقين بمكة	١٥٦
٣٠	سجع كسجع الأعراب	١٧٠
٣١	ضعوا هؤلاء الآيات في السورة	١٢٧
٣٢	غيب وجهك عني	٢٣٥
٣٣	فتر الوحي حتى حزن النبي ﷺ	٩٣
٣٤	فجاعني جبريل وأنا نائم	٩٢
٣٥	قام النبي وأصحابه حولاً	٢٠٩
٣٦	كان رسول الله يشرب عسلاً	١٥٧
٣٧	كان أهل المدينة في الجاهلية إذا أهلوا لمناة	١٠٩
٣٨	كان الرجل إذا كان صائماً	٢٦٣
٣٩	كانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا الحمس	١٠٩
٤٠	كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات	٢٧٨
٤١	كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النبي ﷺ منتي آية،	٣٣٧
٤٢	كأين تعد سورة الأحزاب؟	٣٢٥
٤٣	كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض	٨٣
٤٤	كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات	٣١٩
٤٥	كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم	٢٧٥

٢٨٩	كان الرجل يقدم المدينة فيسلم	٤٦
٢٣٤	لا تحرم المصبة ولا المصتان	٤٧
٤١١، ٣٢٢	لا ترغبوا عن آباءكم فإنه كفر بكم	٤٨
٢٧٥	لعل النبي أخذها	٤٩
١٠٧	لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً	٥٠
١٣٣	لو أستطيع الجهاد لجاهدت	٥١
٣٣٩، ٣١٠	لو أن لابن آدم وادياً من مال لا يتغى إليه ثانياً	٥٢
٢٨٣	ليراجعها ثم يمسكها	٥٣
٢٨٢	ما أراه إلا قد حرم عليك	٥٤
٣٣٧	ما تقرؤون ربعا يعني براءة	٥٥
١١٥	مر رسول الله ﷺ بالصوريين قبل أن يصل إلى بني قريظة	٥٦
١٢٩	من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلفه	٥٧
٣٤٧، ٣٤٤	والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت	٥٨
١٣٠	هكذا أنزلت عليّ	٥٩
٨٢	وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم	٦٠
٨٧	وسألتك هل كنتم تنهونهم بالكذب	٦١
٣٣٧	نزلت سورة نحو براءة، ثم رفعت	٦٢
٣٣٠	النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم	٦٣
٣٢٧	ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً إلا من تاب فإن الله كان غفوراً رحيماً	٦٤
٣٤٧، ٣٤٤	والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت	٦٥

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

أ- المراجع العربية

- ١- أركون، محمد، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٠م.
- ٢- _____، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ترجمة هاشم صالح، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٩م.
- ٣- _____، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة هاشم صالح ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠١م.
- ٤- أسد، محمد، الإسلام على مفترق طرق، ترجمة عمر فروخ، د.ط، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١
- ٥- الأصبحي، مالك بن أنس (١٧٩هـ)، الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- ٦- الأصفهاني، الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، صححه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ٧- الأعمش، ديوان الأعمش: شرحه يوسف فرحات، دار الجيل، د.ط، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ٨- الألويسي، أبو الفضل محمود (١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، د. ط، بيروت، د.ت.
- ٩- امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، حققه حنا فاخوري، دار الجيل، د.ط، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ١٠- الباقلائي، محمد بن الطيب (٤٠٣هـ)، إعجاز القرآن، علق عليه وخرّج أحاديثه صلاح عويضة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- ١١- _____، الانتصار للقرآن، حققه عمر القيام، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ١٢- البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، الصحيح، تحقيق مصطفى البغا، ط٣، دار ابن كثير- دار اليمامة، بيروت، ١٩٨٧م.
- ١٣- البغوي، الحسين بن مسعود (٥١٦هـ)، معالم التنزيل، تحقيق خالد العك ومروان سوار، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م.
- ١٤- البقاعي، إبراهيم بن عمر (٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مقدمة التفسير، خرّج أحاديثه عبدالرزاق المهدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- ١٥- البيضاوي، عبدالله بن عمر (٧٩١هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

- ١٦- البيهقي، أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، تحقيق محمد عطا، د.ط، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م.
- ١٧- بارت، رودي، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧
- ١٨- بدوي، عبدالرحمن، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ترجمة كمال جاداش، ط١، دار العالمية للكتب والنشر، القاهرة، مصر.
- ١٩- _____، موسوعة المستشرقين، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤
- ٢٠- بريل، أ.ج. - تحرير، م.ت. هوتسمات و.أرنولد و.ر.باسيت و.هارتمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، مراجعة حسن حبش وعبدالرحمن الشيخ ومحمد عناب، مركز الشارقة للإبداع الفكري.
- ٢١- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم النجار، ط٢، دار المعارف، مصر.
- ٢٢- _____، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م
- ٢٣- بلاشير، القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ترجمة رضا سعادة، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤
- ٢٤- بلتاجي، محمد، مدخل إلى الدراسات القرآنية، مكتبة الشباب، د.ط، مصر
- ٢٥- بوكاي، موري، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ط١، دار المعارف، بيروت، ١٩٧٧م
- ٢٦- بيرك، جاك، إعادة قراءة القرآن الكريم، ترجمة وائل غالي، دار النديم، ط١، القاهرة، ١٩٩٦
- ٢٣٧- الترمذي، محمد بن عيسى (٢٧٩هـ)، السنن، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ٢٨- تشينسكي، دوبرا، أوروبا والمسيحية (الألفية الأولى)، ترجمة كبرو لحنو، دار الحصاد، ط١، دمشق ٢٠٠٧م
- ٢٩- الجابري محمد عابد، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١م.
- ٣٠- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣
- ٣١- الحاكم، محمد بن عبدالله (٤٠٥هـ) المستدرک، تحقيق مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ٣٢- ابن حبان، محمد بن أحمد التميمي، الصحيح، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٣٣- الحلبي، علي بن برهان الدين (١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبية، د.ط، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

- ٣٤- الحميدي، عبدالله بن الزبير (٢٤١هـ)، المسند، تحقيق حبيب الأعظمي، د.ط، دار الكتب العلمية- مكتبة المتنبى، بيروت- القاهرة، د.ت.
- ٣٥- ابن حنبل، أحمد (٢٤١هـ)، المسند، د.ط، مؤسسة قرطبة، مصر، د.ت.
- ٣٦- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
- ٣٧- أبو حسان، جمال، دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى العلامة الأستاذ فضل حسن عباس بمناسبة بلوغه السبعين، ط١، دار الرازي، عمان، ٢٠٠٣م.
- ٣٨- أبو حيان، محمد بن يوسف (٧٤٥هـ)، البحر المحيط، حققه عادل عبدالموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٣٩- الخطابي، حمد بن محمد (٣٨٨هـ) ، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨
- ٤٠- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ٤١- أبو خليل، شوقي، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٤٢- جها، ميشال، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت
- ٤٣- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، الموضوعات، تحقيق عبدالرحمن عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط١، ١٩٦٦م،
- ٤٤- _____، نواسخ القرآن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٤٥- جولدستيهير، إجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد موسى وعبدالعزيز عبدالحق وعلي حسن، د.ط، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٤١م.
- ٤٦- حاطوم، نور الدين، حركة القومية العربية، د.ج، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجبلاوي، ١٩٧١م
- ٤٧- حبنكة، عبدالرحمن، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط٩، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م.
- ٤٨- خلف الله، محمد أحمد، الفن القصصي في القرآن الكريم، ط٤، سينا للنشر، مؤسسة الانتشار العربي، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ٤٩- خليفة، محمد، الاستشراق والقرآن العظيم، ترجمة مروان عبدالصبور شاهين، د.ط، دار الاعتصام، مصر، ١٩٩٤،
- ٥٠- أبو داود، أحمد بن شعيب السجستاني (٢٧٥هـ)، السنن، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، د.ط، دار الفكر، د.ت.

- ٥١- ابن أبي داود، عبدالله (٣١٦ هـ) ، كتاب المصاحف (المقدمة) ، تحقيق آرثر جفري، ط١، المكتبة الرحمانية، مصر، ١٩٣٦م.
- ٥٢- دراز، محمد، النبأ العظيم، د.ط، دار القلم، الكويت، د.ت.
- ٥٣- _____، مدخل إلى القرآن الكريم، ترجمة محمد عبدالعظيم علي، د.ط، دار القلم، ١٩٨
- ٥٤- درمنغم، أميل، حياة محمد ، ترجمة عادل زعيتر، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٨٨
- ٥٥- دروزة ، محمد عزة، التفسير الحديث، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م
- ٥٦- دينيه، آيتين، محمد رسول الله، ترجمة عبدالحليم محمود، محمود عبدالحليم، د.ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩٠
- ٥٧- رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥
- ٥٨- روندسون، مكسيم، الإسلام بين دعائه ومعارضيه ، مقالة وضع الاستشراق المختص بالإسلاميات (مكتسباته ومشاكله)، ترجمة هاشم صالح.
- ٥٩- الدليمي، أكرم، جمع القرآن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ٦٠- الديار بكري، حسين بن محمد، تاريخ الخميس في سيرة أنفوس نفيس، د.ط، مؤسسة شعبان، بيروت، د. ت.
- ٦١- الذبياني، النابغة، ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٦٢- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ-)، سير أعلام النبلاء، حققه لجنة من العلماء، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.
- ٦٣- أبوزهرة، محمد، المعجزة الكبرى، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ٦٤- أبوزيد، نصر حامد، مفهوم النص، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠م.
- ٦٥- الرازي، محمد بن أبي بكر (٧٢١هـ-)، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٦٦- الرازي، محمد بن عمر (٦٠٦هـ-)، مفاتيح الغيب، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٦٧- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تحقيق عبدالله المنشاوي، ط١، مكتبة الإيمان، القاهرة
- ٦٨- الرماني، علي بن عيسى (٣٨٦هـ-)، (النكت في إعجاز القرآن)، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.
- ٦٩- الزرقاني، محمد، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥م.
- ٧٠- الزركشي، محمد بن بهادر (٧٩٤هـ-)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

- ٧١- الزركلي، الأعلام، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م
- ٧٢- الزمخشري، محمود بن عمر (٥٣٨ هـ -)، أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، د.ط، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- ٧٣- _____، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عبدالرزاق المهدي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م
- ٧٤- الزنجاني، أبو عبدالله، تاريخ القرآن، ط١، المستشارية الثقافية لإيران، دمشق، ٢٠٠٢م
- ٧٥- السباعي، مصطفى، السنة ومكاتها في التشريع الإسلامي، ط١، دار السوراق، الرياض، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
- ٧٦- السرخسي، محمد بن أبي سهل، المبسوط، د.ط، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ٧٧- سعيد، ادوار، الاستشراق (المعرفة، السلطة، النشأة)، ترجمة كمال أبو ديب، ط٢، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، بيروت
- ٧٨- سلمان، فريد مصطفى، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، سنة ١٩٩٣م.
- ٧٩- سمايلوفتش، أحمد، فلسفة الاستشراق، (رسالة دكتوراه منشورة)، د.ط، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠
- ٨٠- السمرقندي، أبو الليث، نصر بن محمد (٣٧٥هـ-)، بحر العلوم، تحقيق علي معوض وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣
- ٨١- سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، د.ط، ١٩٨١م
- ٨٢- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ-)، الإتحاف في علوم القرآن، تحقيق محمود القيسية، ومحمد الأتاسي، ط١، مؤسسة النداء، أبوظبي، ٢٠٠٣م.
- ٨٣- _____، الدر المنثور، د.ط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٨٤- _____، لباب النقول في أسباب النزول، تحقيق محمد صلاح، ط١، مكتبة الرحاب، القاهرة، ٢٠٠٧
- ٨٥- سنازار، زالمان، تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، ترجمة أحمد محمد هويدي، تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠
- ٨٦- الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي (٧٩٠هـ-)، الموافقات في أصول الشريعة، عني به محمد دراز، د.ط، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت.
- ٨٧- شاكر، أحمد محمد، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير، ط١، دار المؤيد، الرياض، ١٩٩٧م.
- ٨٨- شاهين، عبدالصبور، تاريخ القرآن، ط٢، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ٢٠٠٦م.

- ٨٩- شرابي، هشام، معنى الحدائثة، ندوة مواقف الإسلام والحدائثة، دار الساقى، ط١، بيروت، ١٩٩٠
- ٩٠- شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م
- ٩١- شلبي، رؤوف، الوحي الإلهي وأهميته في الحضارة الإنسانية، ط١، مطبعة حسان، القاهرة، ١٩٧٨م
- ٩٢- الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ-)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، حققه شعبان محمد إسماعيل، د.ط، دار الكتبي، القاهرة، د.ت.
- ٩٣- أبو شهبه، محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط٣، دار اللواء، الرياض، ١٩٨٧م.
- ٩٤- ابن أبي شيبه، عبدالله بن محمد (٢٣٥هـ-)، المصنف، تحقيق كمال الحوت، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- ٩٥- ابن أبي العز، علي بن علي (٧٩٢هـ-)، شرح العقيدة الطحاوية، دار الكتب العلمية، ط١، مصر.
- ٩٦- الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، ط١٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٨م.
- ٩٧- الصالحى الشامى، محمد بن يوسف (٩٤٣هـ-)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق عادل عبدالوجود وعلي معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣
- ٩٨- الصنعاني، عبدالرزاق بن همام (٢١١هـ-)، المصنف، تحقيق عبدالرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ
- ٩٩- الطبراني، سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ-)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق عوض الله وعبدالمحسن الحسيني، د.ط، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- ١٠٠- _____، المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور، ط١، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ١٩٨٥م.
- ١٠١- _____، المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣م.
- ١٠٢- الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ-)، تاريخ الأمم والملوك، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ١٠٣- _____، جامع البيان في تأويل آي القرآن، د.ط، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٧م.
- ١٠٤- الطبرسي (٥٤٨هـ-)، الفضل بن الحسن مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق هاشم الرسولي وفضل الله الطباطبائي، ط١، دار الباز، مكة المكرمة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م.
- ١٠٥- الطعان، أحمد، العلمانيون والقرآن الكريم تاريخية النص، ط١، دار ابن حزم، الرياض، ٢٠٠٧م.
- ١٠٦- الطيالسي، سليمان بن داود (٢٠٤هـ-)، المسند، طبعة دار المعرفة، د.ط، بيروت، د.ت.
- ١٠٧- ابن عاشور، الطاهر محمد، تفسير التحرير والتوير، د.ط، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م.
- ١٠٨- عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، ط١، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٧م.
- ١٠٩- عباس، فضل حسن، وسناء فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، د.ط، ١٩٩١م
- ١١٠- _____، البلاغة فنونها وأفانها (علم المعاني)، ط٩، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠٤

- ١١١- _____ ، التفسير أساسياته واتجاهاته، ط١، مكتبة دنديس، عمان، ٢٠٠٧م.
- ١١٢- _____ ، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ط١، دار الفتح، عمان، ٢٠٠٠م
- ١١٣- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط٢، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨١م.
- ١١٤- ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله، (٤٦٣هـ-)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي الجاوي، د.ط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٠
- ١١٥- عبد الملك، بطرس، قاموس الكتاب المقدس، ط١، ١٠١، دار الثقافة، مصر، ١٩٩٥م
- ١١٦- عبده، محمد، تفسير جزء عم، د.ط، دار ومكتبة هلال، مصر، ١٩٨٥م.
- ١١٧- أبو عبيد، القاسم بن سلام (٢٢٤هـ-)، فضائل القرآن، تحقيق مروان العطية وآخرين، د.ط، دار البشير، عمان، ١٩٩٥م.
- ١١٨- عتر، حسن، وحى الله، حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، ط١، دار المكتبي، دمشق، ١٩٩٩م.
- ١١٩- عتر، نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٨١م.
- ١٢٠- عرجون، محمد الصادق، محمد رسول الله، دار القلم، ط١، دمشق، م ١٩٨٥م.
- ١٢١- عرفة، محمد أحمد، نقض مطاعن في القرآن الكريم، وقف على تصحيحه محمد رشيد رضا، ط١، مطبعة المنار، القاهرة، ١٣٥١هـ.
- ١٢٢- العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي (٨٥٢هـ-)، تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، ط١، دار الرشيد، سوريا، ١٩٨٦م.
- ١٢٣- _____ ، تهذيب التهذيب، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م.
- ١٢٤- _____ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز ابن باز، د.ط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩١م
- ١٢٥- ابن عطية الأندلسي، محمد بن عبدالحق (٥٤٦هـ-)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبدالسلام محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
- ١٢٦- العقيلي، نجيب، المستشرقون، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.
- ١٢٧- العك، خالد، تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، دار الفكر، ط٢، دمشق، ١٩٨٦م
- ١٢٨- عكاشة، أحمد، الطب النفسي المعاصر، مكتبة الإنجلو المصرية، د.ط، القاهرة، ٢٠٠٣م
- ١٢٩- العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (١٠٨٩هـ-)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ١٣٠- العمادي، محمد بن محمد أبو السعود (٩٥١هـ-)، إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، د. ط، بيروت، د.ت.
- ١٣١- عمارة، إسماعيل، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، ط٢، دار حنين، عمان، ١٩٩٢م.
- ١٣٢- عوض، إبراهيم، دائرة المعارف الإسلامية أضائل وأباطيل، ط١، دار البلد الأمين، القاهرة، ١٩٩٨م.

- ١٣٣- _____، مصدر القرآن - دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي المحمدي، د.ط، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ١٩٩٧م.
- ١٣٤- عزب، محمود ملاح التنوير في مناهج المفسرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.
- ١٣٥- ابن فارس، الحسين بن أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، د.ط، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- ١٣٦- فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق، ترجمة عمر لطفي العالم، ط١، دار قتيبة، دمشق، ١٤١٧هـ.
- ١٣٧- فوك، يوهان، الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين، دار قتيبة، دمشق.
- ١٣٨- الفيشاوي، سعد، المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، راجعه عبدالرحمن الشيخ ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.
- ١٣٩- القاسمي، محمد جمال الدين، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق مصطفى شبيخ مصطفى، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ١٤٠- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، شرحه السيد أحمد صقر، ط٣، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨١م.
- ١٤١- القرطبي، أحمد بن عمر الأنصاري (٦٥٦هـ)، كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، ط١، دار الرياض، ١٩٩١م.
- ١٤٢- القرطبي، محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني، ط٢، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.
- ١٤٣- القسطلاني، أحمد بن محمد (٩٢٣هـ)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، شرحه مأمون الجنان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- ١٤٤- القصير، أحمد بن عبدالعزيز، عقيدة الصوفية (وحدة الوجود الخفية)، مكتبة الرشد، ط١، الرياض، ٢٠٠٣م.
- ١٤٥- قطب، سيد، التصوير الفني، ط٦، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ١٩٨٠م.
- ١٤٦- _____، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط١٧، القاهرة - بيروت، ١٩٩٢م.
- ١٤٧- قطب، محمد، المستشرقون والإسلام، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ١٤٨- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر الزرعي (٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، ط٣٠، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.
- ١٤٩- ابن كثير، اسماعيل (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الكتب الثقافية، ط٥، بيروت، ١٩٩٦م.

- ١٥٠- الكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر، أسرار التكرار في القرآن، تحقيق عبدالقادر عطا، ط٢، دار الاعتصام، القاهرة، ١٣٩٦هـ.
- ١٥١- ابن كلثوم، عمرو، ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق أميل يعقوب، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٩٩١م.
- ١٥٢- الكيروانى، رحمت الله (١٣٠٨هـ-)، إظهار الحق، تحقيق محمد ملكاوي، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٩٩٤م.
- ١٥٣- _____، مختصر إظهار الحق، تحقيق محمد ملكاوي، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ.
- ١٥٤- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دط، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٩٦٩م.
- ١٥٥- أبو ليلة، محمد، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، ط١، دار النشر للجامعات، مصر، ٢٠٠٢م.
- ١٥٧- ابن ماجة القزويني، محمد بن يزيد (٢٧٥هـ-)، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دط، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- ١٥٨- المجالي، محمد خازر، الوجيز في علوم الكتاب العزيز، ط٤، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ٢٠٠٨م.
- ١٥٩- محمد أمين، الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، ط١، دار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٨٨م.
- ١٦٠- محيسن، محمد سالم، تاريخ القرآن الكريم، سلسلة دعوة الحق، المجلد ٢، رابطة العالم الإسلامي، السنة ١٤٠٢هـ.
- ١٦١- المصري، عبدالرؤوف، المنتقى في تاريخ القرآن، المكتبة العصرية، القدس، ١٩٥٨م.
- ١٦٢- المزي، أبوالحجاج يوسف بن الزكي (٧٤٢هـ-)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
- ١٦٣- المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٩٨٢.
- ١٦٤- ابن منظور، محمد بن مكرم، (٧١١هـ-)، لسان العرب، دط، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ١٦٥- مهران، محمد بيومي، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨٠م.
- ١٦٦- بن ميمون، موسى، دلالة الحائرين، عارضه بأصوله العربية حسين أتاب، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- ١٦٧- ابن نبي، مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مكتبة عمار، القاهرة، د. ط، ١٩٧٠م.

- ١٦٨- _____ ، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبدالصبور شاهين، د.ط، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م
- ١٦٩- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (٣٣٩هـ)، الفاسخ والمنسوخ، تحقيق محمد عبدالسلام، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٨هـ.
- ١٧٠- الندوي، أبو الحسن، السيرة النبوية، دار ابن كثير، ط١، دمشق، ١٩٩٩م
- ١٧١- _____ ، ماذا خسر العالم بتحطاط المسلمين، د.ط، مكتبة الإيمان، المنصورة، د.ت،
- ١٧٢- _____ ، المدخل إلى الدراسات القرآنية، دار البشير، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م
- ١٧٣- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (٣٨٥هـ)، الفهرست، د.ط، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.
- ١٧٤- النسائي، أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، تحقيق عبدالغفار البنداري وسيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٩١م.
- ١٧٥- النسفي، عبدالله بن أحمد (٧١٠هـ)، مدارك التنزيل، د.ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.
- ١٧٦- نوفل، أحمد، نسخ التلاوة بين النسخ والإثبات، ط١، دار القطوف، عمان، ٢٠٠٦م.
- ١٧٧- نولدكه، تيودور، تاريخ القرآن، ط١، دار نشر جورج ألمز، هيلدسهايم-زيورخ-نيويورك-مؤسسة كونراد-أنداور-بيروت، ٢٠٠٤م.
- ١٧٨- النووي، يحيى بن شرف (٦٧٦هـ)، شرح صحيح مسلم المسمى (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، د.ط، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، د.ت.
- ١٧٩- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (٢٦١هـ)، الصحيح، تحقيق محمد فواد عبدالباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ١٨٠- ابن هشام، عبدالملك (٣١٢هـ)، السيرة النبوية، حققها مصطفى السقا وآخران، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- ١٨١- الهندي، علي المنقي حسام الدين البرهان فوري (٩٧٥هـ)، كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣.
- ١٨٢- الهيتمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ١٨٣- هيكل، محمد، حياة محمد، ط١٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ١٨٤- الواحدي، علي بن أحمد (٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م
- ١٨٥- الواحدي، محمد بن عمر، المغازي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت
- ١٨٦- واط، مونتجمري، حياة محمد في مكة، ترجمة عبدالرحمن الشيخ وحسين عيسى، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م.
- ١٨٧- وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، د.ط، الشركة اللبنانية للموسوعات العالمية، بيروت، د.ت.

- ١٨٨- ابن أبي يعقوب، أحمد، (٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، د.ط، دار صادر بيروت، د.ت.
- ١٨٩- إنجيل برنابا
- ١٩٠- الكتاب المقدس
- ١٩١- دائرة المعارف الإسلامية، أصدرها بالعربية أحمد الشناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، طبعة دار الفكر، القاهرة، ١٩٣٣م.
- ب- مواقع الشبكة العنكبوتية (الانترنت)
- ١٩٢- أرحبلة، عباس موقع البشارة الإسلامية، على شبكة الانترنت، الدراسات الاستشرافية للقرآن الكريم، (من جهود الدراسات الاستشرافية للنص القرآني) (مدرسة نولدكه).
- ١٩٣- جميت، هشام، منتدى اللادينيين العرب، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة (محمد ﷺ) ودعوته من وجهة نظر تاريخية وأنتروبولوجية، محمد الحداد.
- ١٩٤- _____، منتدى الأوان، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة.
- ١٩٥- جفري، آرثر، بحثاً عن محمد التاريخي، ترجمة مالك مسلماني، على شبكة الانترنت .
- ١٩٦- السيد، رضوان، أرشيف الملتقى على شبكة الانترنت، العدد ١٢٧، السنة ٢٠٠٤م.
- ١٩٧- _____، نشوء الاستشراق الألماني وتطوراته المبكرة، مدونات مكتوب على الانترنت.
- ١٩٨- العالم، عمر، الألمان والقرآن، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد ٤، ١٩٨٧م، ص ١٩٨-١٩٩ (منشور على الإنترنت).
- ١٩٩- لقاء شبكة التفسير والدراسات القرآنية مع المستشرق موراني على شبكة الانترنت، تاريخ الدخول ٢٠٠٨/٣/١٨م
- ٢٠٠- مجلة الأئق الثقافية، على شبكة الانترنت.
- ٢٠١- مسوح، جورج، موقع معابر على شبكة الانترنت.
- ٢٠٢- ندوة مجمع الملك فهد، القرآن الكريم في الدراسات الاستشرافية، الموقع الإلكتروني: www.mrs.ak.com/oriental102.html
- ٢٠٣- www.Alsharq.com
- ٢٠٤- www.servantjesus.com
- ج- الدوريات والمجلات العلمية
- ٢٠٥- جحا، ميشال، الاستشراق الألماني في القرن العشرين، مجلة الاجتهاد، العددان (٥٠-٥١)، السنة ٢٠٠١م.
- ٢٠٦- كتورة، جورج، صورة الاستشراق الألماني (لمحة عما صدر في آخر سنتين في بعض مجلاته المتخصصة)، مجلة الفكر العربي، العدد ٢.
- ٢٠٧- هاشم، الحسيني عبدالمجيد، الوحي الإلهي، مجلة الأزهر، ١٤٠٤ هـ.

د- المراجع الأجنبية

- ٢٠٨- ANDEE, TOR, **Mohammed: The man and his faith** ,Translated by Theopil Menzil ,Harper Torch books ,First Edition published ,١٩٦٣ ,(Mohammed's Doctrine of Revelation).
- ٢٠٩-BURTON, JOHN, **THE COLLECTION OF QURAN**, Cambridge University London, First published ١٩٧٠, paper back ١٩٧٩.
- ٢١٠ - Hasanuddin, Ahmad, **Ulm- ul- Quran An Introduction to the Science of the Quran (How to Study and Understand the Quran: NetNavigate Systems.**
- ٢١١ -Lawson , Todd , **The origins of the koran classic Essayson Islanm's Holy Book** edited by Ibn warraq , Amherst , Newyork , pormetheos books , Journal of the American oriental society ١٢٢,٣ (٢٠٠٢).
- ٢١٢ - Lawrence M. Tiery and Stephen j.Mcphee and Maxine A. Papadakis. **CURRENT MEDICAL Diagnosis and Treatment.** Fortieth edition.٢٠٠١.
- ٢١٣ -Lucken bill, D.D, **Ancient Records Of Assyria and Babyloia**, ١٩٢٧, vol- ٢, ٧:٦٠.
- ٢١٤- Mahar Ali, Mohammad, **Orientalist Studies Of The Quran, A Historical Survey.**
- ٢١٥ -Noldeke, Theador, **The Koran**, Encyclopaedia Britannicas sikteenth edition (١٨٩١) Great minds, on the Internet
- ٢١٦ -Warrag, Ibn, **Theodor Noldede Father of the Quranic criticism**, on the interenet.
- ٢١٧- **WIKIPEDIA**

ABSTRACT

The Revealer in the German Orientalist Noldekes Book "History of Quran" Presentation and Criticism

By
A.Razzak Ahmad Asaad Rajab

Supervised by
**Prof: A.Allah Marhool Assawalmeh
Prof: Mohammad Khazer Almajali**

The aim of this dissertation is to show the stance of Noldke, a German orientalist, on the revelation in his book "History of the Quran" The dissertation criticizes his skepticism and provides and provides counter proof to the allegations raised.

The study proves that Noldke undeservedly won a reputation for writing "History of the Quran" .Having written his book, Noldke himself did not approve of reprinting it but let the matter rest with one of his followers.

The researcher followed the inductive approach in collecting the "uncertainties" and allegations that Noldke claimed about the revelation.

The researcher then employed the critical approach to refute such allegations.

The dissertation criticizes Noldke's viewpoint as to how he envisaged the origin of revelation, its identity and sources. It also criticizes the approach that he adopted in ordering the Quranic "suras" historically with time reference to revelation.

The study also criticizes Noldke's claims concerning the revelation style in the Meccan and Medani "suras". Further, the study criticizes Noldke's scruples about all Quranic "suras" and his allegations about the existence of some Quranic texts that were not included in the present Quran.

The dissertation has disclosed that Noldke's precarious approach in ordering the suras historically according to revelation greatly influenced other orientalist studies that were mostly based on inaccurate and false exigencies while refusing accurate accounts, neglecting facts, holding to bias and subjective argumentation.

The researcher could identify a strong influence for Noldke, the German orientalist on the question of revelation through his book, "History of the Quran" The influence was mainly on orientalists, Modernist Arabs and some Arab-Quranic studies related to the revelation.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University